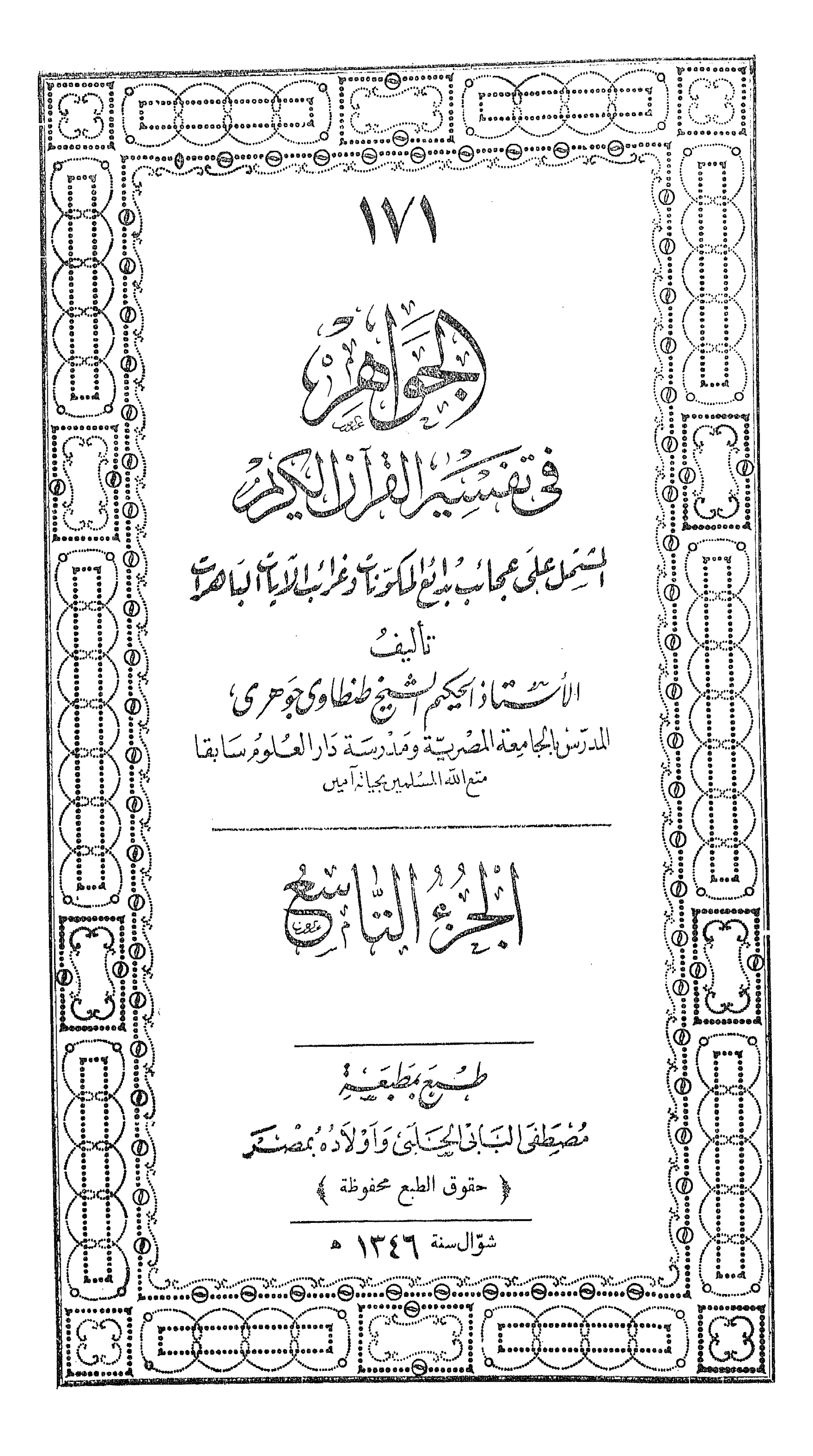


١٧١

الجواهر
في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

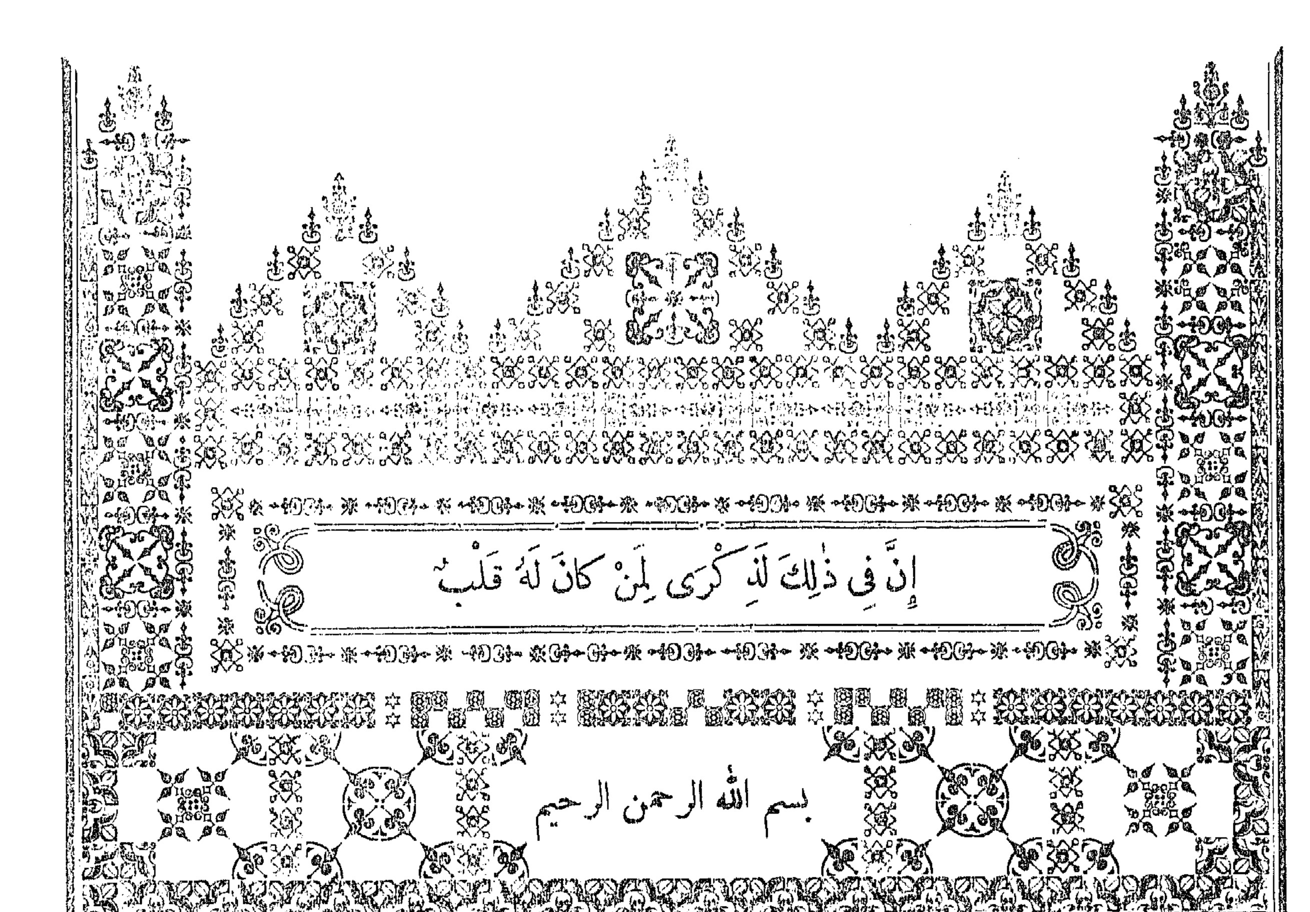
متع الله المسلمين بحياته آمين

الجزء التاسع

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

شوال سنة ١٣٤٦ هـ



(سورة بنى اسرائيل مكية إلا قوله ـ وان كادوا ليفتنونك ـ الى آخر ثمان آيات)

(وهى مائة وعشر آيات)

هذه السورة ﴿ قسمان * القسم الأوّل ﴾ من أوّل السورة الى قوله تعالى ـ وقالوا أ إذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا ـ

﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى ـ قل كونوا حجارة أوحديدا ـ الى آخر السورة

القسم الأول فيه (١) الاسراء (٢) وتاريخ بنى اسرائيل ارتقاء وانحطاطا (٣) وحكم تتبع ذلك وعظات للأمّة الاسلامية لئلا تذهب دولها كما ذهبت دولة اليهود (٤) ثم تبيان أن كل مافى السموات والأرض مسبح لله رجوعا الى مبدإ السورة مع نصائح أخرى

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ)

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا

خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ
وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً
* عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً * إِنَّ هَذَا
الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً
* وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ
بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ
تَفْصِيلاً * وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ
مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً * مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي
لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى
نَبْعَثَ رَسُولاً * وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ
فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً * وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ
خَبِيراً بَصِيراً * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ
يَصْلَاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً * وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً * كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ
مَحْظُوراً * اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ
تَفْضِيلاً * لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً * وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا
تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ
لِلْأَوَّابِينَ غَفُوراً * وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ
الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ

رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُورًا * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً * وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً * وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً * وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً * وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً * أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ إِنَاثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُوراً * قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَبْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً * سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا * تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً * وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً * وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَسْحُوراً * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً * وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أسبح (سبحان) الله أى تنزيهه فسبحان اسم بمعنى التنزيه أى أنزّه الله أن يعجز عما سيذكر بعده

(الذى أسرى بعبده) محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان (ليلا) فى مدة قليلة منه دل عليها تنكير ليل (من المسجد الحرام) هو المسجد بعينه لا الحرم كله * لقوله عليه الصلاة والسلام بينا أنا نائم فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى الى السماء فى تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشا عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضا بما رأى فى السماء من العجائب وانه لقى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام و بلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الاسراء قبل الهجرة بسنة . والخلاف مشهور أكان باليقظة أم فى المنام فعائشة رضى الله عنها تقول بروحه والجمهور يقولون بجسده وسيأتى تحقيقه وقوله (الى المسجد الأقصى) أى بيت المقدس إذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحى ومتعبد الأنبياء من أيام موسى عليه السلام وحوله الأشجار المثمرة والأنهار الجارية (لنريه) أى محمدا ﷺ (من آياتنا) من عجائب قدرتنا كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم ورؤيته عجائب السموات وغرائب المخلوقات فيها (إنه هو السميع) لأقوال محمد ﷺ (البصير) بأفعاله فيكرمه و يقربه على حسب ما استعد له بذلك . ولما كان بيت المقدس مقر الأنبياء من أول موسى عليه السلام ولهم دول تتابعت وأمم تناسقت فى تلك الأقطار أطلع الله نبيه محمدا ﷺ على أحوالهم ليطلعنا عليها وأوحى اليه ماحل بقوم موسى من عزة وذلة وشرف وحطة وقد أنزل عليهم كتاب التوراة المنزل على موسى ليدلنا على ماسيكون لنا فى مستقبل الزمان وانا سنلاقى مالاقت الأمم فلنحترس مما وقعوا فيه ولذلك أعقبها بآداب ونصائح وفضائل لم تكن فى سورة قبلها متتابعة على هذا المنوال وشدد فى ذلك حتى أعطى (٢٥) نصيحة فى نسق واحد . فأما التوراة فان مدار نصائحها على الكلمات العشر المعروفة فقال سبحانه موضحا ذلك (وآتينا موسى الكتاب) التوراة (وجعلناه) أى الكتاب (هدى لبنى اسرائيل أن لاتتخذوا من دونى وكيلا) يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى ربا تكلون اليه أموركم يا (ذرية من حملنا مع نوح) فى السفينة (إنه كان عبدا شكورا) يحمد الله على جميع حالاته و يقوم بحق النعمة و يصرف كل ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله فلذلك أنجيته من الغرق فاذا سرتم على طريقه أنجيتكم من الهلاك فاشكرونى بمعرفة حق النعمة أدم لكم النعم كما أدمتها عليه . ثم أخذ يفصل ما حصل لبنى اسرائيل وهل هم قاموا بالشكر كنوح أبيهم أم هم ضلوا السبيل فغضب عليهم وكل ذلك ليس يقصد منه إلا نحن أصحاب هذا القرآن ثم قال (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب) أى وقضينا على بنى اسرائيل فى كتابنا الذى كتبناه على الخلق وقدرناه عليهم قبل خلقهم وأن لكل دولة أيام رفعة وأيام ذل وأقسمنا (لتفسدن فى الأرض) أى أرض الشام و بيت المقدس (مرتين) كما هو شأن كل أمة نالت حظا من الحضارة والترف وسكرت بالنعيم (ولتعلن علوا كبيرا) أى ولتستكبرن ولتظلمن ظلما كبيرا (فاذا جاء وعد أولاهما) أولى المرتين بأن خالفتم أحكام التوراة وركبتم المحارم فقتلتم شعياء فى الشجرة مثلا (بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد) أشداء فى القتال لأنكم لم تسيروا على سنن أبيكم نوح فى شكر نعمائى وهؤلاء العباد بختنصر وجنوده فقتلوا علماءكم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا سبعين ألفا (فجاسوا خلال الديار) ترددوا للغارة فيها * والجوس طلب الشئ بالاستقصاء (وكان وعدا مفعولا) وكان وعد العقاب وعدا لابد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم وتهذبتم (وأمددناكم بأموال و بنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها) أى إن الاحسان والاساءة مختصان بأنفسكم لايتعدى النفع والضرر الى غيركم * وعن على رضى الله عنه ﴿ ما أحسنت الى أحد ولا أسأت اليه ﴾ (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد العقوبة المرة الآخرة بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) أى

ليجعلوا آثار المساءة بادية فيها (وليدخلوا المسجد) بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أوّل مرّة وليتبروا ما علوا تتبيرا) أى وليهلكوا كل شئ غلبوه واستولوا عليه وهؤلاء هم الروم حاصروهم وافتتحوا بيت المقدس وأفشوا فى القتل والأسر والتحريق وخربوا البيت وأجلوهم الى رومة وماوراءها وهوالخراب الثانى للمسجد ويسمى الجلوة الكبرى (عسى ربكم) بعد المرة الأخرى (أن يرحمكم وان عدتم) نوبة أخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ بعد الثالثة كما عادوا بعد الأولى بتكذيب عيسى فسلط الله عليهم الروم إذ ذاك فهكذا هنا سلط عليهم محمدا ﷺ فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وقرّر الجزية على الباقين . هـذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لايخرجون منه أو بساطا كما يبسط الحصير . هذا ما كان من أمر التوراة ونتائجها فى الأمة التى اتبعته وهذا القرآن أنزلناه لأمم ستأتى وأنزلنا فيه حكما أرقى مما فى التوراة لأن العالم سائر الى الأمام (إنّ هـذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للطريقة التى هى أقوم الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرا كبيرا * وأنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) هذه هى القاعدة العامّة فى القرآن وفى كل دين . ثم أخذ يفصل ذلك والتفصيل ﴿قسمان﴾ قسم علمى وقسم عملى . فأما القسم العلمى فهو

(١) أن يتثبت الانسان ويتبصر فى أموره

(٢) ويعينه على ذلك اطلاعه على حساب الليل والنهار وعجائبهما فان الدقة فى حركات الأفلاك وحسابها تعلم الانسان الثبات والصبر والسير على النهج الأكمل فى الحياة

(٣) ومتى علم ذلك فليقرأ علوم النفس البشرية ونظامها فانها ذات حساب بل حساب أعمالها قائم فيها ثابت وهو مخبوء فى الدنيا لاتطلع عليه إلا بعد الموت كما لايطلع الناس على حساب الأفلاك إلا بدراستها والخلوص من الجهالة بالعلوم الرياضية ويوم القيامة يقرأ كل انسان كتابه بنفسه لأنه حاضر فيها

(٤) وهكذا الدول والأمم فان لكل دولة نظاما فى كيانها ولو اطلعت عليه لأدركت سبب سقوطها فهى متى غمست فى الترف والنعيم هلكت وساء مصيرها وذلك آت من نفسها وطباع أهلها فكأنه مكتوب فى جبلتها يقرأ فى صحائف نفوسها كما يقرأ الناس صحائف أعمالهم يوم القيامة

(٥) وهـذا قانون الأمم كلها متى طغت هلكت فلا فرق بين الأمم التى بعد نوح وهـم كثيرون وبين الأمم الآتين من دول الاسلام والشرق والغرب

(٦) هذا قانون عام فمن قصر نظره على الامور الوقتية نالها وحرم غيرها ومن اتسعت بصيرته فأدرك الحقائق وعمل للمستقبل فازبه . هذا هو القسم العلمى وماتفرّع منه

وأما القسم العملى فهو ٢٥ نصيحة سيأتى ذكرها . فهذه هى الطرق التى سنها الله فى القرآن ليحترس علماء الاسلام مما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وخراب ممالكهم وهذا من معنى قوله تعالى ـ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ

﴿ القسم العلمى ﴾

الفصل الأوّل منه قوله تعالى (ويدع الانسان بالشرّ دعاءه بالخير) فيدعو الله عند غضبه بالشرّ على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير (وكان الانسان عجولا) يتسرّع الى طلب مايقع فى قلبه ولايتأنى ومن هذا ماحصل من النضر بن الحارث قال ﴿اللهم ان كان هـذا هو الحقّ الخ﴾ فاذا كانت هـذه حال الانسان فليس ينبغى أن نتركه وشأنه بل نرسل له الأنبياء ونعامه ولاندعه يسرع الى أهوائه فاذا كره البنات مثلا جبرناه على تربيتهنّ والا فسد ملكنا وأمرناه بطريق الدين وبالشفقة المحرقة للأفئدة أن يحافظ عليهنّ فهذا من التسرّع بلا فكر ولاروية . واذا تنعم وشره وظلم سلطنا عليه من يهلكه لئلا يفسد فى الأرض كما

حصل لبنى اسرائيل

﴿ الفصل الثانى ﴾

فلنطلعكم على نظامنا وحسابنا فعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة ومافوق ذلك من علم الفلك نلهمكم بقراءتها أبواب الخيرات والحكمة كما يقوله الحكماء (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على قدرتنا وعلمنا وعلى نسقنا العجيب (فمحونا آية الليل) أى الآية التى هى الليل أى جعلناه محوّ الضوء مطموسا مظلما لايستبان فيه شئ (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة تبصر فيها الأشياء رؤية بينة (لتبتغوا فضلا من ربكم) تطلبوا فى بياض النهار أسباب معاشكم (ولتعلموا) باختلافهما وبحركاتهما (عدد السنين والحساب) أى وجنس الحساب . فكما كان الليل لنومكم والنهار لمعاشكم كان تعاقبهما لتعليمكم السنين والحساب . فالأوّل بالضوء والظلمة والثانى بالحساب المبنى على الحركات فالضوء نعمة والظلمة نعمة والحركات الفلكية نعمة فنعمة الضوء للامور المحسوسات ونعمة الحركة تعم العقليات والحسيات فنحن مافرطنا فيما ينفعكم (وكل شئ) تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه تفصيلا) فيما أبدعناه من النظام وما خلقناه من الأجرام العظام وحركاتها وابداعها ومن ذلك التفصيل التام مافصلنا فى النفس الانسانية فانما هى صورة لما فصلناه فى السموات والأرض بل هى على طبقها

﴿ الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره) عمله (فى عنقه) أى ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغلّ للعنق كما تقول جعلت هذا فى عنقك أى قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به وانما عبر بالطائر على عادة العرب انهم كانوا يتشاءمون ويتيمنون ببروح الطائر وسنوحه فاستعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى فكل امرئ قد ثبت فى نفسه كأنه مكتوب فيها ماعمل من خير أوشرّ فأصبح كأنه مطبوع فيها لايفارقها ثم يكشف الغطاء عن الانسان فيقرأ ماعمله ويجده حاضرا فى نفسه فيسرّه أو يسوءه ــ ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا ــ لأنهم هكذا شأنهم وطباعهم واستعدادهم فأصبحوا على مقتضاه فحزنوا أوفرحوا ثم قال (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أى حال كونه غير مطوى عنه كما كان فى الدنيا ونقول له (إقرأ كتابك) أى كتاب أعمالك فيقرؤه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) الباء زائدة أى كفى نفسك وحسيبا تميز وعليك متعلق به أى حاسبا عليك من قولك حسب عليه كذا . واذا كان المرء يرى أعماله مسطورة مكشوفة يطالعها وهى أعماله فالأمر إذن واضح (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها) فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (ولاتزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرها وزر نفس أخرى بل انما تحمل وزرها لأنه هو المسطور فيها والذى تطالعه والذنوب على مقدار العلم والمعرفة والقدرة فمن قصر فيما علم ندم كما هى الحال فى الدنيا . ان المرء ملزم بعمل مايطيق ومايعلم فلايجب على الباعة والتجار تعليم العلم ولانظام الدولة بل كل ملزم بما علم واستعدّ له والأمم فى الجاهلية لاشئ عليهم إذ لاعلم لهم (وما كنا معذّبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع . ولاجرم أن النفس الانسانية التى سطر فيها أعمالها كما كتب فى سجل الأفلاك حسابها ونهجت منهجها فيه على قاعدة ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ حكم الواحد منها حكم جميعها . فما الأمم إلا أفراد مجتمعة ولها طباع وأحوال وقد كتب فى سجلها ماكتب فى سجل الأفراد من ذنوب وطاعات . وكما يعذّب الأشخاص يوم القيامة وفى الدنيا . هكذا تعذّب الأمم متى طغت فى الدنيا بالهلاك وفى الآخرة بجهنم وطغيان الأمم باتباع الشهوات والظلم والجور الذى ينجم عن التمتع والتنعم وهذا قوله فى

﴿ الفصل الرابع والخامس ﴾

(واذا أردنا أن نهلك قرية) أى واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق عليهم (أمرنا مترفيها) أى أكثرنا المنعمين فيها * يقال أمرت الشئ وآمرته فأمر كفرح اذا أكثرته وذلك بأن نصب

عليهم النعم فتبطرهم وتفضى بهم الى الفسق كما حصل لبنى اسرائيل فيما تقدم فلتحذر أمة الاسلام ذلك وهذا قوله تعالى (ففسقوا فيها) أى خرجوا عن طاعة أوامرنا (فحق عليها القول) أى فوجب عليها الوعيد كما جرى لبنى اسرائيل إذ سلطت عليهم بختنصر أوّلا ودولة الروم ثانيا فأخذوا الى أصبهان وماوالاها من البلدان أوّلا وشتتوا فى بلاد الروم وأخرجوا من ديارهم ثانيا (فدمرناها تدميرا) فأهلكناها اهلاكا وليس ذلك خاصا ببنى اسرائيل المذكورين بل هذا قانون عام يعم الأمم السابقة واللاحقة وهذا قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) بيان لكم (من بعد نوح) كعاد وثمود وغيرهما وهذا الاهلاك بالسبب المتقدم وهو التنعم والترف فيكون الجبن من جهة والظلم من جهة أخرى ليستوا جشعهم (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) وان أخفوها فى صدورهم فاذا نسوها فلم ننسها نحن ــ أحصاه الله ونسوه ــ فلذلك نعاقب فى الدنيا بالهلاك وفى الآخرة بجهنم وذلك كله بحب الانسان العاجلة وقصر نظره . فهذا هو الدرس الذى ألقاه الله لنا ليبين العجلة التى تحمل الانسان على مطامع وقتية فيما تقدم إذ يدعو الانسان بالشرّ كما يدعو بالخير ومثل ذلك طلبه العاجلة بالتنعم فهو كما يطلب الشرّ بالدعاء فكلاهما تسرّع وطلب للشئ قبل وقته وليس التنعم محطّ الآمال فى الدنيا بل الدنيا محطّ التعليم والتهذيب . فاذا تعجل الناس واغترّوا بما لديهم أهلكهم وأضاع دولهم وهذا هو ﴿الفصل السادس﴾ الآتى وقبل أن نبدأ فيه نختم هذا الفصل بما شاع من العثور على حضارة قديمة جدا يوم ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٦ وهو ما يأتى

﴿ اكتشاف حضارة غابرة فى أمريكا الوسطى ﴾

عاد الى انجلترا حديثا من غابات أمريكا الوسطى ومفاوزها كل من المستر (متشل هدجس) و (اللايدى رتشمند براون) المستكشفان بعد أن قضيا عاما هناك فى البحث عن بقايا حضارة غابرة وقد لاقيا كثيرا من الصعاب وكشفا النقاب عن كثير من الأسرار . ولقد بدأت البعثة عملها بأن تلاشت فى الفضاء الواسع المجهول بغية العثور على خرائب مدينة (مايا) القديمة فى لوبانتان من هندراس البريطانية

ولقد مرّت على البعثة المستكشفة أوقات أيقنوا فيها بفقدان الأمل ولكن عزم المستر (هدجس) وزميلته (لايدى براون) كان باعثا على الاستمرار وعدم اليأس . ولقد كانت تخوض بهم خيولهم المستنقعات حتى رقابها خلال الغابات والادغال

واجتاز المستر (هدجس) وجماعته النهر يصحبهم المرشدون من الهنود وأخذوا طريقهم خلال الادغال طويلا حتى ظهر لهم فجأة هرم عظيم يبلغ ارتفاعه ثلثمائة قدم . وهنا تأكدوا انهم عثروا على شئ فى غاية القدم كما انه فى منتهى الجدّة للعالم وكان ذلك هو اهرام (مايا) الكبير . ولقد كانت (مايا) هذه تمثل أسمى نوع من أنواع الحضارات فى القارّة الأمريكية . وفى اليوم التالى ظهر من الاكتشاف والبحث انه كان هناك مالا يقلّ عن ستة اهرامات على ساحة كبرى حجرية مساحتها ربع ميل مربع . وفى اليوم الثالث اكتشف اهراما يبلغ ارتفاعه مائة وثمانيا وثلاثين قدما وعرضه ست وثلاثون قدما . ولما جردت الادغال وجدت سلالم حجرية هائلة متدرجة يبلغ وزن الدرج الأسفل منها مايقرب من طنين . ويقول المستر هدجس انه على ثقة من أنه فى وسط وشمال وجنوب أمريكا يوجد مفتاح لأسرار غامضة لو أنها تفتحت للعالم جليا لسببت حيرة عامة فى الأفكار العلمية لنظريات النشوء والارتقاء . انتهى

ولنشرع فى ﴿الفصل السادس﴾ وهو اتمام لتبيان ماتقدم من أن الانسان عجول فقال تعالى (من كان يريد العاجلة) مقصورا همه عليها (عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد) بدل من له باعادة الجار بدل البعض من الكل فالذين قصرت هممهم على العاجلة نعطى بعضهم بعض مايطلبون وآخرون نحرمهم مما يطلبون جميعه (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أى

عمل

عمل لها عملها وحقها من السعى وكفاها من الأعمال الصالحة (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا عند الله . فالقسم الأول اتمام لايضاح ـ وكان الانسان عجولا ـ والقسم الثانى من هذه الآيات فى مقابله وهم المؤمنون (كلا نمدّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك) أى كل واحد من الفريقين وهؤلاء بدل من كل والعطاء الرزق ومن متعلق بنمدّ فلانبخل على مطيع ولاعاص بل نزيدهم جميعا من عطائنا ونجعل اللاحق منه مددا للسابق (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا عن عباده ان عصوا . ولاضير فى ذلك فالانسان العاصى أوالكافر لم يخرج عن حظيرة النعمة الحيوانية فليكن حيوانا كتلك التى ترتع فى البوادى واذا متعنا الحيوان وأكثرناه فى الأرض وانضم فريق من الانسان اليه وصار فى عداده فهل نبخل عليه . كلا . وهل عطاؤنا محظور (أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) فى الرزق والعمل كيف منصوب بفضلنا على الحال فتشاهد انهم درجات شتى (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أى ان التفاوت فى الآخرة أكبر مما تراه فى الأخلاق والأرزاق والأعمال . انتهى القسم العلمى

﴿ القسم الثانى العملى ﴾

لما فرغ من الكلام على القسم العلمى من نظرفى السموات والحساب والسنين وأن كل شئ مفصل تفصيلا وأن كل انسان قد سطرت فى صحيفة عقله أعماله فهو يقرؤها متى قامت قيامته بموته وبالقيامة الكبرى وانحل بدنه . وهكذا الأمم كالأفراد يطبع على أفرادها طبائع الكسل والشره والظلم والترف فنهلكها وذلك لقصر نظرهم واتباعهم أمر العاجلة والحياة الفانية فألق نظرك لمن حولك من الناس تجدهم درجات كثيرة والآخرة أوسع نطاقا وأكثر مراتب . فلما فرغ من هذا شرع يبين القسم العملى وهو ٢٥ نوعا وقليل فيه علمى كالنوع الأول وهذه الأنواع هى

(١) عدم الشرك اعتقادا (٢) وعبادة الله (٣) النهى عن عبادة غيره (٤) الاحسان للوالدين وجوبا (٥) وهذا الاحسان يوجب أن لايقول لهما أف (٦) ولاينهرهما (٧) وأن يقول لهما قولا كريما (٨) وأن يخفض لهما جناح الذل تواضعا (٩) وأن يدعو لهما بالرحمة (١٠) وأن يؤتى ذا القربى حقه (١١) والمسكين (١٢) وابن السبيل (١٣) وأن لايبذر (١٤) وأن يقول لمن لم يجد مالايعطيه قولا ميسورا (١٥) وأن لايجعل اليد مغلولة الى العنق فيقبضها وأن لا يبسطها كل البسط . وقد جعل هذا داخلا فى الخامس عشر والأولى أن يجعل قسما مستقلا ويكون هو الخامس عشر ويكون الثانى والثالث واحدا وهو أن لا تعبدوا إلا إياه فقد جعل ذلك اثنين (١٦) ولاتقتلوا أولادكم خشية املاق (١٧) ولا تقتلوا النفس (١٨) ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا (١٩) فلايسرف فى القتل (٢٠) وأوفوا بالعهد (٢١) وأوفوا الكيل (٢٢) وزنوا بالقسطاس المستقيم (٢٣) ولاتقف ماليس لك به علم (٢٤) ولاتمش فى الأرض مرحا (٢٥) لاتجعل مع الله إلها آخر . ولنرجع الى بقية التفسير اللفظى فنقول

قال تعالى (لاتجعل مع الله إلها آخر) أيها الانسان (فتقعد) فتصير مذموما مخذولا يذمك الملائكة والمؤمنون ويخذلك الله تعالى (وقضى ربك) أمر أمرا مقطوعا به بأن لا تعبدوا (إلا إياه) وبأن تحسنوا (بالوالدين إحسانا) أى برا بهما وعطفا عليهما ولفظ الاحسان قد يوصل بحرف الباء تارة وبحرف الى تارة أخرى وكذا الاساءة تقول أحسنت به واليه وأسأت به واليه قال تعالى ـ وقد أحسن بى ـ * وقال الشاعر

اسيئى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقال تعالى (إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أوكلاهما) أى أن يبلغنّ وما زائدة للتأكيد (فلاتقل لهما أفّ) أى فلاتضجر مما يستقذر منهما ولاتستثقل من مؤونتهما وأفّ اسم فعل الضجر وهو مثلث الآخر منونا وغير منوّن على اختلاف القراآت ففيه ست قراآت (ولاتنهرهما) تزجرهما عما يتعاطيانه مما

لا يجبهك ونهره وانتهره بمعنى (وقل لهما قولا كريما) حسنا جميلا كما يقتضيه حسن الأدب معهما (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع وقد جعل للذل جناحا وأراد جناحه هو أي اخفض جناحك كقوله تعالى ـ واخفض جناحك للمؤمنين ـ وأضيف الى الذل للمبالغة كما أضيف حاتم الى الجود أي واخفض لهما جناحك الذليل (من الرحمة) من فرط رحمتك وشفقتك (وقل رب ارحمهما) وادع الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية فان رحمتك الفانية لا تكفيهما (كما ربياني صغيرا) أي رحمة مثل رحمتهما لي وتربيتهما وارشادهما حين كنت صغيرا * روى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر واني ألي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وعدم عقوقهما (إن تكونوا صالحين) مطيعين قاصدين البر بعد تقصير كان منكم أو بعد ما فرط منكم في حال غضب فاستغفرتم من ذلك فان الله يغفر لكم (فانه كان للأوابين) التوابين (غفورا) * قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادرة الى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤاخذ بها (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر بهم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) ولا تسرف اسرافا وذلك بصرف المال فيما لا ينبغي * وأصل التبذير التفريق (إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم في الشر وذلك غاية المذمة أو يقال انهم من حيث انهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف (وكان الشيطان لربه كفورا) شديد الكفر فكيف يطيعونه (واما تعرضن عنهم) أي وان أعرضت عن ذوي القربى والمسكين وابن السبيل وأنت تستحي أن ترد عليهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولا ميسورا) أي فقل لهم قولا لينا جميلا أي عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) هذا أمر بالتوسط الذي هو الكرم فلا يكون الانسان شحيحا ولا مسرفا وخير الامور الوسط (فتقعد ملوما) على الشح بجعل يدك مغلولة الى عنقك (محسورا) منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه فالأول للبخل والثاني للتبذير * ذكر المفسرون عن جابر رضي الله عنه قال بينا رسول الله ﷺ جالس أتاه صبي فقال أمي تستكسيك درعا فقال ﷺ من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل ﷺ داره ونزع قميصه وأعطاه للصبي وقعد بلا لباس وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فأنزل الله ذلك ثم تلاه بقوله (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتر ويضيق لمصلحة العباد فليس الارهاق بالاضافة لشئ سوى مصالح العباد (إنه كان بعباده خبيرا) بمصالحهم (بصيرا) بحوائجهم فيقضيها (ولا تقتلوا أولادكم) أي لا تئدوا بناتكم (خشية املاق) خيفة فقر (نحن نرزقهم واياكم) نهى عن القتل وضمن الرزق (إن قتلهم كان خطأ كبيرا) أي إثما عظيما * الخطء والخطأ كالحذر والحذر (ولا تقربوا الزنا) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن فعله (إنه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه ففيه قطع الأنساب وتهييج الفتنة (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) وذلك في «ثلاث» كفر بعد إيمان • وزنا بعد احصان • وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) أي لم يستوجب القتل (فقد جعلنا لوليه) للذي يلي أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا فان شاء أخذ الدية وان شاء استقاد منه واذا اختار القود (فلا يسرف في القتل) بأن يقتل غير القاتل من أشراف قومه أو يقتل جماعة منهم أو يمثل بالقاتل كما كان ذلك في الجاهلية (إنه كان منصورا) والضمير للولي فان الله نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته (ولا تقربوا مال اليتيم) واذا كان قربه منهيا عنه فكيف يكون التصرف فيه (إلا بالتي هي أحسن) أي إلا بالطريقة التي هي أحسن وهي حفظه والقيام عليه وتثميره (وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤلا) مطلوبا فعلى المعاهد ألا

يضيعه و يفى به (وأوفوا الكيل اذا كلتم) ولا تبخسوه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) أى بالميزان السوى والقسطاس القبان وهوعربى من القسط (ذلك خير وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة . من آل اذا رجع وهومايؤول اليه أمره (ولا تقف ماليس لك به علم) أى ولاتتبع ذلك فلاتقل رأيت ولم تر ولاسمعت ولم تسمع ولاعلمت ولم تعلم ولاتقل فى أحد ماليس لك به علم ولاتتبعه ولاتتكلم فيه بالحدس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا) أى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه فيقال له مافعل بك صاحبك كما فى آية ــ واذا الموؤدة سئلت * بأى ذنب قتلت ــ فتشهد على القاتل وهذه الأعضاء تشهد على صاحبها ــ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ــ (ولاتمش فى الأرض مرحا) أى ذا مرح أى ذا بطر وكبر وخيلاء (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (ولن تبلغ الجبال طولا) أى لاتقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك فمن أنت أيها المتكبر المختال البطر

أطرق كرا * إن النعام فى القرى   عن على رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب . ومعنى التكفؤ التمايل فى المشى الى قدام ومعنى ينحط من صبب أى ينحدر من موضع عال وهوقريب من التكفؤ * وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال ﴿ ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله ﷺ كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له إنا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث ﴾ والاكتراث الأمر الذى يشق على الانسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) أى الاشارة الى الخصال الخمس والعشرين المتقدمة وسيئها مانهى عنه فيها . أما المأمورات فليست بسيئة (ذلك) الاشارة للأحكام المتقدمة (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) وهى معرفة الحق والخير فالأول لذاته والثانى للعمل به أى الحكمة العلمية والحكمة العملية وأكثرها من النوع الثانى ثم قال تعالى (ولاتجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا) لائما نفسك مبعدا من رحمة الله وقد بدأ بالتوحيد وختم به للمبالغة فى الحض عليه إذ لاتتم تلك الصفات إلا به * ثم خاطب من قالوا الملائكة بنات الله فقال (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) بناتالنفسه (إنكم لتقولون قولا عظيما) إذ تضيفون الأولاد اليه . إن المقاصد السابقة عظيمة الوقع بديعة النظم تربو على مافى التوراة من الوصايا العشر * وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الآيات وهى الوصايا الخمسة والعشرون مكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام وهذا حق . ولكن هذه تعلو عليها لأن أهم ما فى الألواح الوصايا العشر وهى ﴿ لاتسرق لاتزن الخ ﴾ وهذه أفضل منها وقد جاء قبلها بآيات ــ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم و يبشر المؤمنين ــ فلما أتم القسم العلمى والقسم العملى قال هنا (ولقد صرفنا فى هذا القرآن ليذكروا) عسى ألا يكونوا كبنى اسرائيل إذ جاء هم موسى بالتوراة فعتوا فأبيدت دولتهم فالتكرار هنا لهذه الفائدة ليشدد على الناس أن لايتهاونوا قال تعالى ومع ذلك يزدادون نفورا (وما يزيدهم إلا نفورا) عن الحق (قل لو كان معه آلهة كما يقولون) أوتقولون أيها المشركون (إذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) أى لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض واذن تدل على أن ما بعدها جواب للو قبلها (سبحانه) ينزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبيرا) تباعدا غاية البعد وهذا رجوع لأول السورة فهناك تنزيه له عن أن يكون كالحوادث كما سأوضحه وهنا يقول ــ سبحانه وتعالى عما يقولون ــ فانه فى أعلى المراتب وكيف يكون له شركاء وقد نزهه عن ذلك السموات والأرض ومن فيهن . فكل هذه ناطقات بلسان الحال أنه لاإله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم) أنزل العوالم منزلة العقلاء أوتغليبا وعلى الأول يكون ذلك لأن دلالتها مفهمة كما يفهم عن العقلاء . يقول أنتم أيها الكفار لاتفقهون تسبيح هذه المخلوقات أى لقصر عقولكم واختلال آرائكم

ولكنه لا يعجل عليكم بالعقوبة (إنه كان حليما) إذ لم يعاجلكم بالعقوبة على الفعلة التى أوجبت اشراككم (غفورا) لمن تاب منكم . فهؤلاء حجبت عقولهم عن فهم مافى السموات والأرض وتسبيحهما كما حجبت عقولهم عن فهم القرآن حين تتلوه عليهم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) عن فهم ماتقرؤه (مستورا) بحجاب آخر فهم لايفهمون ولايفهمون أنهم لايفهمون (وجعلنا على قلوبهم أكنة) كراهة (أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) ثقلا يمنع من الاستماع واذن هم لايعقلون اللفظ كما لم يفهموا المعنى . ثم بين ماهو كالسبب فى ذلك فقال (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) أى حال كونه واحدا غيرمشفوع به آلهتهم (ولوا على أدبارهم نفورا) حال كونهم نافرين جمع نافر كقعود جمع قاعد أوهربا من الاستماع (نحن أعلم بما يستمعون به) أى بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن (إذ يستمعون اليك) ظرف لأعلم (واذ هم نجوى) ظرف آخرله أى ذوونجوى فبعضهم يقول مجنون و بعضهم يقول كاهن و بعضهم يقول ساحر . اذكر (إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) سحر فجن (انظر كيف ضربوا لك الأمثال) مثلوك بالشاعر و بالساحر و بالمجنون (فضلوا فلايستطيعون سبيلا) فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب طريقا يسلكه فى التيه فلايقدر عليه فهو متحير (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) أجزاء مفتتة (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) وكيف تقترب حال الحى الغضّ من حال الرميم اليابس . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأول من السورة . وفى هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى ــ سبحان الذى أسرى الخ ــ ومناسبة هذه السورة لما قبلها

(اللطيفة الثانية) وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ــ وفيها بيان دعوة موسى لقومه فى التوراة ونتائجها ودعوة سيدنا محمد ﷺ المذكورة فى آخر النحل وكيف يجب أن تكون

(اللطيفة الثالثة) ــ وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب ــ الخ

(اللطيفة الرابعة) ــ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ــ

(اللطيفة الخامسة) ــ ويدعو الانسان بالشرّ ــ الخ

(اللطيفة السادسة) ــ وجعلنا الليل والنهار آيتين ــ الى قوله ــ وكل شئ فصلناه تفصيلا ــ

(اللطيفة السابعة) ــ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ــ الى قوله ــ حسيبا ــ

(اللطيفة الثامنة) ــ ولاتزر وازرة وزر أخرى ــ وكيف جاء بعدها ــ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ــ الى قوله ــ بصيرا ــ وما القصد بهذا التعقيب

(اللطيفة التاسعة) ــ من كان يريد العاجلة ــ الى قوله ــ تفصيلا ــ

(اللطيفة العاشرة) ــ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أوكلاهما ــ الخ

(اللطيفة الحادية عشرة) ــ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا ــ

(اللطيفة الثانية عشرة) ــ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ ــ الخ

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ــ سبحان الذى أسرى ــ الخ ﴾

اعلم أن هذه السورة متصلة بما قبلها جارية على نسقها منتظمة معها فى سلك فانه أفاض فى سورة الحجر وفى سورة النحل فى شرح النظام العام فى هذا العالم فانتظمه أوّلا من مبدإ الخليقة سائرا الى نهايتها ومن أبسط المخلوقات الى أرقى الموجودات وذلك فى سورة الحجر ثم كر راجعا الى نفس السلسلة فابتدأها من أعلاها الى أدناها وأخذ ثالثا يذكرها بطريق وسط بحيث كان الانسان الذى جاء فى أوّلها تارة وفى آخرها أخرى قد جاء وسطا فى نظامها كما قدّمنا ليكون حاكما على هذه العجائب عالما متوسطا مطلعا على طرفيها ووسطها . ولما فرغ من ذلك شرع يلقى الحكم والنصائح والعدل الذى شرحناه ونظام الأمم الذى بيناه وسنّ القانون وأعلم

الجماهير أن العدل والاحسان وايتاء ذى القربى وغيرها هى الموجبات للحياة والسعادة . ثم أتمّ السورة السابقة بذكر ابراهيم وماله من الخلال الشريفة والخصال الجيدة . وقد قلنا إنه اتصف بأربعين صفة قدّمناها فى سورة البقرة نقلا عن المفسرين فهو للفلك ناظر وللطبيعة دارس وللفضل غارس وللعلم حارس ولله عابد وللناس هاد ومرشد وهو على صراط مستقيم وهو أمة واحدة . ثم أتبعه بذكر نبينا محمدا ﷺ وانه على قدمه فيكون أيضا جامعا للصفات الجيدة . وختم السورة بهيئة الدعوة التى يقوم بها حتى يكون على قدم ابراهيم عليه السلام ويكون ذخرا للآخرين فأمره أن يسلك سبيل الحكمة مع الخواص والموعظة مع العوام والمجادلة مع المعاندين وكل ذلك تجلى فى سورة النحل وانتهت السورة بقوله ـ انّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ـ واذا لم يكن الأنبياء محسنين فمن هم المحسنون . فاذن هو ﷺ أوّل المحسنين فهو مع الله والله معه فوجب أن تكون السورة بعدها مبتدئة بما يفيد معنى المعية وهل هى جسمية أم هى معنوية فلذلك قال ـ سبحان الذى أسرى بعبده ـ

يقول الله تعالى ان ابراهيم ومحمدا عليهما الصلاة والسلام قد عرجا الى سماء الجمال ومقام الكمال و بلغا مبلغا لم يبلغه أعاظم الرجال فليس ذلك مفيدا أنهما هما وسائر الأنبياء مع الله معية حقيقية فان الله منزّه عن المخلوق متعال عن المحدثين فان الله تعالى وان أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى فليس معناه المعية المعهودة بينكم . فقرب الأنبياء وقرب الأولياء قرب الهداية والارشاد والارتقاء العلمى ـ لنريه من آياتنا ـ و يطلع على عجائبنا و يقف على ما حواه العالم العلوى والسفلى مما يرفع الغشاوة عن أعين أمته ويخرجها من ظلمتها و ينير بصيرتها . فانظر رواية البخارى فى ذلك . وهى أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام وذكر كلاما فى ذلك ثم أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل . وهنا ذكر كيف شق ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه . وذكر أن الطست من ذهب فيه إناء من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده يعنى عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا وهنا ذكر سؤال أهل السماء عنه وقول جبريل معى محمد فيقولون وقد بعث اليه فيقول نعم فيقولون مرحبا وأهلا به وذكر مقابلته فى السماء الدنيا لآدم وأن هناك نهرين وأن جبريل قال هما النيل والفرات عنصرهما ثم رأى نهرا آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك فلما سأل جبريل قال هذا الكوثر الذى خبأه لك ربك وهكذا وأن هناك فى السماء الدنيا عن يمين آدم أسودة وعن شماله أسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى وقال له جبريل ان الاسودة عن اليمين وعن الشمال نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة وأهل الشمال أهل النار . ووجد فى السماء الثانية يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فسلم عليهما وردّا عليه ورحبا به . ووجد فى السماء الثالثة يوسف . وفى السماء الرابعة ادريس . وفى الخامسة هارون . وفى السماء السادسة موسى وقد بكى فسأله ﷺ فقال أبكى لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى . وفى السماء السابعة وجد ابراهيم ثم رفع الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا أوراقها مثل آذان الفيلة . قال جبريل هذه سدرة المنتهى فاذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وأن الباطنين نهران فى الجنة ثم رفع الى البيت المعمور وأتى له باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فأخذت اللبن فقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك . وهنا ذكر مسألة الصلاة وفرضها وانها كانت خمسين صلاة ثم راجع ربه باشارة موسى عليه السلام حتى صارت خمسا فى اليوم والليلة . وقد جاء فى رواية مسلم فى وصف البيت المعمور أنه يدخله كل يوم سبعون الف ملك

لايعودون اليه . وفى وصف سدرة المنتهى أنها لما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . وسميت سدرة المنتهى بهذا الاسم لأن علم الملائكة ينتهى اليها

وقد جاء فى روايات أخرى أنه ﷺ قال مثل لى النبيون عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه وارتدّ ناس ممن آمن به وسعى رجال الى أبى بكر فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدّقه على ذلك قال إنى لأصدّقه على أبعد من ذلك فسمى الصدّيق وكان فى القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد فنعته لهم وكان ينظر اليه كأنه وضع دون دار عقيل قال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه ثم سألوه عن عيرهم فقال مررت بعير بنى فلان وهى بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم فى طلبه وفى رحالهم قدح ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء فى القدح حين رجعوا . ثم قال ومررت بعير بنى فلان وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذى مر فنفر بعيرهما منى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما فسألوه عن عيرهم فوصفها وصفا تاما ووصف أحمالها وقال يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس ثم خرجوا عند الثنية حتى أتوا كداء فرأوا العير عند طلوع الشمس يقدمها بعير أورق فقالوا هذا سحر . ولما ذكر الأنبياء فى الصلاة ذكر أن موسى كأنه من رجال شنوءه وأن عيسى كعروة بن مسعود الثقفى وابراهيم يشبه النبىّ ﷺ ثم قال إنه رأى مالكا خازن النار وكانت صلاة النبى ﷺ مع الأنبياء فى بيت المقدس . وقد جاء أيضا أن البراق دابة دون البغل وفوق الحمار أبيض وهو يضع خطوه عند أقصى طرفه وهوالذى انطلق به الى السماء . وهل كان ذلك كله قبل الهجرة بسنة . وهل كان فى المنام أوكان فى اليقظة . بروحه أو بجسده . والأكثر على أنه أسرى به بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى . ولم يرد فى هذه السورة عروجه الى السماء وانما ذكر الاسراء فقط الى المسجد الأقصى . أما العروج فلم يذكر إلا فى الحديث . وأقرب الأمرين الى الناس الاسراء الى المسجد الأقصى ولذلك امتحنوه بعلامات تدل على الصدق فلذلك صرّح بها فى القرآن وجعلت قبل عروجه الى السماء ليكون المحسوس دليلا على مالا يحس واذا صدق فى الأولى فليصدق فى الآخرة . هاأناذا أيها الذكى قد لخصت لك ماجاء فى الروايات المختلفة وآراء العلماء المتناقضة حتى تكون أمامك واضحة جلية بأخصر عبارة

﴿ ايضاح المقام ﴾

إن هذه الامور الغائبة عنا لاتحلّ بالفكر الانسانى وحده فان عقولنا قاصرة على ماحولنا فأنى لنا أن ندرك تلك العجائب النبوية ولكن ورد قوله تعالى فى التنزيل ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ وهانحن أولاء الآن نرى علماء الأرواح يقولون ما يأتى

إن هذه الأجسام البشرية فى الدنيا تنظمها أرواحها وكل جسم يربى فيه جسم آخر على مثاله نورانى أثيرى أى من مادّة أثيرية وهذا الجسم الأثيرى البرزخى منطبق تمام الانطباق على هذا الجسم المادّى وأن الانسان اذا تجرّد من هذا الجسم سواء أكان التجرّد بالموت أم بالرياضة أم بأعمال أخرى صناعية عندهم يرى انه فى جسمه كأنه هو وكأنه لم يكن هناك فرق بين الجسمين . وقد ألفوا كتبا كثيرة فى هذا حتى قالوا ان بعض الناس بعد الموت يظنّ انه هوالذى كان حيا ولايعرف انه مات لأحوال خاصة ثم ينبه بعد ذلك الى خطئه . وهذه حكاية (أوليفرلودج) وابنه الذى مات فى الحرب الألمانية وهوالمسمى (ريموند) إذقال لأبيه يا أبت إن أجسامنا هنا كالأجسام عندكم والأعضاء كلها تامّة ولكنها أجسام من عالم لطيف ونراها بحسب مشاهدتنا كالأجسام عندكم . اذا عرفت هذا فسواء أكان الاسراء بالجسم المادّى أو بذلك الجسم الأثيرى اللطيف فليس أمرا بعيدا وكلاهما فى القدرة . فأما الجسم المادّى فان حركات الأفلاك أظهرت عجبا فى سرعة سيرها

تعرفها فى سابق التفسير والمطلع على سير الضوء يرى عجبا عجابا . هكذا اذا قلنا أن المعراج والاسراء بالجسد البرزخى فلابدع فى ذلك فيسير فى أقل من لمح البصر كلمح البرق الى أقصى العالم ويرجع وقد وعى مالا يتناهى من الحوادث وهذا عالم البرزخ المسمى عند علمائنا (عالم المثال) وهكذا عند أفلاطون فهذا العالم هوالذى تمثلت فيه الأنبياء فعلا وصلوا معه ثم رآهم على مراتبهم فى السماء . واذا كان الانسان قد يرى فى المنام الذى لاقيمة له أعمالا تستغرق سنين فى ثانية واحدة فما بالك بعالم البرزخ الذى تتجلى فيه صور الحقائق بارزة لمن هم فى حال برزخية . وهناك تجلى له آدم وعيسى وادريس وهارون وموسى وابراهيم وكان أقرب الناس شبها به . أولست ترى أن فى ذكر ابراهيم وشبهه به مناسبة فانه قد ذكر فى آخر سورة النحل أن محمدا ﷺ أمر أن يتبع ملة ابراهيم فلذلك رآه فى السماء السابعة وقال إنه يشبهه . ومتى قلنا ان الاسراء والمعراج بهذه الحالة البرزخية كانت جميع الأقوال المتناقضة متحدة . فاذا قالت السيدة عائشة إنه كان بروحه قلنا صدقت لأن هذه الحالة ليست جسمية بحتة . واذا قال غيرها انه بجسمه قلنا نعم إذ لا فرق عند علماء الأرواح بين الجسم البرزخى والجسم المادّى . فالجسم البرزخى ويسمى الأثيرى وسط بين عالم الأرواح الصرف وبين عالم المادّة فمن قال بالروح فقد اقترب من الحقيقة ومن قال بالجسم فقد اقترب منها لأنها حال متوسطة وسرعتها أشبه بسرعة المنام وصورتها أشبه بصورة الجسد فهو جسد كالمادّة يطير أسرع من البرق بل سرعته كسرعة الخاطر وترى أحدنا يجلس فى حجرته ويكون فى الشرق بفكره ثم يكون فى الغرب فى أسرع من لمح البصر فهذه فى فكرنا كالحال المعتادة هناك عملا . ويقول علماء الأرواح ان الروح وراء ذلك الجسم البرزخى بل قد جعلوا درجات الأجسام سبعة والروح وراء ذلك فى عالم يجل عن الوصف ـ وان الى ربك المنتهى ـ وانما ذكرت هذا لأفتح باب البحث لذوى النفوس الشريفة من بعدنا ليفكروا وليعملوا بأنفسهم

﴿ ما القصد من ذكر الاسراء لنا ﴾

وليعلموا أن الله لم ينزل الاسراء فى القرآن وهو يتلى علينا للآن لمجرّد التلاوة أولمعرفة حال الرسول ﷺ فحسب . كلا . انه يريد منا أن نتبع الدين والشريعة ونخلص وندعو الناس كما دعا نبينا محمد ﷺ الذى قال الله له ـ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ـ وقد قال هذا فى وسط السورة وأمره أن يتهجد بالليل نافلة لأجل ذلك . ففى أوّل السورة ذكر أنه أسرى به وفى أواخرها أفاد انه يبعث مقاما محمودا بالتهجد وذكر أن الروح من أمر ربنا وأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . وعليه يكون ذكر ذلك فى هذه السورة ليدلنا على أن الاسراء أمر وراء معارفنا واذا عثرنا على شئ مثل ما بينته لك عن الفرنجة فان هذا ليس كل شئ لأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . ولكن جاء فى سورة طه ـ وقل رب زدنى علما ـ فازدياد العلم مطلوب . ولكن لانقف عند حدّ واحد لئلا نكون مقلدين بل نظل مجدّين فى البحث والطلب لأنه قال ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ وعليه فلنجدّ فى تهذيب النفوس وهداية الناس والنوافل فى ظلمات الليالى حتى تصفو النفوس . واذا أسرى به ﷺ فليس القصد أن يسرى بنا بل القصد أن تصفو نفوسنا ليرينا الله من آياته . وكم لله من آيات . فالقصد من أمثال هذا الموضوع فى القرآن أن يفتح لنا باب التفكر فى عالم الأرواح فنفهم كيف تخلص أرواحنا بالتهذيب وكيف نلحق بالأفق الأعلى وما حقيقة الأرواح واذا لم نقف على حقائقها فلنلتمس من العلوم ما يشم منه رائحتها وهذا لعمرك هو علم الأرواح الذى انتشر فى الأقطار الأوروبية . وهذا العلم لايفترق عن العلوم التى ورثناها عن قدمائنا فى مثل هذا الموضوع . ان الناس كلهم أرواحهم من عالم أعلى وبالتصفية وبطرق صناعية يرون هذا العالم وهناك تعرف بعض حقائقه ـ والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ـ . ومما يلحق بهذا الموضوع مارواه البخارى فى باب تعبير الرؤيا وهو وان لم يكن ليلة الاسراء فانه فيه معارف وعلوم لايعرف قيمتها إلا المطلعون على علوم الحكماء فانه عليه الصلاة والسلام أطلع فى عالم

البرزخ المذكور على صور للحقائق تعب فى مثلها الفلاسفة قديما وأضاعوا فيها أعمارهم كاوحة (قابس) الفيلسوف اليونانى الذى ذكرنا مقالته فى سورة البقرة . فأما النبى ﷺ فانه لم يكتب ولم يقرأ واطلع على صور عجيبة تمثل الرذيلة والفضيلة وهذه من دلائل النبوّة ومن بحر قوله تعالى - لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير - . فاذا رأى ليلة المعراج آدم يضحك تارة و يبكى أخرى فانه من ذلك العالم فهكذا فى الحديث الآتى إذ روى البخارى بسنده عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحد منكم رؤيا قال فيقص عليه ماشاء الله أن يقص وانه قال لنا ذات غداة إنه أتانى الليلة آتيان وانهما ابتعثانى وانهما قالا لى انطلق وانى انطلقت معهما وانا أتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فتبلغ رأسه فيتهدهد الحجر ههنا فيتبع الحجر فيأخذه فلايرجع اليه حتى يصح رأسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل مافعل المرة الأولى قال قلت لهما سبحان الله ماهذان قال قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه . وفى رواية فيشق ثم يتحوّل الى الجانب الآخر فيفعل به مثل مافعل بالجانب الأوّل فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل مافعل المرّة الأولى . قال قلت سبحان الله ما هذان قالا انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فأحسب انه كان يقول فاذا فيه لغط وأصوات قال فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذاهم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قال قلت لهما ماهؤلاء قال قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت انه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح مايسبح ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر فاه فألقمه حجرا قال قلت لهما ماهذان قال قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرآة واذا عنده نار يحشها و يسعى حولها قال قلت لهما ماهذا قال قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على روضة (معتمة) فيها من كل نور الربيع واذا بين ظهرى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا فى السماء واذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال قلت لهما ماهذا ماهؤلاء قال قالا انطلق انطلق فانتهينا الى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال قالا لى ارق فيها قال فارتقينا فيها فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ماأنت راء وشطر كأقبح ماأنت راء قال قالا لهم اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر واذا نهر معترض يجرى كأن ماءه المحض فى البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة قال قالا لى هذه جنة عدن وهذاك منزلك قال فسما بصرى صعدا فاذا قصر مثل الربابة البيضاء قال قالا لى هذاك منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما ذرانى فأدخله قالا أما الآن فلا وأنت داخله قال قلت لهما فانى قد رأيت منذ الليلة عجبا . فما هذا الذى رأيت قال قالا لى أما انا سنخبرك . أما الرجل الأوّل الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة . وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق . وأما الرجال والنساء العراة الذين فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى . وأما الرجل الذى أتيت عليه الذى يسبح فى النهر و يلقم الحجر فانه آكل الربا . وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها و يسعى حولها فانه مالك خازن جهنم . وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يارسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله ﷺ وأولاد المشركين . وأما

القوم

القوم الذين كانوا شطر منهم حسنا وشطر منهم قبيحا فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تجاوز الله عنهم اه

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ـ وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ـ وفيها بيان أن الاسراء يشير الى الارتقاء فى عالم الانسانية والى أن الأمّة الاسلامية الحقيقية تسبق الأمم فى علومها وأنها تؤمها كلها بعد أن تستوعب فضائلها ﴾

اعلم أن ذكر موسى فى هذا المقام وذكر ابراهيم قبله فى آخر سورة النحل له صلة بحديث الاسراء فالقرب بينه و بين ابراهيم فى السنة وفى القدوة وفى دين الفطرة هى التى جعلت درجته فى السماء السابعة والنبى ﷺ قد ارتقى فوق ذلك للاشارة الى أن اللاحق يتقدّم على السابق وأيضا هذه الأحاديث تشير الى ارتقاء العالم الانسانى وأن الأمّة الاسلامية المستقبلة ستمرّ على هذه الأمم أمة أمة ثم تطير الى المعالى ولاتقف عند حدّ ولاتقلد بل تفكر واذن تطير الى سماء المجد كما أن نبينا ﷺ مرّ على آدم فعيسى ويحيى فيوسف فادريس فهارون فموسى فابراهيم فارتقى الى سدرة المنتهى فالبيت المعمور * وفى رواية أنه سمع صريف الأقلام . فالذى يشار به الينا من هذا ﴿أمران﴾ ارتقاء المسلمين فى عقولهم حتى يصلوا الى الحقائق وارتقاؤهم فى مدنيتهم ونظامهم حتى يسبقوا أمّة عيسى وموسى وابراهيم وادريس . هذا هو القصد وهذا يشبه النشوء والارتقاء . واذا كان نبينا محمد ﷺ صلى إماما للأنبياء فمعناه اننا خير أمّة أخرجت للناس وأننا أئمة الأمم كلها . فياعجبا للمسلمين يكون هذا دينهم وهذا نبيهم ثم ينامون وتدوسهم الأمم . يمرّ نبينا على أنبياء الأمم أمة أمة ثم يغادر عيسى فى السماء الثانية ويوسف فى الثالثة وادريس فى الرابعة وهكذا ثم ينام المسلمون عن هذا كله . يمرّ على الأنبياء حتى يتركهم ويصل الى مستوى فوق السبع الطباق والمسلمون يسمعون هذا الكلام كأنهم لايعلمون . ولكن بعد ظهور هذا الكتاب سيظهر فى هذه الأمّة رجال يعقلون ويعملون فيعرفون ما الحكمة فى هذا الارتقاء ولم يخبرنا الله به . نحن لسنا نفرح كالعامّة أن نبينا ارتقى بل نحن يجب أن نعمل . يقول لنا نبينا ﷺ أيها المسلمون هاأناذا ذاهب الى المعالى وقدسموت وعلوت وتركت موسى فى السماء السادسة وابراهيم فى السماء السابعة وهاهوذا ابراهيم مذكور فى آخر سورة النحل وقد أمرت أن أكون تابعا له ولكنى سأرقى عليه وهذا الرقى معناه أن الأمم فى ارتقاء كما هى القاعدة التى تفتخر بها أوروبا عليكم . فأما موسى فهاهوذا يقول لى راجع ربك يخفف عن أمتك ظانا أن أمّتى كبنى اسرائيل يصيبها ما أصابهم . ولكن لما وصلت الى خمس صلوات لم أراجع ربى . ولكن موسى طلب منى أن تنقص الصلوات عن خمس . لماذا . لأن أمته ضعفت فى العمل ولكنى أنا لا أقول ذلك . وعليه هذه الأمة ستكون أرقى من أمّة موسى

إن الحديث يشير الى الآية لأن فيها أن موسى آتيناه الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ثم قص قصصهم فكانوا مثلا سوأ وأتبعه بقوله ـ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ فهو اذن أحسن من التوراة وأمة محمد ﷺ أحسن من أمة موسى عليه السلام فلتدرس أمّة الاسلام علوم الأمم فاذا مرّ على عيسى فليدرس المسلمون علوم النصارى . واذا مرّ على يوسف وادريس فليدرس المسلمون علوم قدماء المصريين لأنهما نبيان مصريان . واذا مرّ على هرون وموسى فليدرس المسلمون علوم اليهود . واذا مرّ على ابراهيم فليدرس المسلمون علوم سائر الملل لأن ابراهيم لهم واذا جاوز النبى ﷺ السموات السبع فليدرس المسلمون الحقائق التى لاتطيقها الأمم . فاذن هذه النبوّة سيظهر أثرها فى أمم آتية لاهذه الأمة الحالية

﴿ بهجة الاسراء فى حديث (فرض الله على أمتى خمسين صلاة فراجعت ربى وسألته التخفيف حتى جعلها خمسا فى العدد وخمسين فى الأجر) اه ﴾

اعلم أن هذا المقام غزير الفائدة جم العائدة كثير المزايا جامع الحكم سار لمجموع الأمّة الاسلامية يظهر

سره في هــذا الزمان • ذلك أن كلام النبوّة لم يكن رمية من غير رام ولم يكن ذكر الخمسين ثم ارجاعها الى الخمس مجرد خبر لانتيجة له بل ذلك اشارة الى أن الله عزّوجل هوالأوّل وهوأصل الوجود وجميع الناس على الأرض لافائدة من وجودهم ولامعنى لحياتهم إلا اذا اتصلوا بأصل وجودهم ومنشأ حياتهم • وليس معنى هذا الاتصال تلاصق الأجسام إذ لاجسم له تعالى وانما هوتوجه أرواحهم الى روح الأرواح وهوالله عزّوجل

إن الناس فى الدنيا أرواح حالة فى أجسام فالأجسام متصلة دائما بالطين والهواء والماء والحرارة والضوء فكان يجب أن تلتجئ الأرواح دائما الى مبدئها ومبدعها وتفكرفيه وتذكره • ولكن الحياة الدنيالشدّة اتصالها بعالم المادّة لاتسمح لكل امرئ أن يكون على الدوام ذاكرا ربه • فهنا ﴿ أمران * الأوّل ﴾ أن الروح يجب ذكرها لله على الدوام ﴿ الثانى ﴾ أن تعلقها بالمادّة يمنعها من ذلك الدوام لشدّة ارتباطها بها وللأوّل الاشارة بفرض الخمسين صلاة لأن الانسان ينام ثمان ساعات أوسبع ساعات ومدّة اليقظة مابين ١٦ و ١٧ ساعة والصلاة المشروعة ربما تستغرق (٢٠) دقيقة مع مقدّماتها ونوافلها وهذه بضربها فى (٥٠) تستغرق مدّة اليقظة • إذن معنى الخمسين صلاة دوام استحضار الله والاتصال به ذكرا ليقاوم اتصال الجسم بالمادّة فعلا فكأن اللازم الواجب بحسب الأصل دوام الذكر لتقاوم الروح اللطيفة الجسم الكثيف الثقيل فترتفع الى عالم الملائكة

ولما تعذرماذكر على نوع الانسان استبدل الخمس بالخمسين وجعل الخمس أجرها كأجرالخمسين • واعلم أن أجرها لا يكون كأجرالخمسين إلا اذا كان المصلى عاملا بصلاته فاهما حكمها جاريا على مقتضاها حتى يصدق عليه قوله تعالى ــ الذين هم على صلاتهم دائمون ــ وقوله تعالى ــ وأقم الصلاة لذكرى ــ فالصلاة تكون دائمة وتستوجب ذكر الله • إذن رجعت الصلوات الخمس الى الخمسين لأن المقصود من الخمسين أن يكون مصليا دائما فاستعيض عنه بخمس صلوات بحيث يكون المصلى دائما على صلاته ذاكرا ربه • وههنا يجب ايضاح المقام فنقول

اعلم أن الصلاة أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبيرمختتمة بالتسليم • الله أكبر • جلّ العلم وجمل تعريف الفقهاء للصلاة • ذلك أن الصلاة كلها ترجع ﴿ لأمرين اثنين ﴾ لاثالث لهما ﴿ أوّلهما ﴾ ذكر الله وتعظيمه كالشق الأوّل من الفاتحة من الثناء عليه ووصفه بالرحمة الخ وكألفاظ التشهد الأولى من أن التحيات خاصة بالله تعالى الخ • ومثل وصف الله بأنه فطر السموات والأرض حنيفا الخ • ومثل وصفه بأن الحمدله ملء السموات وملء الأرض الخ • ومثل وصفه بأنه خلق الوجه وصوّره وهكذا ﴿ وثانيهما ﴾ الالتجاء اليه أن يجعلنا فى سلام وأمان وهداية الى الصراط المستقيم مثل الدعاء بالهداية فى الفاتحة ومثل السلام على النبىّ وعلى عبادالله الصالحين فى التشهد • أفلاترى أن الشقّ الأوّل أشير له كله بتكبيرة الاحرام والثانى أشيرله بالتسليم فى ختام الصلاة • إذن التكبير فى أوّل الصلاة يشرحه توجه المصلى إذ يوجه وجهه للذى فطرالسموات والأرض حنيفا وذلك كالخليل الذى قال الله فيه ــ ملة أبيكم ابراهيم هوسماكم المسلمين ــ الخ

فياليت شعرى لماذا جعلنا على ملة أبينا ابراهيم ولم خصه بالذكر • أقول انما خصه بالذكر وجعل ملتنا منسوبة له لأنه لم يوجه وجهه للذى فطرالسموات والأرض حنيفاتوجيها جسميا فحسب بل وجهه توجيها عقليا • ألاترى انه لم يتوجه ذلك التوجه إلا بعد أن أراه الله ملكوت السموات والأرض وكان من الموقنين وقد فصله بعد ذلك بأنه نظرالكوكب والقمر والشمس ثم توجه الى الله • هذه هى ملة ابراهيم الذى جعله الله أبا المسلمين الابوة العلمية العامّة التى هى أشرف من الابوة النسبية الخاصة ببعض العرب كقريش ونحوهم فهذا توجه الخليل وهو بالعلم ويجب أن يكون كذلك توجه خواص هذه الأمّة أى انهم يدرسون هــذه العوالم العلوية والسفلية التى درسها الخليل حتى يكونوا كاملين فى العلم بهذه العوالم المذكرات بربها ويكونوا على

صلاتهم

صلاتهم دائمين وتكون الصلاة مذكرة بالله على الدوام . وهنالك تكون الصلوات الخمس فى حكم الخمسين من حيث الثواب ولاثواب إلا على عمل والعمل هنا ذكر الله وذكره بالتحقق من جمال هذا العالم حتى يذكر الله عند كل حجر وشجر ولا يرى شيأ إلا رأى الله قبله أومعه أو بعده كما نقل عن بعض أصحاب النبى ﷺ كل خصلة من هذه نسبت لأحدهم . فهذه هى الصلاة الدائمة . يرى المؤمن جمال الله فى الشمس والقمر والنجم كالخليل وفى النبات وفى الحيوان كما أنه أيقن بالبعث لما أخذ أربعة من الطير فقطع رؤسها ثم دعاها فجيئت . فاذن يكون المسلم فى ذكر الله بين العالم العلوى والسفلى . هذا كله مأخوذ من قول المصلى ﴿ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض الخ ﴾ فيكون كالخليل إذ أيقن بملكوت السموات إذ نظر فيها وملكوت الأرض إذ نظرفيها فأيقن فلما تم له ذلك قال إنى وجهت وجهى الخ . هذا هو التوجه لله وهذه هى الصلاة الدائمة بدوام ذكر الله كما قال ـ وأقم الصلاة لذكرى ـ فهذا هو الذكر الدائم المذكور فى قوله ـ الذين هم على صلاتهم دائمون ـ وهذا كله شرح لتكبيرة الاحرام . فقول المصلى الله أكبر فى أوّل الصلاة يشرح معناها ماذكر وكذلك البسملة والحمدلة و بقية نصف الفاتحة الأوّل . إن الحمد لا يكون إلا على نعمة والنعمة لايحمد عليها إلااذا عرفت . إذن المسلم يتوجه لله بالعلم أى بعلم مافى السموات والأرض و يحمد الله بعد العلم بالمحمود عليه . فأما التكبير فهو يشمل الحمد و يشمل غيره . إن المصلى يقول بعد الصلاة سبحان الله والحمد لله والله أكبر فالتسبيح تنزيه والحمد شكر وتكبير الله هو تعاليه وعظمته كأنه قيل ان حمدنا لله على نعم معلومة لنا ولكن هناك نعم أخرى فهو إذن أكبر مما نحمد عليه . فقول المصلى فى أوّل الصلاة الله أكبر بيان لأن الحمد المذكور فى الفاتحة والبسملة وكذلك التحيات وماعطف عليها وتصويره السمع والبصر وخلقه لها وخلقه لجميع العالمين . كل ذلك قليل بالنسبة لعظمة الله فهذا معنى كونه أكبر فالمصلى فى أوّل صلاته يكبر وفى آخر أذكار الصلاة يكبر . إذن المسلم يقول ان الله اكبر من كل ماعلمناه من العلوم ومن النعم المحمود عليها

﴿ ايضاح التكبير والتسليم أيضا ﴾

ياليت شعرى . هل يعلم الناس أن التكبير والتسليم اللذين هما ملخص صلاة المسلم هما كل علوم أهل الأرض . وماعلوم أهل الأرض . هى العلوم الرياضيات والطبيعيات والالهيات فهذه علوم علمية وعلم تدبير المنزل وتهذيب الشخص وتدبير المدينة وهذه الثلاث هى العلوم العملية . فكل ماتسمعه من علم النبات أو الزراعة أوالطب أوالهندسة أوالحساب أوالفلك أوالميقات أوالهيئة أوعلم النفس الخ . فكل ذلك وغيره راجع للقسم الأوّل و يتبعه الصناعات كالنجارة التابعة لعلم النبات والحدادة التابعة لعلم المعادن وهكذا مما يعدّ بالمئات بل الالوف من الصناعات والقسم الأوّل المذكور هو التكبير لله فتكبير الله معناه انه أكبر مما نعلم والذى نعلمه هو هذه العلوم . وكل ماتسمعه من علم التهذيب والأخلاق أوتدبير المنزل والمعاشرة وسياسات الأمم وأمثالها فذلك كله راجع للسلام العام أوالخاص . ولامعنى لتهذيب النفس إلا لتستقيم مع الناس ولا لتدبير المنزل إلا لحفظ الأسرة فى المنزل من التفرّق والشتات ولالعلوم السياسة إلالصيانة الأمم وحفظهامن الاصطدام والشجار والقتال . فياليت شعرى هل يعلم الناس ذلك . وأن أول الفاتحة راجع للتكبير وآخر الفاتحة راجع للسلام فالأول للأوّل والآخر للآخر . وان أول الفاتحة أيضا مجمل العلوم العلمية وآخرها مجمل العلوم العملية فهداية الصراط المستقيم انما هى السلوك المستقيم والسير على سنن العدل وذلك فى المنزل وفى النفس وفى الدولة وهل يعلم الناس أن قول المصلى ﴿ السلام عليك أيها النبىّ ﴾ وقوله ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ راجع لآخر الفاتحة وللسلام فى آخر الصلاة ولتهذيب النفس فى السلام عليها وللأدب مع الناس فى المنزل وفى السياسة العامّة فى السلام على عباد الله الصالحين . ثم ان السلام على النبىّ والصلاة عليه وعلى ابراهيم وعلى

آل ابراهيم . كل ذلك راجع لحفظ الجميل وذكر المحسنين والدعاء لهم والبرّ بهم وتذكر احسانهم وربط القديم بالحديث وتذكر فضائل السلف الصالح والسير على منوالهم والجرى على منهجهم

﴿ الصلاة رمز لتعميم التعليم ولتعميم السلام فى الأرض ﴾

هل يعلم الناس أن الصلاة فى الاسلام توحى بالسلام بين الأمم وتأمر بالعلوم كافة بدليل أن الذى يصلى هو كل مسلم فكأن كل مسلم تأمره صلاته أن يكبر الله بمعرفة سائر العلوم على قدر طاقته فان كان من العامّة فليعرف الظواهر التى فى متناوله وان كان من الخواص فليزد فى العلم ما يشاء . يظهر لى أن هذا الدين لو علمه أهل الأرض لاتحدوا . يظهر لى أن أكثر المسلمين الذين اعتنقوا هذا الدين لم يدرسوا علوم الصلاة . يظهر لى أن ما أكتبه الآن سيقوم به قوم وينشرونه بين أمم الاسلام . يظهر لى أن هذا الدين لم يأخذ حظه من البحث . يظهر لى أن القتال فى هذا الدين انما جاء على سبيل الاضطرار كما يضطر الفلاح لتنقية الشوك والأعشاب من الأرض لاصلاح الأرض . يظهر لى أن نشر الاسلام فى المستقبل سيكون أكثره بالجهاد العلمى لأن العلم الآن هو السلاح لكل مطلوب

﴿ المعراج والعلوم ﴾

جاء فى بعض الروايات أنه شقّ عن صدره ﷺ وغسل بماء زمزم حتى نقى وانه أتى له بطست من ذهب فيه نور محشوّا إيمانا وحكمة . ولما عرج به الى السماء الأولى وما بعدها رأى آدم ويحيى وعيسى الخ أفليس هذا يذكرنا بتهذيب النفوس والسلام العام ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن غسل قلبه وحشوه ايمانا وحكمة يفيض على الأمّة علما جما بأن نقلده فى طهارة نفسه فهو قد طهره الله لأنه اجتباه ونحن لابدّ لنا من العلاج وذلك بالعلوم العملية المتقدّمة . ثم ان آدم ومن بعده لكل منهم مزية علمية . أفلا ترى ادريس فى السماء الرابعة كيف كان هو نبيّ المصريين المسمى (أخنوخ) و (سوزستريس) ألم تقرأ ما مرّ فى سورة يونس من أنهم وضعوا على صندوق أحد كبرائهم (صورة البروج) وقد تقدّم ايضاحها ورسمها هناك . أليس ذلك دليلا على أن القوم كانوا مغرمين بهذه العلوم الجميلة فهكذا فليكن المسلمون بعدنا مغرمين بها لأن الله يقول — فبهداهم اقتده — وأيضا الفلك علم أبينا ابراهيم الذى رآه فى السماء السابعة وتراه فى السماء الأولى رأى آدم وفى الثانية عيسى ويحيى وهما ظاهران اشارة الى أن متبعيه يجب أن يقتبسوا من أنوارهما ويوسف صاحب النظام الاجتماعى فى الثالثة لنقتدى به كما تقدّم فى سورة يوسف ثم هارون وموسى وهكذا ابراهيم فلكل من هؤلاء مزية تستحقها هذه الأمة . إذن المعراج مفتاح العلوم وعروج الى الله بها فهى إما طهارة النفس فى يحيى وعيسى واما نظام المدينة فى يوسف واما العلوم الفلكية فى ادريس واما الجهاد والخروج من الظلم فى هارون وموسى . إذن المعراج أيضا رجع الى العلم والعمل أو التكبير والسلام فهو كالصلاة . إذن هذا الدين أوله وآخره علوم جهلها المسلمون اليوم . اللهم إنك أنت المنتقم ممن يصدّون المسلمين عن العلوم

ثم هنالك تكون العلوم والمعارف التى تكون فوق متناول الناس فيفتح على الانسان بما لم يتعلمه ولذلك الاشارة بسدرة المنتهى التى أوراقها كآذان الفيلة وثمرها كقلال هجر وقد غشيها من أمر الله ما غشى فتغيرت فما من أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها . ولاجرم أن ذلك راجع للعلوم . ثم ان المخلوقات على ﴿ قسمين ﴾ مخلوقات لم تحس بالحواس الخمس ومخلوقات تعرف بالعقل . ثم ان التعبير بآذان الفيلة و بأن الثمر كقلال هجر الخ يرجع الى ما فى العالم من عظائم وجلائل وقد امتلأت الكرة الأرضية بعلوم الكواكب الكبيرة العظيمة وأن شمسنا بالنسبة لها ليست شيأ مذكورا . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ها هو ذا نبينا ﷺ يقول لنا أيها الناس . إن هناك عوالم أرقى من عوالمكم وقد رأيتها . قال هذا وقد رفع الى ربه . أفليس يخجل المسلمون من هذه الجهالة . يقول ﷺ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من

حسنها

حسنها . فماذا يريد المسلمون بعد ذلك . ماذا كان يقول لنا نبينا ﷺ . هاهوذا يقول لكم ان هنالك عوالم لا يمكن نعتها من حسنها . أيها المسلمون . هاهوذا علم الفلك الحديث الذى ذكرت لكم منه نبذا كثيرة فى هذا التفسير . ألم تروا الى الكواكب العظيمة كالسماك الرامح إذ يكون ضوؤه أعظم من ضوء الشمس ثمانية آلاف مرة وهناك كواكب أعظم وأعظم . ولست أقول ان هذا مقصود الحديث . كلا . وانما أقول فيه الجمال الذى لايمكن أحدا أن ينعته . وهناك جمال أرقى وأرقى وهو جمال النظام كما تقدّم فى سورة الرعد من نبات يفترس حيوانا ومن مسدّسات منتظمات ثلجية مهندسات هندسة إلهية فارجع اليها هناك ترها مرسومة جميلة . وفى سورة الحجر ترى هناك عند قوله تعالى — وأنبتنا فيها من كل شئ موزون — وكيف كان للورقات نظام بديع له قوانين فراجعها هناك مرسومة مشروحة . كل ذلك من أنواع الجمال الذى يشير له قوله ﷺ ﴿ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ﴾ . نعم هذا قد استطعنا نعته وفيه حسن ولكن الحسن الذى لاينعته الناس فى النظام يفوق الوصف وذلك الذى يفوق الوصف رآه نبينا ﷺ فلنجدّ فى معرفة ما أمامنا حتى نستعدّ لما فوقه ونلحق بالنبيين والصدّيقين الخ والحمد لله ربّ العالمين . انتهى

﴿ الاسراء والمعراج والحسن والجمال فى الخلق ﴾

ههنا ذكرت الاسراء والمعراج والحسن والجمال . نبيّ أرسله الله لأمّته فقال لهم أتيت بالبراق ووصفه بأنه دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبه وأتى الى بيت المقدس ثم اخترق السموات العلى ووصل الى سدرة المنتهى فوصف أوراقها وانها غشيها من أمر الله ما غشيها وانها تغيرت ولايستطيع أحد من خلق الله أن ينعتها من حسنها وهنالك أوحى الله له فرض الصلوات الخمس

الأنبياء أرسلوا لارشاد الناس . هذه القصة قيلت لنا نحن . إن هذه القصة لبّ العلوم وخلاصة الحكمة فياليت شعرى كيف أعرض الناس عنها . فرض الله الصلوات ولكن ذلك الفرض كان بعد الاسراء والمعراج ونظر الجمال . إن هذه القصة تدعو حثيثا المسلمين أن يخترقوا حجب هذه العوالم بالتعليم ويرتقوا . هل كان نبينا محمد ﷺ يقول ذلك مجرّد حكاية أو اثبات نبوّة . كلا . بل كان أيضا يقولها للاقتداء به فى علوّ الهمة واختراق الآفاق سياحة وعلما . من ذا كان يظنّ أن أمة يخترق الجوّ نبيها ويصل الى السماء لاتكون أسبق أمة الى اختراق طبقات الجوّ القريبة بكل طيارة وبكل منطاد . من ذا الذى كان يظنّ أن أمة هذه أحوال نبيهم ﷺ لايكونون أسبق الأمم الى دراسة علوم الكواكب والنجوم وسيرها وعددها وأبعادها وكل سديم ومجرة فى السماء . اخترق الأفلاك النبى ﷺ ليعلمنا . فلماذا لانقرأ تلك الأفلاك ثم هو فوق ذلك وصل الى سدرة المنتهى ورأى هناك الحسن الفتان والجمال الذى لايقدر أحد من الناس أن ينعته . هذا هو نبينا ﷺ فهل هكذا يكون أتباعه . ان أتباع نبيّ هذه صفته يكونون أسبق الناس الى دروس الجمال ولاجمال يظهر لنا إلا بالعلم والحكمة . ولقد ملأ الله الأرض اليوم بالجمال . ذلك الجمال لايراه إلا الحكماء . وأضرب لذلك مثلا

لو أن نجارا وقف أمام شباك مصنوع بصناعة بديعة وهيئة غريبة وهو من العلماء بهذا الفنّ المتقنين فانه يقف مبهوتا أمام ذلك المنظر وهو ذاهل عمن حوله والناس لايدركون من ذلك شيأ حوله . ومثل النجار علماء العربية الذين لهم ذوق فى الانشاء . فهؤلاء اذا وقع لهم موضوع جميل مكتوب كتابة محكمة فرحوا به وأعجبوا وأخذوا يدركون دقائق المحاسن والناس حولهم لايعقلون مايقولون وهكذا فى كل صناعة فانظر الى الصنعة العامّة وهى هذا الوجود . فهذا الوجود كله خلق الله له أناسا فى الأرض واصطفاهم لذلك يدرسون علوم الأمم وهم ليسوا بأنبياء ومن هؤلاء من هم أتباع الأنبياء فهؤلاء يزدادون سعادة بازدياد الدراسة ويرون

من الحسن والجمال مالا يعقله سواهم . فهؤلاء هم الذين يفهمون قول نبينا ﷺ ﴿ فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينظر اليها ﴾

ترك المسلمون العلوم . تركوها غفلة وجهالة . الله أكبر الله أكبر . اشتغل المسلم بالصلاة ولم يدر أكثر المسلمين أن الصلاة يراد بها الحسن والجمال . ألاترى الى أنه ﷺ فى الحديث لم تفرض عليه الصلاة إلا بعد مشاهدة الجمال الذى يدهش العقول كأنه قيل لنا هذه الصلاة لذكرى وذكرى يقوّيه كل علوم هذه الدنيا وعلوم هذه الدنيا تفتح لكم طرق البحث . وادراك الجمال إما بهبة ربانية للأنبياء واما بالبحث العلمى لأفراد الأمم والصلاة فيها الحمد والتكبير وفيها التشويق الى جميع العلوم كما تقدّم . فاستبان من هذا أن فرض الصلاة بعد ادراك الجمال والحسن فى سدرة المنتهى يقصد به أن نتيجة الصلاة العلم والعلم يعرف هذا الحسن كله كأن الله يقول يامحمد ها أنت ذا قد شاهدت الجمال فى سدرة المنتهى فافتح باب هذا الجمال والحسن لأمّتك وقل لهم يصلون الصلوات الخمس التى يقصد بها ﴿ أمران ﴾ معرفة العوالم التى يعيشون فيها وافشاء السلام بينهم فبهذا يدركون من الجمال مايناسبهم كما انك أدركت مايلائمك . هذا هوالذى فهمته فى مسألة الاسراء أن الصلاة لهذا أنزلت . هذا وانى أذكرك أيها الذكى بما نقلته فيما تقدّم فى سورة هود من كتابين من مؤلفات الفرنجة عند قوله تعالى على لسان هود ــ مامن دابة إلا هوآخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم ــ . الكتاب الأوّل هوالمسمى ﴿ مملكة الظلام ﴾ مؤلفه (مترلنك) . والثانى ﴿ موسوعات العلوم ﴾ لمؤلفه (روبرت براون) فقد جاء فى الأوّل اننا نحتاج الى دراسة علم الحشرات حتى نعرف سليقة أعضاء أجسامنا التى تختفى فيها أسرار الحياة والموت وأن أعضاءنا كلها متحدة مندمجة وتلك الحشرات متفرقة ظاهرا متحدات حقيقة برباط خفى . وجاء فى الثانى أن فى أجسامنا من الوظائف والأعمال وأنواع الاحساس عجائب وغرائب مدهشات ولكن لما كنا معتادين عليها أصبحت لايلتفت اليها النظر ولاتدهش العقل فان المألوف يظنّ انه معروف لاعتياده والدأب عليه وانما الذى يلفتنا لغرابة هذه الأعمال فى أجسامنا والاحساس فى ادراكنا انما هى المواهب العلمية الخاصة فهى التى تدفع ما أسدلته يد العادة على عجائب أعمالنا واحساسنا من الأستار وتوحى الينا جمال أنفسنا وغرائب أجسامنا و بدائع تركيبها بطرق الملاحظات والتفكير فيما حولنا ومايحيط بنا من العوالم . ثم قال ان دراسة العوالم التى تحيط بنا أسهل تناولا من دراسة أنفسنا . ان دراسة أنفسنا جسما وعقلا قد عجزت عن ايقافنا على بعض من عويصات المسائل المادّية والعقلية . أما دراسة العوالم المحيطة بنا فهى نبراس لدراسة أنفسنا الخ

هذا مانقلته هناك فى سورة هود . نقلته هناك وما كنت لأعلم أوليجيش فى خاطرى أن ذلك نفسه معجزة لنبينا ﷺ . كيف لا وهاهم أولاء حكماء أوروبا وفلاسفتها ينطقون بحديث المعراج . المعراج جاء فيه ذكر الحسن والجمال وان من الجمال مالا يقدر على نعته أحد من خلق الله وجاء بعد ذلك فرض الصلوات ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ يحث على العلوم إذ الصلاة فى الاسلام هذا مقصدها والعلوم هى الدالة على الجمال إذ لاجمال إلا بعلم بما هوجميل

أيها المسلمون هل تعلمون . هل تعلمون أن حديث الاسراء جاء مايطابقه عند فلاسفة أوروبا . هل تعلمون أيها المسلمون . هاأنتم أولاء تصلون وأكثركم لايعلمون لم تصلون . يصلى المسلم خوفا من النار أوطمعا فى الجنة . هذا حسن . يصلى المسلم وهو يحافظ على أركان الصلاة وشروطها وآدابها . هذا حسن وحسن ولكن أحسن منه وأحسن أن يعرف المسلم لماذا فرضت الصلاة ولماذا لم تفرض إلا عند ظهور الجمال ومنتهى الجمال لنبينا ﷺ وأن ذلك الفرض انما كان لتوجيه النفوس الى ماتضمنته الصلاة من معرفة العوالم العلوية والسفلية . إذن الصلاة درس علم . الصلاة متن تشرحه العلوم . ومن عجب أن نسمع هذا

القول

القول (الصلاة معراج) فبهذا تبين انها معراج وانى أبشر الأمم الاسلامية أن هذه الأمة سيظهر فيها مصلون حقيقة بعد نشر هذا التفسير سيصلون صلاة تشرح صدورهم لحوز العلوم • اللهم إن الدنيا مقفلة على عقولنا مسدلة حجبها على أفهامنا وأنت الذى أرشدت نبينا ﷺ الى الصلاة ولم يعرف أكثرنا مايراد من ذلك إلا أنهم يخافون من نارك أو يطمعون فى جنتك • فأرنا اللهم سبل الهداية وافتح قلوبنا للعلوم واجعل الصلاة مفتاحا للدروس بحيث يصلى المسلم مستحضرا المعنى واستحضاره المعنى يحفزه الى الدرس والتفكر وبهذا يصلون اليك مقتدين بنبينا ﷺ الذى رأى الحسن والجمال

اللهم إنك تعلم أن المسلمين وقفوا عند ألفاظ الصلاة ولم يدرك أكثرهم أن علوم الكائنات مطلوبة منهم بل وقفوا على علم الفقه وعلى قشور من علم التوحيد فافتح لهم باب العلوم والمعارف حتى يسعدوا فى الدارين

اللهم إنك قلت — إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر — وذلك حق فانها ترجع الى ﴿ أمرين ﴾ كما أوضحناه درس العلوم وانشاء السلام والعلم يدفع الجهل والمعاصى • وتعميم السلام بين الناس لا يكون معه فحشاء ولامنكر • هذا بعض سرّ حديث المعراج و بعض سرّ الصلاة والحمد لله رب العالمين • انتهى

﴿ الاسراء والمعراج والسياحات والقوى العاقلة ﴾

نامت الأمم الانسانية قبيل النبوّة فالرومان كانوا فى أيام انحطاطهم بما نالوا من عزّ وسعة و بسطة فى الرزق والملك فانحطت عزائمهم وهكذا الفرس • وهاتان المملكتان كانت لهما السيادة فى الأرض • ودين البراهمة والبوذية فى الهند تراكمت عليهما الخرافات فهوت بأتباعهما وهكذا أهل الصين ودياناتهم • إن الله خلق الناس وأودع فيهم قوى عاقلة وأهمها المخيلة والمفكرة والذاكرة • فبالذاكرة يكون علم التاريخ بجميع أقسامه و بالمخيلة تكون الأسفار والاختراع والفنون الجميلة • و بالمفكرة تكون العلوم المختلفة من الرياضيات والطبيعيات ومعرفة الله تعالى ونظام الجسم الانسانى والنفس ونظام الطبيعة و يتفرع عن علم النفس المنطق والأخلاق وعلوم الجمال ونظام الأمم وسياساتها • هذه هى القوى الانسانية التى كمنت وسكنت قبيل البعثة المحمدية فأرسل الله نبينا محمدا ﷺ فأسرى به ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ومما قاله مانصه ﴿ مثل لى النبيون كلهم فصليت بهم ﴾ ثم خرج الى المسجد الحرام • ولما رفع الى السماء قابل النبيين ومنهم موسى ولما تجاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى وأيضا لما رفع الى البيت المعمور أتى باناء من خمر واناء فيه لبن واناء من عسل فأخذ اللبن وقال هى الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلوات • وأيضا لما رأى آدم وجد أسودة عن يمينه وأسودة عن شماله فالأولون أهل الجنة من بنيه والآخرون أهل النار منهم فكان يضحك اذا رأى الأولين و يبكي اذا رأى الآخرين • ولما وصل الى سدرة المنتهى رأى مالا يصفه الواصفون

هذا بعض ماجاء فى الاسراء • فياليت شعرى كيف تمرّ هذه على المسلمين وهم نائمون • ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن الاسراء نموذج لنا وسنة سنت لنا • و بيانه أن العقول الخامدة والنفوس النائمة عليها ألا تذر علما من العلوم إلا درسته

(١) ألاترى أنه عليه الصلاة والسلام ساح فى الأرض واخترق السماء وهل العلوم جميعها تخرج عن الأرض والسماء

(٢) ليقرأ الناس علوم الأرض وعلوم السماء

(٣) صلى النبىّ ﷺ بالنبيين ثم عرج الى السماء هكذا الصلاة معراج و بفهم الصلاة والعمل بمقتضاها يعرج الناس الى ربهم • يعرجون بعلم وعمل • أما العلم فقد شرحناه قريبا • وأما العمل فكذلك فالسلام العام فى الأمم بتهذيب النفوس وحفظ الأسرات وحفظ الأمم هو العمل وقراءة علوم الرياضيات والطبيعيات

والفلكيات هى عروج النفوس الى ربها وفهمها نظام عمله فى هذا الوجود . هذا هومقتضى الصلاة فالصلاة كتاب علم أوحى به الله الى نبيه وقال صلوا ثم اعرجوا الى ربكم بالعلم الذى تضمنته الصلاة . فاذا كان ﷺ عرج بعد الصلاة فهكذا أنتم بعملكم بما تضمنته الصلاة من العلوم العلمية والعلوم العملية تعرجون اليّ

(٤) ان نبينا قد أمّ الأنبياء فى الصلاة وهذا اشارة الى أن جميع الأمم التى تتبع الأنبياء قد أخذت لها قسطا من الآراء الاسلامية فقد حررت العقول فى أوروبا وفى أمريكا و بلاد الشرق . كل هذا بسبب الاسلام فارجع الى هذا المقام فى سورة التوبة فقد نقلت لك هناك عن (سديو) الفرنسى وغيره أن تحرير العقول فى أوروبا انما جاء من دين الاسلام . هكذا بكى موسى من أن غلاما بعث بعده دخل الجنة من أمّته أكثر مما دخل من أمة موسى وهذا حقّ لأن أتباع دين عيسى هم اليهود وهم شرذمة قليلة لاتبلغ (١٥) مليونا والمسلمون نحو (٣٦٠) مليونا ومسألة آدم و بكائه وضحكه ظاهرة واضحة ومسألة اللبن واختياره لأنه الفطرة ترجع الى هذه العلوم التى حظيت بها الأمم فان علوم الطبيعة وعلوم الفلك الخ هى الفطرة التى فطر الله هذا العالم عليها فاذا درسناها فقد رجعنا الى الفطرة . ومعلوم أن اللبن يفسر بالعلم كما فى حديث آخر

(٥) هذه الوقائع التى حصلت له ﷺ فى معراجه قد تمت وظهر مصداقها ولكن أتباعه ﷺ فهموا دينه أيام الصحابة والتابعين وغفلت عنه أمم كثيرة بعدهم ولم يعلموا أنه قد سنّ لنا السياحات العقلية

﴿ السياحات على قسمين ﴾

اعلم أن السياحات على ﴿ قسمين ﴾ سياحات جسمية وسياحات عقلية والسياحات الجسمية مقدّمة على السياحات العقلية وذلك واضح فى قوله تعالى – قل سيروا فى الأرض فانظروا – والسير بلا نظر لايفيد . فهاهوذا رسول الله ﷺ ساح فى الأرض بالاسراء وعرج فى السماء ولم تكن سياحاته ولاعروجه خاليين من الروح العلمية بل تراه بين السياحين صلى ليعلمنا أن الصلاة قد تضمنت العلوم التى بها المعراج فلما عرج الى السماء لم يترك واقعة بلافائدة . فهاهوذا يرى آدم وهو يبكي و يضحك وموسى وهو يبكي على قلة من يدخلون الجنة من أمّته وهكذا ابراهيم وقد قال له ﴿ يامحمد بشر أمّتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبحان الله والحمد لله ولاإله إلا الله والله أكبر ﴾ ولاجرم أن هذه هى ملخص الصلاة إذ الصلاة حمد يرجع الى كل العلوم وتنزيه الله بالتسبيح فى الركوع والسجود الخ

ولوأن امرأ ساح فى الأرض ورفع الى السماء وساح فى أقطارها بلاعقل ولافكر لكان ذلك أشبه بأضغاث الأحلام ولافائدة له . إذن الاسراء والمعراج قد جاآ لايقاظ نفوس المسلمين لاحياء عقولهم وخيالهم وتعقلهم وذاكرتهم لأن المقصود من السياحات تعقلها وفهمها والتبصر فيها . ذلك هو مقصود السياحات فى هذه الدنيا . الصلاة يراد بها الحثّ على العلوم والعلوم بها تعرف السموات والأرض . عرج ﷺ بعد أن صلى . ولما تمّ معراجه ورأى عجائب لاتوصف فرضت الصلاة على أمّته . لماذا هذا . لأنه عرج الى السماء بعد الصلاة فهو يريد أن تعرج أمّته كما عرج ولكن عروج أمته بالعلم والتعليم فعروجه بالوحى والنبوّة وعروج أمته بالعلم والتعليم ومبدأ التعليم ماتحثّ عليه الصلاة والصلاة كما قدّمناه وأوضحناه حثت على العلوم العلمية والعلوم العملية

(٦) ومامثل المعراج بعد الصلاة إلا كمثل ابتداء سورة النجم بعد أواخر سورة الطور ففى آخر سورة الطور – ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم – وفى أوّل سورة النجم ذكر قربه ﷺ من ربه إذ قيل – ثم دنى فتدلى ※ فكان قاب قوسين أوأدنى – فآخر الطور التسبيح والصلاة فى آخر الليل وفى أوّل النجم القرب من الله . هكذا هنا صلى ﷺ بالأنبياء فهو كآخر الطور وعرج الى السماء فهو كأوّل النجم وهذا هو قوله تعالى – واسجد واقترب – فهنا سجود وهنا اقتراب وقد عرفت سرّه فالأنبياء يلهمون و يوهبون

والاتباع

والأتباع يجدّون ويتعلمون فالصلاة كتاب يقرؤه المسلم صباحا ومساء وهذا الكتاب مختصر العلوم كلها علوية وسفلية . ناهيك ما تراه فى هذا التفسير عند تفسير سورة الفاتحة وقد زدت عليه فى أوّل هذا المقال مسألة السلام والهداية فى التشهد والفاتحة فانهما يشملان علوم الأخلاق ونظام الأمم

فاذا سمعت قوله تعالى ـ واذكر فى الكتاب اسماعيل إنه كان صادق الوعد ـ الخ فاعلم أن ذلك من علم الاخلاق الداخل فى قول المسلم ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ ومثل هذا ـ يابنىّ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ـ وقوله ـ ولاتصعر خدّك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا ـ وقوله ـ واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ـ الخ وهكذا مما تراه فى (٧٥٠) آية فى القرآن

واذا سمعت قول المصلى ـ الحمد لله ربّ العالمين ـ أوقوله ﴿ التحيات لله الخ ﴾ فاعلم أن ذلك ظاهر فى قوله تعالى ـ هوالذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ـ وقوله ـ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ـ وقوله ـ ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ـ الخ

(٧) إن الاسراء والمعراج درسان ألقيا للمسلمين ليعرجوا الى ربهم بالعلم وليفتحوا عقولهم وخيالهم وقواهم الفكرية وذاكرتهم النفسية ذلك ليسيحوا فى الأرض بعقولهم لابمجرد أجسامهم . فأما اذا صلوا ولم يعرجوا أى لم يدرسوا ولم يفكروا فيما تتضمنه الصلاة فانهم يكونون محكوما عليهم بالهلاك . ذلك لأن المسلم اذا صلى ووقف عند ألفاظ الصلاة أوفهم معناها واستحضره ولكنه لم يعمل بمقتضاه كما فعل رسول الله ﷺ من الاسراء والتعقل فى أثناء الاسراء فانه يكون مغرورا اغترّ بمجرّد الصلاة وأنام قواه العقلية ولم تفتح بصيرته لما حوله من عجائب هذه الدنيا وهذا هوقوله تعالى ـ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون ـ

المسلمون يصلون ولكن أكثرهم لايعلمون بما تحثّ عليه الصلاة فانحطت مداركهم فتخطفتهم الأمم . هم ساهون عن الصلاة لاهون عنها . إنّ الصلاة ﴿ لأمرين ﴾ ذكر الله على سبيل العبادة وارتقاء النفس بذلك الذكر . فههنا ﴿ أمران ﴾ أمر عملى وأمر علمى فأكثرالمسلمين اقتصروا على الأمر العملى ونسوا العلمى ونسوا أنه ﷺ عرج الى السماء بعد أن صلى كأنه يقول عروجكم العقلى إنما يكون بعد الصلاة أى بالعمل بما تضمنته من العلوم . إذن الاسراء والمعراج درسان علميان والصلاة هى كتاب ذينك الدرسين

(٨) شغل الناس عن الاسراء وعن عقولهم . من عادة الناس أن لا يعقلوا ماشاع عندهم ومايحيط بهم . هذا الانسان فى هذه الأرض لايعقل ماهوحاضر عنده مبصر أومسموع أومذكور . لكل امرئ مخيلة وعاقلة وذاكرة كما تقدّم فقد يعيش المرء ويموت ولايخطر بباله ماتلك القوى وماعجائبها وهكذا يرى أن له سمعا وبصرا وشما وذوقا وأعضاء داخلة وأخرى خارجة وكلها طافحة بالعجائب مملوءة بالغرائب ولكنه لايخطر بباله أن يفكر فيها أويرى فيها عجائب وهكذا أكثر هذا النوع الانسانى يعيشون كالحيوان ويموتون ولاهم يذكرون لذلك أرسل الأنبياء وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ فأسرى به وعرج والاسراء والمعراج لفتح هذه القوى العقلية فينا وفعلا تمّ ذلك فى عصر الصحابة والتابعين فان أحوالهم كلها اعتراها انقلاب وتغيرت وتحوّلت الى الأحسن

أما الأمم المتأخرة فانها تسمع الاسراء والمعراج كما تعرف يديها وعقلها وجسمها . فالاسراء والمعراج أصبحا متداولين بين المسلمين فلم يبق تعجب منهما ولاتذكر بهما كما نسى الناس نفوسهم وعقولهم ومخيلاتهم وأعضاءهم فسيان عندهم عقولهم وأعضاؤهم واسراء نبيهم ﷺ

واعلم أن هذا التفسير سيكون من المبشرات بنهضة مقبلة قريبة وسيخرج جيل جديد سائح سياحات علمية وعارج الى ربّ البرية

﴿ كيف يسرى المؤمنون و يعرجون ليصلوا الى اليقين بالعلم ﴾

اعلم أن الأمم جميعها قد جاء فى تاريخها أن أناسا حكموا أنفسهم بالرياضات فوصلوا الى ماقصدوا وهؤلاء كثير فى أمم الهنود والأمم الاسلامية ولكن الذى ظهر أن هؤلاء غالبا لم يحدثوا فى الأمم انقلابا كثيرا إلا قليلا منهم وأكثر انقلاب الأمم إنما يكون برجال مفكرين نالوا حظا من العلم باجتهادهم لا برياضاتهم . فلأذكر لك هنا مسألة واحدة وهى تفسير قوله تعالى فى سورة تبارك ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ـ أى شقوق وقبل الشروع فى هذا المعنى أذكر مقدّمة فأقول

اعلم أنه قد سبق فى هـذا التفسير أن العوالم التى نعيش فيها مركبة من ذرات وتلك الذرات مركبات من جواهر فردية وتلك الجواهر الدقيقـة جاريات حول نواتها جريا حثيثا فترى كل ذرة بعضـها أشبه بالشمس و بعضها أشبه بالسيارات وهذه التى تشبه السيارات تدور حولها وكل مافى هذا الوجود مركب من تلك الذرات وتلك الذرات ماهى إلا كالمجموعة الشمسية . فاذا رأيت الحديد والنحاس والأحجار وظننت انها ساكنة فأنت لم تقرأ عاما بل العلم اثبت أنها متحركات كما شرحتـه لك بل قال المحققون مثـل (جوستان لوبون) كلما كانت حركات الذرّات أسرع كان الجسم المركب منها أصلب وكلما كانت أبطأ كان الجسم المركب منها أبعد عن الصلابة وأقرب الى التفرّق أو السيلان الخ

وهناك مسألة أخرى سـتأتى فى سورة تبارك وهى أن طيف الضوء المركب من الألوان السبعة المعروفـة يتخلله خطوط سود وذلك بواسـطة آلة للنظر مذكورة هناك مصوّرة من ثلاثة مناظر معظمة وتلك الخطوط السود عمودية على ذلك الطيف وهذه الخطوط السود واضحة فى شكل ستراه هناك وكل خط له هيئة خاصة وقد شاهدوا مثل هذه الخطوط فى لهب المعادن فحكموا من ضوء الشمس على المعادن التى تركبت منها هى فكلما رأوا خطا فى الطيف الشمسى بهيئة توافق نظيرها فى لهب معدن من المعادن قطعوا بأن ذلك المعدن من عناصر الشمس وهكذا الكواكب الأخرى . هاتان النظريتان هما أسّ ماسأذكره من الاسراء العقلى والمعراج الفكرى الذى يسير عليه المسلمون . فههنا نقول فى تفسير الآية

(١) فاذا أبقيناه على ماهو معلوم من التفسير المعروف قلنا ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ لأن البصر لايرى فى السماء المشاهدة فطورا . ولاجرم أن السماء من فعل الله فلتكن أفعاله كلها على هذا النظام

(٢) واذا لاحظنا أن فى المادّة فراغا معلوما بين جميع الذرّات كما هو مقرّر فى الطبيعة حتى انهم أثبتوا أن الخلاء بين كل ذرّة وأخرى بالنسبة لحجمها لايقلّ عن الفراغ الحاصل بين الأرض والسماء بنسبتهما وهذا وان كان بعيد التصـديق مسلم فى علم الطبيعة . وهكذا نلاحظ أن فى طيف الضوء تلك الخطوط المتقدّمة اذا اعتـبرنا ذلك كله قلنا ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ مع ما فيـه من الخلاء بين الذرّات والخطوط السود وسط الألوان وذلك لشدّة احكامه وتمام اتقانه فذلك الاتقان جعله لاخطوط فيه ولافراغ والبصر لايدرك شيأ من ذلك ـ فارجع البصر هل ترى من فطور ـ فيه بين الألوان و بين الذرّات مع أن ذلك كله موجود فعلا فالفطور مع وجودها أصبحت لاترى لشـدّة إحكام المادّة وانتظام النور كما أن العالم كله يتحرّك ولكنه لشدّة الاحكام يرى ساكنا كما قال تعالى ـ وله ماسكن فى الليل والنهار الخ ـ

(٣) والوجه الثالث أننا نلاحظ مافى الوجه الثانى أيضا ولكنا نقول ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ـ وهذه الرؤية عقلية لابصرية فالعقل أدرك أن الذرّات تشبه السيارات وصغير العالم ككبيره فأشـبه جزؤه كله وكبيره صغيره من ﴿ وجهين * الأوّل ﴾ ان الذرّات تشبه السيارات من حيث الفراغ الحاصل بينهما ومن حيث دوران جزئياتها حول نواتها دورانا منتظما ﴿ والثانى ﴾ أن تركيب الشمس مثـلا كتركيب الأرض ولم يعلم ذلك إلا بتلك الخطوط السود فى الطيف التى أبانت باختـلافها اختلاف العناصر فى الشمس وحينئـذ يقال

هل

هل ترى ببصرك من فطور حتى تحكم بها على تشابه المادّة بحيث تشابه الذرات السيارات و يشابه المعدن بالخطوط المعترضة فى لهبه نظيره فى الكون فيحكم بوجوده فيه وبهذا يحكم بتشابه العوالم . كلا . أنت لا ترى ذلك ببصرك مطلقا بل البصر يرى المادّة لاخلاء فيها و يرى آثار الضوء فى قوس قزح لا أثر للخطوط السود فيه مع ان الحقيقة أن المادّة وألوان الطيف فيهما فراغ . ففى الأوّل بين الذرّات . وفى الثانى خطوط سود بين تلك الألوان وانما لم تبصر ذلك لأن البصر لايقوى على ذلك وانما يقوى الانسان عليه بالآلات التى اخترعها العقل البشرى و بالاستنتاج بالعقل والفكر . انتهى

فهذه الآية بدرسها من علم الطبيعة فى الأرض فتحت لنا باب العروج الى السموات فأدركنا تركيب أجسامها وعرفنا عناصرها . فهذا مثال واحد من الأمثلة التى لاتحصى بها أدركنا نظام العالم العلوى بمضاهاة نوره بأنوار معادن العالم السفلى . فهذه سياحة عقلية بها يرتقى العقل الانسانى و يشاهد حكما وعلوما متبعا فى ذلك نبينا محمد ﷺ إذ رأى جمالا لايصفه الواصفون . هكذا فلنجدّ فى العلم ولنرتق فى الأسباب

إنّ الاسراء والمعراج جعلا لنا درسا لنجدّ ونسرى فى العلوم الأرضية ونعرج الى العلوم العقلية والحمد لله ربّ العالمين . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ــ وقضينا الى بنى اسرائيل ــ الخ ﴾

اعلم أن بنى اسرائيل من بعد موسى لم يكونوا ملزمين بالجهاد كالأمّة الاسلامية بل كانوا يحافظون على شرائعهم و يدافعون عن بلادهم فبقى القوم بعد موسى و يوشع عليهما السلام نحو أربعمائة سنة على هذه الحالة لايعنيهم شئ سواها وكان القائم بأمرهم يسمى (الكوهن) كأنه خليفة موسى عليه الصلاة والسلام يقيم لهم أمر دينهم ولابدّ أن يكون من ذرّية هرون لأن موسى لم يعقب ويكون مع الكوهن سبعون شيخا يقومون بأحكامهم العامّة تحت اشراف الكوهن وفى أثناء ذلك غلبوا الكنعانيين على بيت المقدس وماجاوره وحاربوا أهل فلسطين والأردن وعمان ومأرب ولكن لم تكن لهم صولة الملك فطلبوا من شمويل نبيهم أن يجعل الله لهم ملكا يجمع شملهم فتملك طالوت وقتل داود من عسكره جالوت عدوّه فتولى داود الملك بعد طالوت فسليمان ابنه عليهما السلام واستفحل الملك وامتدّ الى الحجاز ثم أطراف اليمن ثم أطراف بلاد الروم ثم افترق الأسباط من بعد سليمان الى دولتين . احداهما كانت بالجزيرة والموصل للأسباط العشرة والأخرى بالقدس والشام لبنى يهوذا و بنيامين ثم غلبهم بختنصر ملك بابل فاستولى على الأسباط العشرة أوّلا ثم ثانيا على بنى يهوذا و بيت المقدس بعد اتصال ملكهم نحو ألف سنة وخرب مسجدهم وأحرق توراتهم وأمات دينهم ونقلهم الى أصبهان و بلاد العراق الى أن ردّهم بعض ملوك الكيانية من الفرس الى بيت المقدس من بعد سبعين سنة من خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأوّل

﴿ تغلب اليونان على الفرس فاليهود ﴾

ولما غلب الاسكندر واليونانيون قومه على الفرس أصبح اليهود فى قبضتهم فلما فشل أمر اليونان اغترّ اليهود بعصبيتهم وأخرجوهم من ديارهم وأقاموا دينهم على الطريقة الأولى وكهنتهم من بنى حشمناى فلما غلب الروم اليونان على أمرهم رجعوا الى بيت المقدس وفيه بنو هيردوس أصهار بنى حشمناى و بقية دولتهم فاستحوذوا عليهم و بقوا فى قبضتهم ففتحوها عنوة حتى أرسل عيسى فى أيامهم ودالت دولتهم بعد رفعه الى السماء بنحو (٧٠) سنة فأجلوهم عن بلادهم الى رومية وماوراءها وهو الخراب الثانى للمسجد و يسميه اليهود الجلوة الكبرى فلم يقم لهم بعدها ملك بفقدان العصبية منهم و بقوا بعد ذلك فى ملكة الروم ومن بعدهم يقيم لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمى بالكوهن . ثم ان عيسى عليه السلام أرسل فى مدّة (هيردوس) ملك اليهود الذى انتزع الملك من بنى حشمناى أصهاره فى أيام الملك (أوغسطس) فحسده اليهود فكاتب (هيرودس) ملكهم

ملك القياصرة (أوغسطس) فأذن لهم فى قتله وكان ما كان مما قصه الله فى القرآن ثم افترق الحواريون فدخلوا بلاد الروم داعين الى النصرانية و بعد ذلك أجلاهم الروم كما تقدم . هذا هو التاريخ الذى يشير له القرآن . فالمرة الأولى هى غزوة الفرس لهم والمرة الثانية غزوة الروم لهم لما عصوا بعد عيسى عليه السلام .
انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ـ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ ﴾

لما ذكر أمر اليهود وتفرق دولهم وتسلط الأمم عليهم وانهم أجلوهم عن بلادهم . فالفرس الى أصبهان وما والاها من البلدان والروم الى رومية وما والاها من أوروبا وكانت مدتهم الى زمن عيسى عليه السلام نحو (١٤٠٠) سنة أربعمائة الى حكم سليمان وستمائة الى جلوتهم فى بلاد الفرس وأربعمائة الى جلوتهم الكبرى . ولقد كانوا فى مصر قبل ذلك نحو أربعمائة سنة فمدتهم من أيام يوسف الى زمن المسيح (١٨٠٠) سنة وقد اعتراهم الذل بعد رسالة موسى بألف سنة فأخرجوا من ديارهم ثم بعد أربعمائة أخرى أذلهم الروم . ولقد اتفق لأمّة الاسلام أن غلب بعضها على أمره ولكن لم يحصل اجلاء عن البلاد إلا فى الأندلس بعد النبوّة بما يقرب من ألف سنة فأخرج الأسبانيون العرب من أمّتنا من ديارهم بأوروبا . ولم يعم الاخراج المسلمين جميعا لأنهم أمّة عظيمة وليس فيهم جشع اليهود الذى بغض الأمم فيهم فأذلوهم

يقول الله ـ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ ولقد بينا فى اللطائف السابقة الاشارات الدالة على أن للاسلام أمما ستفوق غيرها . إن اليهود اليوم هم أصحاب العلم فى العالم الانسانى . إن اليهود هم الذين أشاعوا الدول البلشفية وهم هم الذين بفلسفتهم قد حركوا ألمانيا الى الحرب الكبرى وفيلسوفهم (نيتشيه) أشاع فيهم هذه الفكرة ﴿ الرحمة ضعف وخور فليمت الضعيف وليعش القوى ﴾

اليهود اليوم هم الذين يديرون العالم كما يشاؤن . يقوم الفيلسوف منهم فيحرّك العالم تحريكا بعقله . جاء فى ﴿ الثامود ﴾ وهو ملخص دين اليهود وقد تقدّم فى التفسير . إن الله فرّقنا فى الأمم لأنه يعلم أننا شعبه وأبناؤه وأن العالم الانسانى كله خادم لنا وهذا الانسان كله وسط بيننا و بين البهائم نستعملهم للتفاهم بيننا و بين الحيوانات فوجب علينا أن نجعلهم متشاكسين متقاتلين متعادين وندخل فى سياساتهم ونجعلهم فى حرب لنستفيد منهم ونزوّج بناتنا لعظمائهم وندخل فى كل دين لنفسده على أهله وتكون لنا السيادة على هذا الانسان الذى سخره الله لنا انتهى

ولقد فعلوا ذلك أوقريبا منه . وهاهم أولاء قد أسسوا دولة البلشفية فى بلاد الروس ومنهم (لينين) وأعوانه الذى توفى قريبا وهاهى دولتهم تناظر دول أوروبا وقد اتسعت اليوم ولاندرى مايفعل الله بالانسان غدا . هذا ما كان من أمر اليهود الذين مضى على دينهم نحو (٣٤٠٠) سنة فهل يقوم الاسلام بأمر العالم و يعلو فى فلسفته وحكمته على الأمم ومنهم اليهود و يجعل أهل الأرض فى حال اخوة وسلام لاتنابذ ولاشقاق واذا كان هذا هو الذى وصل اليه اليهود الذين على يديهم أرسل عيسى منهم وهم هم الذين نشروا دينه فى الشرق والغرب ثم اخترعوا البلشفية فهم إذن سادة العالم الأدنى فهل المسلمون الذين جاء دينهم بعد الدينين اليهوديين يقومون بدور يناسب ديننا وهل قوله تعالى ـ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ يشير الى أن أمما ستكون بعد الآن فى الاسلام تحمل أهل الأرض قاطبة على الرقى . إن (ماركس) الألمانى الذى هو أصل البلشفية يهودى ألمانى وهو الذى أخرج العالم من حال الى حال بعد موت موسى بثلاثة آلاف وأربعمائة سنة فهل يقوم فى المسلمين بعد اليوم وقد مضى للاسلام ١٤ قرنا قائم يرقى المسلمين و يرقى العالم كله و يكون ذلك سعادة للناس لاشقاء كما فعل اليهود فى أوروبا والشرق وهل زمن عيسى الذى جاء فى شريعتنا وفى شريعة النصارى أنه سينزل حيا . هل هذا الزمن بعيد حصوله . إنه ليس ببعيد أى ان المسلمين اذا قاموا بدورهم

الانسانى ورقوا الأمم وساد السلام على يديهم فهناك يعم السلام فى الأرض وتكون جيوش المسلمين مؤدبة للأمم لاظالمة كما تفعل أوروبا الآن . هذا هوالذى يرتقب من أمة الاسلام وهذا هو الذى فهمته من قوله تعالى ـ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ وأن أمة الاسلام ستلعب دورها يوما ما وتبنى مجدا للعالم كله ويكون الناس جميعا أبناءنا . إن هذه المدة التى مضت فى الاسلام كالمدة التى مضت على بنى اسرائيل حين أجلاهم الروم الجلوة الكبرى فقد كانت نحو (١٤٠٠) سنة فذل اليهود إذ ذاك وذل المسلمون الآن ولكن فرق بين الذلين فالمسلمون لهم دول مستقلة وان كانت قليلة . فاذا قسنا هذه الحال بتلك قلنا ان ماقلته ربما يتم لأنه اذا مضى بعد ذلك مئات السنين يكون هناك دول تتعارف من الاسلام ويكونون رحمة للعالمين وهم يمنعون الظالمين عن المظلومين . فهذا هوالذى نفهمه من ذكر قصة موسى بعد الاسراء ومن العلاقة بين نبينا محمد ﷺ وموسى عليه السلام ومن ارتقاء نبينا عليه فهو فى السماء السادسة ونبينا فوق السابعة ولامعنى لهذا بالنسبة للأمم إلا ماذكرناه . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ـ ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا ـ ﴾

لما ذكر الله أمة بنى اسرائيل وماحل بهم وأتبع ذلك بأن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم وسيذكر بعد ذلك سنن الكون ونواميسه وحسابه أبان فى هذه الآية المذكورة مابين القرآن الذى هوأقوم ومابين النواميس والحساب السماوى فقال إن هذا الانسان خلق عجولا بطبعه ميالا الى ما لاتحمد عقباه . فطرة فطرناه عليها فهو يتمادى فى الشهوات ويتغالى فيما يظنه خيرات فهو يحرص على المال والولد والصيت والشهرة وافتتاح البلدان وازالة الممالك وهو يظن ذلك خيرات بشهوته وعجلته الطبيعية ثم يتمادى فى ذلك الذى ظنه خيرا الى أن يصل الى ماظنه شرا فيدعو على نفسه وعلى ولده وعلى أهله ويتمنى الموت . كل ذلك لعجلته . واذا كان هكذا أمره فانه لاينبغى أن يترك وشأنه . ولتهذب طباعه بالكتب الدينية والعجائب الكونية والحساب السماوى والعلم الطبيعى والنظام الالهى

هذا شأن الانسان بيناه . وهذا أمره كشفناه . فليقم بالدين وليقرأ العلوم حتى يقف على الحقائق ويعلم أن أكثر مايظنه خيرا انما هو شر من وجه فاذا فتح البلدان لقهر الأمم عاد ذلك عليه بالوبال كما حصل لبنى اسرائيل . فليحترس المسلمون أن يغلبوا الأمم لقهرها لا لتعليمها والا حل بهم ما حل باليهود وقد كان ذلك ومضى . وحل بالأمم الاسلامية مايقابل أفعالها الظالمة فى بعض القرون واضمحلت الشوكة . لماذا . لأن الانسان جهول . فليقرأ العلوم . وانما قال الله ـ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ـ لأنه أرشد الى علم الكائنات . فالقرآن لايقف عند تلاوة الألفاظ فحسب . ولذلك ترى هذه الآية جاءت بعدها فقال ان الانسان عجول فلتهذبه العلوم ثم أتبعها بذلك النظام

إن القرآن يهدى للتى هى أقوم . انه يدعوالى قراءة كتاب الله المفتوح . كتاب السموات والأرض كتاب الطبيعة . كتاب النبات . كتاب الحيوان . كتاب الانسان . كتاب علم النفس . كتاب علم التشريح . كتاب علم السياسة . كتاب علم الأجنة . كتاب علم آثار الأمم . كتاب كتاب الخ

فهذه هى الهداية للطريق الأقوم . وهذا هو دين الاسلام . وهذه هى طريقه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . انتهت اللطيفة الخامسة

﴿ اللطيفة السادسة ـ وجعلنا الليل والنهار آيتين ـ الى قوله ـ وكل شئ فصلناه تفصيلا ـ ﴾

لقد قدمت فى هذا التفسير حساب الأفلاك مرارا وتبين لك فيه كيف فصل الله العالم تفصيلا . ولكن لأذكر لك درة يتيمة وجوهرة مضيئة وآية شريفة وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء والماسة بيضاء وحكمة بديعة وشمسا مضيئة فأقول

انظر ﴿ مسألتين اثنتين * الأولى ﴾ مسألة السنين القمرية وأن كل سنة منها ٣٥٤ يوما وسدس يوم وخمسه وهذا السدس وهذا الخمس باجتماعهما سنة بعد سنة يكونان أياما وتلك الأيام التامّة تكون السنة التى تمت فيها كبيسة والتى لم يضم لها يوم يقال لها بسيطة • ولقد وجد ذلك فى كل ثلاثين سنة ١١ كبيسة و١٩ بسيطة وتكون النسبة منتظمة عجيبة لاخطأ فيها ولا خطل وكل (٧) أدوار يقال لها دوركبير وهو (٢١٠) سنة فكل دور من الأدوار الصغيرة يكون مماثلا لنظيره فى الأدوار الكبيرة التالية أياما وشهورا و يمكن أن يجعل نسبة منتظمة فيقال هكذا نسبة ١١ الى ١٩ كنسبة ٢٢ الى ٣٨ كنسبة ٤٤ الى ٧٦ كنسبة ٨٨ الى ١٥٢ وهكذا الى تمام الدور فالأدوار تتابع والحساب لايتغير والنسبة منتظمة ولها جداول لاخطأ فيها والسنة (٣٥٤) يوما و٣٥٥ يوما على مقتضى البسيطة والكبيسة وهكذا

فقل لى بربك • ألست ترى أن الله هكذا فصل وهكذا بين • ألست ترى إنك بهذا الحساب المتقن تحسب السنين العربيـة من أوّل التاريخ العربى وتسقط أدوارها ثلاثين و٢١٠ و٢١٠ وهكذا وقد أوضحناه فى هذا التفسير سابقا فارجع اليه فى مظانه لتعرف أوائل السنين العربية فى آخر (آل عمران) ولست اليوم أقول هذا لمعرفة أوائل السنين وانما أقوله لما هوأعلى • أقوله للتفسير • الله يقول ــ وكلّ شئ فصلناه تفصيلا ــ فهكذا يكون التفصيل وهكذا يكون البيان ولهذا أنزل القرآن • أنزل القرآن ليلفتنا الى كتاب الله الذى خلق قبل انزال القرآن بالوحى • كتاب الله الذى فى الطبيعة وهوالكتاب المفصل وهوالكتاب المبين • هوالكتاب الذى كتبه الله بيده وأودعه فى الطبيعة وقال يامحمد أشرالى تفصيلى ودل أمّتك على بيانى وقل لهم هذا خلق الله وهذا جمال الله وهذا بيان الله فيه فاقتدوا و بعلومه فانتفعوا • القرآن يقرؤه الجاهل والعالم والطبيعة لايدركها إلا العلماء فلذلك كفر بها كثير من جهلة الاسلام ــ ومايعقلها إلا العالمون ــ بكسر اللام • انتهت المسألة الأولى

﴿ المسألة الثانية النظر فى جسم الانسان وحسابه ﴾

اذا خرج الانسان من الرحم تام البنية سالما من سوء الأخلاط يكون فيه أشياء متماثلة وأشياء تزيد بالثلث وبالربع وأشياء بالمثل والثمن وما أشبه ذلك • فالتى هى متساوية اذا قيست بشبره نفسه هى

(١) من رأس ركبته الى أسفل قدميه يساوى الذى من ركبته الى حقويه يساوى الذى من حقويه الى رأس فؤاده يساوى الذى من رأس فؤاده الى مفرق رأسه فكل مقدار من هذه شبران بشبره

(٢) اذا فتح يديه كالطائر كان هكذا مابين رأس أصابع يده الى مرفقه يساوى مقدار ما بين مرفقه الى ترقوته يساوى مقدار مابين ترقوته الى مرفقه اليسرى يساوى مابين مرفق اليسرى وأطراف أصابعها كل منها شبران

(٣) ان الانسان اذا صنع دائرة مركزها سرّته ومرّ محيطها بأصابع رجليه ومدّ يديه الى أعلى فان المحيط يمرّ بأطراف أصابعهما فتزيد عن قامته ربعها ويكون النصف خمسة أشبار من أعلى النصف ومن أسفل النصف

(٤) طول وجهه من رأس ذقنه الى منبت الشعر فوق جبينه شبر وثمن وطول جبينه ثلث شبر

(٥) طول عينيه كل واحدة منهما ثمن شبره وطول أنفه ربع شبره يساوى شقّ فمه و شفتيه

(٦) طول كفيه من رأس الكرسوع الى رأس الأصبع الوسطى شبر

(٧) الابهام والخنصر متساويان ومابين ثدييه شبر يساوى مابين عانته وسرّته يساوى مابين رأس فؤاده وترقوته • وقد تقدّم فى هذا التفسير أكثر من هذا وأعدناه هنا للمناسبة

هذا بعض ماذكروه فى جسم الانسان وقالوا إن كل حيوان بل كل نبات منظم تمام الانتظام على هذا المنوال وقد ظهر فى هـذه الأمثلة المماثلة والثمن والربع والثلث • ومن هاتين القاعدتين فى النسب الهندسية بنوا علم

الموسيقى

الموسيقى وعلم الجمال ولقد أوضحناه فى كتاب (الفلسفة العربية) . فانظر كيف فصل الله هذا العالم تفصيلا وانظر كيف جعل الحساب مفصلا واضحا لايخطئ بعد آلاف الآلاف من السنين وكيف فصل أعضاءنا وقدّر الجمال اذا تمّ حسابها والقبح اذا حصل اختلاف يسير . إن هذا هو التفصيل وهذا هو البيان . ولقد ظهر ذلك الجمال فى علم الشعر والنسبة الهندسية فيه وفى ظلال الأشجار وفى السفينتين على وجه الماء ونسبتهما ونسبة الماء الذى أزاحاه من ماء البحر وهكذا الثمن والمثمن وأن بينهما ثمانى نسب أربعة طردية وأربعة عكسية . كل ذلك فى ﴿كتاب الفلسفة﴾ كتب تذكرة للمؤمنين وعظة للمتقين

إن الحساب يعلم الصبر والصدق وذلك ضد عجلة الانسان الذى يسعى فى فتوح البلدان يظنها خيرا مطلقا وما درى أن السمّ فى الدسم وهكذا المال والولد والصيت فكل ذلك سعادة وتحته آلام . فليكن الصبر هو الملجأ . ولتكن العلوم هى السلوة . وليكن الجمال هو المنظر . جمال هذا العالم البديع الممتلئ بهجة وحسنا وكمالا ونظاما وبهاء . لقد بينت يا الله بعض معانى القرآن وانى قادم اليك من هذا العالم وبرئت من الكتمان وأنت المستعان

﴿ اللطيفة السابعة — وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه — الخ ﴾

اعلم أن هذا الجسم الانسانى قصر النفس ومسكنها ولوحها المقروء وكتابها الذى تدرس تشريحه وتفصيله وهذا الكتاب يوما ما ستذره الروح وتتركه ولكنها تجد كل ماعملت مسطرا فيها مكتوبا مفصلا تفصيلا كما فصلت أعضاؤه التى رأيتها وكما فصل حساب السموات التى عرفتها . لهذا ذكر علم النفس بعد علم العوالم المادّية لتعرف أنّ هذه الظواهر السماوية والأرضية المفصلة الموضحة البديعة الجميلة وراءها أرواح مفصلة موضحة أكثر من هذه ولأقرّب لك الأمر بما هو مشاهد معروف . انظر الى الدول الاوروبية والى دولتنا المصرية وتوجه الى محافظة مصر وانظر هناك كيف جعلوا علامات الابهام لكل انسان دالة عليه ووجدوا أنه لا ابهام يشابه الأخرى أى ان ابهام زيد اذا طبعه على الورق يكون أصدق من ختمه الصناعى لأن هذا الختم لا يقلد فان الخطوط التى فى ابهام زيد تخالف الخطوط التى فى ابهام عمرو فلا يتشابهان كل المشابهة . فهذا أيضا من معنى قوله — وكل شئ فصلناه تفصيلا —

وانظر أيضا الى لون كل امرئ والى صورته واذا كان الجنس الأبيض من الناس والجنس الأحمر والجنس الأصفر كل طائفة منهم قد اشتركوا فى اللون فانك لاتجد واحدا يشبه لونه لون الآخر سوادا وبياضا وحمرة وصفرة

هكذا هيئة الوجه والأعضاء . هذا هو معنى — فصلناه تفصيلا — ووضحناه ايضاحا . هذا توضيح الله لنا . هكذا نقول فى أرواحنا كما قدّمناه فى هذا التفسير فان الأرواح الانسانية يسطر فيها كل شئ عملناه وبالتكرار يصير هذا العمل ملكة راسخة وهذه الملكة الراسخة فينا تبقى ثابتة . فالجهل والعداوة والحرص والطمع والبخل وما أشبه ذلك يصبح فينا جزأ منا فهو يؤذينا كما نحسّ بالأذى من الأخبار المحزنة . وهذا الأذى لايفارق النفس ويؤلمها أشدّ الألم بل هو يؤلمها فى الحياة الدنيا كما يحسّ الانسان بالوخز فى ضميره فاذا وقعت الواقعة وانشقت سماء رؤسنا فهى يومئذ واهية وزلزلت المادّة الأرضية فى أجسامنا وأخرجت أثقالها فرمتها بالأرض — وقال الانسان مالها * يومئذ تحدّث أخبارها — بان الموت قد أتى لها واذن تبقى النفس خالصة لاشئ يحجبها فتحزن حزنا شديدا فان فارقت المألوفات حزنت عليها وان اقترفت الخطيئات احترق قلبها عليها وان جهلت علوم الكائنات أصبحت فى ألم عظيم إذ تحسّ بأن العلماء ارتقوا الى أعلى الدرجات وهى باقية فى الظلمات . وهذه قيامة كل امرئ فكل امرئ تقوم قيامته بموته كما روى ﴿من مات فقد قامت قيامته﴾ وهذا مبدأ الحساب والحساب واضح لايحتاج لشرح فاذا نظر الانسان لصورته الحقيقية ورآها ملوّثة قذرة أنف أن ينظر اليها وكره منظرها وهو غير قادر على التخلص منها وهذا له نظير فى الدنيا فان أصحاب

العلاقات العشقية الذين حكم عليهم أن يعيشوا مع أخس النساء والذين يتعاطون المسكرات ويعلمون أن هذين الوصفين يضيعان شرفهم وصحتهم وسمعتهم ووظائفهم فهؤلاء يقولون ﴿ نود لونقدر على الترك ولكن الملكة فينا متمكنة فلانقدر على المفارقة ﴾ فكل من هؤلاء يود لو يتوب ولكن استحكام العادة يقعده عن الخروج منها فهذا سجن وحسرة واحراق قلبي زيادة عن الجسمي . هذا هو قوله تعالى - إقرأ كتابك - فليست قراءة كتابية بل قراءة نظرية علمية يقرؤها الجاهل والعالم والذكي والغبي والكافر والمؤمن لاتحتاج الى ذكاء ولا الى عين وضياء ويقال للانسان إذ ذاك - لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - وأى بصر أحد من هذا . إن هذا العذاب يحس ببعضه الناس فى الدنيا ولكنه مخبوء عنهم أكثره فتجد العقلاء فى أوقات فراغهم اذا رأوا عالما أحسوا بحزنهم على تقصيرهم فى العلم واذا رأوا ذا خلق حميد ودوا لويكونون مثله ويذكرون نقائصهم فتحزنهم وهكذا . فعذاب الانسان بعد الموت أكثر مقدماته معلومة من الآن فان الجاهل يبقى فى مزرعته أو تجارته مثلا لايفارقها واذا كان عنده علم رأيته يخلو به فى بعض أوقاته ليرقى نفسه

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولاسهم

هذا هو مابينه الله وهو أن حساب النفس فى أخلاقها وأعمالها مسطر فيها مفصل كحساب الأفلاك وحساب ظواهر الأجسام . واعلم أن هذا القول هو الحقيقة أى ان الناس اليوم فى الحياة الدنيا مسطرة فى نفوسهم نقائصهم وكمالاتهم وأن ذلك ينكشف بالموت ويبتدى النعيم والجحيم ويزيد الانكشاف يوم القيامة الكبرى فالأطفال والنساء والصبيان يكتفون بعذاب جهنم والعقلاء يستبعدون ذلك فجاءت هذه الآية لتريهم سرعة العذاب وهذا أيضا ربما لايكفى بعض النفوس فعجل الله العذاب فى الدنيا وكتمه عنهم وأظهر علاماته ليرتدع الناس عن الذنوب وليعلموا أن لكل ذنب جزاء مبتدئا من العمل منتهيا الى آجال غير معلومة . هذه هى الحقائق الناصعة والآيات الواضحة

﴿ جوهرة فى قوله تعالى - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - ﴾

اعلم أيدك الله أن العالم الذى نعيش فيه يكاد ينطق بهذه الآية . يخيل للانسان أن أعماله لا أثر لها ولكن المفكرون الدارسون من علمائنا السابقين وعلماء القرن العشرين يعلمون بمزاولة الدراسة هذا المقام علما اقناعيا تارة ويقينيا أخرى ولأقدم لك مقدمة فأقول

ان تفاوت الحركات فى المادة بطأ وسرعة كتفاوت الأجسام خفة وثقلا وتفاوت الآثار ذهابا وبقاء . أما التفاوت عظيم فى الحركات فان الناس يشاهدون السلحفاة القليلة الخطوات والأرنب السريع العدو والرياح العواصف وقطرات السكة الحديدية والبرق والنور فأى نسبة بين السلحفاة والأرنب وزد على ذلك مابينهما وبين الريح يرينا الله البرق ويرينا السلحفاة ويقول أنا أخلق هذا البطء لحكمة وهذه السرعة لحكمة أخرى ولا أضن على خلق بكل ماهو فى الامكان والبخل بالممكن ظلم والظلم لايتصف به الحكيم العليم . وترى العلماء يقولون ان سرعة الصوت فى الهواء ١٠٩٠ قدما فى الثانية بميزان (فارنهيت) و١٤٦٣ قدما فى الهيدروجين فى الثانية وفى الاكسوجين ١٠٤٠ قدما . كل هذا فى الثانية وفى الماء ٤٧٠٨ أقدام فى الثانية وفى الحديد ١٦٨٠٠ قدما فى الثانية وفى النحاس ١١٦٠٠ قدما فى الثانية وذلك نحو عشرة أمثال سرعته فى الهواء وفى السنديان ١٠٩٠٠ قدما فى الثانية . اذا فهمت هذا فانظر النور فانه يقطع فى الثانية الواحدة ١٩٢٠٠٠ ميل فى الثانية . ومعلوم أن محيط الأرض ٢٣٨٠٠ ميل . إذن النور يقطع محيط الكرة الأرضية ثمان مرات فى الثانية ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ٤٠ ألف كيلو مضروبة فى (٨) وهو ٣٢٠٠٠٠ كيلو مع ان قطر سكة الحديد يقطع فى الثانية الواحدة نحو واحد من ستين من الكيلو وذلك نحو (١٨) مترا فتكون سرعة النور

اكثر

أ كثر من سرعة القطر فى سكة الحديد ٣٢٠٠٠٠ فى ٦٠ أو ١٩٢٠٠٠٠٠ أى ١٩ ألف ألف ومائتى ألف مرّة تقريبا . ومعلوم أن قطر سكة الحديد أسرع من جرى الخيل والخيل أسرع من الحمير وهكذا الى السلحفاة . فاعجب لقطار أعجبنا جريه أصبح كسلحفاة بالنسبة للنور

﴿ الكثافة واللطافة ﴾

وكما عرفت اختلاف الصوت تعرف اختلاف الأجسام خفة وكثافة فترى الماء ألطف من الأرض نحو خمس مرات والهواء ألطف من الماء ٨٠٠ مرة والبخار ألطف من الماء ١٧٢٨ مرّة كما تقدّم فى التفسير فيكون ألطف من الهواء مرّتين فأكثر قليلا ثم وراء البخار الذى يعلو على الهواء النور فهو ألطف وألطف . وماهو النور . هو إما مادّة لطيفة واما عرض قائم بالمادّة فاذا كان مادّة لطيفة فكيف ينتقل من الشمس والكواكب الينا إلا على جسم يحمله الينا كما تنقل الدّواب أجسامنا وأمتعتنا وان كان عرضا فى المادّة بأن يكون تموّجا فى الأثير حصل المقصود وهو تلك المادّة اللطيفة . إذن النور لابدّ أن يكون دالا على شئ موجود إما أن يكون هو نفس ذلك الشئ واما أن يكون هو قائما به . الله أكبر . جلّ العلم وجلت الحكمة اقتربنا من المقصود وهو ماجاء فى كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ وماجاء فى كتاب اللورد (أوليفرلودج) . ان الذى جاء فى كتاب ﴿ اخوان الصفاء ﴾ هو أن هذا الفراغ الذى نراه ليس فراغا والفراغ مستحيل لأننا لا نتصوّر هذا الفراغ إلا ظلمة أونورا والظلمة والنور إما عرضان واما جوهران واما أحدهما عرض والآخر جوهر فان كانا جوهرين فقد تمّ المقصود وهو انه لاخلاء فى الكون وان كانا عرضين كالبياض والسواد فلابدّ أنهما قائمان بجوهر وقد تمّ المقصود وان كان أحدهما جوهرا والآخر عرضا فحكمهما قد ظهر مما قبلهما وهذا برهان يقيني . هذا ماجاء فى ﴿ اخوان الصفاء ﴾ فاسمع إذن لما جاء فى كلام اللورد (أوليفرلودج) المعاصر لنا الذى ألف كتابا سماه ﴿ الأثير والحقيقة ﴾ طبع فى شهر مايو سنة ١٩٢٥ ثلاث طبعات أى قبل كتابة هذه المقالة بسنتين اثنتين و بضعة أشهر . فانظر ماذا يقول فى هذا الكتاب . يقول النور اما أن يكون مادّة أوظاهرة طبيعية (يريد عرضا قائما بالمادّة) فان كان مادّة منبعثة من الأجرام السماوية فى شكل ذرات دقيقة فلابدّ من شئ يحمله كما يحمل الماء البواخر . واذا كان النور ظاهرة طبيعية أى تموّجا وجب أن يكون هناك شئ يتموّج وعلى كلتا الحالتين لابدّ من وجود شئ يحمل النور أو يتموّج فيكون النور وذلك الشئ هو الأثير . ألست تعجب معى أن يكون مايقوله (أوليفرلودج) الانجليزى هو عين مايقوله ﴿ اخوان الصفاء ﴾ و بينهما نحو ١١٠٠ سنة

اللهم ان العقول الانسانية الفاضلة فى عالمك الذى خلقته متلاقية متصاحبة والعقول الجاهلة متباعدة متنافرة . هاأناذا وصلت معك من الكثيف الى اللطيف وذكرت لك الحركات ودرجاتها . فههنا مادّة كثيفة وأخرى لطيفة وحركة بطيئة وأخرى سريعة ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ حجر وسلحفاة أوّلا ونور وحركات النور ثانيا فالنور مقابل للحجر وحركات النور مقابلة لحركات السلحفاة واعجب كيف يتلاقى الأمران فى النور جوهره وحركته . ثم انظر فى الأمر الثالث معى وهو ذهاب الآثار و بقاؤها فبقاء الآثار أشبه بالحجر و بحركات السلحفاة وذهابها أشبه بحركات النور . فانظر أمواج البحار وأمواج الهواء بالعواصف والرياح فهذه آثار سريعة الزوال ثم تذكر بعد ذلك صور العناصر المركبة فى أرضنا مثل النبات والحيوان فلها مدد أطول ثم أطول جدّا من مدى أمواج البحار وحركات الرياح من يوم الى شهر الى سنة الى مائة سنة الى أطول فى بعض الأشجار و بعض الحيوان . ثم انظر الى ماهو أطول من ذلك كآثار المؤلفين الذين أودعوا نفائس علومهم فى بطون الكتب والطوامير و بقى ذلك مئات ومئات من السنين ثم انظر لما فوق ذلك مما أودعه القدماء من الكتابة

على الأحجار والجدران المتينة الصلدة بحيث بقيت تلك الآثار آلافا وآلافا من السنين فانظر لهذا الوجود واعجب . مواد جامدة وأخرى لطيفة وحركات بطيئة وأخرى سريعة وآثار باقية وأخرى زائلة . وجود ملئ بالامور المتقابلة وكلها نافعة فى هذا الوجود

ثمرة هذا المقام معرفة حقيقة النفس الانسانية وموافقة أبحاث المورد (أوليفرلودج) فى كتابه ﴿الأثير والحقيقة﴾ المتقدم ذكره للآراء التى أودعها الرئيس (ابن سينا) فى كتاب الاشارات وأنا موقن أنك أيها الذكي فى أعظم الشوق الى أن أقص عليك قصصهما لتعجب من العلم الذى ملأ الكرة الأرضية والمسلمون اليوم هم النائمون . ثم تعجب بعد ذلك كيف يكون هذا القول فيه مناسبة لمساق الآية التى نحن بصددها واذن وجب أن أظهر لك هنا ثلاث زبرجدات ﴿الزبرجدة الأولى﴾ فى آراء الرئيس ابن سينا ﴿الزبرجدة الثانية﴾ فى آراء العلامة (أوليفرلودج) فى الكتاب المتقدم ﴿الزبرجدة الثالثة﴾ فيما يناسب ما تقدم من مساق هذه الآية

﴿الزبرجدة الأولى فى آراء ابن سينا﴾

جاء فى كتاب (الاشارات) مع كلام شارحه هذه الجملة ﴿القوة المحركة للسماء غير متناهية وغير جسمانية فهى مفارقة عقلية﴾ يريد بذلك أن المحرك لهذه العوالم كلها قوة عقلية ليست فى المادة بل هى مفارقة لها ثم ذكر بعد ذلك أن هذا العقل العام تنبعث منه نفوس وهو يمدها دائما بما عنده من العلم وتلك النفوس هى التى تقوم بعوالم السماء . فكل جرم سماوى أشبه بالجسم الانسانى له قوة كامنة فيه كقوة الانسان نسميه نفسا وفوق هذه القوة شئ نسميه عقلا وله السلطة عليها كما تجد فينا نحن عقلا له السلطان على نفوسنا الشهوية ويقول إن الله أول ما خلق انما خلق العقل الأول الذى ليس بجسم ولا هو جزء من جسم ولا يتعلق بجسم بل هو عقل محض وهذا العقل المحض تولدت منه النفس المذكورة والنفس المذكورة أهل لملابسة الأجسام وكل جرم سماوى له عقل وله نفس وآخر العقول العقل الانسانى وله اتصال بالعقول العالية المستمدة من العقل الأول الذى يستمد من الله وهذه العقول كلها مع اختلافها فى الدرجة ليست فى مادة كما انها ليست مادة ولا جزأ من مادة فهى مفارقة

ومما يستدل به هو وغيره على أن الآثار فى الأرض للعقول لا للأجسام . إننا نرى الشمس تسخن الأرض وتجعلها قابلة لبعض الأعراض والسخونة نراها باقية بعد ذهاب ضوء الشمس . وهكذا نرى الثمار والحبوب قد صارت صالحة لما يراد منها بواسطة الشمس وحرارتها وتبقى تلك الصفات فيها وان فارقت حرارة الشمس فذلك من الدلائل على أن هذه الآثار ليست للعالم الجسمى بل لعالم عقلى وما الشمس ولا الهواء ولا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة إلا معدات ومؤهلات لا مؤثرات وكيف يكن مؤثرات وقد بقى الأثر مع عدمها هى . فهذا من ثمرات كون المؤثر فى العالم المادى عالما عقليا مفارقا للمادة . ثم يقول بعد ذلك

أول موجود هو العقل الذى له السلطان على هذه العوالم كلها وهكذا العقول الأخرى ثم يليها صور الأفلاك والعناصر ثم يليها مواد العوالم العلوية والسفلية والمادة (الهيولى) هى أخس مراتب الوجود ثم يرتقى الوجود فيكون معدنا فنباتا فحيوانا فانسانا والعقل الانسانى أعلاه يكون منه عقول الحكماء ونحوهم وهى العقول التى رسمت فيها صور الوجود على ما هو عليه بقدر الطاقة البشرية فصار هؤلاء أقرب الى العقول العالية الفلكية والعقل الأول وان كانت صور الموجودات فى الانسان انفعالية وهى فى العقول العالية فعلية . ومعنى هذا أن صور الموجودات فى العقول الانسانية جاءت بواسطة المخلوقات التى وجدت بتأثير العقول العالية المحيطة بهذا الكون و بتأثيرها هى فى عقولنا فلا عقل فى الأرض يدرك علوما إلا اذا استمد هذه القوة من العقول العالية كما ان أرضنا قد استمدت جرمها من جرم الشمس ونحن استمددنا أجسامنا وأغذيتنا من الأرض فالأصغر يستمد من الأكبر عقلا كما استمد منه جسما . ههنا وصلنا الى بيت القصيد من هذا الموضوع . لقد قدمنا

ان

أن الحجر والسلحفاة يغايران الضوء وحركة الضوء . وأن بقاء الأمواج المائية والهوائيــة أقل من بقاء النبات والحيوان وهــذان بقاؤهما أقل من بقاء بعض الكتب المؤلفة والكتابة على الأحجار أبقى وأدوم . فهنا نقول هانحن أولاء نرى أن علماء الفلسفة قديما كالرئيس ابن سـينا يقولون ان هناك دواما لصور العلوم فى العقل الأول والعقول التى بعده وأن هذه العوالم العلوية كلها ذات نفوس كنفوسنا وعقول كعقولنا وأن عقولنا مستمدة من العقل الفعال الذى فى فلك القمر . هذا كلامهم وهذا رأيهم على مقتضى ما وصل اليه العلم فى زمانهم و يقولون إن هذه العقول الانسانية لهذا العقل الفعال أشبه بآلات له وهذه العقول السماوية تدبر هذه العقول الانسانية . هذا قولهم و يقولون ان تلك العقول العالية بالنسبة للعقول الانسانية أشبه بالشمس بالنسبة للعيون البصرية . فكما أن العين لاتبصر إلا بضوء كضوء الشمس كذلك هذه العقول الانسانية لا بصيرة لها ولافهم إلا باشراق تلك العقول العالية عليها وهذه العقول رسم فيها هذا العالم كله . إذن نرجع لمثالنا ونقول هذه العقول تبقى العلوم فيها سرمدا أبدا فهى تفوق فى البقاء الأمواج فى الهواء والماء وصور النبات والحيوان وكتب المؤلفين والكاتبين على الأحجار وعقولنا نحن تصبح بعــد الموت حافظة لكل ما وقع لها لاتنساه كما قال تعالى ــ وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا ــ

هذا كلام المتقدمين من الفلاسفة الاسلاميين وبه تمت الزبرجدة الأولى

﴿ الزبرجدة الثانية فى ذكر ماقاله العلامة (أوليفرلودج) الموافق لآراء الرئيس ابن سينا ﴾

ها أنت ذا اطلعت على آراء الفلاسفة المتقدمين وطريق تفكيرهم بطريق الرئيس (ابن سينا) الذى نقل هو والعلامة الفارابى قبله (١) علوم علماء الاسكندرية الذين لخصوا فلسفة اليونان والرومان (٢) وعلوم علماء اليونان الذين هم أساتذة علماء الرومان كسنيكا وشيشرون ومن بعدهــم وقد جاء فى تاريخ الفارابى أنه قرأ الفلسفة على أساتذة تعلموها من علماء بالاسكندرية . وقد كانت النصرانية حرمت عليهم التوغل فيها بعد الصدر الأول من التاريخ المسيحى . فها هوذا طريق تفكيرهم . يقولون بالعقول و بالنفوس السماوية ثم بالعقل الانسانى الذى تفيض عليه العقول العالية المفارقة للمادة وهومثلها مفارق لها . فاذا مات الانسان لم تمت روحه لأنها فى طبعها مفارقة للمادة فكيف تفنى . هذا كلامهم فاسمع إذن لما يقوله السر أوليفرلودج

(١) المادة (٢) الحى (٣) العاقل (٤) الأثير (٥) كل من علاقة الحياة والعقل والنور والكهرباء والمغناطيس بالأثير (٦) تأثير العقل فى المادة وسيادة مالانراه من العواطف على مانراه من المادة (٧) انتقال الآراء من الدماغ الى الأعصاب الى الأيدى مثلا الى الورق أوالهواء الى عقول الآخرين بتوسط حواسهم وأعصابهم . ثم أبان فهم العقل الانسانى لآثار العقل الكلى الذى أحاط بهذه العوالم كفهمه لآثار العقل الانسانى هــذه صفة تفكير السر (أوليفرلودج) . هذه صفة تفكير علماء العصر الحاضر . هؤلاء الذين درسوا عالم السموات والأرض فرأوا أن الشموس والكواكب ليست شيأ سوى انها مركبة من عناصر مثل التى ظهرت لنا فى أرضنا كالنحاس والحديد والبوتاسيوم والصوديوم . عرفوا ذلك بطريق النور . ذلك النور الواصل من تلك الأجرام المضيئة الذى هو مركب من ألوان سبعة تتخللها خطوط سود تلك الخطوط تتنوع فى الأجسام المضيئة بحيث تخالف خطوط الحديد السوداء مثلا نظائرها فى النحاس عند التهابهما . فبهذا عرفوا مواد الشمس وغيرها من الكواكب الثابتة والسيارة . فاذن صرفوا طرق التفكير عن منهج القدماء الذين ظنوا أن هذه عوالم من عنصر غير عناصر الأرض . الفلاسفة القدماء كانوا يفكرون ذلك التفكير ليوصلهم الى ماشعروا به فى نفوسهم من بقاء الأرواح فتحيلوا على ذلك بما سمعته فانهــم رأوا هذه النفوس الانسانية قد تخبر بما غاب فى الرؤى فيتم ذلك فاحتالوا بالطرق العلميــة على اثبات بقائها واتصالها بعوالم أخرى . هكذا علماء العصر الحاضر كاللورد (أوليفرلودج) . هؤلاء الذين لما صدق بعضهم بعالم الأرواح ومناجاتها أخذوا

يقرّرون ذلك بالطرق العامية المعروفة فى زماننا فتراهم يقولون ان العالم الذى نحن فيه ليس من المادّة وحدها بل فيه عالم غيرمادّى . يقول السر (أوليفرلودج) الذى هو سائر على نهج التفكير العصرى . اننا نظرنا المادّة فوجدناها خالية من الحياة فى العناصر والمعادن والسوائل والغازات والكهرباء ثم رأيناها ارتقت فى (البروتو بلازم)

(١) المادّة والحياة وهى (المادّة التى ظهرت فيها الحياة) بصفة (مركب هلامى) ثم نرى تلك الحياة تزداد ارتقاء طبقا عن طبق حتى وصلت الى العقل

(٢) ولاريب أن الحياة العامّة والعقل الانسانى لم ندركهما وانما عرفناهما بآثارهما . فنرى الحيوان يتحرّك ويحسّ ونرى الانسان يبنى ويزرع وينظم فحكمنا بالحياة فى الأوّل والحياة والعقل فى الثانى

(٣) ثم رأى العلماء ﴿ أمرين عجيبين ﴾ منذ القرن التاسع عشر فى عهد (نيوتن) وهما الجوهر الفرد الذى أثبتوه بالامتحان العلمى والأثير الذى لم يحكموا عليه لعدم خضوعه للامتحان العلمى لأنه لاشكل له كالمادّة ولاهومركب وانما عرفوه كما قدّمناه فى هذا المقال بطريق النور الى آخر ماتقدّم

(٤) النور والمغناطيسية الخ مع الحياة والعقل . ثم ان هذا النور فيه حرارة والحرارة تنقلب الى حركة والحركة الى كهرباء والكهرباء تنقلب ضوأ . فهذه الظواهر ينقلب بعضها الى بعض . فالنور كهرباء والكهرباء نور وكل هذه الظواهر فى العالم الذى سميناه (أثيرا)

﴿ تأثير مالانراه من العقل والحياة فيما نراه من المادّة ﴾

يقول السر (أوليفرلودج) ماملخصه ان هذا العالم كما تقدّم فيه المادّة وغيرالمادّة وأكثر العلماء على ذلك فالحياة والعقل والحبّ والرحمة والغرائز المتنوّعة فى سائر الحيوان هى التى لها السلطان على المادّة . ألاترى اننا نعلم أن فى خلايا الدماغ قوّة تنبع من هناك وتسير فى الأعصاب فالأعضاء فيتكلم اللسان وتكتب اليد والكلام يحمله الهواء والكتابة يحملها الورق أوالأحجار أوالمبانى . والهواء يسلم الكلمات لأذن السامع وأذن السامع توصلها للأعصاب والأعصاب توصلها الى خلايا الدماغ عندالسامع وهكذا الكتابة يراها القارىء صورا فى الورق أوعلى الأحجار فيعقل صور معانيها فتنتقل الى المخ فيعقلها الانسان بطرق مجهولة للناس كل الجهل وهكذا ارسال البريد البرقى بسلك وبلاسلك على هذا النمط بل من الناس من يخاطب بعضهم بعضا بطريق أخرى لادخل للمادة فيه المسمى (التلبطية)

فهاهوذا الانسان استخدم المادة لتحمل مافى ذهنه الى ذهن الآخرين . إذن المادة مثى وراكبها العقل والعواطف لانراها . رأينا الدابة ومارأينا راكبها . راكبها من عالم لطيف لايرى كما لايرى الأثير الذى يحمل رسائل عقولنا فى البريد البرقى (التلغراف والتلفون) ويحمل صور الموجودات فى النور فيوصلها الى العين ومنها الى العقل . إن الحامل لذلك هوالأثير الذى يحمل النور أوالنور ظاهرة من ظواهره . ويقال فى علم الأرواح الحديث ان للجسم الانسانى جسما آخر على صورته من عالم الأثير أشبه بما يراه الانسان من صورته فى المرآة . فصورة الانسان فى المرآة من عالم الأثير ولذلك أمكن بقاؤها بالتصوير الشمسى . فهذا الأثيرى يتربى مع هذا الجسم الطبيعى . فهل اذا فنى الجسم الطبيعى تفنى الروح أى هل اذا فنى الفرس يحتم فناء الفارس . كلا . إن الجسم الانسانى أيضا لايفنى بعد الموت ولكن مادته تحوّلت الى أجسام أخرى . إذن الجسم لايفنى وقد تحوّل فكيف نحكم بفناء الروح . فهذه الروح الباقية التى لاتفنى والتى استقرّت فيها علوم الانسان ومعارفه باقية وقد استخدمت المادّة والأثير فى فهم عقل الانسان الآخر . وهكذا فهمت هذه النفس النظام العام للعقل الكلى المحيط بعوالمنا الأرضية والسماوية وعلى قدر فهمها من تدبير ذلك العقل ونظامه يكون ارتقاؤها واختراعها وباتصال بعض النفوس فى الأرض بذلك العقل تقدر على الاختراع والابتداع ونظام

الجمال

الجمال وجمال النظام . وعلى ذلك أصبحت النفس اليوم فى العلم الحديث أشبه بالرجل الذى يضرب على آلة الطرب فاذا كسرت الآلة فهو حىّ باق . ذلك هو رأى اللورد (أوليفرلودج) فى النفوس الانسانية والحمد لله رب العالمين

﴿ الزبرجدة الثالثة فى مساق هذه الآية ومناسبته للعلم الحديث وأن هذه من عجائب القرآن ﴾

يقول الله تعالى — وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شئ فصلناه تفصيلا * وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * إقرأ كتابك — الخ

ياعجبا كل العجب . هاهوذا ذكر النور والظلمة وجعل النور مبصرا . لماذا . لنطلب الرزق ولنعرف علم الفلك ولنعرف علم الحساب ثم يقول بعد ذلك كلاما آخر . يقول ان كل شئ مما يرى ومما لايرى فصله تفصيلا . فأما مايرى فقد تقدم . وأما مالايرى فهو مسألة كتاب حساب الانسان الذى جعله الله ملازما للانسان وهذا الكتاب سيقرؤه الانسان يوم القيامة . إذن ماالسبب فى ذكر هذه الجملة بعد النور والحساب المستنتج منه ذكر النور وذكر سير الكواكب والحساب الذى لايتمّ ذلك إلا به ثم أتبعه بجملة تصل مايرى بمالايرى ثم شرع فى ذكر مالايرى وقال انكم ستقرؤن كتابكم بأنفسكم وتعرفون حسابكم منه

أفلاترى أيها الذكي أن للنور علاقة بهذا الموضوع والنور هو تموّج فى عالم الأثير وعالم الأثير هو الباقى كبقاء أرواحنا وأرواحنا تكمن فيها آثارنا . إن لذكر النور هنا وذكر طلب المعاش الذى هو أمر مادّى ثم اتباعه بذكر ماهو ألطف من علم سير النجوم والحساب ثم ماهو ألطف وهو كتاب أعمال الانسان يدل على أن المساق واحد وأن النور الذى نراه كما كان مكملا لأمر المعاش المحسوس وأمر الحساب المعقول قد سرى الى ألطف من ذلك وهو كتاب الحساب للانسان بعد الموت الذى هو أقرب الى عالم الأثير الذى هو باق لايفنى والذى كان النور المذكور ظاهرة من ظواهره

فاذا سمعت الله يقول — الله نور السموات والأرض — فهمت أن الأمر عظيم فان هذا النور الذى نراه ولانعقله يتصل بأمر باق عظيم لطيف وهو الأثير والأثير لايضيع فيه شئ بل هو حافظ لمافيه فلايذهب منه شئ فهو أشبه بمرآة للوح المحفوظ . إذن نحن نعيش فى عالم الجمال ونتصل بالبهجة والكمال وتحيط بنا العلوم والعقول ونحن محبوسون . اللهم أنر بصائرنا حتى ندرك الجمال ونعشق ذلك العالم الجميل حتى نفرح بالموت فرح العاشق الذى غاب عن معشوقه فتمنى لقاءه . إن هذه الحياة إن لم تكن سببا فى حبنا للخلوص من المادّة وللموت فانها تكون حملا ثقيلا لم يفد الفائدة المطلوبة * وفى الحديث ﴿ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه ﴾ انتهى والحمد لله ربّ العالمين

﴿ اشراق وبهجة لفهم ماتقدّم ﴾

لعلّ أكثر الأذكياء الذين يقرؤن هذا التفسير قد طالت عبارات الرئيس (ابن سينا) وعبارات السر (أوليفرلودج) عليهم فعسر عليهم تلخيص المعانى . فهاأناذا ألخصها ليفهمها العموم فأقول

﴿ آراء القدماء من الفلاسفة ﴾

كان قدماء الحكماء من يونانيين ورومانيين واسكندريين وفلاسفة اسلاميين أكثرهم يؤمنون بالله وبالعقل وبالنفس . وملخص ذلك انهم رأوا نفوسا حيوانية يصدر عنها الحسّ والحركة وعقولا يصدر عنها الحكمة والفهم . ذلك مشاهد فى الحيوان والانسان فرأوا الشمس والقمر والكواكب ولها حركات كحركات الحيوان فقالوا هذه حركات منظمات والحركات نتيجة نفوس قائمة بتلك العوالم العالية والنظام نتيجة عقول مدبرة لها فكما رأينا للانسان حركات نتجت من نفس تدبره تدبيرا منظما غالبا من عقل يفكر به . هكذا نرى هذه العوالم العلوية لها نفوس ولها عقول وكل عقل فى السموات يستمدّ من عقل أعلى منه وهكذا حتى تنتهى

السلسلة الى العقل الأوّل والعـقل الأوّل مستمدّ من الله مباشرة . وهذه العقول كلها لاعلاقة لهـا بالمـادّة إلا كعلاقة الملك بالمدينة فقد يدبرها وهوخارج عنها . إذن العقل الانسانى له صلة بالعقول السماوية المتصلة بالعقل الأوّل المستمدّ من الله . فهذه العقول الانسانية نسبتها لمـا يسمى بالعقل الفعال كنسبة العين والأذن وحاسة اللمس والذوق والشم للنفس الانسانية . فهذه العقول الانسانية مستمدة من العقل الفعال ومتصـلة به وهذا العقل الفعال متصل بمـا قبله وهكذا ــ وان الى ربك المنتهى ــ

وماهذه النفوس الانسانية والفلـكية إلا كالغضروف الذى يكون بين العظم واللحم فيكون صلة بينهما فالعظم لايمكن ايصاله باللحم . لذلك جاء الغضروف مناسبا للحم من جهة وللعظم من جهـة . هكذا نفس الانسان الشهوية والغضبية وقوّة الحس والحركة فهى تناسب العقل من جهة أعلاها وتناسب البدن من جهة أدناها فتكون صلة بين عقولنا واجسامنا . ونحن فى كل آن نحسّ فى أنفسنا بشئ يردعنا و يؤنبنا و يعطينا علما وحكمة فذلك هو العقل المتصل بالعقول العالية . هذا كلامهم وهذا صورته

(١) عقل (٢) نفس لهـا حسّ وحركة يظهران فى جسم

(٣) جسم مركب من لحم وعظم وأوردة وشرايين الخ

أما السر (أوليفرلودج) فانه يقول . هنا شيآن لانراهمـا الأثير والروح والأثير يقوم به النور والـكهرباء والحرارة والمغناطيس . الروح يكون معه الحياة والعقل والحبّ والبغض والرحمة والحسد الخ والنور وماعطف عليـه يكون منها وضوح المبصرات والتلغراف والتلفون وأن تدورالآلات النافعـة للسق والطحن والخبز الخ والروح وتوابعها يكون منها الحسّ والحركة وصون العلوم والاقتراب والابتعاد وافاضة الخير وايصال الاذى الخ وهاتان همـا الصورتان لهما

(أثير)

نور لظهور المبصرات	كهرباء	مغناطيس	حرارة

لادارة الآلات النافعة وايصال الأخبار وتسهيل الأسفار

(روح)

بغض لافتراق الأجسام	حب لتقارب الأجسام	عقل لنظام الحياة	حياة للحس والحركة	حسد لايصال الأذى للناس	رحمة لايصال الخير

فها أنت ذا رأيت أن هنا ﴿ درجات ثلاث ﴾ الروح والأثير وهمـا لانراهمـا وقد صدرعنهما الدرجة الثانية وهى قريبة منهما فلانرى الـكهرباء ولاالمغناطيس ولانرى العقل ولا الحبّ وهـذه الدرجة الثانية فى المقامين ظهرأثرها فى الدرجة الثالثة فى الأجسام المحسوسة فترى الآلات الدائرة بالـكهرباء والأجسام المتحركات بالحياة وتكون النتيجة أن مالانراه يؤثر فيما نراه . ثم إن العـقل والأثير والحياة كلها أصبحت من واد واحد وقد علمنا أن المـادّة التى نراها لاتنعدم بل تتغير صـفاتها لاغير فمن باب أولى عالم الأثير وعالم الحياة والعـقل فانها أولى بالبقاء واذن تكون عقولنا وحياتنا وعواطفنا باقيـة . هذا ماأردت ايضاحه لتقف على آراء المتقدّمين والمتأخرين واتفاقهم على بقاء الروح إما بالبرهان القديم من اشـتقاق أرواحنا من عقول فوق عقولنا لاتفنى واما بالبرهان الحديث من أن الأثير والروح من واد واحد لايفنيان انتهى

بهذا

بهذا نفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - . ويقول علماؤنا ان العالم ﴿ عالمان ﴾ عالم الأمر وعالم الخلق وعالم الخلق يدخله التقدير والمساحة وعالم الأمر لايدخله تقدير ولامساحة ولاشكل له . أليس من عجب أن يكون كلام السر (أوليفرلودج) العالم الطبيعى فى زماننا هوعين مايقول علماؤنا فى تفسير الآية كالعلامة الرازى . الله أكبر . اجتمع علماء الدنيا أى أكابرهم على بقاء الروح وأحوالها

ومن المدهشات أنك ترى علماء الاسلام قديما لما كفر المسلمون فلاسفتهم رجعوا الى المواربة والتقية فيقول العلامة محيي الدين بن عربى كما نقلته فى آخر سورة هود عنه ان عذاب الأنفس بعد الموت ماهو إلا كالمرض يعترى الجسم فى الدنيا . ويقول العلامة الغزالى فى بعض كتبه ﴿ إن أكثرالناس أقرب الى الخير وأقلهم من نال أعلى مقام أوانحطّ الى دركات الهوان كما نشاهد ذلك فى الجمال . فكمال الجمال وكمال القبح كلاهما قليل والمتوسطون هم أكثرهم ﴾

أقول يقولان ذلك لأن هذين القولين مذكوران فى كتاب (الاشارات) لابن سينا . إذن أكابر الصوفية من المسلمين تستروا بالتصوّف وأدخلوا الحكمة وجعلوها من ضمن الكشف وذلك بسبب المرض العقلى الذى حلّ بأمم الاسلام فاختلت حياتهم وضاعت دولهم ولله عاقبة الامور . وسيرجع لهذه الأمم مجدها ورفعتها وعزّها بعد ظهور هذا التفسير وأمثاله والله هوالولىّ الحميد . انتهى

اعلم أيها الذكى أنى لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك فى ليلة الثلاثاء ١٣ ديسمبرسنة ١٩٢٧ فاضطجعت للاستراحة فأخذتنى سنة من النوم فرأيت جماعة يسألوننى فقال قائل منهم هل كل ما كتبته فى هذا الموضوع قام عليه البرهان . قلت كلا بل فيه بعض البراهين الاقناعية والخطابية وماهو أقلّ من ذلك وانما فعلت ذلك لأبين للناس كيف كان الناس يفكرون قديما وكيف يفكرون حديثا فرأيت انهم سرّوا بهذا الجواب ثم استيقظت حالا فكتبت هذا وخطر لى أن هذا مناسب لما قاله (سقراط) الفيلسوف لتلاميذه قال ﴿ لعلّ ماسمعتموه يكفى لاثبات بقاء النفس بعدالموت وفى الأقل ترجيح هذا الرأى على غيره وهى الغاية القصوى التى يمكن ادراكها فى هذه الحياة فى هذا الموضوع ﴾ اهـ

فهذا القول من (سقراط) يفيدنا أن العلم بامورالحياة عقلا انما يعطى فكرة الترجيح لا التحقيق التام لأننا فى هذه الأجسام الأرضية وذاك عالم أعلى . فهذا العالم الأعلى يعرف بحال أخرى غيرالبرهان مثل مايوقن به بعض علماء الأرواح أو بعض أهل الرياضة والصلاح أونحوذلك وقد رأيت أن أنقل لك ماقاله الفيلسوف (سقراط) لتلاميذه نقلا عن كتابى ﴿ الأرواح ﴾ فربما كانت هذه الرؤيا يقصد منها اثبات ذلك هنا فهاك ما كتبته هناك بنصه

﴿ المجلس الحادى عشر فى بيان براهين (سقراط) على بقاء النفس وكيف كان مبدأ التفكير عند المؤلف وكيف استدلّ ابن مكسويه عليها وهيئة المفكرين فى هذا العصر الحاضر ﴾

قابلنى الشيخ شيرمحمد وقال . لقد فهمت فى المجلس السابق كيف كان انتشار الروحانية فى الدنيا وطرق الاحضار واليوم أرجوأن تذكر لى كيف أنكرالناس فى هذا العصر وكيف ينسبون هذا الانكار الى رجال مجلة مشهورة فى هذه البلاد . فقلت ياشيرمحمد ان الناس على أقسام فمنهم المفكرون الناظرون ومنهم المقلدون فأما المفكرون فما أحراهم أن ينظروا بعقولهم وكثير ماهم فى بلادنا وقد يطلعون على آراء أفلاطون وسقراط وقدماء الفلاسفة ومحدّثيهم . فأما براهين المتقدّمين العقلية فمنها ماقاله (سقراط) ترجمة الفيلسوف (سنتلانه) الطليانى والقفطى المصرى وهذا نصها

﴿ أوّلا ﴾ إنا نشاهد الضد يتولد عن ضده فالجميل ينشأ عن القبيح والعدل من الجور واليقظة من النوم والنوم من اليقظة والقوّة من الضعف وبالعكس فالأشياء يستحيل بعضها الى بعض ثم ترجع بصفة دائرة

الى ما كانت عليه . والحياة والموت والوجود والعدم نقيضان فالوجود ينشأ من العدم والموت ينشأ من الحياة وعلى ذلك يلزم أن تنشأ الحياة من الموت إذ لابد أن يكون للموت ما يناقضه والا فقد خالفت الطبيعة قاعدتها المطردة فى جميع الأشياء

﴿ ثانيا ﴾ مايستدل به من طبيعة العلم وذلك أن العلم إنما هو تذكر النفس ما كانت قد علمته فى حياة سابقة ومصداقه أن أجهل الناس اذا سئل سؤالا منظما عن مبادى الهندسة مثلا وانتقل به السؤال من أصل الى أصل شيأ فشيأ على الترتيب فقد يجد من نفسه مبادئ الهندسة ومبادئ كل علم وهذا لايمكن إلا اذا كانت الاصول منطبقة فى فطرته موجودة عنده قبل ولادته . وهنالك دليل آخر من هذا النوع وهو انا لولا فرضنا علما سابقا موجودا فى ذهننا ما أمكننا من فهم شئ من الموجودات فاننا اذا قابلنا شيأ بآخر مثلا ما أمكن أن نقول إنه مساو أوغير مساو ولولم يكن فى ذهننا قبل كل مقابلة معنى المساواة المطلقة التى لم نستفدها من الأشياء المحسوسة إذ لاشئ منها يتحقق فيه المساواة إلا بنوع التقريب ومسامحة توجب أن يكون معنى المساواة مرتسما فى ذهننا حتى نحكم على الأشياء انها متساوية أوغير متساوية . ومثل هذا مايحكم به فكرنا كالجمال والعدل والوجود وغيره فان ذلك يستدعى معرفة تلك المعانى قبل الحكم عليها فيلزم منه أن العقل البشرى انما اكتسب هذه المعرفة بمشاهدة تلك المعانى صافية غير مشوبة بالمادة قبل ورودها الى هذا العالم وهذا من كلام (سقراط) فى الدلالة على أن النفس كانت موجودة قبل هذه الحياة . أما الدليل على انها موجودة بعد الموت فقد قال أيضا ما يأتى

﴿ ان النفس جوهر غير مرئى فيلزم انه على غير طبيعة الأجسام لأن من طبيعة الجسم أن يكون مدركا باحدى الحواس . واذا كانت على غير طبيعة الجسم فهى إذن غير مركبة لأن التركيب من طبيعة الأجسام واذا كانت بسيطة فانها غير قابلة للانحلال لأن الانحلال يعترى المركب الى المواد التى منها تركب . فاذا كانت النفس بسيطة لم يتصور انحلالها . إن النفس هى الآمر والبدن هو المأمور . فمن طبيعة الامور الالهية أن تكون آمرة ومتصرفة . ومن طبيعة الامور السفلية أن تكون مأمورة فالنفس إذن من الامور الالهية وهى غير قابلة للزوال فهى اذا بقيت على صفائها وفطرتها من غير أن تشارك البدن فى أدناسه فانها تلتحق بعد الموت بموجود مثلها فتبقى معه سعيدة مبتهجة محررة من أوهامها وأخوافها وكل ما كان يسخرها ويهوش عليها إذ كانت فى قيد الحياة . واذا تركت البدن ملوثة مدنسة غير معتقدة من الوجود إلا ما يؤكل و يشرب ويدرك بالحس فلا يسعها إلا أن ترجع الى حياة مشاكلة لطبيعتها ﴾ الى أن قال

﴿ وأما الالتحاق بالعالم الأعلى الالهى فلا يجوز إلا لمن ترك الحياة وهو فى غاية من النقاوة والصفاء وهذا مختص بالفيلسوف الحقيقى دون غيره ﴾ ثم سكت (سقراط) برهة وقال ﴿ لعل ماسمعتموه يكفى لاثبات بقاء النفس بعد الموت وفى الأقل ترجيح هذا الرأى على غيره إذ هى الغاية القصوى التى يمكن ادراكها فى هذه الحياة فى هذا الموضوع ﴾ فاعترض عليه بعض تلامذه ﴿ باعتراضين * الأول ﴾ انه لقائل أن يقول ان النفس للبدن كالألحان لآلات الموسيقى فاذا انكسرت الآلة وفسدت لم يبق للألحان وجود وهكذا يمكن أن يقال ان النفس ماهى إلا نتيجة تكافؤ العناصر واعتدالها فى المزاج الانسانى . فاذا فسد الاعتدال وتلاشى المزاج تفسد النفس لامحالة ﴿ والاعتراض الثانى ﴾ أن يقال . قد سلمنا وجود النفس قبل هذه الحياة وانها أفضل من البدن وأقوى منه وانها تبقى بعد موته . غير أنه لايترتب على ذلك بقاؤها على الدوام إذ قد يمكن أنها تبقى بعد موت بدنها ثم تفنى كما يموت الانسان وهو قد أخلق الثوب بعد الثوب ثم يموت عن آخر ثوب قد أخلقه فأجاب (سقراط) عن الاعتراض الأول بقوله ﴿ انا اذا سلمنا أن التعلم إنما هو تذكر النفس ما كانت قد علمته فى حياة سابقة فلا يسوغ أن يقال ان النفس نتيجة اعتدال المزاج إذ لو كان كذلك ماسبق وجودها

وجود المزاج فكيف تتذكر معلوماتها فى حياة سابقة فاذا وجب الاعتراف بأن العلم لايتصوّر إلا بوجود هذه المعلومات السابقة فى النفس لزم منه أن لاتكون النفس نتيجة المزاج . وأيضا لوكانت النفس نتيجة المزاج لكانت تابعة للمزاج ولاتخالفه فى شئ بل تكون مسخرة له وتجد خلاف ذلك فى الواقع إذ قد نرى النفس تنهى البدن عن أشياء وتأمره بأشياء وتتصرّف فيه بوجوه مختلفة وهذا يدل على أنها مغايرة للبدن مستقلة عنه وان جوهرها أعلى وأفضل من طبيعة البدن إذ لوكانت تابعة للمزاج لما كانت تفارقه فى شئ ما ولما كانت النفس تختلف عن النفس إذ لافرق بين الألحان والألحان إلا فى القوّة والضعف لامن حيث انها ألحان . ونحن نشاهد أن بين النفوس تفاوتا عظيما . وأما ﴿الاعتراض الثانى﴾ فجوابه أن الأشياء المحسوسة الفانية لايتصوّر قيامها إلا بوضع معان غير محسوسة أزلية كاملة الوجود وأن هذه المعانى مادامت فهى لاتقبل شيأ مما يناقضها . ومثال ذلك أن العدل لايقبل شيأ من الجور والمساواة لايدخلها شئ من التفاوت والفرد مادام على جوهر الفردية لايقبل شيأ من الزوجية والعكس بالعكس . والقول فى النفس مثل القول فى المعانى سواء بسواء إذ تقرّر أن النفس جوهر مسيطر قائم بنفسه مجانس للمعانى فيكون حكمه مثل حكم المعانى من عدم قبول الضد والنقيض . ولاشك أن النفس أصل الحياة فهى إذن حية من ذاتها وهى إذن لاتقبل نقيضها أى الموت مادامت على جوهرها وهوالحياة . فكما أن الفرد لا يكون زوجا والعدل لا يكون جورا ما بقيا على حالها كذلك النفس لاتقبل الموت ولايداخلها الفناء فهى إذن أزلية . ثم اذا كان الموت نهاية كل شئ كان فيه فائدة عظيمة للشرير والظالم فانهما يستريحان بالموت من أنفسهما ومن البدن ومن شره ومن عواقب الشرّ دفعة واحدة . وهذا مما لايرتضيه العقل ولاالانصاف فتعين أن نعتقد فى النفس أنها اذا فارقت البدن فقد تحمل معها ما كانت عليه من الأوصاف إن خيرا فخيرا وان شرا فشرا فمن ترك وهو فى قيد الحياة ملاذ البدن ومتاع الدنيا واجتنبها كما يجتنب مالايعنى أو يضرّ ولم يطلب إلا مايعين على العلم وزين ضميره بالعفة والعدل والمروءة والحرّية والصدق فله أن يترقب وقت السفر من غير اضطراب كمن تهيأ للرحيل

وكل ماتقدّم من المحاورة الموسومة فاذون أوفيذون كتبه القفطى فى تاريخه وفيها زيادات ترجمها الفيلسوف (سنتلانه) الطليانى أدخلتها هنا . وقد اطلعت على كتاب بالانجليزية مطوّلا بهذا العنوان ومالدينا من كلام القفطى والاستاذ (سنتلانه) الطليانى مختصره

﴿ كيف كان مبدأ تفكر المؤلف فى أمر الروح ﴾

ولما انتهى بنا القول الى هذا المقام قال شيرمحمد قد فهمت ماقلت من آراء (سقراط) وأن الروح عنده قديمة وعرفت براهينه الاقناعية ولكنى أريد قبل أن نخرج من قسم المفكرين الى قسم المقلدين أن تخبرنى كيف كان أوّل مافكرت فى هذا المقام فقد رأيتك فى كتاب ﴿التاج المرصع﴾ تبدأ بالشكّ فى نظام هذا العالم وتبين كيف كان تشككك وكيف كنت تطلب الحقيقة بنفسك فأرجو أن تبين لى السبيل التى سلكتها حتى تعرف حقيقة الروح وهل كان الشكّ مبدأ أمرك فيها . فقلت اعلم ياشير محمد ان مبدأ أمرى فى مسألة الروح كان الشك المطلق بل الانكار . ذلك أنى كنت يوما واقفا فى حقلنا بأرض كفرعوض الله حجازى بجانب نهره المسمى ترعة كفرعوض الله وكنت أزاول بعض العمل فاعترانى دوار اضعف صحتى فجلست مدّة فلما أفقت مما أغشى علىّ نظرت فى أمر الروح وقلت ياليت شعري اذا كنت الآن لا أزال حيا لم أفارق الجسم وماهو إلا أن أغشى علىّ حتى فقدت الشعور والاحساس فكيف تكون حالى اذا فارقت الجسم وتفرّقت الأوصال وتناثرت الأعضاء فهل يبقى لى عقل أوعلم وكنت إذ ذاك فى زمن العطلة الأزهرية وكانت سنى حوالى العشرين ثم بعد ذلك رجعت الى الأزهر وأنا منكب على طلب العلوم اللسانية والشرعية فذات ليلة رأيت وأنا نائم فى مقابر قريتنا (كفرعوض الله حجازى) وكأن قائلا يقول انظر فنظرت فى الجوّ فرأيت كأن هناك نورا

أبيض مغمورا فى وسط الزرقة فقال هـذه هى الروح وكانت ليلة الخميس فلما استيقظت قمت مع رفاقى المجاورين للرياضة خارج القاهرة قاصدين بيت أحد أقاربنا فلما جلست وجدت فى الطاق كتابا فأخذته فاذا هو كتاب ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ للشيخ أبى على أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ولم يكن لى عهد بهذا الكتاب ولا بغيره من الكتب الفلسفية فتصفحته فوجدته ابتدأه بالبرهان على وجود النفس وأتى ببراهين أشبه بما تقدم ذكره عن (أفلاطون) و (سقراط) فنها أننا لما وجدنا فينا شيأ يضاد الجسم وأعراض الجسم ويباينهما كل المباينة حكمنا أنه ليس بجسم ولاجزأ من جسم ولاعرضا . ألاترى أن الجسم المثلث لايقبل التربيع إلا بعد زوال الصورة الأولى وهى التثليث وهكذا سائر الأشكال والأعراض ليس يقبل الجسم واحدا منها إلا اذا خلع الآخر والعقل نراه يقبل سائر الأشكال والألوان والمقادير فليس يتغير بل يقبلها كلها دفعة واحدة وهذه العلوم تزيد العقل قوّة بخلاف الجسم فلايقبل إلا لونا أوشكلا ولايجمع شكلين معا . وهذا هو التباين العظيم بين المادّة والعقل ومنها أن القوى الجسمية لاتعرف العلوم إلامن الحواس فتتشوّقها بالملامسة والمشابكة كالشهوات البدنية ومحبة الانتقام والجسم يزداد بهاقوّة فهو يفرح بها . فأما النفس فانها كلما اقتربت من المادّة ضعف ادراكها . وكلما رجعت الى ذاتها ازدادت قوّة . ومنها أن النفس تحرص على العلوم والامور الالهية ولايتشوّق شئ الى ماليس من طبعه ولاينصرف عما يكمل ذاته ويقوّم جوهره فالنفس بانصرافها عن الحواس عند التفكير لتكمل معارفها مخالفة أفعال البدن فهى إذن جوهر مفارق للبدن . ومنها انها أخذت مبادئ للعلوم غير التى أخذتها عن الحواس فانها حكمت مثلا بأنه ليس بين طرفى النقيض واسطة وهـذا لاتدركه الحواس . ومنها أن الحواس تدرك المحسوسات وحدها . وأما النفس فانها تدرك أسباب الاتفاقات وأسباب الاختلافات وهى معقولاتها التى لاتستعين عليها بشئ من الجسم وهى تحكم على الحس أنه صادق أوكاذب . ألاترى أن البصر يرى الكبير صغيرا والصغير كبيرا كالشمس والأصبع الغائص فى الماء فان الأول أكبر بالبرهان والأصبع ليس حجمه الحقيقى مايرى فى الماء بل أكبر عما هوعليه فى النظر وأسباب ذلك مذكورة فى علم المناظر . هذا ملخص ماذكره ابن مسكويه ولم أشأ أن أخرج مع المجاورين للرياضة بل بقيت أقرأ الكتاب بقية النهار . فهذا كان مبدأ نظرى فى النفس وبقائها . قال شيرمحمد لقد أوضحت المقام وتبين لى ما قاله القدماء والمحدثون وعرفت كيف يتفكر العقلاء فى بلادكم والى أىّ الكتب يرجعون وعرفت النحو الذى ينحونه فى معرفة الروح . ولقد رأيت ماقاله (سقراط) يشابه ماذكرآنفا فى المحاضرات السابقة فى كلام غاليلى الفلكى الشهير حين استحضرت روحه وقال انها من المادّة الأولى بسيطة لاتقبل العدم وأخذ يفهم مامعنى الأبدية . فاذا صحّ ما قيل عن روح (غاليلى) سابقا وانها هى الروح حقيقة رأينا تطابقا غريبا بين كلام الأرواح ومقال (سقراط) وابن مسكويه فان اجماعهم أنها بسيطة لاتقبل العدم

ألا ان العلم الحديث والقديم متفقان . فما أجل العلم وما أعجب الحكمة . ولقد فهمت هذا المقام حقّ الفهم فلننتقل لبيان القسم الثانى من الناس بالنسبة للعلم وهم المقلدون كما وعدت فى أوّل هذا المجلس . فقلت موعدنا الصبح ــ أليس الصبح بقريب ــ انتهى مانقلته من كتابى المسمى ﴿ الأرواح ﴾

﴿ زيادة ايضاح عن علماء الأرواح فى قوله تعالى ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ ﴾

لقد تقدّم فى سورة التوبة عند قوله تعالى ــ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ــ الخ أنى نقلت هناك ترجمة حياة (عمانوئيل سودنبرج) وانه كلم الأرواح وذكرناهناك مستأنسين للآية بما حدّثته به الأرواح مما يوافق شريعتنا الغراء . ولقد جاء فيه مايوافق هذه الآية تحت عنوان ﴿ أن الذاكرة والفكر والعاطفة وكل حاسة كانت للانسان فى العالم تبقى معه بعد الموت وانه لايترك شيأ من ورائه إلا الجسد الأرضى ﴾

قال ماملخصه فى صفحة (٢٧١) فى النسخة المترجمة وما بعدها ان الانسان لايحسّ أنه مات بعد الموت

لأنه يرى له جسدا كالجسد الأرضى مع انه أصبح روحا فهو يسمع ويبصر ويذوق ويلمس ويحب ويكره • فالروح على صورة الجسم وله سائر خواصه وهو يقرأ ويكتب كما كان قبلا • والفرق بين الحالين أن جميع الحواس بعد الموت أقوى وأشد وأعظم ومثلها بنور الظهيرة بالنسبة لظل المساء ثم ذكر ﴿أولا﴾ أن هناك قوما أنكروا جرائم فكشفت لهم جميع أعمالهم وأعيد اظهارها من نفس ذاكرتهم بترتيب الأشهر والسنين من أول سنة الى آخر سنة وكان أكثرها زنا وعهارة وخديعة للناس بحيل رديئة وسرقات مريعة فلما حصل ذلك اعترفوا ﴿ثانيا﴾ ومنهم من أحصيت الرشوة التى أخذوها بسبب القضاء وذلك ليس له واسطة ولا كتاب إلا ذاكرتهم ومن نفس هذه الذاكرة أحصيت جميع الأشياء التى أخذوها من أول عهد الوظيفة الى النهاية وأضيف الى ذلك أدق ما فى هذه الامور وقيم تلك الهدايا وماقصدوه فى نفوسهم • ذلك كله أعيد بنفس الذاكرة ثم ظهرلهم عيانا وقد بلغ عدة مئات • قال ومن غريب الامور أن مفكراتهم التى كتبوا فيها أشياء هكذا فتحت بعض الأحيان وقرئت أمامهم صفحة فصفحة و بعضهم قادوا العذارى الى العار واغتصبوا العفة فقد دعوا الى القضاء والنساء عرضت كأنها حاضرة وحضر نفس الزمن ونفس الكلمات والمقاصد كأنه خيال ظهر فجأة • وهذه المناظر التى تشبه السينما (الصور المتحركة) التى تسمى الخيالة قد تدوم ساعات متوالية

﴿ثالثا﴾ قد كان رجل يرى أن النميمة ليست شيأ مذكورا فأحصيت نمائمه أمامه بترتيب ونفس الكلمات التى قالها ذما • وهكذا الأشخاص الذين وجهها اليهم والذين قيل القول أمامهم • جميع ذلك أخرج وظهر مع انه قد أخفى بكل دقة عند ما كان حيا ﴿رابعا﴾ أن رجلا معروفا كان قد حرم أقاربه من الارث بواسطة دعوى مزورة فظهر ذنبه وحكم عليه • والعجب أن الكتب والأوراق التى جرت مبادلتها بينهما تليت على مسمع منى ولم تفقد كلمة واحدة وهذا الرجل قبل موته كاد يقتل قريبه بالسم فظهر بكيفية واضحة وصورتها أنه حفر نقرة تحت قدميه ومنها خرج رجل كأنه خارج من قبر وناداه ماذا فعلت بى فكشف كل شئ وذلك أن القاتل تكلم معه بهيئة صداقة ومحبة وقدم له الكأس وحضر الفكر الذى تفكره قبل ذلك ثم ماذا جرى بعد ذلك • ولما ظهرت هذه الأشياء حكم عليه بالسقوط فى جهنم • ثم قال و بالجملة فان جميع شرورهم وجرائمهم وسرقاتهم وتمويهاتهم وخداعهم تعلن لأرواحهم الشريرة وتخرج بنفس ذاكرتهم ويحكم عليهم ولاسبيل الى الانكار • ثم قال متى كشفت أعمال الانسان له جاءت ملائكة مفتشون فنظروا وجهه وفتشوا جميع جسمه مبتدئين من أصابع اليدين الى آخر الجسم • قال وقد عجبت من أن الأشياء التى فعلها الانسان لم تكن مرسومة فى الدماغ وحده • كلا • بل هى مرسومة على جميع الجسد • ومعنى هذا أن أوائلها فى أول الجسم و باقيها مرسوم على الجسم كله مرتبطا منظما • فكل مافكر فيه الانسان أوعمله مرسوم على الانسان كله و يظهر كأنه كتاب يقرأ وذلك عند ظهوره من الذاكرة • قال وقد رأيت كتابا وفيه كتابات كما ترى فى الدنيا وأخبرت انها كانت من ذاكرة أولئك الذين كتبوا وانه لم تبق كلمة ناقصة مما كتبه ذلك المرء فى الحياة الدنيا . ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة • وذلك كله من ذاكرته الروحانية الداخلية لاذاكرته الخارجية الطبيعية والمرسوم فى الذاكرة الروحانية الداخلية لايمحى ولايزول وهى يرسم فيها كل فعل وفكر وقول وكل مارآه المرء أوسمعه أوأحس به • هذا مانقلته من ذلك الكتاب ملخصا من صفحة ٢٧١ الى صفحة (٢٧٦)

أليس هذا هو نفس قوله تعالى ـ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ـ وقوله ـ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ وقوله ـ ذوقوا ما كنتم تكسبون ـ وقوله ـ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ـ وقوله ـ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ـ وقوله ـ وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ـ وقوله ـ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ ـ الخ

وقوله — ويقولون ياويلتنا ماهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها * ووجدوا ماعملوا حاضرا ولايظلم ربك أحدا — وقوله — وكل شئ أحصيناه كتابا — وقوله — وأحصى كل شئ عددا — وقوله — وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين — وقوله — وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون —

فهذه الآيات كلها موضحة أشدّ وضوح فى هذه المحادثات التى ظهرت فى علم الأرواح الحديث . نعم ان علم الأرواح حدث فى القرن التاسع عشر وهذا المؤلف ظهر قبل ذلك ولكنه موافق لعلم الأرواح وهذا كل مافيه انه موافق للقرآن فان صحّ كان معجزة صريحة لأنه جاء بما نطق به القرآن . والحقّ أن هذا زمان ظهور الحقائق ومصداق قوله تعالى — ثم إنّ علينا بيانه — وقوله — وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها — وقوله — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق — الخ والحمد لله ربّ العالمين انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى أيضا — إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا — مع قوله تعالى فيما يأتى فى هذه السورة — قل الروح من أمر ربى — الخ وقوله تعالى فيها أيضا — إنّ الشيطان ينزغ بينهم — الخ وقوله تعالى فى سورة مريم — ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين — وقوله تعالى فى هذه السورة — ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم — الخ ﴾

اعلم أيها الذكى أن النفس الانسانية لايسعها أن تصدّق بعوالم تحيط بنا من كل جانب وتلهمنا خيرا أو تحدث فى قلوبنا شرّا . ولقد قدّمت فى مواضع من هذا التفسير نصوصا عن كبار العلماء شرقا وغربا والذى ذكرته من ذلك كاف موجب للطمأنينة . ولكنى الآن أريد أن أضمّ الى ما تقدّم ماعثرت عليه بعد ذلك فأولا أذكر لك كلام الامام الغزالى فى الاحياء ثم أتبعه بكلام بعض علماء الأرواح لتعجب من هذه الدنيا ومن علومها وأن الانسان قديمه وحديثه يبحث عن الحقائق . فها أنا ذا قد ذكرت فيما مضى فى غير ما موضع وأقربها مافى آخر سورة النحل أن عالمنا الذى نعيش فيه قد جعل الله فيه الخير والشرّ مقرونين فى قرن . فنرى السباع فى مقابلة الأنعام والحيات والعقارب فيها سمها يقابل ترياق أجسامها كما تراه هناك مبرهنا عليه بتجارب الأطباء وهكذا الحيوانات الذرّية التى لاترى إلا بالمنظار المعظم ظهر كما تقدّم هناك أن جرمها ترياق لسمها كالحيات، سواء بسواء . هذا كله تقدّم ثم نخطى الناس ذلك الى عالم الأرواح لأنه ما الذى بعد هذه الحيوانات التى لاترى بالعين إلا العوالم التى لاترى أصلا . فانظر الى كلام الامام الغزالى رحمه الله فهو يقول فى المجلد الثالث من الاحياء تحت عنوان ﴿ بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسة وسبب غلبتها ﴾ لقد أفاض فى هذا المقام فى بيان أسباب قبول العبد الوسوسة تارة والالهام أخرى الى أن أوضح أن هذه الخواطر المنقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ خواطر الخير وخواطر الشرّ حادثة والحادث لابدّ له من محدث ومحدث الخير غير محدث الشرّ فالداعى الى الخير نسميه ملكا والداعى الى الشرّ نسميه شيطانا واللطف الذى يتهيأ به القلب لقبول الأوّل يسمى (توفيقا) والذى يتهيأ به لقبول الثانى يسمى (إغواء) والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه افاضة الخير وسخره لذلك والشيطان خلق ضد ذلك واليه الاشارة بقوله تعالى — ومن كل شئ خلقنا زوجين — * وروى عنه ﷺ أنه قال ﴿ فى القلب لمتان لمة من الملك إيعاد بالخير وتصديق بالحقّ فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله سبحانه وتعالى وليحمد الله ولمة من العدوّ إيعاد بالشرّ وتكذيب بالحقّ ونهى عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قوله تعالى — الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء — الآية ﴾

ثم انظر الى مايقوله علماء الأرواح فى الأعصر الحديثة . جاء فى كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذى نقلت عنه فى سورة التوبة قال فى عدد ٥٧٨ ماملخصه

إن شرّ أهل جهنم جميعا أولئك الذين كانوا فى حياتهم يحبون الشر ولايحبون إلا ذواتهم وحدها ولايسلكون

إلا مسالك الخداع وطرق الغش" وهذا الخداع الذى تشبعت به أفكارهم يفيض منهم على غيرهم فيوسوسون اليهم ويكون ذلك عدوى . أقول كالعدوى الحاصلة بالحيوانات الذرية . قال وهؤلاء يسمون جنا وهؤلاء يكون نعيمهم وسعادتهم وسرورهم بأن يدسوا السم" فى الدسم ويخدعوا غيرهم بالوسوسة فينفثون السم فى نفوس غيرهم كما تنفث الأفاعى سمومها فى الأجسام فالحيات بتفريق سمها تفرح وهؤلاء بتفريق وسوستهم وغشهم يفرحون ويمرحون . قال والذين ليس عندهم هذا المكر وهذا الخداع المستمد من حب" الذات يكونون فى عذاب أقل" . ثم قال انهم يشمون العواطف كما تشم الكلاب البهائم البرية فى حرش . ثم ان العواطف الصالحة متى أدركوها تتحول حالا الى عواطف شريرة وتقودهم بكيفية عجيبة وعذر خفى ويتحيلون بحيل أن يدخلوا المقاصد الرديئة بأوهام تؤثر فى الانسان وهو لايشعر فهؤلاء يفعلون بعد الموت نفس ما كانوا يفعلون فى الحياة الدنيا ويرون فى هذا نعيمهم وسعادتهم وعزهم . قال والله يبعد هؤلاء عمن هو صالح قال وهذه الأرواح الشريرة تهيج فى الانسان الشرور والرذائل الموروثة التى تبقى مخبأة فهؤلاء يستخرجونها ويظهرونها فتكون ضرا وبلا على الانسان

وقال فى عدد (٥٩٤) ماملخصه ان سكان الجنة طوائف طوائف وهكذا سكان جهنم وكل عقاب لطائفة من طوائف أهل النار يقابله نعيم لطائفة توازيها فى جهنم . ويقول إن هذين القسمين لابد منهما فى الوجود كله . ففى عالم الطبيعة نرى الحر" والبرد والظلمة والنور والرطوبة واليبوسة . ويقول ان الانسان لاحرية له إلا بأن يكون له وسوسة وإلهام فيكون عنده الداعيان داعى الخير وداعى الشر" وهذان الداعيان يتجاذبانه فهو بينهما يختار مايوافقه ويجاهد فى دفع الآخر حتى يختص" بأحد الأمرين . انتهى

أفلا تعجب أن ترى العقول البشرية فى الشرق والغرب التقت فى نقطة واحدة فنرى الامام الغزالى يأتى بالحديث ويذكر الوسوسة والالهام ويقول هما مسخران من الله ونرى هذا العالم الافرنجى الروحى يقول مثل مايقول بعبارة أخرى ويرجع الى أن كل شئ زوجان . انظر كيف اتفق القولان مع ما بينهما من بعد الشقة والدين والزمان وهذا من العجب العجاب

اللهم ان العلم هو السعادة فى هذه الحياة . انظر كيف يقول فى كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ أن هذه الأرواح الشريرة تحس" بلذة . فياعجبا . إذن هى مستلذة بالوسوسة كما يستلذ الناس فى الدنيا بالتغلب على أعدائهم وبذل من يحسدونهم وهلاكهم

﴿ موازنة بين ماجاء فى كتاب (السماء وجهنم) المذكور وبين ماجاء فى كتاب الابريز الذى ألفه الحافظ أحمد بن المبارك عن أستاذه عبد العزيز الدباغ الذى عاش فى القرن الثانى عشر الهجرى أى قبل أيامنا هذه بنحو قرنين اثنين والكتابان فى زمان واحد وهذا شرقى وهذا غربى وكلاهما يرجعان لعلم الأرواح ﴾

ان الاستاذ الحافظ أحمد بن المبارك المذكور قد ظهر من كلامه الذى قرأته أنه كان بحرا فى العلوم الاسلامية والحكمية والصوفية وهو ذكى" قدير ولكنه لما قابل الشيخ عبد العزيز الدباغ رآه رجلا أميا . وهذا الأمى أدهشه فانه لايحفظ القرآن ولا الحديث ولايعرف من هذا شيأ ولكنه رآه يعلم فوق مايعلمه جميع الفلاسفة وعلماء الدين فى أمة الاسلام . وسأذكر فى مواضع أخرى من هذا الكتاب بعض المحاورات التى جرت بينهما بمناسبات آيات من القرآن وأذكر هنا مايناسب مانحن فيه . ذلك انه قال فى صفحة ١٦٥ مايأتى

﴿ ان الرجل الذى اذا أمكنته المعصية أقبل عليها واستحلاها غاية الاستحلاء وتشوق اليها بالكلية يستحليها يوم القيامة فينقطع الى العذاب بجميع شراشره ويتشوق اليه بالكلية ويقع فيه المرة بعد المرة ويستحليه استحلاء المجروب للحك وعلى قدر ماحك يكون وباله ﴾ . انتهى

أقول وهذا هو نفس مانشاهده فى الدنيا فان الانسان على مقدار حبه لزيادة المال أو المناصب يزداد نصبا وتعبا فهو كالأجرب . أفلست ترى أن هذا المعنى هو الذى جاء فى كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ فيما قدمته لك هنا أن الأرواح الشريرة تفرح وتتنعم بخداع غيرها . إذن نحن الآن فى حياتنا الدنيا على هذين الرأيين تتجاذبنا أرواح وتحيط بنا نفوس منها من يريد بنا الخير . ومنها من يريد بنا الشر وكل يفرح بظهور آثاره فينا والأرواح الشريرة تزيد عذابا بتنعمها باضلالنا والعكس بالعكس . إذن صار عذاب هذه الأرواح الجهنمية فى البرزخ بما به تستلذ كما تستلذ الحيات والعقارب والناموس بادخال السم والأمراض فى أجسامنا فتهرب منا ونطاردها فى أماكنها

﴿ نظرة أخرى فى هذين الكتابين وذكرهما عذاب جهنم ﴾

جاء فى كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ فى هذا المقام ما يأتى

ان الكوى والأبواب تكون تحت السهول والأودية بهيئات متنوعة وتحت الجبال والتلال والصخور وتكون أشبه بالمغائر والكهوف أو كالغياض وبحيرات الماء وهى مغطاة لاتفتح إلا عند ماتطرح فيها أرواح شريرة من عالم الأرواح بعد امتحانها واذ ذاك يخرج بخار مع نار ودخان كالسخام الذى يخرج من المشاعل ومعها لهب و بعضها سراديب مملوءة ظلمة . وفى بعض طبقات جهنم أكواخ سيئة البناء كأنها مدينة طافحة بالأزقة والشوارع وفيها تسكن الأرواح الجهنمية وهم فى قتال مستمر وقد تقدم بعض هذا . انتهى

وانظر مايقوله الشيخ عبد العزيز الدباغ فيما نقله الحافظ أحمد بن المبارك فى صفحة ١٤٢ فى كتاب الابريز قال الحافظ أحمد بن المبارك . أذكر هنا بعض مايشاهده المفتوح عليه . قال انه يكاشف بأمور منها أفعال العباد فى خلواتهم . ومنها مشاهدة الأرضين والسموات . ومنها مشاهدة نار البرزخ وهذا البرزخ ممتد بين السموات السبع والأرضين السبع وتكون فيه الأرواح بعد خروجها من الأشباح على درجاتها وأرواح أهل الشقاوة فى هذه النار وهى على هيئة منازل ضيقة كالآبار والكهوف والأعشاش وأهلها فى نزول وصعود دائما لايكلمك الواحد منهم كلمة حتى تهوى به هاويته . قال وليست هذه النار هى جهنم لأن جهنم خارجة عن كرة السموات السبع والأرضين السبع وكذلك الجنة الخ . انتهى

فتعجب من اتفاق الكتابين على رأى واحد وأن جهنم تكون بعد الموت فعلا ولكنها جهنم البرزخ والذى عرفنا أنها جهنم البرزخ هو الشيخ عبد العزيز الدباغ . أما صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾ الذى تقدم فانه يظن انها جهنم الأصلية . إذن الشيخ عبد العزيز الدباغ أعلم من صاحب كتاب ﴿ السماء وجهنم ﴾

يظهر من هذا كله أن هؤلاء يرون أن المجموعة الشمسية التى نسكنها هى التى فيها البرزخ وأن هذا البرزخ هو هذا الجو الواسع الذى بين الكواكب السيارة الدائرة حول الشمس وأن أرواح الأحياء اذا خرجوا من الأجساد سارعوا الى الأماكن المعدة لهم فى ذلك الجو . ولاجرم أن هذا أمر روحى لأننا فى عالم الأجسام لانعرف شيأ له وجود فى هذا الخلاء . ومتى قامت الساعة وطاحت هذه المجموعة الشمسية هى وغيرها جعل أصحاب النار وأصحاب الجنة فى أماكنهم التى سيصلون اليها فى الجنة والنار اللذين هما فى عوالم أخرى لاندريها . وسترى ان شاء الله فى سورة النور عند قوله تعالى ـ الله نور السموات والأرض ـ مبحثا فى نقطة الماء وأن هذه النقطة وجميع المادة التى نعيش فيها ليس فيها من المادة إلا جزء قليل جدا وماهى إلا خلاء نسبة المملوء منه بالمادة الى الخالى منها كنسبة واحد الى مائة ألف ألف ألف ألف جزء فاذا كانت نقطة الماء تسع (خمسمائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف) جوهر فرد وهذه كلها لاتشغل من القطرة المذكورة إلا جزأ يكاد يكون معدوما . فاذن المادة من هذه الوجهة تكاد تكون عدما . فلو فرضنا هذه النقطة مدينة تسع (مائة ألف ألف ألف ألف) حجرة فلاتشغل تلك الجواهر الفردة المتقدمة إلا حجرة واحدة منها . وعلى ذلك

يكون هذا العالم الذى نعيش فيه من أرض وسماوات ومعدن ونبات وحيوان أشبه بالمعدوم وانما الموجود كله هوالأثير المالى لهذه العوالم كلها وهذا الأثيرهوالذى توجد فيه الأرض والكواكب وفيه تسكون الأرواح ولها حياة قبل اليوم الآخر روحية تقدّم وصفها . اذاعلمت هذا فانك ستفهم ماسيعرض لك من المراسلات بين الأرواح و بين الناس

إن علم الأرواح انتشر وملأ الأقطار كلها والمسلم لا يمكنه أن يعيش فى خلوة فهو يقرأ هـذه العلوم التى ملأت أوروبا والشرق و يقرأ رسائل كثيرة ترد من الأرواح بالطرق التى ذكرتها فى كتاب «الأرواح» فيحصل للسلم من هذه المراسلات شكوك وأوهام فيقول فى نفسه «اذا كانت هذه الأرواح فرحة مسرورة فأين عذاب الكافر منها أوالفاسق» فاذا علم المسلم ما كتبناه هنا أدرك أن شقاء الفاسق والكافر منها أشبه بحك الأجرب جربه وأن العـذاب يصحب اللذات كما أن الحية والعقرب فرحتان بحياتهما بل لا تعرفان حياة سواها فافهم ذلك . وهاك أمثلة على ذلك من كتاب «بهجة الأفراح فى مناجاة الأرواح» المؤلف حديثا المطبوع سنة ١٩٢٨ م جاء فيه مايأتى

«محلنا هذا الروحى الذى نسكنه الآن محل شغل وحركة لامحل كسل و بطالة غير أن قليلا من الموسيقى والترتيل يكون مستطاباومقبولا لكن بشرط أن لايدوم النهار كله» اهـ

واوضح من هـذا ماجاء فى رسالة من روح والد يسمى يوسف وردت فى نيسان (ابريل) سنة ١٩١٩ فى (واشنطون) بأمريكا جاء فيها نصائح لابنه ومنها ما يأتى

«سيحصد الانسان مازرعه وسينال مكافأة أعمـاله فى هذه الحياة الأرضية . وأما الغفران فليس مجرّد التخلص من القصاص بواسطة أمر الله بل هو مغفرة أومحو الأعمـال المغايرة التى ليست مرضية وتؤثر ببطء تدريجا فى نفس الانسان وهكذا عند مايصير روحا من الأرواح السماوية يجب أن يجدّ ويتكل على نفسه فالروح يجب أن توفى كل ماعليها من الدين قبل أن تنال النفس المغفرة وتوافق النفس ارادة الله ونواميسه»

ثم قال «وهنا أقول لك دعنى أقل لك انه لايوجد ايمـان أوسر أومعتقد كنيسة من الكنائس يقدر أن يمنح هذا الغفران انمـا هو عمل من اعمـال النفس و ينبغى للانسان أن يسعى له و يجدّ ويجتهد . كتبت كل هـذا حتى أريك يابنىّ أن النظام قاس لايلين . وقد تكلم قليلون وهـم الذين يفهمون نظام الأعمـال وتأثيرها فى الانسان فيهملونها و يسيؤن استعمالها خصوصا خدمة الكنائس ووعاظها المنتحلين دائمـا السلطة الروحية . وقد عرفت مما تقدّم أنه يجب على الانسان أن يبتعد عن هذه الأشياء التى تدنس نفسه وتفسد أخلاقه ولكن يا للأسف أكثر الناس بدل أن يتحاشوا هذه الأشياء يزيدون الطين بلة فيأتون الى العالم الروحى مثقلين أنفسهم بأحمال ثقيلة . وهكذا تبقى أعمـالهم وأفكارهم غارقة فى لجج الأهواء التى لاترضى فهؤلاء يجب أن يقضوا فى عالم الأرواح أدوارا عديدة لكى تطهر نفوسهم من هذه الأشياء . فالايمـان والرجاء الكاذب لايفيدانهم شيأ لتطهير نفوسهم بل يكونان حجر عثرة» انتهى المقصود منه

أفلاترى أن هـذا القول وماقبله صريحان فى أن كثيرا من هـذه الأرواح معذّبة وان كانت تخاطب أحبابها فى عالمنا . هاهى ذه الرسالة الأولى يقول فيها ان الحياة كلها عمل والله يقول ــ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ــ الخ فهذا نوع من النصب وانظركيف يقول ان الايمـان والرجاء الكاذب عقبة فى سبيل المغفرة إذن ليفهم المسلمون أن هذه الأرواح التى تراسـل أقاربها فى أمريكا وفى أوروبا تسكون فى عذاب . ومن العذاب الشغل القاسى وانظر كيف يقول ان النظام قاس لايلين . ثم انظر كيف يئس من العقيدة الدينية الزائغة عن محجة الصواب بسبب القسيسين والقائمين بأمر الدين . وليعلم المسلمون قاطبة أن هـذه العاقبة هى عاقبة الكسالى المسلمين الذين تركوا مواهبهم وعقولهـم فى الدنيا واتكلوا على شيوخهم ونظرائهم أولئك

هم المغرورون . انتهى والحمد لله رب العالمين

وجاء فى الكتاب المذكور ﴿بهجة الأفراح﴾ أيضا صفحة ٩٣ و ٩٤ ما يأتى

سئلت روح (بؤب أنجرسول الجاحد) ماهو الشئ الذى أدهشك بالأكثر حينما انتقلت الى عالم الأرواح (فأجاب) معرفتى الحق وانى ذو نفس أزلية خالدة لم أمت ولن أموت . ثم سئل ما الدين الحق (أجاب) هى أن تبلغ نفوسنا أسمى درجة فى القرب من خالقها وتكتسب من محبته الفائقة ومن ألوهيته العظيمة التى لاتتناهى . وقد سئلت أيضا الأسئلة الآتية

(س) هل تقدر أن تعرّفنا ماهو الاله

(ج) إن الله هو الخالق والمبدع والكل فى الكل والذى بدونه لم يكن شئ مما كان وسيكون وهو علة كل العلل ومصوّر كل الحوادث الطبيعية . هو البداية والنهاية والأوّل والآخر الذى لم يكن قبله ولا بعده شئ من الكائنات

(س) هل الاله موجود منذ الأزل

(ج) نعم . نعم . نعم هو أزلى وكل مادّة الكون صادرة منه

وجاء فى الكتاب المذكور أيضا أن طبيبا يسمى (الدكتور هانسمان) جرى شوطا عظيما وجدّ فى بحث علم الأرواح وكتب عشرات من الأرواح أسماءها على الأوراق تارة وعلى الأحجار أخرى بدون أن تمسها يد انسان بحضوره ومع جمّ غفير من العلماء والفلاسفة . وهذه الامضاآت شهد الحاضرون أنها هى نفسها امضاآت أولئك العلماء فى حال حياتهم بالدقة . ومن جملة الذين كانوا يظهرون بأشخاصهم بسبب وجود الوسيطة روح رجل يسمى (جورج خريستى) فلم يسع الدكتور (هانسمان) فى مقابلة مساعدة روح (خريستى) المذكور إلا أن يشكره شكرا جزيلا على مساعدته فى اظهار الحقائق ثم قال الدكتور (هانسمان) لروح (خريستى) المذكور انى مستعدّ لمساعدتك . فأجابت الروح بما يأتى

أيها الدكتور . أظهرت كل لطف ورقة بقولك لى انك مستعدّ لأن تجرى نحوى كل مساعدة فأقدر لك هذا القول اللطيف حق قدره ولكنك لاتقدر أن تصنع لى شيأ . إن الغلطة التى ارتكبتها المسيحية هى ترك ملابسنا الكتانية المملوءة دعارة ونجاسة ليسوع المسيح لكى يغسلها وينظفها ويقصرها بينما نحن نقضى معظم حياتنا الأرضية فى ارتكاب المعاصى والآثام . الحياة الشريرة التى تضعف رجاء الآخرين وتقطع آمالهم من الخلاص والمحبة الالهية . هؤلاء الخطأة والأئمة انهمكوا بالخلاعة فتعلمهم الديانة المسيحية انهم اذا تابوا فى آخر ساعة وآمنوا بالمسيح وندموا ندامة تامّة تغفر لهم كل خطاياهم و يغسلون بدم المسيح فيصبحون أبرارا أطهارا يستحقون أن يدخلوا السماء . فهذا الاعتقاد فاسد لانبشر به هنا ولانعامه لأن النفس لايلزمها كفارة بل يجب عليها أن تقلع لشراعها كما تسير السفينة الى ميناء الأمان حالما تنطلق من الجسم المادّى المسجونة فيه قاصدة أن تملك لنور الطهارة حيث تستعدّ لترفل فى حلل الراحة والسلام والسعادة الأبدية مع الله عزّ وجل الذى هو أصل المحبة والجمال وعلى كل انسان أن يقرع باب السماء بنفسه وبحسب استحقاقه و يرى صك المرور فلايستطيع أن يختلس الدخول الى السماء خلسة بل يجب عليه أن يشتغل بجدّ واجتهاد وكل منا يسكن المنطقة التى تليق به وعلى مقتضى تقدّمه ودرجة اختباره وارتقائه ومايحصله من المعارف والعلوم وأسباب الرقى . وهكذا يظلّ يجاهد بنفسه ليرتقى من كون الى كون ومن كرة الى كرة ومن مسكن الى مسكن . وتختلف هذه المساكن الكثيرة بالمجد والثناء والكرامة والراحة والنور ولانقدر أن نصفها بلسان ليفهمه العالم الأرضى . وفى هذه الأحوال قد بذلت مقدرتى لأوضح مانحن فيه من السعادة والعدل انتهى . و يلى ذلك الامضاء

(جورج خريستى)

ويقول

ويقول الدكتور (هانسمان) انه حصل على كل ماذكر هنا فى (١٥) دقيقة

﴿ تذكرة ﴾

سيرد على خاطرك أيها الذكى أن هذا مسيحى وكيف ينطق بهذا القول . أقول لك انه قد أظهر فى قوله ان المسيحية مغشوشة ضارّة بالنوع الانسانى . أليس هذا هو النسخ الذى ورد فى ديننا فترجع وتقول لى كيف يصف الأنوار فى الحياة الأخرى وانهم فى ارتقاء . أقول لك هل نسيت ماتقدّم عن الشيخ عبدالعزيز الدباغ وعن الاستاذ (عمانوئيل) العالم الروحانى . فهذا افرنجى وهذا مسلم كما قدّمت وكلاهما يقول ان العذاب فى البرزخ أى بعد الموت يكون أشبه بحك الأجرب جربه فهو يحك ليستلذ فيزيده الحك مرضا كما نرى فى الدنيا أن الانسان يعطى المال فيطمع فى الزيادة فكلما ازداد مالا ازداد غما . وهكذا الصيت والذكر وهكذا الملك . فهاهوذا (نابليون) توغل فى الملك وكان آخر أمره أنه حبس فى جزيرة (سنت هيلانه) فهل نحن نعرف تلك الأنوار التى ذكرها فلعلها كالأنوار التى يراها الفراش فيطير اليها فيحترق . وقولى لك حك الأجرب هى عبارة الشيخ عبد العزيز الدباغ . وقد تقدّم أيضا عنه أن العصاة يشتاقون الى العذاب فاشتياق هؤلاء الى درجاتهم ربما كان اشتياقا الى العذاب . وأما (عمانوئيل) فعبارته المتقدّمة تقرب من هذه . فانظر كيف يقولون انهم يعملون ويجدّون . أليس هذا العمل عذابا مع ان المعلوم عندنا فى ديننا أن أهل الجنة فى نعيم الخ . فقال وماذا تقول فى قولهم ان الرقى بالعلوم والمعارف . أقول لك قد رأيت فى كلام (عمانوئيل) المتقدّم وفى كتاب الشيخ (عبد العزيز الدباغ) أن الأرواح الشريرة تكون علومها هى علوم السحر والطلسمات فهذه العلوم تكون عذابا لها ويكلها الله الى نفسها ويكون ذلك كله عذابا لها فلعلك تقول بعد هذا كله أنا غير مقتنع فأقول أحيلك على ماتقدّم من أن هذه هى حال البرزخ وليست هذه هى الجنة ولاضدها والرجل لم يقل ذلك إلا لأنهم ملوثون بالمعاصى وهم الآن يجدّون فى العمل ليخلصوا منها فتقول لى وكيف يخلصون منها وهم كفار . أقول لك أذكرك بما نقلته فى هذا الكتاب فى موضع آخر عن الامام الغزالى ان عذاب الناس بعد الموت لا يكون على الكفر . كلا . وانما يكون العذاب أوّلا بترك المشتهيات ثم بعد أمد يعذب على الذنوب وهكذا . فأما العذاب على الكفر فانما يكون يوم القيامة فراجعه اما فيما سبق فى هذا الكتاب واما فى شرح العلامة المناوى على قصيدة ابن سينا فى النفس التى أوّلها

هبطت اليك من المحل الأرفع * ورقاء ذات تعزّز وتمنع

ولعلك تقول كلامك لايروى من غلة ولايشفى من علة فأنا الى الآن لم أفهم . فأقول لك اقرأ كتاب ﴿ فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ﴾ للغزالى فتقول أنت قرأته فلم أعرف ما تقصد . أقول ان الخواتيم مجهولة فربما يكون بعض من نتوهم انهم فى راحة من الأرواح قد أسلموا ونحن لانعلم أو تكون بعض تلك الأرواح لاعلم لها بالاسلام مطلقا ولم تسمع به أو سمعت به مشوّها على غير حقيقته فتقول لى أنا الى الآن لم يسترح ضميرى . أقول إذن يكون الكلام بعد هذا كله من باب الوسوسة ونحن نريد رقى الأمم الاسلامية بالعلم والحكمة . وإياك أن تظنّ أن اعتناقك الاسلام وحده بلاعلم ولاعمل يكفيك فلابدّ من الجهاد فى الحياة الدنيا . وإياك أن تضيع وقتك فيما لايجدى نفعا . ودع الوساوس واقرأ قوله تعالى ــ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين وقوله ــ أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ــ

فلما أتممت هذا المقال حضر العلامة الذى اعتاد أن يسألنى فى هذا التفسير . فقال قد ذكرت هنا وفى مواضع أخرى من هذا التفسير أن أرواح الأموات يهتمون بأقاربهم ويعلمون أحوالهم كما ذكرت هنا فهذا

يدل على اتصال بين الحى والميت وان لم يعلم الحى . وهـذه النصوص التى نقلتها عن أهل أمريكا وأوروبا لايثق الناس بها وأنا أوّلهم إلا اذا جاء فى ديننا ما يماثلها . فقلت فاسمع ماجاء عن علمائنا الأجلاء

جاء فى كتاب ﴿ مشارق الأنوار ﴾ نقلا عن العارف بالله الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه مانصه ﴿ كان سعيد بن جبير رضى الله عنه يقول إنّ الأموات لتأتيهم أخبار الأحياء فما من أحد له حميم أى قريب إلا ويأتيه خبر أقاربه فان كان خيرا سرّ به وان كان شرّا عبس له وحزن ﴾

وقال أيضا وكان أبوالدرداء يقول ﴿ اللهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملا تخزى به أمواتى ﴾ قال وكان وهب بن منبه يقول ﴿ إنّ الله تعالى بنى دارا فى السماء السابعة يقال لها البيضاء يجتمع فيها أرواح المؤمنين فاذا مات الميت من أهل الدنيا تلقته الأرواح فيسألونه عن أخبار الدنيا كما يسأل الغائب أهله اذا قدم من سفر ﴾ * وروى أن الأموات يسألون القادم عليهم عن أهل البيت كلهم مافعل فلان . هل تزوّج فلان . أوتزوّجت فلانة ونحوذلك ﴾

ثم قال فى صفحة (٣٩) من كتاب المشارق المذكور ان بعض العارفين قال انه يؤخذ للروح صورة من بدنها تميز بها عن غيرها ولذلك تتصف بالاتصال والانفصال والصعود والنزول وغيرذلك من الاعراض والشخاص كل نوع تميل الى بعضها وتنفر عن مخالفيها

ونقل فى صفحة (٣٨) عن الامام النووى مانصه ﴿ وأصحّ ماقيل فى ذلك قول إمام الحرمين ان الروح جسم لطيف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر ﴾

والى هذا الخلاف قال اللقانى

ولاتخض فى الروح إذ ماوردا * نص عن الشارع لكن وجدا
لمالك هى صورة كالجسد * فحسبك النصّ بهذا السند

ثم قلت له . إذن ظهر لك أن علماءنا كانوا يتناقلون فيما بينهم هذه الآراء فهم يقولون ان الأرواح تهتم بأقاربها الأحياء . ويقولون ان صورة الروح كصورة الجسم الجسدى ولكنها لطيفة . وهذان الأمران هما اللذان ظهرا فى علم الأرواح . فهـذه الصورة يقول علماء الأرواح انهم رأوها كصورة الجسم فى الحياة وأن الأموات يهتمون بالأحياء . وتقدّم عن اللورد (أوليفرلودج) الانجليزى مثل ذلك فى مواضع كثيرة من هذا التفسير . إذن صار علم الأرواح الحديث موافقا لما كان يقوله علماؤنا . فقال وهل هذه الأحاديث المتقدّمة صحيحة . فقلت عجبا . نحن الآن لسنا فى مقام صحة الأحاديث وضعفها بل نحن فى مقام أن هـذه كانت آراء يقولها المسلمون فلتكن هذه أقوال الصحابة أوغيرهم من الصالحين إنما المراد أن نوع هذه الآراء لاينكرها الاسلام . فقال قد اكتفيت . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات . انتهى

﴿ اللطيفة الثامنة — ولاتزر وازرة وزر أخرى — الى قوله — خبيرا بصيرا — ﴾

بعد أن بين قبل هذا كيف تتضح الذنوب وتظهر العيوب عقد سبحانه هذا الباب ليبين لنا مالنا وماعلينا ومحصله أن الذنوب على ﴿ قسمين ﴾ قسم يختصّ بالمرء . وقسم يعم كثيرا من الناس . ولأوضحه بمثال فأقول . قتـل رجل رجلا . فهذا القاتل قد أذنب ولايعاقب سواه على جريمته لافى القانون ولافى الشرع وهكذا جميع الذنوب . ورجل آخر أعلن فسقه وزينه للناس وأخذ يذيع شعره الفسق ونظمه الضار فاتبعه أناس فذلك ذنبه على نفسه أيضا . ولكن هناك أمر آخر وراء ذلك وهو أن الأمم تتأثر بمؤثرات ترسخ فيها فتنتقل العدوى من زيد الى عمرو . ألم تر الى الأمراض المعدية والطاعون و بعض أنواع الحميات المعديات . ومن المشهور أن زيدا يتثاءب فيتثاءب خالد والعادات تؤثر تأثير الطاعون والأمراض المعدية . إن الناس يعيشون بالقدوة لا بالتعليم فالتعليم فى الكتب والأخلاق والعادات جاريات بين الناس معلقة بأذهانهم لاصقة

بهم محكمة فيهم لايجدون عنها حولا فيكون للأمة ذنوب عامّة وعيوب جارحة تشملهم جميعا . وماشل الأمّة إلا كمثل رجل ابتلى بمرض الزهرى فولد أولادا مرضوا بهذا الداء فتصبح أجسامهم وأخلاقهم وآدابهم معتلة فهنا عذب صاحب الذنب فى الدنيا والآخرة ولحقه فى هذه المذلة أبناؤه ومن اقتبس المرض منه بالملامسة ولكن هذا العذاب ليس على الجناية بل هو نقص طبيعى يحرمهم من بعض منافع الدنيا وتسوء أخلاقهم وتنحط فتكون سعادتهم فى الآخرة أقلّ . ولذلك يقولون ﴿ إنّ البلاء يعم ﴾ فالذنوب إذن ﴿قسمان﴾ خاصة ووبالها على صاحبها وذنوب عامّة يعذّب بها الشعب كافة والعذاب فى الدنيا بانحطاط الأخلاق والأعمال وفى الآخرة بعدم ارتقائهم لنقص أعمالهم . إن الشعب أشبه بشجرة لها أغصان وللأغصان فروع وللفروع أوراق فاذا ساء سقيها أوساءت عناصرها المغذية لها شملها الضعف وان أوذى غصن أوورقة أوفرع اختص به مانتج من ذلك . إن بين النفوس رابطة متينة فالأسرة مرتبطة والأمّة مرتبطة ومستحيل أن تكمل الأفراد إلا بجوّ جميل يجمعهم ورأى شريف يعمهم ثم هم يتفاوتون على مقتضى اجتهادهم

اللهم إنا جئنا الى هذه الأرض فرادى ولكنك جمعتنا وطلبت من الجمع أن يتحد أخلاقا وعادات ولذلك لما رأى الأنبياء ذلك اهتموا بأمر الشعوب فعلموهم . فأما اذا اقتصر النبى على تعليم نفسه لم يكن لهذا من أثر فعال . ومن اقتصر على تعليم أولاده ورقاهم فى أىّ شعب كان فليعلم أن الوسط له أثره السيئ فان الخادم والطابخ والجار والشريك كل هؤلاء سيأخذون مجراهم على حسب عاداتهم ويكون أبناؤه غرباء بينهم فلابدّ من روابط عامّة فى المجموع . فالذنوب على ذلك ﴿قسمان * أحدهما﴾ للشخص خاصة ﴿والثانى﴾ للمجموع وهذا معنى هذه الآية . فقوله — ولاتزر وازرة وزرأخرى — اشارة الى الأوّل وقوله — واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها — الخ اشارة الى الثانى . إن الأمّة كلها كشجرة سيء سقيها وعناصرها الأرضية فتذبل كلها . هذا هوقوله تعالى — أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا — لأننا وجدناهم لايعملون للحياة فان الأفراد الذين فسقوا فيهم لم يجدوا من يردعهم فالقوم إذن فى عداد الذين ليسوا بأحياء فليموتوا أوفليذلوا . إنّ الأمّة التى انغمست فى الترف والنعيم يتقاطع رجالها وتفسد أخلاقهم وهوالذى حصل فى أمّتنا الاسلامية . انظر الى الدول الاسلامية كيف اضمحلت بالشهوات وحب الذات وجهل المنافع العامّة فتفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض فى بلاد الشرق وفى بلاد الأندلس . فلقد استكثر الامويون فى الأندلس من البربر وهم شيعتهم وهم الذين قاموا بنصر عبد الرحمن الداخل أوّل مرّة على مناوئيه من شيعة العباسيين الذين كان لهم الحكم قبله بل هم نصروه أيضا على جيوش (شرلمان) التى أرسلها لحربه تزلفا لصديقه الخليفة العباسى فى الظاهروخوفا من اتساع ملكه الى أرض فرنسا فى الواقع . ولقد كان العباسيون يستعينون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين وأكثروا من المماليك . هكذا الأمويون بالأندلس فانهم لما ثبتت قدمهم فى الملك أخذوا يقلدون العباسيين فى استكثارهم من المماليك الصقالبة وغيرهم خصوصا فى أيام الحكم بن هشام وعبد الرحمن الناصرحتى أصبحت لهم الكلمة النافذة فى البلاد وصار حكمها من بعده فى أيديهم وأصبح حالهم هنا حالهم فى الشرق شبرا بشبر وقدما بقدم وكانت أنفس كثيرمنهم تتحدث فى قراراتها بتخطى الرقاب وطرق كل باب الى الوصول الى منصة الحكم ولايقعد بهم عنها إلاما كان يحيطها من رمح مشروع وسيف مسلول وعظمة قائمة وسلطان قدمه فى الأرض ورأسه فى السماء . وعلى كل حال فانهم كان لهم التصرف المطلق فى داخلية الدولة . وخالف الأمويون فى الاندلس آباءهم فى دمشق فى محافظتهم على عصبيتهم العربية وضعفت بذلك شوكة العرب ونقموا على حكومتهم ومازالوا يترقبون الفرصة للخروج عليها حتى أيام ابن أبى عامر وزير الحكم بن الناصر وكان من العرب المنتصرين الى عصبيتهم فأخذ بدهائه فى التفرقة بين العناصر المتغلبة من صقالبة وأتراك وبربر ثم بالايقاع بهم شيأ فشيأ . وكان فى أثناء ذلك يستقدم رجالات من بربر

المغرب من (زناته ومصموده) وغيرهم وكان يوليهم مناصب الدولة حتى اذا شعروا بضعف الخلفاء ومن والاهم أخذوا يخرجون على دولتهم و يستقلون بأطرافها . وأوّل من بدأ منهم باستقلالهم بنوجود فى قرطبة ثم بنوعبّاد فى أشبيلية ثم بنوزيرى فى غرناطه ثم بنو جهور فى قرطبة ثم بنوذى النون فى طليطلة ثم بنوعامر فى بلنسيه ثم بنوهود فى سرقوسه حتى غلبهم على أمرهم الفرنجة من الشمال والمرابطون من الجنوب

وكثيرا ما كانت ملوك الطوائف يحاربون بعضهم بعضا طمعا فى استيلاء هذا على ما كان فى يد الآخر حتى انتهى أمرهم الى الضعف وصاروا يدفعون الجزية الى (الاذيفونش) غير ما كانوا يلاقونه من الهوان من الفرنجة ومازالوا حتى ضاقت صدورهم من غدر ملوك الفرنجة بهم وسوء معاملتهم لهم فأجمعوا فيما بينهم على استدعاء عرب المغرب لنصرتهم وكان هذا رأى ابن عباد صاحب أشبيلية وكان المغرب وقتئذ فى حكم المرابطين وأميرهم يوسف بن تاشفين سلطان المغرب من أقصاه الى أقصاه فلما وصلت اليه دعوة ابن عباد قبلها وأجاز الى الجزيرة سنة ٤٤٩ هـ بجيوش جرارة على رأسها قائده العظيم داود بن عائشة وسارهو وفى مقدّمته وزيره الكبير سير بن أبى بكر اللتونى فقابلته جيوش الأسبان متجمعة بقرب بطليوس وعلى رأسها الاذيفونش ملك (القوط) ووقعت بينهم موقعة تشيب لها الولدان انتصر فيها ابن تاشفين انتصارا باهرا . وهذه الواقعة يسمونها (واقعة الزلاقه) وهرب الاذيفونش بعد أن جرح فى يده جرحا بليغا ثم طلب الصلح من بنى تاشفين فمنحه ذلك لمدّة خمس سنين فأخذ فيها الاذيفونش على نفسه أن لا يتعرّض للمسلمين بشئ مطلقا وخلصت بلاد الأندلس من مظالمه ومما كانت تدفعه اليه سنويا من الجزية وتسمى ابن تاشفين بعد هذه الواقعة بأمير المسلمين . وقد غنم المسلمون من هذه الواقعة شيأ كثيرا جدّا من الأموال والأنفس فعفّ ابن تاشفين عنه وتركه جميعه لأهل البلاد وانصرف عن الأندلس الى المغرب تاركا وراءه جمال العمل وجميل السيرة

وفى سنة ٤٨٦ هـ أجاز ابن تاشفين الى الأندلس جوازه الثانى لأن أهله شكوا اليه من كثرة المكوس (الضرائب) التى تأخذها منهم ملوكهم . فلما وصل الى الجزيرة الخضراء خافه ملوك العرب وقطعوا الميرة عن جيوشه بعد أن اتفقوا مع ملوك الفرنجة عليه فقصد بلادهم واستولى عليها واحدة بعد واحدة و بعث ببنى بلكين أصحاب غرناطه الى المغرب فقضوا فيه بقية حياتهم ثم قصد أشبيلية لما علم بفساد دخيلة ابن عباد وانه استجار بالاذيفونش عليه وأخذه أسيرا وأرسل به الى اغمات من أعمال مراكش حتى مات فى اعتقاله بها سنة ٤٩١ هـ ثم قصد بطليوس وقبض على ملكها ابن الأفطس وقتله وبذلك أصبحت الأندلس من أقصاها الى أقصاها فى حوزته إلا (سرقسطه) وهى فى شمال (اسبانيا) فانها بقيت فى يد بنى هود لاعتصامه بالاذيفونش ولبعدها عن مركز القوّة الاسلامية . ولما خلص ابن تاشفين من استيلائه على الأندلس فوّض أمره الى وزيره سير اللتونى ورجع الى بلاده ومن ثم أصبحت الأندلس فى يد المرابطين ومازالت فى أيديهم الى أن دبّ الشقاق بين أحفاد ابن تاشفين طلبا للملك فى أواخر القرن الخامس الهجرى بما كان سببا لضعفهم وقيام بلاد المغرب عليهم حتى سقطت دولتهم بقيام دولة الموحدين على يد المهدى بن تومرت

ولما مات المهدى سنة ٥٢٤ هـ اتفقت رجالات الغرب على مبايعة عبد المؤمن بن على وكان فى مقدّمة رجال المهدى علما وفضلا ودهاء وهو أوّل من تسمى فى المغرب بأمير المؤمنين

وفى سنة ٥٤٦ أجاز عبد المؤمن الى الأندلس جيشا من الموحدين للفتح فتغلب على عزبيه ثم حاصر المرية فاستغاث من كان فيها بالاذيفونش الذى أرسل اليهم محمد بن مردنيش وزيره على جيش من النصارى والمسلمين فكسره عبد المؤمن . وتمّ استيلاء الموحدين على الأندلس فى مدّة ولده أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وله اصلاحات كثيرة فى أشبيلية وهو الذى بنى جامعها وأقام جسرها . وأتى من بعده ولده المنصور يعقوب فأكمل الجامع بحيث أصبح لا يضاهيه شئ فى الدنيا . وقد حارب المنصور يعقوب (الاذيفونش) ومعه ملوك

النصرانية

النصرانية فانتصر عليهم انتصارا باهرا فى واقعة الكرك الشهيرة وفتح كثيرا من الحصون والبلاد التى كانت فى أيديهم ومازال يتقدّم فى الفتح حتى طلبوا اليه الصلح فصالحهم على خمس سنين وذلك فى سنة ٥٩٢ هـ

وقد ذكر المؤرخون أن من قتل فى هذه الموقعة من الافرنج أكثر من مائة ألف . أما ماغنمه المسلمون فيها فهو شئ لايحصيه الحصر ولايحيط به العدد حتى أصبحت العرب تبيع الأسير بدرهم والسيف بنصف درهم والحمار بدرهم والفرس بخمسة دراهم و بعد هذه الواقعة استولى المنصور على طلمنقه . ثم قصد طليطلة وهى عاصمة (الاذيفونش) وحاصرها . ولما لم يبق غير نزول من فيها على ارادته نزلت والدة (الاذيفونش) و بناته وحرمه واستغاثوا به و بمروءته فأكرم مثواهنّ وأعادهنّ الى مقرّهنّ معززات مكرّمات وعاد هو الى بلاده بالغنائم التى لاحصر لها

ولما مات يعقوب المنصور سنة ٥٩٥ هـ استولى بعده ولده أبو عبد الله محمد الناصر فأجاز الى الأندلس عام ٦٠٩ هـ بجيوش من العرب يقدّرونها بستمائة ألف . هنالك أعلن البابا الحرب المقدّسة فهرعت جيوش النصرانية من ايطاليا وفرنسا وألمانيا واتحدت جيوشها فى اسبانيا واستعدّوا لملاقاة الناصر بسهول (نافاد) و (تولوزا) وهى قرية تبعد عن قرطبة شمالا بمائة وأربعين كيلومترا . وكان الناصر قد أعجبته كثرة جيوشه فأخذ يفتك فى طريقه برجالات (الأندلس) بايعاز وزيره ابن جامع الذى أراد أن تكون له وحده الكلمة فى البلاد وقد أهمل الناصر رؤساء الأندلس ولم يستشرهم فى أمر عدوّه وهم أدرى الناس بالجهة التى يأخذونه منها . ومازال حتى التحمت جيوشه بجيوش النصرانية فى موقعة يسمونها موقعة العقاب لكثرة ما كان فيها من العقبات التى كانت سببا فى خذلانهم وانتصار الفرنجة عليهم انتصارا باهرا تمزّقت معه جيوش المسلمين على كثرتها بحيث لم ينج منهم غير القليل . وفى هذه الواقعة ظهر كوكب نحس المسلمين فى الأندلس وغربت شمس سعودهم والله تعالى غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون

وعلى أثر هذه الموقعة مات الناصر فبايع أهل المغرب ولده يحيى فلجأ أخوه المأمون ابن الناصر الى ملك (قشتيله) يستنصره على أخيه وعلى الموحدين فاشترط عليه شروطا جمة . منها أن يعطيه عشرة حصون يختارها هو مما فى يد المسلمين مما يلى بلاده وأن تبنى له كنيسة فى مراكش وجهز له جيشا من الفرنجة دخل به أرض المغرب وهنالك جمع المأمون شيوخ الموحدين وقتلهم صبرا وكان عددهم أكثر من أربعة آلاف نفس ومن هذا الوقت أخذت الأطراف تثور عليه فى المغرب وأخذ حكم الموحدين فى الضعف

وفى هذه الأثناء استولى الفرنجة على قرطبة ثم على جزر البليار و بلنسيه واستولى أسطولهم على (سبته) وغيرها من سواحل المغرب ثم استولوا على أشبيلية . ومازالوا يستولون على بلاد الأندلس وحصونه حتى لم يبق مع المسلمين غير (غرناطة) التى بقيت فى يد بنى الأحمر لمنعتها وكثرة أهلها لأن سواد البلاد التى كان يفتحها الافرنج كانت تلجأ اليها ومع هذا فقد كانت تدفع الجزية لملوك قشتاله

ولما استولى بنو مرين على المغرب كان بنو الأحمر يساعدون الفرنجة عليهم كما كان بنو مرين يقفون أحيانا مع ملك قشتاله على بنى الأحمر . وما زال ملك بنى الأحمر قائما بغرناطة حتى حصل الخلاف بين أبى عبد الله بن أبى الحسن وأمه اسبانية و بين عمه على الملك انتهى بتغلب الفرنجة على غرناطة فى سنة ٨٩٢ هـ الموافقة لسنة ١٤٩٢ م وبه انقضى ملك المسلمين بالأندلس وانطوت صحيفتهم . وسبحان من له الملك يؤتيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء . ذلك كله لأنهم مترفون وقد فسقوا وعصوا ربهم . انتهت اللطيفة الثامنة

﴿ اللطيفة التاسعة فى قوله تعالى — من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء لمن نريد — ﴾

هذه الآيات جاءت كالختام لهذا المقام كله لأنه مبتدأ بما يفيد أن الانسان عجول يدعو بالشرّ دعاءه بالخير ثم ذكر الطرق التى تجعله غير عجول كالعلوم الرياضية والتفكر فى أمر النفس وأمور الدولة . ولما أتمّ الكلام

فى ذلك أخذ يشرح الجملة التى كان الكلام مسوقا لها وأعطى قاعدة عامة وهى أن النتائج على مقتضى المقدمات فالأعمال الجسمية نتيجتها الامور الجسمية والأعمال العقلية نتائجها الامور العقلية . والأولى مصيرها للفناء والثانية مصيرها للبقاء وليس يقوم أحدهما مقام الآخر . فلو أن امرأ درس العلوم والأخلاق وعمل بهما وواظب على ذلك ثم هو فى الوقت نفسه قد أهمل الرياضة البدنية فلم يعش فى خلاء نقى . أو أهمل مضغ الطعام جيدا . أولم يحافظ على قوّته العقلية فبذّرفيها بكثرة الكلام والضحك . أو تعرّض للبرد . أو كان جسمه معرّضا للأمراض الباردة فأخذ يمشى على شطوط الأنهار والحدائق مثل من لم يكونوا مستعدين لذلك . فمثل هذا تصيبه الأمراض كخمول النفس وضعف الأعضاء فى الحركات فى الأوّل وسوء الهضم فى الثانى وضعف القوّة المفكرة فى الثالث ومرض (الروماتزم) فى الرابع

فهل أنتج الصلاح والعلم نتيجة فى غير ماخلقا له . وهل صحّ البدن بهما . كلا . فنتيجة العلم والصلاح آثار خاصة بهما لاتتعدّاها الى صحة الأجسام . وهكذا لو أن امرأ حافظ على جسمه فضغ الطعام جيدا ولم يزد ولم يخلط أصنافا كثيرة وكان فى غاية البساطة مأكلا ومشربا وحافظ على الرياضة واحترس من كثرة الكلام والضحك فحفظ عقله وجسمه واقتصر على ذلك . فهل ذلك ينفعه فى العلم وهو لم يدرسه . كلا . فالثمرات توابع الشجرات فالشجرة تثمر ماليس من ثمراتها . هكذا أعمالنا فما كان متعلقا بالعاجلة فثمرته فى العاجلة وما كان فى الآجلة فهو لها . ولاجرم أن الناس درجات فى الأعمال والآراء والعلوم والثروة وأوضح شئ فى هذا العالم الثروة فلوأنك جمعت الناس فى صعيد واحد لم تجد اثنين يتساويان ثروة فلابدّ من التفاضل ولو قليلا واذن يمكن أن يكونوا سلسلة لها أدنى وهو أفقر الناس وأعلى وهو أغناهم وهم جميعا بين هذين . هكذا حكمهم فى الجمال وفى العلم وفى الصلاح وفى الأخلاق وهكذا . فهذه درجات بعضها فوق بعض . هكذا سيكونون فى الآخرة درجات باعتبار ما انطبع فى نفوسهم من العلوم والأخلاق وهم درجات انما التفاوت هناك أشدّ والدرجات أكبر . هذا ملخص هذه الآيات . انتهت اللطيفة التاسعة

﴿ اللطيفة العاشرة — وقضى ربك ألاتعبدوا إلا إياه — الخ ﴾

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله من أحقّ الناس بحسن صحابتى قال أمّك ثم أمّك ثم أباك ثم أدناك فأدناك رواه البخارى ومسلم

وروى مسلم حديثا آخر قال رسول الله ﷺ ﴿ رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة ﴾

وروى البخارى ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ﴿ جاء رجل الى رسول الله ﷺ فاستأذنه فى الجهاد فقال أحىّ والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ﴾ انتهت اللطيفة العاشرة

﴿ اللطيفة الحادية عشرة — إنّ السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا — ﴾

إن تفسير هذه الآية جميع الشرائع والعلوم فكيف نقول فيها إلا ملخص مامضى

﴿ اللطيفة الثانية عشرة — وان من شئ إلا يسبح بحمده — ﴾

اعلم أن بعض الحكماء مثل الشيرازى فى كتابه ﴿ الاسفار ﴾ فى علم الحكمة قرّر أن هذا الوجود كله حىّ ولامعنى للوجود بغير حياة وأن الحياة على مقدار اشراق أنوار الوجود الأعلى على المخلوق فللانسان وللحيوان وللنبات حياة أى ان هنالك نوعا من الشعور وهكذا الجماد له نوع من الشعور أقلّ لأنه أفيض عليه من الحى . هذا ملخص ما أطال به . وأنت تعلم أن الأدلة لاتكفى ونحن يصعب علينا تصديق ذلك إلا ببراهين أجلى وأدلة أوضح فلذلك ترى العلماء يقولون على أن التسبيح للعوالم انما هو دلالتها وهو تسبيح بلسان الحال لابلسان المقال و يظهر أثر التسبيح فعلا لأهل الرياضة وللنفوس التى شغلت بذكر الله فهؤلاء حقا اذا

سمعوا هبوب النسيم أوصرير الباب أوموج البحار أسرع الى قلوبهم معان يقصر دونها التسبيح اللفظى ويرون لذّة ليس يدركها الذين لم يذوقوها فتسبيح العوالم الذى بلسان الحال قد انطبع فى نفوس هذه الطائفة وأعطاهم معانى تدلّ على التسبيح وتؤدّى مؤدّاه . هذا لايحتاج الى برهان بل يرجع الى الوجدان وليس يصدّق به إلا أرباب الوجدان ولكن ليس فى ذلك أن الجماد نفسه يسبح غاية الأمر انه يكون سببا فى حدوث التسبيح فى نفوس المسبحين . أما كون المخلوقات نفسها تسبح وتعقل ما تقول فهذا ليس فى مقدور الناس تصديقه والناس يرون فى ذرات الماء وصريره وهبوب النسيم وزئير الأسد وعجائب الأرض والسماء من المعانى ما يجلّ عن الوصف ـ يسبح له مافى السموات ومافى الأرض ـ

فأما ماورد عن ابن عباس أن النبات والحيوان يسبحان فذلك يؤمن به لأنه مسموع مسلم به ان صح

﴿ كيف يتجلى لك تسبيح السموات والأرض ومن فيهنّ ﴾

اجلس فى الخلوات ودع الأعمال ولتسكن الحركات وتنظر فيما أمامك من حقل أخضر ونبات أزهر يأتلق وجمال بهيج وشجر نضير ونخل ظليل واثل طويل وسرو سحيق وكلأ يزين وقد هبت النسمات وفاءت الافياء وتقلب الزرع ذات اليمين وذات الشمال وغنت الأعواد بنغمات مشجية واعناق عدّه وتمايلت عجبا وتيها وتناوحت تناوح الحمام واعتنقت اعتناق العشاق وطنت الحشرات بمختلف الأصوات والطير فوق الأفنان تصدح بالألحان والكون يرقص طربا والأرض تزداد عجبا والسماء ترسل الضياء فى فسيح الأرجاء والوحش فى الفلوات يقتنص السخلات . فاذا جنّ الليل وأرخى سدوله تبدّلت الأرض غير الأرض والسماء غير السماء وطويت صحائف النهار وأسدل عليها الستار وأقبلت عرائس الليل سافرات الوجوه مشرقات المصابيح ناعسات الطرف مرسلات نورا بتسامتهنّ على الأحياء فى الأرض أن هلموا الىّ وانظروا جمالى فتعالوا اتل ما أنعم ربكم علىّ من جمال وبهاء وحسن ونضارة وقد حشركم فى الأرض وزوى نور الشمس عنكم ليالى وليالى لتتوفروا على النظر الىّ وتعلموا أن هـذا الجمال هو الذى سترونه بعد الموت حين تغرب شموس أرواحكم فتصلون فى العالم الثانى الى جمال وسكون وبهجة نحن نمثلها الآن تمثيلا . فحياتكم كضياء النهار وموتكم كظلمة الليل تشرق عليها المشرقات المنعشات الآنسات وتتجلى لكم أوانس العالم الجميل عالم الأرواح فانكم اليوم تشهدون مشهدا جميلا يعرب لكم عن المشهد الذى ستلاقونه بعد الموت وشتان مابين المشهدين . فهذا نور واشراق جسمى وذلك نور واشراق روحى مع الملأ الأعلى . انهم أرسلونى اليكم تبشيرا بمستقبلكم وطليعة لسعادتكم وفرطا لأنسكم فنحن الأوانس وأنتم المستبشرون فاقبلوا نعمة الجمال واستشعروا الجلال واذكروا ذلك فى الأجيال . هذا نظامنا المتقن بحساب المرقى للألباب

هنالك أيها الذكى تفهم لغة العواصف والريح وقصائد الورد والتسبيح . وهنالك تفهم شيأ من التسبيح

﴿ جوهرة لتذكرة معنى هذه الآية فيما تقدّم فى سورة هود عند قوله تعالى على لسان هود
ـ إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلاهو آخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم ـ ﴾

تقدّم هنالك معنى الصراط المستقيم . صراط الله وصراط الذين أنعم الله عليهم وتقـدّم هنالك معنى تسبيح كل شئ ونحن محجوبون عن فهمه فارجع اليه ان شئت . ولكنى أزيد هنا بعض ايضاح للمعنى فاقرأ ذلك هنالك ثم انظر الى ما أقوله لك الآن . وسترى أيضا فيما سيأتى عند قوله تعالى ـ قد أفلح المؤمنون ـ بعض صور الحيوان المرسومة بالتصوير الشمسى الدالة على أن لون الحيوان انما خلق لحمايته بحيث يكون بعضه مماثلا للون الرمل والحجارة التى يعيش عليها أوللون الليل الذى يخرج ويأكل فيه أولون الورق الجاف الذى يقع عليه أوجذوع الأشجار التى يلجأ اليها أوتكون رأسه ورجلاه وصندوقه أشبه بأفرع الاشجار وجناحاه يشبهان الورق وهما ملونان بلون مايحيط بهما من الزهر بحيث لايشك من يرى ذلك الحيوان أنه عبارة عن غصن ذى أوراق

وهكذا مما لاحصر له سبق ذكره هناك وسيأتى ذكره وصورته وقد قلنا هناك ان هذا هو تسبيح هذه المخلوقات وحمدها لأن هذا دلّ على عدل الله وتنزّهه عن الميل عن الصراط المستقيم فلم يكن اعطاؤه للفأر لون السواد لظلمه ولا للطائر الأمريكى الليلى المذكور هناك لون البياض والذيل الطويل تفضيلا له على الفأر . كلا . بل سواد الفأر ينفعه فى اختفائه عن العيون ليلا و بياض هذا الطائر ليكون هو مع طول ذيله علما لأعدائه فلا تقربه لعلمها بما له من رائحة منتنة يطلقها عليها فيكون ذلك العلم راحة لهذا الطائر ولما يريد اقتناصه من الحيوان . فهذا غيض من فيض من ذلك المقام . ثم نقول . هذا هو التسبيح وهذا هو التحميد الذى لم نفهمه فى قوله تعالى ـ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ وكيف نفقه تسبيحهم إلا بالعلم المذكور فى آية الأنعام إذ يقول ـ قل هل عندكم من علم الخ ـ فهذا العلم الذى فتح بابه فى هذا التفسير لاسيما هذا المقال هناك عرفنا تسبيح كل شئ إذ يقول الله ـ سبح لله مافى السموات ومافى الأرض ـ . فهاأنت ذا رأيت الله قد سبحناه أى نزّهناه عن الجور والظلم فلم يظلم الفأر بسواده ولا الحية بلونها الضعيف الذى ليس كلون الطاووس فاذا اسود الفأر ولبس الحلة الزنبور فكلاهما قد دفع عنه الشرّ بما اتصف به

(١) فالشرّ كالسواد به بقاء الحيوان ودفع الشرّ عنه

(٢) فهذا تنزيه لله عن قصد الاذلال

فاذا سبح لله مافى السموات ومافى الأرض . واذا كانت الملائكة يسبحون بحمد ربهم . واذا كان أهل الجنة آخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين فان ذلك كله يرجع الى هذا النظام الجميل . إن الفأر وان الزنبور وان الدّب القطبى وان الطائر الليلى الأمريكى وغير هذه مما يعدّ بمئات الآلاف لوأعطيت ألوانا أوأشكالا غير مالها لكان و بالا عليها فبهذا تنزّه الله عن المحاباة بل عمله متجه الى حفظ هذه الحيوانات فهو منزّه عن العبث باعطاء مالافائدة منه لهذه الحيوانات وعن المحاباة وفى الوقت نفسه أعطى نعمة . فاعطاء النعمة مقرون بدفع المضرّة فهو منزّه عن مالافائدة منه معط لنعمة البقاء والهناء . إذن التسبيح والتحميد مقرونان فى قرن فهذا هو تسبيح مافى السموات ومافى الأرض وهذا هو السرّ فى أن التسبيح قد ذكر ملتبسا بالحمد . يقول الله تعالى ـ وان من شئ إلا يسبح بحمده ـ فهاأنت ذا رأيت التسبيح مقرونا بالحمد لايفترقان فستحيل أن يدفع ضرر بلاجلب نفع للمدفوع عنه كما رأيت

﴿ موازنة بين تسبيح اللسان وحده و بين تسبيح المخلوقات ﴾

يسبح الناس بألسنتهم وتسبح المخلوقات بأوصافها وألوانها . فياليت شعرى أيهما أصدق . لاجرم أن التسبيح العملى أفصح من التسبيح اللفظى . واللافظ بالتسبيح قد يغفل عن معناه وهكذا التحميد . أما صور هذه المخلوقات فانها ناطقة نطقا يفقهه الحكماء بالحمد والتسبيح . واعلم أن التسبيح الحقيقى من العقلاء كالانسان والملك لن يكون إلا بمعرفة أمثال ماذكرناه . فتسبيح كل شئ هو التسبيح الحقيقى فاذا عرفناه فقد سبحنا وحمدنا . فهذه الصور الحيوانية الدالة على التسبيح والحمد اذا قرنت بالتلفظ بهما كان الحمد والتسبيح حقيقيين وهذا هو الذى جاء فى معنى قوله تعالى ـ فسبح بحمد ربك ـ مخاطبا رسوله ﷺ قرن التسبيح بالتحميد كما قرنهما فى تسبيح كل شئ فى آيتنا التى نحن بصدد الكلام عليها

يقول الله لرسوله ﷺ ليكن تسبيحك وحمدك مقترنين كما اقترنا فى تسبيح كل شئ . ولا يكون ذلك إلا اذا كان الوجود ممثلا أمامك على هيئته التى تقدّم ذكرها (ذكر بعضها فى هذا المقام) وهكذا فى تسبيح الملائكة قال ـ والملائكة يسبحون بحمد ربهم ـ أى انهم عالمون بابداع هذه المخلوقات التى كلها تسبيح وتحميد عملى . ولاجرم أن العلم بالشئ حضور صورته فى الذهن . إذن تسبيح الملائكة وتسبيح الأنبياء بحضور أمثال ماذكرناه من المعانى فى الحيوان أوالنبات أوغيرهما

﴿ الكلام على قوله تعالى ـ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ ﴾

قد يقول قائل إنّ الله يقول ـ ولكن لاتفقهون تسبيحهم ـ والمخاطب بذلك جميع الناس فكيف يعقل أن مالانفقه تسبيحه هوالذى يكون بتصوّره وتعقله التسبيح . إذن بمقتضى نصّ الآية يستحيل على الناس أن يعقلوا هذه المعانى

﴿ الجواب على ذلك ﴾

اعلم أن هذا الخطاب وان كان عاما فقد خصص فى آية (آل عمران) . يقول الله ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوالعلم قائما بالقسط ـ فالله يشهد انه واحد لاشريك له وانه قائم بالقسط والعدل وهكذا الملائكة يشهدون بالأمرين وهكذا أولوالعلم أى الدارسون لهذا الوجود على نحوماقرّرناه . إذن الدارسون لهذا الوجود مستثنون من المخاطبين الذين لايفقهون تسبيح هذه المخلوقات . فثبت إذن نقلا كما ثبت عقلا أن النوع الانسانى اذا عرف نظام الحيوان ودقته كما ذكرناه هنا وفيما مضى وفيما سيأتى يكون مسبحا حامدا ويكون العارفون بهذا مسبحين حامدين ويكون التسبيح والتحميد اللفظيان مذكرين بهذه المعانى . فاذا قال المسلم ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ عقب كل صلاة ثلاثا وثلاثين . واذا قالها المسلم عند نومه كذلك بهذا العدد . واذا قال المسلم فى الركوع ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ ١١ مرة أوفى السجود ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ ١١ مرة أيضا . واذا كرر ذلك فى كل صلاة واجبة أومسنونة وكان العدد مئات ومئات كل يوم فمعنى هذا كله أنه يدرك الأسرارالتى ضربنا لها الأمثال هنا وفيما مضى وفيما سيأتى من العلوم المنتشرة فى الدنيا كما كان ﷺ يقوم فى آخر الليل وينظر فى السماء ويقرأ آيات آخر (آل عمران) . كل ذلك قبل صلاة الليل . لماذا هذا . ليتذكر ذلك فى تسبيحه وتحميده ويكون الوجود حاضرا مجملا فى عقله فيسبح ربه ويحمده مراعيا نحو ما قررناه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ليدلنا على أن تسبيحنا الحقيق وتحميدنا الحقيق لايكونان إلا بعد النظر فى الوجود ونظره هو ﷺ مجرّد لمحة لأنه مملوء علما . أما نظرنا نحن فلتكن جميع العلوم التى ملأت الدنيا اليوم لأن الله علمه بالوحى ونحن لم يعلمنا الله بالوحى ولكن أمرنا أن نتعلم تعلما عمليا بعقولنا . وقوله تعالى ـ قائما بالقسط ـ أى العدل فى النظام هوعين قوله تعالى ـ إنّ ربى على صراط مستقيم ـ الذى ذكره هود عليه السلام فى معرض التوكل على الله وفى معرض انه آخذ بناصية كل دابة . وأنت تعلم من هذا التفسير أن ذلك راجع لاعطاء كل ذى حقّ حقه من الحيوان فلايعطى الحية لون الطاووس لئلا يكون هلاكها ولاالضب لون الزنبور لئلا يكون هلاكه . فتبين إذن أن المسلمين عليهم أن يدرسوا هذه الدنيا ليكونوا فى الدنيا سادة وفى الآخرة مع الله ومع الملائكة والنبيين وذلك بالعلم بحقائق هذا الوجود . وههنا اعترض بعض الاخوان فقال . إذن جميع التسبيح والتحميد من أزمان النبوّة الى الآن لاثواب فيه وقد مضى ١٣٠٠ سنة فأكثر والناس لم يلاحظواهذه المعانى . إذن كل تسبيح كان باطلا وهذا لايقرّك عليه عالم فى الاسلام . فقلت له ان الذكر اللفظى يكفيه المعنى الاجمالى فيكفى الذاكر أن يتصوّرمعنى اجماليا وهذا موجود عند جميع المسلمين بل ان الذى غفل قلبه عن المعنى الاجمالى يكون تكرارالتسبيح والتحميد وقتا فوقتا مما يلفت الذهن الى الله وجلاله . فكل تسبيح من جهال المسلمين وكل تحميد وكل ذكر لها آثار فى القلوب مشهودة . هكذا قراءة القرآن وتكرارالصلوات والعبادات . كل هذه سبب فى استحضار الله فى النفوس وهذا الاستحضار له فعل عجيب فى النفوس وآثار مشهودة معلومة . على ذلك درجت الأمم فى الديانات قديما وحديثا وهذه فضلا عن لفت القلوب لحب الله بكثرة التكرار تجعل القلوب مستعدّة لهذه العلوم عند قراءتها . واذا كنا نرى المرأة التى استحضرت فى ذهنها الضفدعة لشدّة خوفها من الضفادع قدتحوّل ولدها فى رحمها نوعا ما الى هيئة الضفدعة كما تقدّم فى هذا التفسير . واذا رأينا قدماء المصريين كانوا يأتون بصورة العجل المعبود الذى له لون خاص

وعلامة أشبه بالمثلث على جبهته فيضعونها أمام بقرة فى حال حملها ثم يكون نتيجة ذلك أن يولد العجل على الهيئة التى رأتها أمّه فيجعلونه إلهاً . أقول اذا كانت هـذه هى هيئة النفوس الحيوانية فلاجرم أن يكون استحضار الله فى القلوب بالتسبيح والتحميد داعيا الى حبه ويكون ذكره فى القلوب ورسوخ الربوبيـة فى الأفئدة ولذلك نتائج صادقة مشاهدة معروفة فى الدنيا ثم هذه تكون ملازمة للروح فى العوالم الأخرى

ومن عجب أن هـذه هى التى ورد فى القرآن مايفيدها إذ رأى زكريا مريم وهى لم يمسها الرجال وكانت سيدة النساء وعابدة فدعا الله فجاء له يحيى على صفات كصفاتها فهو سيد وهى سيدة النساء وهو حصور لايأتى النساء وهى مثله مع الرجال وهومصدّق بعيسىوهى كذلك كما تقدّم ذكر هذا فى (آل عمران)

انما جاء ذلك فى القرآن ليرينا الله أن للنفوس آثارا ومن ذلك التسبيح والتحميد مع جهل هذا الوجود فلهما آثار فى العقول ولكن هناك طائفة أرقى وهم أولوالعلم الذين هم مع الملائكة ومع ربهم ويشهدون هذا النظام والحمد لله الذى ألهم وعلم

ولما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه من اعتاد من الاخوان أن يقرأ مسودّات التفسير فقال هذا القول مشبع وجميل وقد ظهرت حقائق ماكنا لنذكرها ولكن أريد أبين من هـذا . قلت ماذا تريد . فقال أريد أن أرى من القرآن مايشبه النص على ما نقول أى ان التسبيح والتحميد الحقيقيين انما يكونان بادراك حقائق الوجود مع علمى انك أقررت بأن تسبيح العامّة وتقديسهم وان لم يكن مقرونا بالعلم له فضل عظيم . ولكن أريد التحقق من مقام الحكماء وأولى الألباب الذين ذكرت أن تسبيحهم لابدّ أن يكون مع العلم حتى يكونوا أقرب الى ربهـم والى ملائكته والى أنبيائه . فقلت ألم تقرأ قوله تعالى ـ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ـ . ألست ترى انهم سبحوا الله مساء وصباحا وعشيا وظهرا وأتى بجملة بين الصباح والمساء و بين العشىّ والظهر وهى انه محمود فى السموات والأرض . ولاجرم أن كونه محمودا فى السموات والأرض التى أتى بها بين صـلواتنا فى الذكر لحكمة أن تسبيحكم يستحسن أن يكون مع ادراك الحمد المرسوم فى صور السموات والأرضين الذى تدركه عقولكم والا فلماذا أتى بهذه الجملة بين صلواتنا الخمس كأنه يقول لنا ان تسبيحكم وصلواتكم بينها و بين العوالم المحيطة بكم مناسبة وهى انكم تدرسون هـذا الوجود قبيل الرحيـل الى السموات التى استعددتم للعروج اليها طبقا عن طبق حتى تصلوا الى لقاء ربكم وتكونوا مع الملائكة فى أعلى عليين وذلك لايكون إلا بالعلوم . فقال حسن جدّا . فقلت الحمد لله ربّ العالمين

﴿ التسبيح والتحميد وظواهر الصلوات وقصص الأوّلين فى الكتب السماوية أشبه بأشجار ثمارها الحكمة والعلم ﴾

التسبيح والتحميد باللسان مثلها كمثل أشجار البساتين المزهرة . فانظر رعاك الله لهذا العالم الذى نعيش فيه . خلقنا بأجسام ذات أعضاء وحواس وأحشاء وأطراف . ومست الحاجة الى طعام وشراب فكان هناك نفس داخل وخارج . داخل بما يصلح الدم . خارج بما هو ضارّ . فهو اذن داخل مدخل صـدق وخارج مخرج صـدق . جالب خيرا فى الأوّل ودافع ضررا بالثانى . انظرهنا قليلا . انظر الى هذا الداخل والخارج لاصـلاح الجسم ودفع الضرر عنه واقامة بنيانه . لم يرد الله أن يذر ذلك الداخـل والخارج بلاعمل آخر فى دخوله وخروجه فخلق له هذه الأسنان واللسان والشفتين والحلق الخ . ففى أثناء دخول الهواء وخروجه يتميز على حسب هذه الأعضاء فيكون حروفا والحروف كلمات والكلمات تعبر عن هـذه الدنيا كلها وعن الآخرة الله أكبر . هـذا العالم الذى نعيش فيه أشبه بصورة جميلة جاء المصوّرون من كل فجّ عميق لينسخوا صورتها وهم آلاف آلاف أفواجا أفواجا لاينقطع عددهم ولامددهم من يوم أن خلق السموات والأرض الى

قيام

قيام الساعة . أتدرى ما معنى هذا . معناه أن الألفاظ المعبرة عن هذه المخلوقات ترصد فى الكتب وتقال فى القصائد وتذكر فى المجالس فيتصوّر كل واحد من الناس هذه الدنيا على مقدار ماسمع من القول وماعلم بالحواس ومافكر بالعقل . إذن كل امرئ فى الدنيا قد صوّرت له هذه الدنيا بصورة ما أى ان كل دماغ أشبه بالخزانة المظلمة وفيه لوحة قد رسمت فيها كل مايسمعه أو يراه والكلام الذى سببه الهواء يضع فى النفس صور المعلومات علويها وسفليها . فجل الله وجلّ العلم . نفس داخل وخارج لاصلاح الجسم حمل معه صور العالم الذى نعيش فيه فرسمت فى دماغ كل امرئ . إذن هذه الدنيا لها صور لاعدد لها تقال باللسان فى عالم الهواء وترسم فى الدماغ . فاذا كان هذا العالم واحدا فهو آلاف وآلاف فى آلاف بالصور المتخذة منه بالكلام وبالصور العقلية

﴿ آثار الكلام ﴾

للكلام آثار فى القلوب . فبه بلغ الأنبياء . وأثر الخطباء . وبه ارتقاء الأمم وعظمة الدول وحفظ آثارهم فى هياكلهم وكتبهم وحفظ الشرائع فى الطوامير وبطون الدفاتر . فللكلام آثار وأىّ آثار . تلك كلها قد جاءت تبعا لاصلاح الجسم بالهواء داخلا وخارجا . لاعجب اذا كان للتسبيح وللتحميد وللصلوات آثار فى نفوس المسبحين الحامدين المصلين . ولاعجب اذا قلنا ان هذه التسبيحات والتحميدات بساتين . وهل بعد مقال الوحى مقال . ألم يقل ﷺ فى حديث الاسراء محدّثا عن الخليل عليه السلام قال يامحمد بشر أمّتك بأن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وغراسها سبحان الله والحمد لله الخ . إذن التسبيح والتحميد أشجار والأشجار لها أثمار . وماأثمار التسبيح والتحميد ياترى . أثمارها المعرفة والعلم أى أن يعرف المرء أن الله منزّه عن وضع الأشياء فى غير مواضعها وهو مع ذلك محسن كريم . إذن الهواء فى الزفير والشهيق يمثل التسبيح والتحميد فالشهيق يمثل التحميد لأنه يدخل النافع والزفير يمثل التسبيح لأنه لاخراج الضارّ . فاذا رأيته سبحانه قد جعل لون الحية أشبه بما حولها فهو بذلك دفع عنها غوائل مايهلكها وحفظ حياتها فدفع الغوائل يشير له التسبيح وبقاء الحياة يشير له التحميد والأوّل كالزفير والثانى كالتحميد . الله أكبر . جل العلم وجلت الحكمة وجلّ الله . أليست هذه المعانى هى التى ورد بها الحديث فى وصف أهل الجنة ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون أنتم النفس ﴾ فانظر لدقة المعنى وتعجب لالهام النفس المشتمل على الدفع والنفع وللتسبيح المشتمل عليهما . اللهم انك أنت المعلم والملهم . تبين من هذا أن التسبيح والتحميد ان تبعهما العلم التام كما فى هذا التفسير فبها ونعمت وان لم يتبعهما ذلك كانا أشبه بأشجار وأزهار من غير ثمر والأشجار والأزهار لها منافع الظلّ وجمال الزهر ومنافع أخرى . والمسبح الجاهل له فى التسبيح منافع كثيرة فهو فى أثناء ذلك نزّه نفسه عن الغيبة والنميمة وقول الزور . وأيضا بدخول النفس وخروجه تتأثر الأعصاب بالمعانى التى حملها الكلام فتسرى الى الروح سريان الضوء فى الأثير فتصل الى الروح آثار نورية فتكون أشبه بنور الشمس والقمر فى العالم المادّى ومن رأى نور الشمس والقمر اهتدى بهما وان كان لايدرك نظامهما وحسن اتقان جريهما . فمثل المسبحين الحامدين كمثل الناظرين للأنوار . فالعامّة والجهلاء ينتفعون بنفس الضوء والعلماء والحكماء يدركون سرّ سير الشمس والقمر . هكذا هنا فظواهر التسبيح تفيد نورا فى القلب اجماليا ومعرفة العلوم تفيد معرفة الحقائق التى تدخل تحت التسبيح والتحميد . وتسبيح الناس فى الجنة وتسبيح الملائكة وتحميدهم انما يرجع كل ذلك الى العلم والحكمة المستفادين من قوله ﴿ يلهمون التسبيح والتحميد الخ ﴾ والالهام للمعانى وتتبعها الألفاظ . ومثل ماذكرت فى التسبيح والتحميد يكون الكلام فى قصص الأنبياء فى القرآن فالعامّة يفرحون بظواهر القصص والحكماء والعلماء لايقفون على الظواهر . العامّة بنفس القصص يفرحون والعلماء والحكماء يستخرجون الدرر من البحار ويعلمون أن المقصود ماهو مكنون فى ذلك القصص

كما رأيت فى سورة هود إذ بدأها بذكر عالم الحيوان وأن الله عليه رزقها وأعاد الكرّة بذلك فى قصة هود إذ قال — إنى توكلت على الله ربى وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها — وقد تقدّم هناك ذلك فكان المقصد من قصته أخذ الله بنواصى كل حىّ كما جاء فى مبدأ السورة . وهكذا هنا فى سورة الاسراء ذكر انه أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى . ولما كان ذلك أمرا يرجع الى خلوص الروح وشرفها أومأ الى ذلك بذكر أن الروح من أمر ربى ليتبين الناس أن النفوس ترجع الى ربها والنبوّة نبراس ذلك الرجوع — وان الى ربك المنتهى — وهذه الآية التى نحن بصدد الكلام عليها تحوم حول هذا المعنى فان من يفقه التسبيح هوالذى يصل الى الله ومن لم يفقه فهومحجوب

﴿ تذييل . آثار كلام الناس وآثاركلام الله ﴾

هذه آثار كلامنا . آثار كلامنا صور فى الأذهان أى صورمانتكلم به . فاذا نطقنا بلفظ شمس أوقمر أو شجرة رسمت صورة الشمس وصورة القمر وصورة الشجرة فى ذهن من نخاطبه . فكلامنا أشبه بالزارع والأذهان أشبه بالمزرعة والصور تحدث فى النفوس بمجرّد نطقنا بها . ولاجرم اننا من آثار فعل الله وقد خلق آدم على صورته كما فى بعض الآثار . فاذا قال الله للشئ كن فان ذلك الشئ يكون ولكن كونه هناك كونا فى العيان . واذا قلنا للشئ كن فبمجرّد نطقنا يكون ذلك الشئ ولكن وجوده فى الأذهان وهذا قوله تعالى — إنما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون — أى على منوال ما تقولون أنتم . فأنتم تنطقون باسم الشئ فتوجد صورته الذهنية فى نفس السامع وأنا أقول كن فتكون صورته الحقيقية فآثارى عملية وجودية وآثاركم ذهنية خيالية . وأقرب شئ لتفهيمنا سرعة خلق الأشياء وطاعتها للصانع هوكلامنا . فكما ان كلامنا لا كلفة فيه وبمجرّد حصوله ترسم صور الأشياء هكذا كلام الله ووجود مخلوقاته

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهنّ — ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحانك اللهم وبحمدك تقدّست أسماؤك وصفاتك وأفعالك . ههنافى هذه الآية ورد — سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا — والذى قالوه انه معه آلهة فهو منزّه عن الشريك وقال فى آية أخرى — سبحان ربك رب العزّة عما يصفون — الخ والذى وصفوه به أن خلق السموات والأرض باطل — وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظنّ الذين كفروا —

إن الله تعالى لم نره ولم نر إلا مصنوعاته . وهذه المصنوعات غامضة على أكثر هذا النوع الانسانى . لقد أكثر علماء التوحيد غالبا من التنزيه فى الذات والصفات والأفعال ولكن الجمهور لم يزايلوا ذلك العموم ولم يهتد أكثرالناس الى بعض التفصيل والحكم فى العالم المشاهد . كثر التسبيح فى الصلاة وكثر التسبيح فى القرآن ويقول الله — تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن — هذا والله تهييج لمعرفة هذا التسبيح

يسبح المسلم ويحمد . ليس الحمد وليس التسبيح قاصرا على ماتصنعون . إن هذا الدين نزل لرقيكم ولم ينزل لمجرّد كلمات تقال ولا آيات تحفظ ولاصلوات تقام بلاعقل ولاتفكر . كثر فى الصلاة التسبيح والتحميد وكثر فى القرآن ذانك الأمران . ألا انما مثل الديانات فى الأرض كمثل ﴿كليلة ودمنة﴾ الذى ألفه (بيدبا الفيلسوف) لملك الهند فى زمانه قبل الميلاد بنحو ثلثمائة سنة وجعله على ألسنة الأسد والثعلب والحمام والغراب والسلحفاة والغزالة والقرد والفيلة وماأشبه ذلك . فهذا الكتاب ظاهره ينتفع به الجهال يتسلون بالصور التى فيه ويفرحون بأسد يتكلم وثعلب ينمّ على الثور وثور يسمع النميمة فيظنّ السوء بالأسد وهكذا الأسد يسمع ذلك فيفتك بالثور ثم تدور الدائرة على النمام وهو (دمنة) فيحكم عليه بالقتل فيقتل . هذه حكايات يفرح بها الجهال ولكن الحكماء لايقفون عند الظواهر بل يدخلون فى علوم السياسة ونظام الأمم والعمران . هذا

كتاب

كتاب (كليلة ودمنة) وهذا قصده ولكن إياك أن تقول ان الديانات على هذا النمط ، كلا ، وانما أقول لك ان المقصد من هذا التشبيه أن كلام بعض مخلوقات الله فى الأرض اذا كان له ظواهر يكتفى بها العامّة و بواطن يفقهها الخاصة فبالأولى ثم الأولى كلام الله الذى لايقاس بكلام الناس • إنّ كلام الله أشبه بفعله أنّ الله يخلق الأشجار المثمرة يستظلّ بها قوم وقوم يأكلون الأثمار • هكذا هذا القرآن وهذه الصلوات والتسبيحات • يسبح المسلم و يصلى و يحمد فان كان جاهلا فقد نال مناه لأنه أثناء التسبيح والتحميد والقراءة وهو غافل عن المعنى قد كف نفسه عن المعاصى وأيضا يكون حين القراءة أو الصلاة فى صورة الطاعة وفى استحضار الخالق وان كان الكلام غير مفهوم وهناك تكون البركات والآثار على قدر اجتهاد العابد ونيته فهو إذن كالمستظلّ بالشجرة وان لم ينل الثمرة • الله أكبر ههنا وصلت الى المقصود من هذا المقال • سبحانك اللهم و بحمدك سبحنك وسبحك مافى السموات ومافى الأرض وذلك لا يعرف إلا بالعلوم التى ملأت الكرة الأرضية اليوم • اللهم إنك أنت القائل — وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها — والقائل — ثم إنّ علينا بيانه —

اللهم إن هذا هو زمان البيان وزمان العرفان • أنزلت القرآن وحفظه المسلمون وسبحوا وحمدوا وأكثرهم نائمون • حاربوا علماءهم كالغزالى وابن رشد فأنت قد ألهمت الأمم التى أخذت علوم المسلمين أن تدرس هذا الوجود فدرسوه على قدر طاقتهم • وهانحن الآن فى هذا التفسير وغيره نستردّ الأمانة ونقول — هذه بضاعتنا ردّت الينا — • فماذا قرأنا فى تلك العلوم • قرأنا أن كل مخلوق له خاصة بعضها كشف قديما و بعضها كشف حديثا و بعضها سيكشف • وهذا كله هو معنى التسبيح والحمد • انظره فى سورة هود عند قوله تعالى — مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربى على صراط مستقيم — وهكذا عند قوله تعالى فى سورة الرعد — وفى الأرض قطع متجاورات — فى بعض اللطائف التى ذكر فيها ﴿النغمات فى الأحجار﴾ هناك ترى فى هذا المقام أن لون الحيوان انما خلق فيه لمنفعته هو • وترى فى سورة — قد أفلح المؤمنون — نيفا وثلاثين حالا مذكورة للحيوانات بحيث يكون اللون حافظا لنفس الحيوان وكأنّ الزنبور مثلا وهو حامل سلاحه وملون بلونه قد نطق بتسبيح ربه أى تنزيهه عن العبث فى اختصاص الزنبور باللون الزاهر لما له من السلاح الذى يحميه هذا هو التسبيح حقا • سبح مافى السموات ومافى الأرض وكل مافيهما يسبح كما يسبح الزنبور أى ان لونه الظاهر انما وضع فيه لأنه له سلاح يحميه • ففى هذا اللون نجاته من الهاجم عليه لأن اللون أعلمه به ونجاة الهاجم عليه من الطيور الآكلات الحشرات لأن لون الزنبور أنذرها • فالله تعالى منزّه أن يعطى هذا الزنبور لونه بلا منفعة إذ نفس الزنبور تسبيح عملى وقس على مسألة الزنبور كل المسائل هناك فترقبها واقرأها وقل فى كل منها ماقلته لك الآن

هذا بعض سرّ التسبيح فى هذا المكان وغيره وهكذا فى سورة الرعد إذ ترى هناك فى القطع المتجاورات أن الماء والأرض والهواء والبخار والأحجار قد اختصّ كل واحد بعمل وصارت جميعها أشبه بأوتار الموسيقى كما شرحته لك هناك • يرتفع البخار فوق الهواء و يتكوّن السحاب و ينزل فى أجزاء الهواء قطرات رحمة بالناس لئلا يهلكوا أو يستضرّوا بنزوله مرة واحدة • وهكذا نرى أن لكل حجر وظيفة لا ينفع فيها سواه فلا الملح يغنى عن حجر الرحى ولا حجر الرحى يغنى عن الجرانيت ولا الماء يغنى عن الهواء ولا الهواء يغنى عن البخار • فما من هذه المخلوقات إلا له مقام معلوم لا يفيد فيه سواه — وان من شئ إلا عندنا خزائنه وماننزّله إلا بقدر معلوم — إذن الماء والهواء والبخار والملح والأحجار الأخرى كل واحد يقول أنا ماخلقت باطلا بل خلقت لمنفعة وغيرى لا يسدّ مسدّى من كل الوجوه ثم يقول كل واحد منها ان الله منزّه عن العبث فى خلقى إذ خلقنى لعمل • إن هذه العوالم ليست مصادفة عمياء بل معقولة موزونة • فهذه لاعبث فى خلقها وإيجادها • ههنا اتحد الحمد بالتسبيح فشجرة النخل مثلا تقول إنى لايسدّ غيرى مسدّى فى زمن المحل فاختصاصى بهذه الصفات ليست عبثا وفيها

منافع . فقول النخلة لست عبثا معناه أنّ الله منزّه عن عمل بلاتدبير وكونها فيها منافع معناه انه محمود على نعمه . تبين بهذا معنى قوله تعالى — وان من شئ إلا يسبح بحمده — على قدرطاقتنا وتبين أن هذه المعانى لاتتمّ لنا إلا بدراسة علوم الأمم المحيطة بنا التى تسلموها من آبائنا . وتبين بهذا أيضا أن المسلمين لن ينالوا هـذه المعانى التى توقفهم على حقائق الـكائنات وتسبيحها إلا بعد بذل الجهد فى توسيع نطاق المعارف العامّة ابتدائية وتجهيزية وعالية . وهناك ينبغ من يدركون خواص الموجودات . إذن لايتمّ ذلك إلا بعد ازدهار أنوار المدنية فى بلاد الاسلام وقراءة علوم الأمم المحيطة بنا و بغيرذلك لابقاء للمسلمين ولاعلم عندهم ولاتسبيح ولاحمد ويكون أتباع هذا الدين الحكيم حفاظين كلمات لاتدخل عقولهم ولاتؤثر فى نفوسهم و ينطبق عليهم إذ ذاك قوله تعالى — ومنهم أمّيون لايعلمون الـكتاب إلا أمانىّ وان هم إلا يظنون —

الآن أيها المسلمون كشف الغطاء وظهرالسرّ وأشرق النور — وأشرقت الأرض بنور ربها — . اليوم ظهرت أسرار هـذا الدين . ومن أجلّ الأسرار أنه لاتسبيح ولاتقديس على الحقيقة إلا بدراسة العلوم التى عرفتها الأمم حولنا فان لم ندرسها حقّ علينا قول ربنا — فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون —

إنّ الساهى عن صلاته لايعقل المعنى فى مثل ﴿ سبحان الله والحمد لله ﴾ ومن لايعقل المعنى لايطلبه ومن لايطلب العلم جاهل وان جميع العلوم داخلة فى الحمد والتسبيح والويل الذى جاء فى الآية حلّ بالأمم الاسلامية اليوم لأنهم قوم ساهون فى غمراتهم وأعمالهم ودنياهم ودينهم . فهذه الصلاة معراج . فهل عرج المسلمون عليها للعلوم التى فصلها الله فى الأرض وفى السماء . ولـكن الله يقول — وما كنا عن الخلق غافلين — فهو سبحانه لعنايته بالمسلمين أودع فى العبادة التسبيح والتحميد فـكرّرهما وملأ الأرض بالعلم ثم أظهر هـذا التفسير وأمثاله فظهرت الحقيقة وسيقرأ الناس هذا وأمثاله فترتقى أولاد مدنهم ومع ارتقاء المدن بالعلوم يكون ارتقاء النفوس بها من حيث ادراك أمثال ماقلنا الآن من أن التسبيح والتحميد ساريان فى سائر العوالم وهما معروفان للمفـكرين والحمد لله ربّ العالمين

﴿ التسبيح والتحميد فى القرآن لغز الوجود ﴾

هل يعلم المسلمون أنّ هذه الآية هى اللغز الذى انتصب لحله أمم الأرض قاطبة . التسبيح والتحميد هما مسألة (الخير والشرّ) . فالتسبيح تنزيه عن فعل الشرّ أوالاتصاف به والتحميد ايذان بالاتصاف بفعل الخير والشرّ والخير المذكوران هما موضوع دراسة الأمم كلها . اننا على هذه الأرض نحسّ بآلام ولذات ومحبوب ومكروه . هكذا أبناء آدم من عهده وان تقادم بحثوا فى الخير والشرّ ونظروا . فانظر فى دين المجوس وكيف كان المجوس يقولون إنّ الذى صنع هذا العالم ﴿ إلهان ﴾ إله للخير واله للشرّ . فاذا قيل لهم من الذى صنع العقارب والحيات . ومن الذى أتى بالأمراض والموت فلاجواب لهم إلا أن يقولوا هو إله الشرّ . ولقدفروا بذلك من أنّ إلها رحيما يصبح فاعلا للشرّ وانتهى الأمر عندهم على ذلك . إنّ الناس قديما وحديثا لايعقلون إلها رحيما ثم هو يخلق الشرّ . فهذه العقدة حلها دين المجوس بهذا الحلّ الذى فصل الخير عن الشرّ وجعلوا أنّ إله الخير تغلب على إله الشرّ وصنع هذه الخيرات . هذا هودين المجوس وهـذا الحلّ يتناول الشرور التى فى العالم والتى فى نفس الانسان . فاذا قيل لم كانت الزلازل يقولون من فعل إله الشرّ . واذاقيل لم كانت الحياة فيقولون من إله الخير وهكذا المرض من الاوّل والصحة من الثانى

﴿ آراء علماء اليونان فى الخير والشرّ ﴾

ثم إنك ترى أنّ علماء اليونان بحثوا فى الخير والشرّ ولـكن من الجهة الانسانية وحدها . ولقدكان فيهم (الرواقيون) أصحاب (سقراط) والمشاؤن أصحاب (أرسطاطاليس) والذى نقل الينا انما هو رأى أصحاب الرواق وكلامهم فى هذا المقام خاص بالأخلاق . ولقدكان (سقراط) قبل الميلاد بنحوأربعة قرون وكلام هذه الطائفة

الرواقية فى الاخلاق كان مشهورا فى مصر والشام منذ القرن الأوّل للمسيح ولأقوالهم مايشبهها فى كلام الحكماء والصوفية فى الأمم الاسلامية ويرى فى الاحياء للامام الغزالى مايقرب من آرائهم من حيث المباحث الأخلاقية كالعفة والصبر والقناعة والحلم والبشاشة وما أشبه ذلك . ولسنا الآن فى مقام مباحث الأخلاق وتفصيلها بل نريد الفكرة العامّة لهذه الطائفة من حيث الخير والشرّ . ولقد كنت وعدت أن أكتب (لغزقابس) جميعه هنا ولكن وجدت فيه بعض تكرار مع تقدّم فى التفسير فلم أذكره واكتفيت بما تقدّم فى سورة البقرة

﴿ سانحة ليلة الأربعاء ١٤ ديسمبر سنة ١٩٣٧ ﴾

﴿ فى صلاة العشاء ﴾

(لم كان التسبيح عقب الصلوات وكذا التحميد والتكبير)

اعلم أن هذا الانسان خلق على هذه الأرض منذ مئات الآلاف من السنين كما يظنّ العلماء اليوم ولم يزل يجاهد ويكافح هذه الطبيعة ويكشف مخبآتها لاسعاده وارتقائه وهذا الدين الاسلامى قد جاء فى أواخر القرون وأمر المسلم أن يدعو بدعوات يحفظها التعبد وهذه الأذكار والدعوات تنفع العابد من حيث ثوابها وثوابها فى العبادة واضح فهى تذكره بربه اذا كان جاهلا . ولكن هذا الجاهل يكون فى هذا الوجود أشبه بالذباب المذكور فى سورة الحجر الذى يقع على بعض الأزهار فيدخلها مستدفئا بها حتى اذا حركها ولقحت خرج منها فاستدفأ بغيرها فقد نال دفئا ولكن الزهرة نالت منه حياة . فهكذا العابد الجاهل فى أمة الاسلام يسبح ويحمد ويكبر وستأتى أمم تسمع هذا القول فيقولون . لم كان التسبيح . ولم كان الحمد . ولم كان التكبير . ولم يقول الله — وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم — ثم وصف نفسه بالحلم والغفران فعلام هذا الحلم وعلام هذا الغفران . وهل كون الله تسبحه السموات والأرض وكل شئ يتضمن ذنبا حتى يغفره الله ويحلم علينا . هذه الآراء ستقولها أمم بعد ظهور هذا التفسير

﴿ الاجابة ﴾

وهؤلاء القائلون سيجيبون فيقولون . نعم الله متكلم . نراه كلم النمل والنحل والعنكبوت والذرات وكل دابة وهكذا الانسان أصبحنا نراه يكلمها بلاحرف ولاصوت . ألاترى اننا نحسّ بجوع و بشبع و بشبق وبرحة وبحزن وبهمّ وبغمّ وبحسد وبغير ذلك من أنواع الاحساس والعواطف ثم يقولون بعد ذلك إن هذه اللغات قد علمت آباءنا وأمهاتنا القدماء أن لبسوا الثياب وزرعوا القطن والكتان وأنواع القمح والذرة وغيرها وسائر الفاكهة . كل ذلك حاصل بسبب تلك اللغة وهى كلام الله الذى يكلم به كل دابة تدب بلاحرف ولاصوت . ومن الكلام الذى عرفه الناس أنواع الأمراض فبسببها ظهر علماء الطب وعلماء البيطرة للدواب فى سائر البلاد . ثم ان من بعدنا حين يقولون ذلك يرجعون فيقولون . إذن هذه اللغة صادقة وآثارها واضحة . بها ربت الأم ولدها وزرع الزراع وربى المربى . إذن فلندرس هذه اللغة أى لغة العواطف لنستبين ماصدق منها وماكذب والكذب إنما جاء من قبيل جهلنا نحن إذ جعلنا صفة المنافسة مثلا حسدا فبدل أن نجاهد لنساوى غيرنا نسعى فى إماتته . وسيقولون إذ ذاك ان الانسان اليوم أشبه بالمجنون الذى يخبط ويضرب نفسه ويكاد يكسر رأسه . ذلك لأنه يعيش على الأرض ومن جهالته وحماقته إنه الى الآن لم يستخرج كل قوّة كمنت فيه أوفى أرضه أوهوائه فبدل أن يجدّ الناس جميعا فى استخراج قواهم وقوى الطبيعة التى تكفل لهم السعادة يقاتل بعضهم بعضا نذالة وجهالة وحمقا وقلة عقل . نعم الأمم الجاهلة قد عطلت قواها وعطلت أرضها وحقا هذه لاحقّ لها فى أن تستولى على الأرض . هذا حق ولكن الأمم التى تهجم عليها أيضا غافلة جاهلة . فجميع أهل الأرض اليوم غافلون . ذلك لأن هذه المهاجمة كان عليها أن تعلم سكان الأرض التى تدخلها وتجعلهم مساوين لهم فى كل شئ ويكون الاستيلاء على الأرض على مقدار المنافع والمقدرة

أما الآن فالأمم كلها لاتزال غير قادرة على حفظ النظام العام . هذه هى اللغة العامّة التى لم يتمّ الناس دراستها الى الآن . فهـذا الكلام الالهى الذى ظهر أثره فى نوع الانسان قد دخلت فيـه آلام كثيرة . آلام لموت الولد ومرضه . وآلام الحرب . وآلام النصب فى كسب المعاش . وآلام المرض بل ان أكثر هذا الكلام الالهى آلام . إذن اللغة التى يخاطبنا الله بها كلها إحساس والاحساس متنوّع . إذن هذا الاحساس لم يكن لايذائنا بل هو لمنفعتنا . فاذن قول المسلم ﴿ سبحان الله ﴾ معناه أن هذه الآلام لم ترسل لأهل الأرض ظلما كلا . بل هى اللسان الذى يفهمونه وليس هناك طريق توصل للحيوان وللانسان منافعه إلا من طريق هذه اللغة . فعلى قادة الأمم بعدنا أن يكونوا جماعات للتفكير فى أسباب الآلام العامّة حتى يتداركوا مافرط من نوع الانسان وعلى مقدار الجهل بهذه اللغـة يكون العـذاب لهذا الانسان . فاذن يجب دراسة هـذه الآلام الشاملة لنوع الانسان ومتى أدركها الناس سعدوا . فما هذه الآلام العامّة فى نوع الانسان من سياسـية وجسمية وعقلية إلا مطالبات بالكمال وعلى الناس الدراسة . هذا معنى سبحان الله يعنى يا أيها الناس إنى لم أنزل عليكم جوعا ولاعريا ولاغيرهما إلا لتكميلكم فالآلام مقدّمات الكمال لا انى أريد تعـذيبكم بل تهذيبكم . إذن تسبيح المسلمين يراد به دراسة هـذا الوجود . أما التحميد فانه تكميل التسبيح فاننا اذا درسنا الآلام الانسانية وعرفنا أن القصد منها معرفة مقاصدها . هكذا من باب أولى فلنـدرس النعم المحيطة بنا فلا نذر هواء ولاماء ولاعنصرا أرضيا إلا درسـناه لنتمتع بنعم الله لأن هـذه النعم هى المطالب العامّة التى لها خلق الله فينا أنواع الآلام . فالآلام تدفعنا للعمل والعمل ينيلنا نعم الله التى تحيط بنا وهذه النعم هى المحمود عليها . فاذن يدرس الناس طباعهم فيكونون مسبحين لأنهم اذا عرفوا الحقائق نزّهوا ربهم عن قصد إيذائهم وعذابهم بلاحكمة ثم يخرجون من ذلك الى تناول النعم فيكون الحمـد ثم بعد ذلك يقال لهم أيها الناس انكم لم تؤتوا من العلم إلا قليلا وهذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ هذا هو التسبيح والتحميد والتكبير عقب الصلوات وهذا بعض سرّ قوله تعالى — وان من شئ إلا يسبح بحمده ولـكن لاتفقهون تسبيحهم — فالجوع يؤلمك وفى الوقت نفسه ينزّه الله أن يريد ايذاءك وانما يرسل الجوع ليدعوك للطعام وبالطعام تحيا فالآلام لاسعادك بالحياة فلو أن الناس درسوا مافى نفوسهم لأدركوا أن كل ألم فانما هو لمصلحة والمسلم يقول فى سجوده وركوعه سبحان ربى العظيم وسبحان ربى الأعلى ثم يتبع ذلك بأنه خشع له سمعه وبصره وبأنه سجد وجهه للذى خلقه وصوّره الخ

كل ذلك من هذا الوادى . فهو يقول ان الله لم يرسل الآلام فى الأرض إلا لرحمتنا فلندرس مالم نفهمه لأن الله يقول — ولـكن لاتفقهون تسبيحهم — * وقـد جاء فى الحديث ﴿ من يرد الله به خـيرا يفقهه فى الدين ﴾ ومثل هذا الفهم من أجلّ الفقه فى الدين لأنه نهاية حكمة الحكماء وعلم العلماء وبعض مافضـل به ابو بكر رضى الله عنه الذى فضل الناس بشئ وقر فى نفسه

اذا عرف المسلم هذا ينتقل الى طبائع هذه الدنيا ويدرسـها وينظر منافعها ويحترس من المضار ويجلب المنافع وهو هو معنى الحمد . واذا وصل الناس الى منافع فى الأرض فليس معنى هذا انهم قد وصلوا الى النهاية كلا . وهـذا معنى ﴿ الله أكبر ﴾ فكلما وصل الناس الى نعمة فليعلموا أن وراءها نعما . واعلم أن أهل الأرض اليوم كلهم جاهلون لأنهم يجهلون ماخلق فيهم من الآلام مع انهم لودرسوها لأعطتهم علما جما فاذا رأينا الجوع والعرى وحبّ التزوّج مغروسين فينا فلنعلم يقينا أن هذا قصد وحكمة وهذا القصد وهذه الحكمة يجب علينا دراستهما لتهدينا الى حياتنا بل لنقلد الله فى ذلك وليكن تعليمنا صامتا اذا قدرنا . وكلما كان التعليم بالصمت كان أقرب الى التفقه والا فنحن ممتثلون فنأكل الطعام ونتزوّج ونحن مقهورون على ذلك ولاندرى اننا مقهورون . فلماذا لايفكر أهل الأرض فى انهم يكونون بعضهم لبعض نافعا بطريق الحب والدافع النفسى كما رأوا أنفسهم يلدون ويأكلون ويشربون وهم يظنون انهم مختارون مع انهم جميعا يجهلون انهم مقهورون

على

على ذلك . اللهم انا خلقنا فى هذه الأرض ونحن لم نتم مقصود هذه الحياة كما قال تعالى ـ كلا انها تذكرة * فمن شاء ذكره * فى صحف مكرّمة * مرفوعة مطهرة ـ الى قوله ـ قتل الانسان ما أكفره * من أىّ شئ خلقه * من نطفة خلقه فقدّره * ثم السبيل يسره ـ الى قوله ـ كلا لما يقض ما أمره ـ وترى القرآن يذكر أن ثمود طغوا بعقر الناقة ويقول ـ كذّبت ثمود بطغواها * اذ انبعث أشقاها ـ الخ وهذا كله راجع الى جهل نعمة أرسلت اليهم وهى الناقة ولما جهلوها عقروها وهى نعمة فى الحياة الدنيا فعوقبوا . ومعنى هذا أن الناس على الأرض اليوم اذا جهلوا النعم التى أحاطت بهم فانهم لامحالة معاقبون وأكثر أهل الأرض اليوم فى عقاب فى الدنيا ـ ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى ـ

فليقرأ الناس جميعا عواطفهم ومنافع أرضهم والله لن يتمّ ذلك إلا اذا تضافر أهل الأرض على هذه الدراسة ووحدوا الوجهة العلمية والعملية والا فهم لايزالون فى عذاب مستمر . وأظنّ أن النوع الانسانى سيقترب منه هذا اليوم ـ والله يعلم وأنتم لاتعلمون ـ انتهى

﴿ بهجة العلوم فى قوله تعالى أيضا ـ تسبح له السموات السبع ـ الخ ﴾
(من كلام الصوفية)

اعلم أيها الذكي أن الله عزّ وجل أنذر هذه الأمم الاسلامية بجميع طرق الانذار فلم يذر سبيلا لتعليمهم إلا سلكه ولاطريقا لهدايتهم إلاسنها . ذلك لأنه رحمن رحيم فهو رؤف بخلقه . ولاجرم أن هذا العالم الذى نعيش فيه من العوالم المتأخرة التى تأتى الهداية لأهله بطرق خاصة تناسب عقولهم . فانظر ماذا جرى

قد عرفت فيما سبق فى هذا التفسير أن المسلمين المتأخرين حرموا من العلم بجمال هذه الدنيا وزاد الطين بلة أنه شاع بين المتصوّفة أن العلم حجاب وشاعت هذه القضية بين الناس فأصبحت هذه عقيدة معمولا بها فماذا صنع الله مع المسلمين . جعل بعضهم فى أخريات الأمم وسلط عليهم الفرنجة فأحاطوا بهم من كل جانب وقبل ذلك سلط عليهم الصليبيين فحاربوهم . كل ذلك ليوقظهم للعلم والمعرفة لأن العلم هو السلاح العام فى كل زمان لاسيما فى هذا الزمان فهو السلاح المتين فان السلاح فى الحرب نتيجة من نتائج العلم وهكذا سائر أدوات الحرب من سفن وقلاع الخ

تعجب من صنعه مع المسلمين . علم سبحانه أنه عزّ وجل سيلهم أناسا فى عصرنا هذا لنشر العلم وتحريض المسلمين عليه مثل مافى هذا الكتاب وعلم أن أكثر الأمم الاسلامية أتباع شيوخ الطرق وأكثر شيوخ الطرق ينهون الناس عن العلم وعن قراءة الكتب لتبقى السلطة فى أيديهم لأن المسلم اذا كان أعلم من أستاذه تركه لامحالة . فانظر ماذا دبر الله لقراء هذا التفسير . ألهم الرجل الصالح المسمى (بالشيخ الخوّاص) بمصر فى القرن العاشر الهجرى أن يلقى بعض مسائل للشيخ عبد الوهاب الشعرانى رحمهما الله تعالى وتلك المسائل تناسب الآية التى نحن بصددها وتناسب العلوم التى كشفت حديثا ولم تكن معلومة فى ذلك العصر وانما فعل ذلك لتكون حجة لأمثال قراء هذا التفسير وتلك الحجة بها يصولون ويهاجون أولئك الجهلة من المسلمين الذين يقولون ان هذه العلوم لا لزوم لها فتكون هذه المسائل أشبه بمن يضرب طيرين بحجر واحد فهى أوّلا حجة على جميع من يدعى من الصوفية جهلا أن الاسلام براء من هذه العلوم فيقال لهم إذن لماذا أظهر الله معرفة ماستسمعه من العجائب العلمية على يد صوفى مثلك فى وقت لم يعلم بهذه العلوم أحد فى الأرض . إذن هذه العلوم اسلامية صوفية وأنت جاهل بها ﴿ثانيا﴾ هذه متى سمعها المسلم وأيقن أن بعض الخواص من المسلمين عرفوا هذه المسائل قبل ظهورها أيقن لامحالة بأن هذا علامة على صدق هذا الدين وتكون هذه من معجزات صاحب الشرع ﷺ

اذا علمت ذلك فهاك ما قاله الشيخ الخوّاص للشيخ الشعرانى فى كتابه المسمى ﴿الجواهر والدّرر﴾

ذلك أن الشيخ الشعرانى سأل الخوّاص شيخه الأمّى الذى لم يكتب ولم يقرأ ولم يتعلم فقال اذا كان كل شئ فى الوجود حيا دراكا عند أهل الكشف فبأىّ شئ زاد الحيوان على الجماد فى شهود العامّة . فقال زاد على الجماد بالشهوة فقط زيادة عن الادراك ثم ذكر له ماجاء فى السنة الصحيحة مما يشهد بمعرفتها لأوامر ربها وبمعرفتها بكل شئ و بفهمها كل كلام ولكنها عاجزة عن اسماعنا النطق بالله . وذكر هنا أحاديث فى هذا المعنى اكتفى منها بقوله انه ﷺ لما هاجر الى المدينة وتعرّض كل من الأنصار لزمام ناقته قال ﷺ دعوها فانها مأمورة . قال ولايؤمن إلا من يعقل ثم قال وفى القرآن العظيم ـ ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ـ قال والأمثال هم المشتركون فى صفات النفس كاهم حيوان ناطق إلا أن كل جنس يقلّ فى غيره معرفة اصطلاحه ثم قال تعالى ـ ثم الى ربهم يحشرون ـ يعنى كما تحشرون أنتم وهوقوله تعالى ـ واذا الوحوش حشرت ـ يعنى للشهادة يوم الفصل والقضاء ليفصل الله بينهم كما يفصل بيننا فيأخذ للشاة الجماء من الشاة القرناء كما ورد فى ذلك دليل على أنهم مخاطبون مكلفون من عند الله من حيث لايشعر المحجوبون وذكر آية ـ وان من أمّة إلا خلا فيها نذير ـ قال والنذير خاص وعام . قال وورد أن الكلاب أمّة من الأمم وهكذا النمل والحشرات انها أمم أمثالنا . ثم ذكر كلاما لاتتصوّره عقولنا مثل ان البهائم قد حارت أشدّ الحيرة فى معرفة الله تعالى وان أعلى مايصل اليه العلماء فى العلم بالله تعالى مبتدأ البهائم التى لم تنتقل عنه وان كانت متنقلة فى شؤنه . ويقول ان الناس احتاروا فى أمر الحيوان لأنهم يرون أعمالا صادرة بعقل وروية وفكر دقيق ولم يكشف الله لهم عن عقولها ومعرفتها وهم لايقدرون على انكار مايرونه و يصدر عنها من الصنائع المحكمة فحاروا وأخذ هؤلاء المحجوبون يتأوّلون ماجاء فى الكتاب والسنة من نطقهم ونسبة القول اليهم . ثم قال فياليت شعرى ماذا يفعلون فيما يرونه مشاهدة كالنحل فى أقراص الشمع ومافى صنعتها من الحكم والآداب مع الله تعالى . وكالعناكب فى ترتيب الحبالات لصيد الذباب حيث جعل الله أرزاقها فيه . ومايدخره النمل و بعض الحيوانات من أقوات و بناء أعشاشهم واقامتها من القش والطين ونحوذلك على ميزان معلوم وقدر مخصوص واحتياطهم على أنفسهم فى أقواتهم فيأكلون نصف مايدخرون خوف الجدب فلايجدون مايتقوّتون به فان كان ذلك عن نظر فهم يشبهون أهل النظر . فأين عدم العقل الذى ينسب اليهم وان كان ذلك علما ضروريا فقد أشبهونا فيما لاندركه إلا بالضرورة فلافرق إذن بيننا و بينهم ولو رفع الله عن أعين الخلق حجاب العمى كما رفعه عن أهل الشهود لرأوا عجبا فى عشق الأشجار بعضها بعضا وطلبها اللقاح وأظهرآية لأهل النظر اذا أنصفوا . ثم قال الشعرانى بعد ذلك وقد شهدت شيخنا عليا الخوّاص يعامل كل جماد فى الوجود معاملة الحىّ فضلا عن الحيوانات و يقول ان كل جماد يفهم الخطاب و يتألم كما يتألم الحيوان الخ انتهى

ثم إنّ الشيخ أحمد بن المبارك بعد ذلك بقرنين اثنين حدّث عن شيخه أيضا المسمى الشيخ عبدالعزيز الدباغ بمثل هذا فقد سأله عن تسبيح الحصى ونحوه فقال ان ذلك كلامها وتسبيحها دائما وانما سأل النبىّ ﷺ ربه أن يزيل الحجاب عن الحاضرين حتى يسمعوا ذلك منها . ثم أخذ يشرح هذا المقام بحسب طريقه فأفاد أن الجمادات تعرف ربها كسائر الحيوان وانها عابدة خاشعة خاضعة . هذه وجهتها لربها ووجهتها الينا أنها لاتعلم ولاتسمع الخ وأتى بهذه الآية ـ وان من شئ إلا يسبح بحمده ـ وقال أيضا ان للأرض علما هى حاملته وعارفة به كما يحمل أحدنا كتاب الله عزّوجل و يعرفه وكذا كل مخلوق من الجمادات هوحامل له . قال الشيخ ابن المبارك فقلت له فتكون عاقلة عالمة كيف وهى جماد . فقال انما كانت جمادا فى أعيننا وأما بالنسبة الى ربها فهى عالمة به . وأكد فى قوله أن كل جماد خاضع خائف خاشع وجل من ربه والناس لجهلهم يظنون انهم يمشون على جماد . وأتى بعد ذلك بأشياء لايتخيلها العقل مثل انه سمع الأحجار بطريق الكشف تذكر الله وتسبحه . انتهى

وهينا

وههنا جاء صديق العالم الذى اعتاد أن يسألنى فى الامور الهامة فقال بعد أن اطلع على ما كتبته هنا . عجبا لقد أتيت هنا بما لاتتصوره العقول . وهل هذا يليق بتفسير القرآن فى هذا الزمان . فالنا ولهذا القول الذى لاتتصوره العقول وأىّ مناسبة بينه و بين الكشف فى العصر الحاضر الذى ذكرته وأين الكشف الذى كشف هذا . فقلت له ان ماتقدّم كله يرجع لعالم الحيوان والنبات والجماد . فأما الحيوان فهذا العصر قد كشف فيه علما جما . ناهيك ماتقدّم فى هذا التفسير من علوم عصرنا ومن دقة صناعات الحيوانات و بدائعها وتصرّفها فارجع اليه فى سورة هود والنحل وغيرها فذكر ذلك قبل أر بعة قرون على لسان رجل مسلم أمى أمر عجب . وأما النبات فأمره أعجب لأنك ترى الشيخ الخوّاص يقول ان الأشجار تعشق بعضها لأجل الالقاح وهذا عينه هو الذى كشفه العلم الحديث وأنا أحمد الله عزّ وجل حمدا كثيرا إذ جعل هذا التفسير مستوفيا لهذه المسائل كما تقدم فى سورة الحجر وفى غيرها فان إلقاح النبات أمر عام لايختصّ بعالم واحد نباتى وقدمرّ شرحه فى سور كثيرة غير الحجر كالأنعام والبقرة وهكذا . وأما الجماد فهو أمر خفىّ جدّا ولكن علماء العصر الحاضر لم يذكروا إلا ما يأتى

يقول بعض علماء أورو با إن كل الجمادات متحركات وهذا أمر أصبح مبرهنا عليه وتقدّم فى هذا التفسير ومعنى هذا أن كل قطرة ماء أوقطعة حجر مركبة من ذرات صغيرة والذرات الصغيرة ترجع الى جواهر فردة والجواهر الفردة ترجع الى عناصر أوّلية كالاكسوجين والادروجين وقد بلغت العناصر الآن فوق الثمانين عدّا وجعلوا منها النحاس والحديد والذهب والفضة وهكذا وهذه العناصر متى تحللت لاترجع إلا الى كهرباء وماهى إلا تموّجات و بينها مسافات متباعدات يدور بعضها على بعض كما تدور السيارات حول الشمس فالعوالم كلها متحركات دائما لاسكون لها وحركات تلك الذرات دائمة لافتور لها فهى لاتهدأ من يوم أن خلق الله العالم الى يوم أن يفنى العالم كله فناء تاما

و يقول العالم (هنشو) الذى نشر فى مجلة (هار بر) الأمريكية مقالا فى نقطة الماء وانه فرض تكبيرها حتى صارت بحسب الغرض أكبر من فلك الأرض حول الشمس ما يأتى

إننا نرى جوهر الاكسوجين مثلا وجوهر الادروجين ليس كل منهما إلا ذرّتين من النور احداهما تدور حول الأخرى قال واذا استنبطنا وسيلة تبطئ حركتها رأينا فى كل دائرة منها نقطة صغيرة من النور ولسرعة دورانها يظهر مدارها دائرة من نور لأنها تدور فيه ستة آلاف ألف ألف ألف ألف دورة فى الثانية الواحدة من الزمان . وماهذه النقطة اللامعة النورية الدائرة إلا نقطة كهربائية . إذن الأجسام التى نراها كلها ترجع لعناصر والعناصر ترجع الى كهرباء والكهرباء ماهى إلا نقط نورية يدور بعضها على بعض بسرعة ملايين الملايين أى آلاف آلاف أضعافا مضاعفة وهذه السرعة باختلافها اختلفت العناصر و باختلاف العناصر اختلف العالم الذى نعيش فيه من سماوات وأرضين . هذا كلام علماء العصر الحاضر جميعا ثم ان طائفة منهم خاصة فى سائر أنحاء أورو با يستنتجون من ذلك أن كل مخلوق له حياة لأن الحركة تصحب الحياة . واذا كان الحيوان بسبب الحياة متحركا حركات مختلفات فهانحن أولاء تحققنا حركات الجماد كله وحركاته أسرع آلاف الآلاف من حركات الحيوان فلم نثبت الحياة لضعيف الحركة وننفيها عمن الحركة فيه أقوى وأدوم . فهذه الطائفة تقول ان كل موجود حىّ . هذا آخر ماوصل اليه العلماء فى العصر الحاضر . ثم قلت له . أفلاترى أيها الأخ أن كشف العصر الحاضر قد أتى بثلاثة أر باع ماقاله شيوخ المسلمين من باب الالهام وقد نبهوا المسلمين والمسلمون بقوا غافلين لم يتفطنوا لما يقولون . فقال صاحبى حقا انه من العجب أن يذكر ذلك بعض الشيوخ والعالم الانسانى كله منذ أر بعة قرون كان فى غفلة فان تعاشق الأشجار التى ذكرها الشيخ الخوّاص لم تعرف إلا فى زماننا ومعرفتها جاءت من أورو با ولم يعلم أحد من المسلمين ولاغيرهم أن للجماد حركات بطيئة أوسريعة إلا فى

هذا الزمان ولكن كون الجماد له فهم أمره غيرمعقول . فقلت نعم انه غير معقول لنا ولكن نحن الآن فى مقام الموازنة بين كلام بعض شيوخ المسلمين و بين الكشف الحديث واننا نتعجب من أن بعض ماقالوه ظهر صدقه فقال نعم هذا حسن وقد قرب لنا معنى أن كل شئ يسبح بحمد الله فملا . ثم سأل ﴿ سؤالين * أولهما ﴾ ما الفائدة فى ظهورمثل هذه الأقوال فى زمان تأخر المسلمين مع انه كان فى ذلك الزمان كان خارجا عن العقول و بعضه الى الآن لايزال بعيدا عن تصوّر العقل ﴿ ثانيهما ﴾ هل كل مايقوله الصوفية بالنسبة لما نراه من تحقيق كثير من المسائل العلمية بدون تعليم . فقلت أما فائدة ظهور هذه الأقوال فى زمان تأخر المسلمين فقد قدّمت لك جملتها فى هذا المقال وأزيدها وضوحا الآن فأقول

إنّ فائدتها ترجع ﴿ لأمرين * الأول ﴾ أن الناس فى زمان جهالتهم حين يسمعون هذا وهوفوق طاقة العقل يسلمون به تسليما بلابحث وتكون فائدته لهم ثبات عقيدة الايمان فهى أشبه بمعجزات الأنبياء فهى من العلوم التى فوق طاقتهم كما ان المعجزة فوق طاقتهم فيكون نتيجة ذلك العلم ايمانا ثابتا ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن يعرف المسلمون فى عصرنا حين يطلعون على هذه العلوم والمباحث الطبيعية التى تكاد تنطق بما قاله هؤلاء الشيوخ أنّ شيوخ الصوفية وتلامذتهم الذين هم أكثر المسلمين الآن اذا تركوا هذه العلوم وهم قادرون عليها وعكفوا على العبادات وحدها والخلوات والدعوات والذكر وعقولهم خاوية من معرفة هذه العوالم يكونون آثمين مغرورين مذنبين وذلك ﴿ لأمرين * الأول ﴾ ماعرفته من أنها فروض كفايات ﴿ الثانى ﴾ أن نفس رجال الصوفية هم الذين أخبروا بهذه المسائل قبل ظهورها فى أوروبا و بقيت هذه نحوأربعة قرون فى بطون الكتب لتظهر الآن مشروحة فى أمثال هذا التفسير الذى سيكون من الأسباب الفعالة فى انطلاق العقول الى حوز هذه العلوم ان شاء الله تعالى . فاذا كان شيوخ الصوفية هم الذين أشاروا اليها قبل ظهور علماء أوروبا وقد وصل هؤلاء الى أهمّ ماذكره شيوخ الصوفية . فاذن يكون الصوفية فى زماننا اذا جهلوا هذه العلوم مذنبين مغرورين معاقبين . إن الله عزّوجل أنطق هؤلاء الشيوخ بذلك تقريعا للصوفية فى هذا الزمان على جهلهم . فقال صاحبى هذا حقّ من وجه ولكنه باطل من وجه آخر . إن الصوفية بسبب الانقطاع الى الله يفتح عليهم فيعرفون مالا يعرفه الناس . فقلت هذا أمرنادر والنادرلاحكم له وهذه العقيدة عامّة بين تلاميذ الصوفية وأكثرهم يموتون وهم لايعلمون ولوكان هذا الفتوح عاما لأصبحت بلاد الاسلام كلها غنية عامرة أغنى من أوروبا فى هذه العلوم . فقال المفتوح عليه لا يكلم الناس بعلمه لأنهم لا يعقلون . فقلت وما فائدتنا منه فرضا وهذا كله جهل * قال رسول الله ﷺ ﴿ إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ﴾ والله عزّوجل لايعطى العلم إلا للمجدّ فيه . وانظرالى هؤلاء الشيوخ مثل الدباغ الذى ذكر تسبيح الجماد والشيخ الخوّاص الذى قال ان الأشجار تتعاشق فان علمهما علم اجمالى ولم يفد المسلمين فائدة عامّة ولكن العلوم اذا درست دراسة حقيقية انتشرالعلم وانتفع به الناس ولكننا رأينا المسلمين مع كثرة رجال الصوفية فيهم أفقر خلق الله فى هذه العلوم . إذن من الجهل أن نتكل على الفتوح بالعلوم مجانا وأن نترك عقولنا ومواهبنا كمن يترك حرث الأرض وزرعها اتكالا على أنه ربما يعثر على كنز فهذا جهل وغرور . انتهى الأمر الأوّل

وأماالثانى وهوهل كل مايقوله الصوفية حقّ فأقول جوابا عليه . كلا . وأذكرك بماتقدّم فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحرـ الخ إذ ترى أن فى كل انسان قوّة مخفية عنه وقداستعمل الناس طرقا صناعية بهافقدالانسان احساسه وانخطف انخطافا روحيا فيسمع من بعد و ينبئ بحوادث مستقبلة و يخاطب الأرواح حوله و يكون بالنسبة لجسمه كأنه غريب عنه ثم هومع ذلك قد يخطئ . ذلك لأن الله عزّوجل لايريد أن يجعلنا فى الأرض نعيش خامدين . فقال اذا صحّ هذا فى التنويم المغناطيسى فلا يصح فى حقّ الشيوخ . فقلت له . كلا . إن الله عظيم متعال متكبر وقد فعل مع الشيوخ مافعله مع غيرهم

قال

قال وكيف ذلك . قلت ألم تر الى ما ذكره الشيخ الشعرانى نقلا عن الخوّاص فى آخر الكتاب المتقدّم . يقول ﴿ إن يوم الأمّة المحمدية ألف سنة أوّلها من ولاية معاوية قال ولاتزال الشريعة ظاهرة يحكم بها الى ثلاثين سنة من القرن الحادى عشر ثم يختـل نظامها الأكبر وتصير كعقد انقطع سلكه ﴾ وقال فى آخر كتاب ﴿ درر الغواص ﴾ مايفيد هذا وقال مانصه

وقد بين الكشف والذوق اقتراب الأمر الدنيوى وانشقاق الفجر الأخروى وزاد فى البيان عكس الظلمة والظلال وقبض العلوم الى أن قال وقد اجتمع بعض مشايخنا بالمهدى عليه السلام وأخبره أنه قد قرب ظهوره الخ فهذه الأقوال كلها لم تتمّ وهانحن أولاء فى القرن الرابع عشر الهجرى ولم تقم القيامة مع أنها كان موعدها فى القرن الحادى عشر الهجرى . فينتج من ذلك أن التنويم المغناطيسى وشيوخ الصوفية يخطئون ويصيبون وما أصاب فيه الصوفية ايقاظ للمسلمين وما أخطؤا فيه تعليم لنا أن لا نتكل إلا على الله ونتعلم بأنفسنا فهذا زمان رقى المسلمين وانى أحمد الله عزّوجل إذ علمنا مالم نكن نعلم

وقبل الانتقال الى القسم الثانى أوضح ماجاء فى حديث الاسراء أنه ﷺ رأى ليلة أسرى به نهرين ظاهرين وهما الفرات والنيل وهناك نهران آخران فى الجنة وأيضا قوله انه رفع الى البيت المعمور وأن هناك ملائكة يدخلونه كل يوم ثم لايرجعون وأن سدرة المنتهى لما غشيها من أمر الله ماغشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها

(١) النيل والفرات . اعلم أن الجنة ليس نيلنا فيها ولافراتنا وانما هذا الذى رآه رسول الله ﷺ من عالم البرزخ الذى هو المسمى عالم المثال الذى ذكره (أفلاطون) وكثير من الصوفية عندنا . فهذا العالم أرى الله فيه نبيه ﷺ الحقيقة مجسمة والحقيقة كذلك أى ان النيل والفرات من السماء . وبيانه أن الحركات الشمسية المنتظمة سبب فى الصيف والربيع والخريف والشتاء ومن هذه يكون المطر المستخرج بالحرارة من المياه فتى أرسلت الشمس أشعتها على الأرض وسخن ظاهر الماء اتجه البخار الى الجوّ فتلاقى مع الطبقة الباردة عند خط الاستواء فهطل المطر . إن الأرض يحيط بها خيمة من الهواء البارد مرفوعة عند خط الاستواء راسية على الأرض عند القطبين فهناك الثلج المتراكم والجوّ بارد فاذا ارتفع البخار فى هواء حار عند خط الاستواء وتلاقى بهذا الهواء البارد نزل المطر واذا اتجه الريح من المنطقة المعتدلة الى المنطقة الباردة كالرياح التجارية الضدية المتجهة الى الدائرتين القطبيتين فان السحاب هناك تهطل . لماذا . لأن الهواء الحار قابله البارد ومثل هذا يحصل فى الرياح الموسمية التى تتجه من الشمال الى الجنوب شتاء ومن الجنوب الى الشمال صيفا وتهبّ على المحيط الهندى فهذه الرياح متى لاقت الرياح الباردة هطلت مطرا . فهذه الأمطار ناجة من البخار الذى حملته الرياح التى أثارتها وأثارت البخار حرارة الشمس المسيرة فى السماء . فاذن كل ذلك بفعل سماوى لا أرضى فما النيل والفرات وغيرهما من الأنهار التى بيناها فى سورة الرعد إلا قطرة من بحر النظام السماوى فحركات الشمس وحرارتها هما اللذان بسببهما أجرى الله الأنهار من فرات ونيل وغيرهما ولاجرم أن الشمس ونظامها متصلة بشموس أخرى وأخرى وهكذا الى أن ينقطع فكر العباد فظهر أن كلام نبينا محمد ﷺ يقصد به البحث والتنقيب عن العجائب والنظام فان الانسان اذا سمع أن النيل فى الجنة لايصدّق فيبحث فيصل الى ماقلته . إن علوم الطبيعة أوصدت أبوابها دوننا معاشر بنى آدم إلا ماتجود به حواسنا وعقولنا وغيره محجوب . هكذا جعل الله للأنبياء رموزا لنبحث حتى نصل الى مقصودها ونقف على الحقائق بقدر الامكان

(٢) وأما كون سدرة المنتهى قد غشيها من أمر الله ماغشيها فذلك يعرف مبادئه بعض المقطعين للعبادة فان هناك لهم أحوال خاصة بهم حقيقية أنا لا أشكّ فيها وليس لها مفتاح إلا العبادة والذكر واستحضار الله

فى الصلاة بحيث تشعر بانك تخاطبه فهذه مفتاح التجلى الذى يريك مبادى هـذا الذى ذكر فى الحديث وان كان الذى يتجلى للسالكين ليس شيأ بالنسبة للنبى ﷺ ولكن مالايدرك كله لايترك كله . واذا كان حديث الفرات والنيل للبحث فى العوالم فحديث سدرة المنتهى وأنوارها للبحث فى أسرار النفس . وأنا أقول لك ان فيها أسرارا لاتقف عليها إلا بمفتاح العبادة والذكر مع حضور قلبك ولتعلم أن هذه الأنوار النفسية شئ وعلم النفس الذى فى الفلسفة شئ آخر . فعلم النفس الذى ذكرنا بعضه فى سورة البقرة يتناوله البحث ويدخل فيه المنطق والقياس والبرهان . فأما هذا فلابرهان له إلا العبادة والذكر والنتائج لايعرفها إلا صاحبها فقد يرى مسرات وانشراحا لايحس بها الذى لم يزاولها فعلم النفس الفلسفى يشترك فيه الناس عموما وعلم النفس الوجدانى خاص بأصحابه ولهم ثمراته

(٣) وأما مسألة الملائكة وانهم سبعون ألفا يأمون البيت المعمور ثم لايرجعون أبدا فهذا مقام فوق هـذا المقام فان الجمال الذى يتجلى لأصحاب الذكر والمرتاضين مرتبته أقل من مرتبة الذين ارتقوا فشاهدوا عالم الملائكة . واذا كنا نرى فى أرضنا الضعيفة عوالم لاتعد ولاتحصى حتى انك لوحسبت مافى دارك وحدها من المكروبات التى لاترى ربما بلغت مئات آلاف الآلاف بل هذه الأعداد ومافوقها ربما كانت فى قطرة ماء فى فنجال فما بالك بما فى المنزل . واذا كان هذا فى عالمنا فابالك بعالم الملائكة فالأنبياء يطلعون على عوالم شريفة لاتحصى لقرب نفوسهم من نفوسهم وللتجانس بينهما . انتهى ما أردناه تابعا للقسم الأول

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً * يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً * وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَما أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً * وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً * أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً * وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً * وَما مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَما نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً * وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَما جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً *

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا *
قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا
* قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا * وَاسْتَفْزِزْ مَنِ
اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ
بِرَبِّكَ وَكِيلًا * رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ
بِكُمْ رَحِيمًا * وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى
الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا * أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا * أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا *
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ
وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا
لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا
قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا * أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ
وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ
يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا * وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ
لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا * وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا *
وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا * وَإِذَا
أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا * قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ

شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً * ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً * إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا * قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا * ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا * وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولاً * وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً * قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً * قل كفى بالله شهيداً بينى وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً * ومن يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً * ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً * أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً * قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً * ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إنى لأظنك يا موسى مسحوراً * قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً * فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً * وقلنا من بعده لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً * وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً * وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً * قل آمنوا به أو

لاتُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً * قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَاتَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

لما قالوا ـ أئذا متنا وكنا عظاما ورفاتا ـ قال الله لنبيه ﷺ (قل كونوا حجارة) في شدّتها (أوحديدا) في قوّته و بأسه (أوخلقا مما يكبر في صدوركم) و يستعصى على قبول الحياة لكونه أبعد شئ عنها فقدرة الله لاتقصر عن إحيائكم فسيان عندها أصلب الأشياء وألطفها فالعظام النخرة أقرب إذن الى قبول الحياة لاتستعصى عليها كما أطاع ماهوأ كثر منها شدّة وأصلب (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أوّل مرة) وكنتم ترابا فمن قدر على الانشاء فهو على الاعادة أقدر (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو) استبعادا له (قل عسى أن يكون قريبا) عسى هنا للوجوب أى هو قريب (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أى يوم يدعوكم من قبوركم الى المحاسبة يوم القيامة فتجيبونه حامدين له إذ تنفضون التراب عن رؤسكم وتقولون سبحانك اللهم وبحمدك أومنقادين له انقياد الحامدين واذا حمدوا الله على الأوّل فهم ﴿ فريقان ﴾ فريق ينفعه الحمد وهم المؤمنون والثانى لاينفعه لأنه بعد فوات الفرصة فى الحياة وهم الكافرون (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) أى وتستقصرون مدّة لبثكم فى الدنيا عند الموت أومدّة لبثكم فى القبر يوم القيامة ـ كالذى مرّ على قرية وهى خاوية على عروشها ـ (وقل لعبادى) المؤمنين الكلمة (التى هى أحسن) ولاتخاشنوا المشركين (إن الشيطان ينزغ بينهم) يهيج ويفسد ويلقى العداوة بينهم (إن الشيطان كان للانسان عدوّا مبينا) ظاهر العداوة ثم قال تعالى (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) أى يوفقكم للايمان فتؤمنوا (أوان يشأ يعذّبكم) أى يمتكم على الشرك فتعذّبوا (وما أرسلناك عليهم وكيلا) موكولا لك أمرهم فتقهرهم على الايمان * يروى أن المشركين أفرطوا فى ايذاء المؤمنين فشكوا الى رسول الله ﷺ فنزلت (وربك أعلم بمن فى السموات والأرض) بأحوالهم فيقذف الايمان فى قلب من يشاء والكفر فى قلب من يشاء و يصطفى منهم أفضلهم استعدادا للنبوّة والنبيون أيضا درجات فلابدع اذا كان محمد ﷺ نبيا وهو يتيم أبى طالب فان استعداده هكذا ولابدع أيضا فى أن العراة الضعاف أصحابه فالتفضيل راجع للقوّة الروحية لا للمادّة الجسمية ولا لكثرة الأموال والذرّية . إن تفضيل داود عليه الصلاة والسلام لم يكن للملك وانما هو لما أوتيه من نعمة الزبور . فهكذا محمد ﷺ تفضيله واصطفاء الفقراء أن يكونوا أتباعه لم يكن إلا لمآثرهم النفسية وهذا ردّ لاستبعادهم أن يكون يتيم أبى طالب نبيا وأصحابه العراة أتباعه وهذا قوله تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا * قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) أى الذين زعمتم انهم آلهة كالملائكة والمسيح وعزير عليهم السلام (فلايملكون) فلايستطيعون (كشف الضرّ عنكم ولاتحويلا) فالضرّ كالمرض والفقر والقحط لايقدرون على كشفه عنكم ولاتحويله الى غيركم وليس الأمر قاصرا على عجزهم عن ذلك بل ان أقربهم الى الله يدعوه يبتغى اليه الوسيلة فكيف يكون غير الأقرب واذا كان هذا شأنهم عجزا عن كشف الضرّ عنكم وافتقارا والتجاء الى الله أعلاهم وأدناهم فكيف تعبدونهم

وهذا قوله تعالى (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) ثم أبدل من الواو فى يبتغون فقال (أيهم) هو (أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فهم كغيرهم فى الرجاء والخوف (إنّ عذاب ربك كان محذورا) أى حقيقا بأن يحذره كل أحد ملك مقرّب ونبى مرسل فضلا عن سواهما (وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والخراب (أومعذّبوها عذابا شديدا) بالقتل وأنواع العذاب (كان ذلك فى الكتاب مسطورا) أى مثبتا فى علم الله القديم أواللوح المحفوظ * لما سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبا وفضة وأن ينحى الجبال عنهم ليزرعوا أوحى الله لرسوله ﷺ مخيرا له بين الاستئصال اذا أنزل عليهم الآيات كثمود فيكذبون وتأخير العذاب مع عدم انزال تلك الآيات فاختار التأخير ليكون منهم مؤمنون وذريتهم سيكونون من المؤمنين فقال الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أى وما صرفنا عن اقتراح الآيات التى اقترحتها قريش (إلا أن كذب بها الأولون) أى إلا تكذيب الأولين الذين هم مثلهم كعاد وثمود فلو أنزلت لكذبوها فيستأصلون وكيف نستأصلهم وفيهم من يؤمن بنفسه أو يؤمن ابناؤه (وآتينا ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) آية بينة (فظلموا بها) فكفروا بها وعقروها (وما نرسل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فاذا لم يخافوا أنزلناها (و) اذكر (إذ قلنا لك) أى أوحينا اليك (إن ربك أحاط بالناس) فهم فى قبضة قدرته (وماجعلنا الرؤيا التى أريناك) ليلة المعراج من العجائب والغرائب إذ أسرى به الى بيت المقدس ثم عرج به الى السماء والعرب تقول ﴿ رأيت بعينى رؤيا ورؤية ﴾ (إلا فتنة للناس) فأنكر قوم ذلك وزاد المؤمنون اخلاصا فهذه الفتنة كنار تميز الخبيث من الطيب والمؤمنون منهم من قال انها رؤيا منام ومنهم من قال رؤية يقظة ومنهم من قال ان المعراج معراجان معراج فى اليقظة ومعراج فى المنام . ثم ان ماقدّمناه يجمع الأقوال المعتدّ بها يقول الله فتنا بها الناس كما فتناهم بغيرها فكفر المكذّبون فأما المؤمنون فلهم مذاهب شتى ويدخلون فى أبواب من المعارف مختلفة وكل يقف عند ماتذعن له نفسه وفريق يتناهى فى البحث الى كشف الحقائق العلمية والأقوال الروحية ليخرج الناس من ظلمة الجهالة . إن أمثال هذه أشبه بالنار توقد فيصهر المعدن فى البودقة فوقها فيكون الزبد أعلاه والجوهر الصافى ادناه فقد امتازا بالنار امتيازا كذلك هذه الرؤيا فعلت التى أريناك (والشجرة الملعونة فى القرآن) أى وماجعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنة للناس فانهم حين سمعوا أن شجرة الزقوم طعام الأثيم اختلفوا فقوم ازدادوا ايمانا وقوم ازدادوا كفرا كأبى جهل إذ قال ان ابن أبى كبشة أى النبى ﷺ توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنها تنبت شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر . وقال عبد الله بن الزبعرى ان محمدا يخوّفنا بالزقوم وما الزقوم إلا الزبد والتمر وانما كانت ملعونة لأنها فى جهنم وهى أبعد مكان من رحمة الله وآكلوها مبعدون من رحمة الله فجعلت ملعونة مجازا . ويقال لكل طعام ضارّ انه ملعون . فهؤلاء كما فتنوا بالرؤيا فتنوا بالشجرة فالكافرون ينكرون والمؤمنون ﴿ فريقان ﴾ فريق يكل الأمر لله وفريق يرى أن يبحث فى الحكمة وعلوم الطبيعة هل يجد شجرا لاتحرقه النار فيرون أن هناك حريرا يقال له الحرير الصخرى . ولقد رأيته وأنا فى دار العلوم وألقيت درسا على الطلبة بدل مدرس العلم فيها المرحوم أستاذى أحمد أفندى عبد العزيز فانى وضعت الحرير على النار مقدار ثلث ساعة تقريبا والحرير لم يزدد إلا نظافة وهذا الحرير يلبسه الذين يطفؤن النار فى المدن بأمر الحكومات كحكومتنا المصرية فالحرير الصخرى كالحرير المعتاد وكالقطن فاذا جاز ذلك فى هذه الحياة فكم فى الأرض نفسها من عجب وكم فى العوالم الأخرى من عجب بل مامن شجر أوحجر الاوفيه نار بل الأرض مملوءة نارا وماخلص من النار إلا قشرتها التى نحن عليها بل الماء نفسه مادّة نارية فنحو ٨ اتساعه اكسوجين وهو مادّة تشتعل سريعا والتسع أودروجين فأرضنا نار وماؤنا نار وأشجارنا وأحجارنا مملوءة نارا وهذا العالم الذى نسكنه تتخلله النار ولو لم يكن فى هذه الآية سوى هذا الذى ذكرناه لكفى فهذه الفتنة

أثارت حاجة البحث والتنقيب وأوقفت أهل الجهل والتقصير فوقفوا جامدين ثم قال تعالى (ونخوّفهم) بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (إلا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم باجابة مايقترحون من الآيات فاذن لانرسل الآيات المقترحات لهم إذ لافائدة فى ذلك . ان هؤلاء ساروا فى طريقهم على مذهب ابليس إذ طغى وتكبر بعد ظهور الحقّ وأتى بشبهات ضئيلات فهم اتبعوه فى تكذيبهم (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) فالملائكة مع آدم يشبههم المؤمنون مع محمد وابليس هناك يقابله الكفار هنا (قال) ابليس (أأسجد لمن خلقت) حال كونه (طينا) وهؤلاء قالوا أنتبع يتيم أبي طالب ولانصدّق المعراج ولانعقل شجرة فى نار فهذا كله تكذيب بأدلة سفسطائية كأدلة ابليس ثم ان ابليس تمادى فى ذلك ووعد باغواء بنى آدم وهذا قوله تعالى (قال أرأيتك) الكاف للخطاب تأكيدا (هذا) مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا (الذى كرّمت علىّ) أى فضلته لم كرمته علىّ وأنا خيرمنه خلقتنى من نار وخلقته من طين كما يقول كفارمكة ـ لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ـ (لئن أخرتنى الى يوم القيامة لأحتنكنّ ذرّيته) لأستأصلنهم بالاضلال (إلا قليلا) يعنى المعصومين وهم الذين قال الله فيهم ـ إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ (قال اذهب) امض لما قصدته فطرده وخلى بينه و بين ماسوّلت له نفسه (فمن تبعك منهم فانّ جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) أى فان جزاءك وجزاءهم جزاء مكمل (واستفزز) استخف وازعج (من استطعت منهم) أى من ذرّية آدم (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) من الجلبة وهى الصياح أى صح عليهم بأعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة والرجل اسم جمع لراجل كركب لراكب وصحب لصاحب وهذا تمثيل لسلطته على من يغويهم برجل مغير صاح على قوم فاستفزّهم من أماكنهم وأجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم ثم قال (وشاركهم فى الأموال والأولاد) فيكسبون الأموال من السحت و يصرفونها فيما لاينبغى و يلدون الأولاد من حرام باغرائك ويكفر أولادهم و يضلون بتزيينك لهم الباطل مع جهل آبائهم ولواهتدوا للقنوهم الهدى (وعدهم) المواعيدالتى لاتفيد كتأخير

حاصبا) ريحا تحصب أى ترمى بالحصباء (ثم لاتجدوا لكم علينا وكيلا) مانعا وناصرا (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) مرة أخرى (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) وهى التى لاتمرّ بشئ إلا قصفته أى كسرته (فيغرقكم بما كفرتم) أى بسبب اشراككم (ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا) التبيع المطالب أى لاتجدون أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا لثأركم . إن الاغراق فى البحر والخسف فى الأرض جاآ كلاما معترضا بين نعمة ازجاء السفن فى البحر لابتغاء الرزق و بين تمام النعمة بتكريم بنى آدم وحملهم فى البرّ والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من المخلوقات والكلام المعترض للانذار والتخويف وليعرفوا النعمة وهذا قوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة واعتدال القامة والعقل والصناعة واللغات والخط والهدى لأسباب المعاش الشريفة والتسلط على ما فى الأرض والاطلاع على العجائب العلوية والسفلية (وحملناهم فى البرّ والبحر) على الدوّاب والقطرات والطيارات والمطاود (جمع منطاد) والسفن (ورزقناهم من الطيبات) وهى الأغذية النباتية والحيوانية المصفاة المنقاة فلهم خلاصتها لأن أمزجتهم أرق الأمزجة وخلاصة الغذاء ينشأ منه خلاصة المغتذين (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستعلاء والشرف والكرامة والقليل الذى لايفضل الانسان عليه خواص الملائكة والمسألة محل نظر لافائدة فى التوغل فيها . اذكر (يوم ندعو كل أناس بامامهم) بكتاب أعمالهم التى قدّموها فلاذكر للأنساب لأنها مقطوعة ولاذكر إلا للأعمال والأخلاق والآراء والعقائد والقوى النفسية التى هى مغروسة فى النفوس فلايقال يا ابن فلان وانما يقال ياصاحب كتاب كذا فالأنساب جسمية والآراء علمية عقلية والباقى هذا الأخير والفانى خلفه الناس فى الأرض (فمن أوتى) من المدعوين (كتابه) كتاب عمله (بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم) مبتهجين فرحين (ولايظلمون فتيلا) ولاينقصون من أجورهم أدنى شئ * والفتيل الشئ الذى يكون فى شقّ النواة وذلك ظاهر فى علم الكيمياء فان وزن الذرّات لاخلل فيه فلوأن ذرّة واحدة زادت فى نبات أوحيوان أوماء من عنصر من العناصر الداخلة فى تركيب ذلك لم يتكوّن ذلك المخلوق كما شرحناه فى هذا الكتاب . والذى خلق الدنيا هو الذى خلق الآخرة فالظلم مستحيل هناك كما استحال هنا الظلم فى نظم الطبيعة فتأمّل واعجب وارجع الى ماتقدم فى مواضع كثيرة فى هذا التفسير (ومن كان فى هذه أعمى) أعمى القلب لايبصر رشده (فهو فى الآخرة أعمى) لايرى طريق النجاة (وأضلّ سبيلا) منه فى الدنيا . ذلك لأنك رأيت فى تفسير هذه السورة وفى غيرها أن الحياة الأخرى بعد الموت مباشرة و يوم القيامة ليست شيأ سوى هذه الروح التى بين جنبينا قد خرجت وولدها هذا الجسم كما تلد المرأة الصبى وكما يثمر النخل التمر والأشجار الأخرى الفواكه وما التمر ولا الفواكه إلا ما كان من طباع الشجرة . هكذا ما الروح الباقية شئ سوى هذه الروح نفسها وقد خرجت بجميع صفاتها وأخلاقها وأحوالها وأعمالها وآدابها فهى التى تنظر الى نفسها وتنفر أوتنشرح بذاتها فالثمر على حسب الشجر والروح هناك هى الروح هنا فاذا كانت هنا ساهية لاهية فهى هناك أكثر سهوا وأكثر لهوا بل هى هناك أبعد مدى فى الضلال والعمى لأن آلات العلم والعمل عطلت و بقيت فيها مناقبها ومثالبها ولا قدرة لها على الزيادة من الأولى ولا النقص من الثانية فهذا تقرير قوله تعالى (وأضلّ سبيلا) ثم أتى بمثالين للقسمين قسم المهتدين وقسم العمى الضالين فهؤلاء الآخرون كبعض قريش إذ قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك . وكذلك أيضا قال ان أهل مكة كادوا يزعجونك منها واذن لايبقون بعدك فيها إلا زمانا قليلا فهذه حال القسم الأعمى . أما القسم الذى أخذ كتابه بيمينه فهو الذى يعمل بما بعد ذلك من الآيات فيصلون الصلوات الخمس و يتهجدون وهذا هو قوله (وان كادوا ليفتنونك) أى وانه أى الحال والشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال والصرف (عن الذى أوحينا اليك) من الأحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (واذن لاتخذوك خليلا) أى ولواتبعت مرادهم لاتخذوك وليا وخرجت من

ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا إياك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على أهبة الركون اليهم لا لضعف منك . كلا . ولكن لشدة مبالغتهم فى الخداع لك والتحيل ولكن عنايتنا بك منعتك أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم (إذن لأذقناك) أى لوفعلت ذلك لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات أى ضاعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة وأصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا أى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهى الضعف ثم أضيفت الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات فهو ﷺ لو ركن اليهم يكون عذابه ضعف عذاب غيره لأن الذنب من العظيم عقابه أعظم وهكذا زلة العلماء يعاقبون عليها أشدّ من عقاب العامّة لأنهم يتبعونهم (ثم لاتجد لك علينا نصيرا) يدفع عنك العذاب * لما نزلت هذه الآية قال النبى ﷺ « اللهم لاتكلنى الى نفسى طرفة عين » (وان كادوا) أى وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بالعداوة (من الأرض) أرض مكة (ليخرجوك منها واذن لايلبثون خلافك) أى ولوخرجت لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) أى إلا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم قدغلبوا يوم بدر بعدالهجرة بسنة * وقال بعض المفسرين لوأخرجوك لاستؤصلوا بالعذاب ولكنه هوالذى هاجر . وهذه سنة الله فى خلقه أنه يهلك كل أمّة تخرج رسولها من ديارها ولذلك سنّ الله (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) اضافة السنة للرسل لأنها لأجلهم سنت (ولاتجد لسنتنا) فيهم (تحويلا) تغييرا . هذا آخر الكلام فى مثال الذين هم عمى فى الدنيا والآخرة وهم أهل مكة . ثم شرع فى قسم المهتدين كما قدمنا فذكر أشرفهم فقال (أقم الصلاة لدلوك الشمس) أى لزوالها أى بعد زوال الشمس لأن الدلوك من الدلك وهو الانتقال والدالك لاتستقرّ يده فى مكان (الى غسق الليل) الى ظلمته وذلك وقت صلاة العشاء الأخيرة اذا زال الشفق (وقرآن الفجر) صلاة الصبح وسميت قرآنا من تسمية الكل باسم البعض لأن القراءة من أركانها كما تسمى ركوعا وتسمى سجودا (إن قرآن الفجر كان مشهودا) تشهده شواهد القدرة وبدائع الحكمة ونظام الخليقة وبهجة العالم العلوى والسفلى من ظلام حالك أزاله نورساطع وبهجة باهرة فبينما الناس فى نومتهم خامدون إذ أيقظهم النور فهم منتشرون فهناك ظهورالنور وجمال الاصباح ويقظة النوّام بعدالظلام وغيبوبة الحواس . ذلك كله محيط بالمصلى صلاة الصبح كأن ذلك كله طوائف من العقلاء مطلعون عليه يشهدونه ويراقبون حركاته . وهكذا الملائكة الموكلون بحراسة هذا العالم وحراسة المؤمنين يشهدون المصلى وقد أخذت ملائكة الليل ينصرفون وأقبل ملائكة النهار يرقبون كما أدبرالظلام وأقبل الضياء ـ وما منا إلا له مقام معلوم ـ واذا كانت هذه الصلاة مشهودة من العوالم العاقلة كالمصلين والملائكة وغير العاقلين كما ذكرناه فان المصلى نفسه يشهد معناها كأنه يطالعه فى صحيفة نفسه وقد أصبح وقلبه فارغ لم يصب بهموم النهار فتتدفق المعانى على قلبه وتتجلى له الأنوار المعنوية كما تجلت الأنوار الحسية فى آفاق المشرق وتشرق نفسه كماينبلج الصبح اشراقا . واذا كان حاضرالقلب وقد حضرت الملائكة ألهموه المعانى والهام الصلاح والتقوى لأنهم لايلهمون بالخير إلا المستعدّ وهذا وقت الاستعداد . وهذه هى الصلوات الخمس فمن دلوك الشمس الى غسق الليل أى غروب الشفق الذى يتبعه الظلام أربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقرآن الفجر هوالصبح ثم قال تعالى (ومن الليل فتهجد به) أى وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة . ويقال فى النوم أيضا تهجد (نافلة لك) أى فريضة زائدة لك على الصلوات الخمس المفروضة عليك فأما أمّتك فهو مندوب فى حقها (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) أى عسى أن يقيمك ربك مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه فالبعث هنا ضمن معنى الاقامة . وذلك أن اشراق النفس بالصلوات الخمس وبالنوافل يكسبها قوّة وتأثيرا وهذا مما يبعث على انتشار أنوار الهداية كضياء الشمس والقمر إذ الهداة فى الأرض إما شموس كالأنبياء واما كواكب كالعلماء ولاتشرق قلوب هؤلاء ولاهؤلاء إلا بتوجهها

الى الله فى أوقات خاصة عينت هنا وزيد فيها للنبى ﷺ صلاة الليل إذ يترك النوم ويقوم للصلاة فتشرق نفوس هؤلاء فيقومون فى الخلق داعين ولا أثر لهم فى العقول إلا على مقدار ما أوتوا من قوّة النور النفسى واشراق القلوب وبهجة النفوس ومستحيل أن يكون للارشاد تأثير ولا للعلم نور إلا بهذه الطريقة فيقوم الأنبياء فى الناس داعين ويكون مقامهم محمودا لثناء الناس عليهم وهم أنفسهم حامدون لمقامهم وموقفهم الشريف لما يحسون فى أنفسهم من السرور واللذة والبهجة والرضا فهم يحمدون مقامهم والناس من حولهم يحمدونهم والله والملائكة من فوقهم كذلك . ولاجرم أن هذا المقام المحمود بالرشد والارشاد يتبعه مقام الشفاعة كما قرّرناه فى سورة البقرة إذ لاشفاعة فى الآخرة إلا على مقدار ما أوتى المشفوع له فى الدنيا من علم ومن أخلاق فهذا تقرير المقام ولله فى الشفاعة مايشاء من غفران واعلاء درجات . فاذا قال بعض المفسرين انه مطلق المقام أوقال آخر هومقام الشفاعة كما دلت عليه الأخبار . واذا قال غيرهم هومقام يعطى فيه لواء الحمد فقد دخل ذلك كله فيما قرّرناه لك فهذه الصلوات نتائجها مابيناه هداية الناس أوّلا والشفاعة التابعة لها ثانيا وأىّ لواء مرفوع للحمد أكثر من هذا اللواء والشرف العظيم هداية فى الدنيا ونجاة فى الآخرة ومشهد شريف

هاأنت ذا رأيت كفارمكة كيف بالغوا فى ردّه عن طريقه الشريف فى الدين وكيف أرادوا اخراجه من مكة ثم خرج وكيف أمره الله بالعبادة والتهجد . ولاجرم أن التهجد والصلوات الخمس ترقى النفس وتشرح الصدر وتقرّب العبد الى ربه ويعطى مقاما محمودا ولذلك أعقبه بمقام من تلك المقامات المحمودة وهو الدعاء الذى هو مستجاب فقال (وقل ربّ أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) المراد هنا كل ادخال وكل اخراج كالادخال فى القبر وكالاخراج منه بالبعث وكالادخال فى المدينة للهجرة والاخراج من مكة وكادخاله مكة فاتحا واخراجه منها مهاجرا . كل ذلك داخل فى الآية وكل مفسر اختار واحدا منها والحقيقة تعم الجميع أى أدخلنى ادخالا مرضيا وأخرجنى اخراجا محفوفا بالكرامة والرضا فى كل موطن من مواطنهما (واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) أى تسلطا ينصرنى بالحجة وبالملك فأقنع المستمعين للدعوة بالحجة وبنصر الاسلام على الكفر بالاستيلاء والغلبة . ولقد أجاب الله هذا الدعاء بقوله ـ فان حزب الله هم الغالبون ـ وبقوله ـ ليظهره على الدين كله ـ وبقوله ـ ليستخلفنهم فى الأرض ـ فهذا الدعاء من المقامات المحمودة هو ومقام الشفاعة (وقل جاء الحقّ وزهق الباطل) جاء الاسلام وذهب وهلك الشرك . يقال زهق روحه اذا خرج (إن الباطل كان زهوقا) مضمحلا غيرثابت * روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبى ﷺ مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول ـ جاء الحقّ وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ـ جاء الحقّ ومايبدئ الباطل ومايعيد . ولما أتمّ الكلام على قسمى العمى والبصراء أخذ يبين أولئك العمى الذين أرادوا أن يصرفوا النبىّ ﷺ عن سبيله الى سبلهم وقالوا ألم بآلهتنا قبل أن تلمس الحجر فقال تعالى مبينا أن القرآن شفاء (وننزّل من القرآن ماهو شفاء) من أمراض القلوب (ورحمة) وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (للمؤمنين ولايزيد الظالمين) الكافرين (إلا خسارا) ضلالا لأنهم كلما كذبوا بآية نزل بها الوحى ازدادوا بها كفرا فأما المؤمنون فانه يشفيهم من العقائد الزائغة ومن الأخلاق المذمومة . ولما كان دعوتهم للنبى ﷺ أن يركن اليهم كفرا بنعمة القرآن الذى هو شفاء قال (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة وهكذا انزال القرآن على أهل مكة (أعرض ونأى بجانبه) لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبدّ بأمره أى تكبر فلايذكر الله ولايبالى بالناس (واذا مسه الشرّ) كالفقر والمرض والنوازل التى تنزل عادة بنوع الانسان (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله . ولما أتمّ الكلام على تقرير هذه الحقائق الثابتة للعمى وللمهتدين ختم القول بأن كلا يسير على مذهبه فقال تعالى (قل كلّ) أى كل أحد (يعمل على شاكلته) أى على مذهبه وطريقته التى تشا كل حاله فى الهدى والضلال وحال جوهر روحه ومايلابسها من البدن ومزاجه

فعلى مقتضى هذين يكون العقل والعلم والصلاح والجهل والطلاح فمن قال الشاكلة الطبيعة أو الدين أو العادة فلم يخرج عما ذكرناه لأن جوهر الروح ومزاج الجسم يتبعهما كل ما تعلق بهما من ذلك ونتيجة ذلك كله يعلمها الله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسدّ طريقا وأبين منهجا . ولما كان هذا القول يستدعى السؤال عن تلك الشاكلة والجوهر الروحى الذى نشأ عنه كل هذا الاختلاف حتى رأينا أنبياء يهدون وعامّة يقلدون وكفارا يعاندون فما تلك الروح التى أسند اليها هذا كله وعلى مقتضاها ومقتضى مزاج الجسم صدرت هذه الامور بل ان هذا السؤال نفسه ورد فعلا * عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مرّ رسول الله ﷺ بنفر من اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح وقال بعضهم لاتسألوه لايسمعكم ماتكرهون فقاموا اليه وقالوا يا أبا القاسم حدّثنا عن الروح فقام ساعة ينظر فعرفت انه يوحى اليه ثم قال (ويسألونك عن الروح) الذى يحيا به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من أمر ربى) مما أبدعه الله من غير مادّة وقد استأثر بعلمه لايعلمه سواه لأنكم لاتعلمون إلا ماتراه حواسكم وتتصرّف فيه عقولكم وحواسكم لاترى من المادّة إلا بعض أوصافها كالألوان والحركات للبصر والأصوات للسمع والطعوم للذوق والمشمومات للشم والحرارة والبرودة للمس وقد وصلت هذه الى ست وثلاثين نوعا من أحوال المادّة وغاب عنكم فى المادّة ما عداها فكيف تدركون ماهو غير مادّى وهو الروح (وماأوتيتم من العلم إلا قليلا) أخرجه الشيخان والترمذى * وفى رواية أخرى للترمذى قالوا أوتينا علما كثيرا أوتينا التوراة ومن أوتى التوراة فقد أوتى علما كثيرا فنزلت ــ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى ــ الآية وأما ما عدا هذا الحديث من حديث أن قريشا باغراء اليهود سألوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح مما ذكره المفسرون فذلك لم يرد فى الأحاديث الصحاح فلذلك ضربنا الذكر عنه صفحا ورجعنا الى التفسير . ولما فرغ من مسألة الروح وأن الانسان عاجز عن ادراكها وذلك له اتصال بمسألتى الهداية والعمى المتقدّمتين وأن قريشا حاولوا صرفه عن بعض ماأوحى اليه . فلما أتمّ ذلك كله وأبان طريق المهديين بالصلاة والتهجد وطريقة الغافلين بالضلال رجع يخاطب نبينا ﷺ بمناسبة اغرائهم له ليبين لنا أن لا نفترّ عن وجهتنا باغراء المغرين ولا بافساد المفسدين فقال مهدّدا (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) أى والله لئن شئنا لنمحونّ القرآن من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت كما كنت لاتدرى ما الكتاب ولا الايمان (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) أى ثم لاتجد لك بعد الذهاب به مانعا وكفيلا يرجعه لك (إلا رحمة من ربك) لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به . امتن الله ببقاء الكتاب بعد المنة بالانزال وهذا تحذير لنا أن نتنزّل عن نعمة الهداية باضلال المضلين وارجاف المرجفين . فاذا كان الله يقول لنبيه ﷺ إياك أن يفتنوك وهو عاصمه من الفتنة ويقول إنى ان شئت أذهبت مابقلبك من القرآن فكيف بأتباعه وهو لم يعصمهم وهذا هو السبب فى ضلال كثير من أهل العلم فانهم متى ظاهروا العامّة باعد الله بينهم و بين العلم ثم قال تعالى (إنّ فضله كان عليك كبيرا) إذ أرسلك وأنزل الكتاب عليك وأبقاه فى حفظك وفى مصاحفك وحفظ أتباعك ومصاحفهم ثم وصف القرآن بأعظم وصف ليثبت قلبه ﷺ وقلوب تابعيه وكذلك ليردّ على أولئك العمى الذين بالغوا فى طلب صرفه عن الحقّ فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) بلاغة وحسن معنى وتصرفا واحكاما وغير ذلك (لايأتون بمثله) وفيهم العرب الفصحاء وأرباب البيان والمحققون وهذه الجملة جواب القسم المدلول عليه باللام وجواب الشرط محذوف دلّ عليه جواب القسم (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) معينا . ثم ذكر بعض محاسن هذا القرآن فقال (ولقد صرّفنا فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا فيه من كل وجه من وجوه العبر والاحكام والوعد والوعيد والقصص (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا وثبتوا على الكفر أى لم يرضوا إلا كفورا . ولما أتمّ الكلام وقام الاقناع بالحجة وقطعت ألسنتهم ولم يبق لهم حجة أرادوا المراوغة باقتراح الآيات (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) عينا

غزيرة من شأنها أن ينبع الماء منها لاتقطع وهو على وزن يفعول من نبع (أوتكون لك جنة من نخيل وعنب) أى بستان فيه ذلك (أوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) كقطع لفظا ومعنى (أوتأتى بالله والملائكة قبيلا) أى نراهم مقابلة عيانا كالعشير بمعنى المعاشر وفى آية أخرى ـ لولا أنزل علينا الملائكة أونرى ربنا ـ ثم قال تعالى (أويكون لك بيت من زخرف) من ذهب (أوترقى فى السماء) فى معارجها (ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه) وفيه تصديقك (قل سبحان ربى) تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها له من أن عليه ويشاركه أحد فى القدرة (هل كنت إلا بشرا رسولا) فأنا كسائر الرسل وليس للرسل أن يأتوا إلا بما يظهره الله على يديهم فليس لكم الخيرة * روى أن أشراف قريش سألوه ﷺ انه ان أراد المال أعطوه حتى يكون أغناهم واذا أراد السيادة سوّدوه عليهم وان كان الذى أصابه من تابع من الجنّ غلبه حتى قال ما قال فان أموالهم يحبسونها عليه ويدفعونها للأطباء حتى يزول مابه من الداء فأبى وقال لهم انه رسول الله وما عليه إلا البلاغ فقالوا له اذا كانت هذه منزلتك من الله فأزل عنا جبال مكة ولتكن لك جنة من نخيل وعنب وفيها العيون نابعة الخ . فلما قام من مجلسهم ومعه عبد الله بن أبى أمية ابن عمته عاتكة شدّد عليه فى القول وقال له عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبل فوالله لا أومن بك أبدا حتى ترقى السماء الخ فرجع الى أهله ﷺ حزينا فنزلت هذه الآية وهذا هو الجواب الاجمالى وهناك فى آيات أخرى تفصيل لبعض ذلك كقوله تعالى ـ ولوفتحنا عليهم بابا من السماء ـ الخ . ثم أعقب الله ذلك بأن الناس دأبهم أن يقولوا كيف يرسل الله بشرا هلا أنزل ملائكة (ومامنع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) أى إلا قولهم ذلك أى فلم يبق لهم شبهة إلا هذه (قل) جوابا لهم (لوكان فى الأرض ملائكة يمشون) كما يمشى بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزّلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم يفهمون عنه وملائكة السماء لاعمل لها مع أهل الأرض فى الهداية إلا الالهام وأكثر الناس ليسوا أهلا لالهامهم (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) انى رسوله اليكم باظهار المعجزات والبيان على يدى وهو الذى ينصرنى لعلمه انكم معاندون وشهيدا تمييز (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) فهو يعلم أحوالكم الظاهرة والباطنة فيجازيهم عليها وهذا تسلية للنبيّ ﷺ وتهديد للكفار (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون * وفى البخارى ومسلم عن أنس أن رجلا قال يارسول الله قال الله ـ الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم ـ أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله ﷺ أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة * وفى رواية الترمذى ﴿ان الناس يكونون ثلاثة أصناف فى الحشر مشاة وركبانا وعلى وجوههم﴾ هذا ونحن نرى الحيوان منه طائر ومنه ماش ومنه زاحف كالحيات وهوام الأرض . فهذا القسم أقرب الى هيئة الزواحف بحيث يبقى الوجه جهة الأرض وتحيط به زوائد كالأرجل الصغيرة الحيوانية وهو هائم على وجهه وقوله (عميا وبكما وصما) أى لايبصرون ولاينطقون ولايسمعون وذلك فى مبدإ الأمر ثم تعاد لهم هذه الحواس فيحاسبون (مأواهم جهنم كلما خبت) أى سكن لهيبها (زدناهم سعيرا) توقدا (ذلك) العذاب (جزاؤهم) بسبب انهم (كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) ثم استدلّ على البعث فقال سبحانه (أولم يروا) أولم يعلموا (أنّ الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم) من الانس (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) وهو القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) جحودا مع وضوح الدليل واذا طلبتم من محمد ﷺ ماطلبتم من بساتين وعيون تنبع وأن تروا الملائكة والله عيانا الخ فان الله تعالى لايرضى بذلك لابخلا منه ولكن الحكمة قضت أن يكون هذا نظام الدنيا ولارقى لهذا الانسان إلا على هذا المنوال بل هو يوسع الرزق ويضيقه بالحكمة وعلى مقتضى المصلحة ولوانكم كنتم ملكتم خزائن السموات والأرض وأنتم على فطركم

هـذه لأمسكتم خيفة الانفاق فامساك الله للحكمة والمصلحة ولذلك لم ينزل ما اقترحتموه وامساككم للشح والبخل وهـذا قوله تعالى (قل لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى) الى قوله (وكان الانسان قتورا) أى لو تملكون أنتم فأنتم فاعل الفعل المضمر خزائن الرحمة الرزق وسائر النعم - إذن لأمسكتم خشية الانفاق - أى لبخلتم خشية أن يفنيه الانفاق - قتورا - بخيلا يعنى ان الله لم يمنع محمدا نبيه ﷺ الآيات التى اقترحوها هوانا له فكأنهم قالوا ان محمدا إما أن يكون نبيا أولا فان لم يكن نبيا فالأمر واضح لأن الآيات التى اقترحناها لم يجب عنها ولم تنزل فاذن هو ليس بنبى وهـذا ظاهر وان كان نبيا وهو مقرّب من ربه فلم لاينزل الله ما اقترحناه والله يؤيد عبده عند خلقه فكان الجواب أن الله اذا أنزل مااقترحتموه لكان ذلك خللا فى النظام وسوء عمل وهذه العطايا الوافرة ربما كانت مصائب اذا أنزلت على غـير وجهها وليس ذلك المنع لأن محمدا ليس نبيا بل المنع من جهة الحكمة ولاهو من جهة بخل الله فلا بخل من الله ولا كذب من نبيه ولم يبق إلا انه حكمة . فأما أنتم فنعكم يجرى على طريقة البخل فاوسلمكم السموات والأرض وادرستموهما لم تفهموا إلا الامساك على قدرعقولكم ولن يطلعكم على ملكوته فى الحال ولافى المآل إلااذا ارتقت النفوس فصارت إلهية تزن الأشياء بمقدار فيسلم لكم الاطلاع على عجائبه وارتياد مواطن الكمال ولذلك متى كان فى الأرض مستنيرون وقلوبهـم صافية ونفوسهم عالية وتعالوا عن المادّة وزهدوا فى الأرض فهم من أهلها صورة وهم بينكم فهؤلاء أوصلهم الى عالم قدسى يطلعون على عجائب لمناسبة عقولهم لذلك العالم الشريف . فهنا الخزائن فتحت لأنهم عرفوا مقدارها وهكذا نبيكم محمد ﷺ سأملكه زمام الامور لأنى علمت أنه سيعطى كلا مايستحقه فى الدنيا فأسلمه بعض خزائن الأمم المحيطة بكم وسيقسمها بين الناس فعلا بالقسط لأنى أفهمته نظام هذه العوالم وقد حقر الدنيا . فأما أنتم فانى لا أسلمكم مفاتيح أرضى لئلا تمسكوا المال لأنفسكم ولاتنفعوا خلقى

فهاأناذا أفتح خزائن العلم لمحمد فيوحى اليه ويلهم تابعوه من الله والملائكة وأعطيهم خزائنى فيصرفونها فى وجوهها ومتى زاغت أمّة من الأمم عن تلك الجادّة صرفت عنها رزقى فلم ألهم العلماء لغباوتهم ولم أملكهم زمام الناس لبخلهم وجشعهم سواء أكانوا من أتباع الأنبياء كأمة محمد ﷺ أم كانوا من غيرهم فأنالاأعطى خزائنى فى الأرض ولافى غيرها إلاللمصلحين . أقول وهاهىذه أمّتنا لما طغت و بغت وجهلت أحاطت بها أمم الفرنجة من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق وشخصت الأبصار وذلت النفوس وستكون صرختنا فى هـذا الكتاب وأمثاله من كتب المسلمين فرطا للاصلاح ومقدّمات للرقى وظهور أمة جديدة غير التى مضت فى الأجيال المتأخرة . ولما تقرّر ماتقدّم شرع يهدّدهـم انهـم ان لم يؤمنوا بعـد ظهور الأمر والحجج الواضحة هلكوا كما هلك فرعون بالغرق كأنه يقول أما الآيات التى اقترحتموها فلافائدة فى انزالها وكفاكم الآيات العلمية التى أنزلناها على محمد ﷺ كما أنزلنا على موسى عليه الصلاة والسلام تسع آيات واضحات الدلالة فلمالم يؤمن فرعون أهلكناه فالاهلاك لعدم اتباع الصلاح والعلم وهـذا قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) دلالات واضحات (فاسأل بنى اسرائيل) كعبد الله بن سلام وأصحابه (إذ جاءهـم) موسى (فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا) مغلوب العقل مخدوعا (قال) موسى (لقد علمت) يافرعون (ماأنزل هؤلاء) الآيات (إلا ربّ السموات والأرض) خالقهما حال كون هؤلاء الآيات (بصائر) بينات (وانى لأظنك يافرعون مثبورا فأراد أن يستفزّهم) يستأصل موسى وقومه (من الأرض) كلها (فأغرقناه ومن معه جميعا) بأن استفزّه الله فغرق فى البحر مع جنده (وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الأرض) أى أرض الشام التى وعدتم بها (فاذا جاء وعد الآخرة) القيامة (جئنا بكم لفيفا) جماعات من قبائل شتى ثم نحكم بينكم ونميز الخبيث من الطيب . هذا هوالقصص الذى يبين ماحدث لموسى مع فرعون فانه آتاه تسع آيات قد رواها النسائى والترمذى فعن صفوان بن عسال رضى الله عنه أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه اذهب بنا الى هذا

النبي نسأله فأتيا النبي ﷺ فسألاه عن قوله ــ ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ــ فقال رسول الله ﷺ لاتشركوا بالله شيأ ولاتسرقوا ولاتزنوا ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ولاتسحروا ولاتمشوا ببرىء الى سلطان فيقتله ولاتأكلوا الربا ولاتقذفوا محصنة ولاتفرّوا من الزحف وعليكم معشر اليهود خاصة أن لاتعدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبيّ قال فما يمنعكما أن تسلما قالا ان داود عليه السلام دعا الله أن لا يزال فى ذرّيته نبيّ وانا نخاف ان أسلمنا أن تقتلنا اليهود . والمراد بالزحف القتال وهو الجهاد فى سبيل الله . هذه هى الآيات التسع التى سمعها فرعون ماعدا الآيات المشهورة فجحدها كما جحد أهل مكة النبي ﷺ وأراد فرعون استفزازهم من الأرض فغرق . هكذا أراد أهل مكة اخراج النبيّ ﷺ فقتل صناديدهم يوم بدر . فهذه القصة منطبقة ولم يبق إلا انطباق الآيات على الآيات ولذلك أعقبه بقوله ــ و بالحق ــ الخ

لقد تبين فى أوّل السورة أن النبي ﷺ أسرى به وعرج به الى السماء وقابل موسى و بينه و بينه محاورات وأخذ وردّ وانتهى الأمر بالصلوات الخمس وارتقى ﷺ الى ما فوق السموات العلى ولم يرد أن موسى ارتقى هذا الارتقاء . ولقد رأيت أن موسى عليه السلام أنزل عليه التوراة وأن قومه أفسدوا فى الأرض مرتين وأن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم . فها نحن الآن وصلنا الى آخر السورة . ومن عادة القرآن أن يجعل آخر السورة منطبقا على أوّلها . فها هوذا يقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى عليه السلام وجاء فى الحديث زيادة واحدة فكأنها هى الوصايا العشر . وقد رأيت هناك عن ابن عباس أن الوصايا الخمسة والعشرين المتقدمة فيها الوصايا العشر أو نحو ذلك . فههنا وصلنا الى المقصود من هذه الآيات . فها هوذا يعيد الكرة على أوّل السورة فيقول . أنزلنا الآيات التسع على موسى وأنزلنا اليك (٢٥) وهناك غيرها فى هذه السورة فكأن عماد مافى التوراة هى التسع وعماد مافى هذه السورة (٢٥) و يقول هناك ــ إنّ هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ــ و يقول هنا مؤكدا ذلك (و بالحق أنزلناه و بالحق نزل) أى وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحكمة والحق فهو مشتمل على الهداية الى كلّ . فاذا قلنا هناك انها (٢٥) حكمة فيقال هنا ان القرآن كله حكمة وهنا بيت القصيد . فاذا كانت تسع آيات لموسى كفر بها فرعون فغرق فما بالكم يا أهل مكة اذا كفرتم بما هو ملتبس بالحق والحكمة فلاجرم ستعاقبون على كفركم فعوقبوا بموت الكافرين يوم بدر وغيره وانتهى الكفر من بلاد العرب (وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) للطيع فى الأوّل والعاصى فى الثانى (و) فرقنا (قرآنا فرقناه) فرقنا فيه الحق من الباطل أى فرقنا فيه (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة لأنه أيسر حفظا وأعون فهما (ونزّلناه تنزيلا) منجما على حسب الحوادث فى تضاعيف نحو عشرين سنة (قل آمنوا به أولاتؤمنوا) هذا وعيد لهم وتهديد وأن القرآن لايتوقف أمر انتشاره عليهم وعلله بقوله (إنّ الذين أوتوا العلم من قبله) من قبل القرآن (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرّون للأذقان) يقعون على الوجوه (سجدا) تعظيما لأمر الله وشكرا له (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الوعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) أى انه كان وعده كائنا لامحالة . يقول الله أعرض عنهم فانهم ان لم يؤمنوا به فقد آمن من هم خير منهم وهم علماء الأمم السالفة الذين قرؤا الكتب السماوية وعرفوا الحقائق الدينية وأن الله سيبعث نبيا فخرّوا سجدا لله وشكرا له على انجاز وعده بارساله (ويخرّون للأذقان يبكون) لما أثر فيهم من المواعظ فالسجود هناك للشكر على انجاز الوعد وتكراره هنا لتأثير الوعظ ولذا ذكر معه البكاء (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما . ولما كان أهمّ شئ فى القرآن هو التوحيد وكرر فيه تأكيدا وقد تبين فى هذه السورة أن القرآن آمن به أهل الكتاب وهو أفضل من التوراة لأنه آخر كتاب سماوى . وهنا يرد سؤال فيقال كيف يكون ذلك وأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات وقد سمعك المشركون كأبى جهل تقول يا الله يارحمن وأيّ فرق بين آلهتنا وآلهتك . إذن نحن نعدّد الأصنام وأنت تعدّد الآلهة

فنزل قوله تعالى (قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن أيا ماتدعوا) أى سموا الله أوسموا الرحمن أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم فهوحسن وقد وضع موضع هذا الجواب (فلله الأسماء الحسنى) واذا كانت أسماؤه كلها حسنى فهذان الاسمان منها . وانما كانت كل أسمائه أحسن الأسماء لأنها فيها التحميد والتعظيم والتقديس لأعظم موجود خالق الوجود فشرف المسمى بتبعة شرف الاسم فأسماء الله أحسن الأسماء كلها * قيل قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ ذات ليلة فجعل يقول يا الله يارحمن فقال أبوجهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فنزلت . ثم انه لم يعترض أبوجهل والمشركون معه على الدعاء بالله والرحمن إلا لما سمعوا القراءة فنزل (ولاتجهر بصلاتك ولاتخافت بها) أى بالقراءة فى الصلاة (وابتغ بين ذلك سبيلا) وسطا بين الجهر والمخافتة فلاتجهرحتى يسمع المشركون ولاتخافت حتى لا يسمع من وراءك . وهذه من الاشارات العامّة لعلم الأخلاق . إن الأخلاق ترجع لأربعة أمور ﴿ العفة للشهوات . والحلم فى الهفوات والنزوات . والحكمة فى المعقولات . والعدل فى نظم هذه المذكورات ﴾ فلاعفة إلا حيث يكون التوسط بين الشره وخمود الشهوة ولاشجاعة إلا حيث يكون التوسط بين التهوّر والجبن ويتبع الشجاعة كثير من الأخلاق كالحلم انظره فى آل عمران ولاحكمة إلا حيث يكون التوسط بين المتناقضات فلايكون المرء من المعاندين ولاهو من الجاهلين بل علمه يكون بميزان . فالتوسط بين الجهر والتخافت أحد هذه الأخلاق . ثم ختم هذه السورة بالثناء على الله لأنه لا ولد له ولوكان له ولد لحوّل نعمه اليه ودخل حبّ الاستئثار عنده بخلاف عباده الذين اذا أعطوا خزائن السموات والأرض فانهم يمسكونها تقتيرا وضنا بها على الناس ويبقونها لأبنائهم . فليحمد الناس الله لأنه عدل يعطى على قدر الاستعداد والعمل فليس هو كما أنتم عليه من المحاباة والحرص فالانسان ناقص نقصا مفرطا لان قلبه وان كان يودّ لو يملأ الأرض نعما على الناس ويحب أن يغيث كل مضطر فان حاجاته وحاجات أبنائه من بعده تضطره أن يختصّ به ويخص أبناءه من بعده ولكن الأنبياء وأعاظم الرجال لايورثون إلا العلم ولايعتبرون المال ويكونون قائمين بالعدل . يقول ﷺ إنا معاشر الأنبياء لانورث ماتركناه صدقة وقال الله تعالى ــ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير ــ فهذه الاشارات تفيد أن أرقى الناس من يتخلقون بأخلاق الله . فاذا كان الله لم يتخذ ولدا فهوعدل عام الوجود والناس لما حشروا فى هذه الأرض والعالم المادّى عالم ضيق اضطروا الى الامساك فقلوبهم وأرواحهم من عالم أعلى من هذا العالم بل هم قبسة من نور جميل عال يحسّ به الانسان من نفسه ويودّ لو يكون منعما على سائر الناس سيدا على هذا الوجود بعلمه وبماله ولكن غرسه فى الطين الأرضى حكم عليه بالتقتير ولايسلم من هذه الخصلة إلا أناس عرفوا الوجود وخالقه فتخلصوا كالأنبياء وجعلوا نفوسهم آباء الشعوب لا آباء واحد أواثنين . فهذه الآية ترجع لقوله تعالى ــ قل لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى ــ الى آخر ماتقدّم ويقول هناك احمدوا الله على هذه النعمة وعظموه فانه قد اتصف بالرحمة المذكورة وهنا لم يقصرها على أفراد خاصة . فاذا أرسل محمدا ﷺ فلم يخصه إلا لاستعداده فلا بنوة ولاقرابة بل هو استعداد واستحقاق . فلتجدّوا أيها الناس فرحمتى وسعت كل شئ . فهذه الآية تنسحب على ذلك كله فليس الله مقترا كما تقترون ولارحمته محصورة كرحماتكم بل هو يريد أن تتخلقوا بأخلاقه لأن من أحبّ أحدا سار على منهجه وقد سار الأنبياء على ذلك المنهج فخدموا الأمم ولم يخصوا أحدا ولذلك أرسل محمد ﷺ رحمة للعالمين . فليكن العقلاء قدوة الأمم وسعادة الناس اتباعا لربهم واقتداء بكماله ونظرا لجماله

ولما كان من النقائص فى الوجود أن يكون للمالك شريك فانه يعطل أعماله ويقف له بالمرصاد أوعدوّ ليناوئه فيحتاج الى ناصر قال الله (ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولىّ من الذّل) أى لم يذل فيحتاج الى ناصر أولم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته بل أولياؤه هم الذين استحقوا تلك الولاية بفطرهم وأعمالهم وكما لم يكن له ولد يحبس نعمه عليه لم يكن له شريك يقف أعماله فى الملك ولاناصر يدفع العدوّ المذل

له . وهذه الثلاثة هى آفات هذه الحياة . فالعدوّ يميتنا والشريك يقاومنا والولد يجعلنا جبناء جهلاء أشحاء . واذا تنزّه الله عن ذلك فقد أمن الناس نضوب موارده وأصبحت مفتحة أبوابها لكل قاصد . فعلى هذا فليحمد الله . فاذا حمد المصلى ربه على أنه مربى العالمين فليحمده تعالى على أن وجوده لايمنعه شريك ولا عدوّ ولاولد وهذا اغراء على اكتساب الفضائل والارتواء من تلك المناهل . ولعمرى كم اغترّ جهال المسلمين بالاتكال على شيوخهم أوعلى بعض أمور أوعبادات ثم هم يعصون الله أو يقولون نحن أتباع النبي الفلانى كعيسى وموسى ومحمد ﷺ وعليهم لقد كذبوا فالله تعالى ليس له ولد وليس له شريك وليس له عدوّ فيحتاج الى نصر فالله فتح أبواب الخير للعباد فلتغترف أيها العبد من مناهله ولتعلم أنه لايحابيك لأجل أهلك ولا نسلك ولادينك ولوكنت ابن نبيّ من الأنبياء ولاشريف من الشرفاء ولاعظيم من العظماء بل أنت أيها العبد عبد من عبيد ربك فاحذر أن تغترّ بأنك من أبناء الولى الذى يزوره الناس واحذر أن يقال لك كما قيل لنوح عليه السلام ـ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ـ

أيها المسلمون . مامضى فات والمؤمل غيب ولكم الساعة التى أنتم فيها . وضح الحقّ واستبان السبيل وتبدّى فى الوجود جماله . يقول الله لكم أنا ليس لى ولد . إن المجاز من المسلمين واليهود وأكثر الأمم يعرفون أن الله لايلد والمسلم موقن بهذا فكيف نحمده على انه لاولد له . إن المقام أعظم وأعظم . لماذا يكرّر هذا القول و يقول احمدونى . وهل هذا يستحق الحمد . نعم الحمد هنا يراد به معنى عظيم

﴿ الخطاب المفتوح من الله للمسلمين ﴾

يقول الله . أيها المسلمون لاتغترّوا بأنكم أنزل عليكم آخر الأديان وأن نبيكم خير الأنبياء فليس لى أبناء ولاشركاء . هاأنتم أولاء جهلتم وكسلتم ونمتم فهل نفعكم انتسابكم لأعظم الأديان فالنسبة شئ والعمل شئ آخر أنا لم أخلقكم لتكونوا عالة على خلقى . أنا لا ألد . فماذا تريدون . تقاعدتم أيها المسلمون فشردت عنكم المعالى . أتعيشون فى غرور . أيكسب الناس وأنتم تأكلون . كلا . وعزّتى وجلالى لا أجعل لأحد سلطانا على أحد . كلا ثم كلا . احذروا . اعملوا فسأرى عملكم وكيف تتكلون على النسبة الدينية أوالنسبة الأبوية وأنا لانسب بينى و بينكم انما أنتم عبيد مسخرون فان اتبعتم سبيل نبيى أعطيتكم . أنا أعمل فلم لاتقلدونى أنا الذى خلقت السموات والأرض . أنا الذى لا أنام . أنا الذى أعمم النعم على خلقى ولا أبخل فأنا الله ولا أعطى إلا من يسير على نهجى و ينفع خلقى و يجعل مواهبه وقفا على عبادى و يواسيهم بماله أوجاهه أوعلمه المنتشر بينهم . هذه أعمالى فلتقلدونى ولتتخلقوا بأخلاقى . أيها المسلمون . ألم أنزل عليكم ـ يوم لاينفع مال ولابنون ـ فالنبوّة والابوة وقتية لنظام الحياة ـ فاعتبروا يا أولى الأبصار ـ

ولنذكر هنا ﴿جوهرة وزبرجدتين﴾ أما الجوهرة ففى قوله تعالى ـ ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ـ الى قوله ـ ثم لاتجدوا لكم علينا به تبيعا ـ وأما ﴿الزبرجدتان﴾ فهما فى قوله تعالى ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر ـ الى قوله ـ علينا به تبيعا ـ ﴾

إن فى هذه الآيات الكلام على البحر والبرّ وأن الله حمل الانسان فيهما . فاعلم أن البحر أوسع مساحة من البرّ . ذلك أن مساحة الكرة الأرضية كلها (١٩٧) ألف ألف ميل مربع ونحو ثلاثة أرباع هذه المساحة بحر أعنى (١٤٠) ألف ألف ميل مربع . وفى هذه المسافات الشاسعة من البحار والتلال والأودية والسهول المختلفة والأراضى الخصبة مثل مافى اليابسة والبحار أيضا تختلف فى درجات حرارتها باختلاف الأمكنة وفى أنواع حيوانها ونباتها التى تتوقف حياتها فيها على شروط خاصة كما فى أمر سكان اليابسة سواء بسواء . واعلم أن العلماء فى زماننا بحثوا فى عمق البحار فترى أهم الغوّاصين على (الاسفنج) فى العالم وهم اليونان لم يصلوا

فى غوصهم الا الى عمق (٤٠) قامة لاغير فلذلك لجأ العلماء الى آلات استعملوها لمعرفة الأعماق فوصلوا الى معرفة الأعماق المختلفة باختلاف الجهات • فترى العلامة (ويفل تامسون) يقول ان العمق وصل الى ٢٥٠٠ قامة أو ١٥٠٠٠ قدم وهذا باعتبار بعض البحار • وترى العمق فى بحر البلطيق وبحر الشمال وهكذا لا يزيد عن ١٨٧٧ قامة ومتوسط أعمق البحار فى الدنيا انما يكون فى شمال المحيط الهادى المسمى (الباسفيك) فان المتوسط المذكور هناك وصل الى (٤٥٧٥) قامة وقد مسح بعض العلماء العمق فى الجانب الشرقى من بلاد اليابان فلم يجد له آخرا بعد أن وصل الى (٤٦٥٥) قامة • ومن أراد الزيادة فليراجع هذا المقال فى كتاب ﴿ علوم للجميع ﴾ فى المجلد الثالث تحت عنوان ﴿ قاع البحر ﴾ باللغة الانجليزية وما ذكرته الآن كاف فى هذا المقام • وأما اليابسة فاقرأ الكلام عليها عند قوله تعالى — وفى الأرض قطع متجاورات — فى سورة الرعد فى المجلد السابع • يقول الله — وحملناهم فى البرّ والبحر — أليس من العجب أن يكون عمق البحر قد يصل الى مايقرب من (٤٦٠٠) قامة ثم نجد السفن تجرى فوقه فهذه حياة مستقرّة على هاوية بعيدة الغور سحيقة مهلكة فأىّ عاصفة قلبت السفينة لم يكن لهويها فى البحر من قرار بل تسقط الى ذلك البعد السحيق • فاذا حفظ الله حياة الناس فى هذه المهالك فذلك لرحمته ودقة صنعه وحكمته ثم تكريمه لبنى آدم الذين أراهم العجب فهم تارة يسافرون على الأرض وتارة يسيرون فوق الماء وآونة يطيرون فى الجوّ فيصلون الى بعد معين بطياراتهم وتقف عند ذلك الحدّ • ذلك هو أعظم التكريم بالنسبة لعالمنا الأرضى والحمد لله ربّ العالمين

﴿ زبرجدتان فى قوله تعالى — وما أوتيتم من العلم إلا قليلا — ﴾

﴿ الزبرجدة الأولى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نظرت فى السماء ليلة الجمعة (١٤) اكتوبر سنة ١٩٢٧ الساعة الرابعة بعد نصف الليل فقلت يا الله ما أحسن ماصنعت وما أجل ما أبدعت • خلقت تلك الكواكب العظيمة الشاسعة الأبعاد العظيمة المقادير فما منها من كوكب إلا وهو أكبر من الشمس غالبا جرما وأكثر منها ضوأ وأبعد منها مرمى وأجلّ منها قدرا • ولقد حشرتنا فى أرضنا هذه لأننا لسنا أهلا بعد لأن نشاهد هذا الجمال الذى أبدعته وهذا الحسن الذى زينته وتلطفت وأبدعت فأحضرت هذه الشموس العظيمة وأتيت بها من أقطارها الشاسعة وأصغرت أحجامها وقللت من نورها وكللت بها سماءنا ونظمتها فى جوّنا القريب الأسود ليلا الأزرق نهارا وجعلتها أشبه ببيض الطائر حجما وبهجة الدرّة حسنا وبصيص الآمال فى لقائك رجاء • زينت سماءنا بشموسك • تلك الشموس التى خلقت لها خلائق وأودعتها أمما تسكن فى سياراتها وأراضيها تلطفت بها فأسكنتها جوّنا القريب ورصعته بها وجعلتها حديقة جميلة تقرّ بها أعيننا ليلا • ذلك لأنك لطيف لما تشاء عليم حكيم تعطى الطفل لبنا من أمّه على قدر طاقته حتى اذا بلغ أشدّه فتحت له باب الرزق من العوالم المحيطة به • فها نحن أولاء الآن فى الأرض كالأطفال لاقدرة لنا على مواجهة تلك الشموس الكبيرة فخلقت عيوننا الأرضية مناسبة لعالمنا وصغرت هذه الشموس لتراها تلك العيون وتطيق التحديق اليها • وهاهم أولاء لما رأوها مناسبة لعيونهم ومتنزلة لعقولهم جعلوها على شاكلة مالديهم فى الأرض فقالوا هذه المجموعة حمل وهذه ثور وهذه جوزاء وهذه سرطان وهذه أسد وهذه سنبلة وهذه ميزان وهذا جدى وهذا دلو وهذا حوت • الله أكبر • هاهو ذا الانسان درس نجوم السماء أى تلك الشموس العظيمة فلم يرها إلا دلوا ليستقى به الماء والا سنبلة فى حقول الأرض وحملا من الضأن وثورا يحرث عليه الأرض وميزانا يزن به الفاكهة والذهب والفضة وعقربا يفرّ منه وقوسا يرمى السهم عنه لمحاربته العدوّ وجديا ينتفع بلحمه وحوتا يجرى فى الماء • هاهو ذا الانسان بفضل ربه أخذ عوالم الله التى لاحصر لها وأنزلها الى أرضه وجعلها مما يلائم حاله • الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا • اللهم إنك كبير

عظيم تعاليت وعظمت فلم تعط الأطفال علوم الحكماء ولم تسمع الدّواب وحى الأنبياء فأنت متكبر ومن هذه الصفة انك تربأ بالنعم أن تعطى لمن لايستحقها فنحن فى أرضنا لانستحق أن نرى هذه الحقائق بأعيننا فأنزلتها الينا فى سمائنا مصغرة وأبقيت حقائقها مخزونة عندك فلم تعطها إلا بمقدار بحيث لايعرف بعض هذا أحد من الناس إلا بعد البحث والتنقيب . لماذا . لأنك متكبر ولأنك حكيم ولأنك عظيم . فهذه الكبرياء التى جاءت فى كتابك ــ وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ــ قد تجلت فى معاملة نوع الانسان اذا شيعت فيما بينهم وأذيعت فى مدارسهم أسماء البروج فرسمها قدماء المصريين على صناديق موتاهم (كما تقدّم فى سورة يونس بالمجلد السادس من رسم البروج على صندوق حتر من قدماء المصريين فانظر ذلك الرسم هناك مصوّرا بالتصوير الشمسى) أصبحت أسماء الحمل والثور الخ شائعة بين النوع الانسانى لاينكرها أحد ولايغيرها مغير مع انها صور خيالية لاحقائق لها ولكن هكذا نوع الانسان فى الأرض كالطفل والنابغون منه الذين درسوا حقائق الشموس والأضواء هم الذين عرفوا ما أكتبه فى هذا التفسير ولكنهم لن يغيروا تلك المصطلحات العامّة للتعليم العام . الله أكبر . هكذا كل دين نزل من السماء فيه من ضرب الأمثال ما فى منظر السماء من تصغير الشموس فصارت حيوانات خيالية . العلم واحد . علم المبصرات وعلم المسموعات . نبصر شموسا عظيمة فنجعلها حيوانات أونباتات نعيش بها ونسمع فى الكتب السماوية جنة ونارا ونعيما وجحيما فنتخيلها بما نشاهده فى الدنيا ثم نسمع الحديث النبوى أن فى الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر . وهذا بعينه أشبه بما نراه إذ ظهر أن الكواكب التى جعلناها جديا ودلوا وسنبلة هى شموس لم ترها عين ولم تسمعها أذن الغافلين ولم تخطر على قلوب الجاهلين . أليس هذا الموضوع بعينه هو قوله تعالى هنا ــ وما أوتيتم من العلم إلاقليلا ــ كيف لا وأنتم لاتعقلون الشموس العظيمة ولاتعرفون حسابها ومنازلها إلا اذا جعلتها صغيرة فى أعينكم ثم ألهمت علماءكم فجعلوها بصور مالديكم من المشاهدات فى أرضكم . فهذا القليل من العلم فى جانب الحقائق فى كوكب السماء أشبه بما لديكم من العلوم التى أنزلتها فى الكتب السماوية والكتب العلمية عند نسبتها الى الحقائق فى ذاتها قال تعالى ــ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ــ . ونظير هذا قول الخضر لموسى إذ جعل علمه وعلم موسى عليهما السلام وعلم الناس بالنسبة لعلم الله بما أخذه الطائر بمنقاره من ماء البحر . انتهت الزبرجدة الأولى

﴿ الزبرجدة الثانية فى قوله تعالى أيضا ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ ﴾

اعلم أن العلم القليل المذكور كلما تعمقنا فيه زدنا علما بقلته فالانسان وهو على فطرته لايعلم بقلة علمه إلا اجمالا ولكنه اذا درس وتعمق أدرك أن هناك أبوابا من العلم مغلقة وكلما فتح مغلقا أدرك أن وراءه أبوابا لم تفتح فيتسع الشعور بالجهل بنسبة اتساع المادّة العلمية . واذا أردت مثالا لذلك فهاك علم فلسفة الطبيعة . إن هذا العلم يبحث فى المادّة وصفاتها العامّة والخاصة وعند التعمق نرى أمامنا مالايتناهى ونحن به جاهلون وهاأناذا بعون الله ذاكر لك نبذة صالحة تشرح صدرك وترى ذلك البرهان . اعلم أن المادّة كل ما نشعر به بحواسنا وهى اما أن تحفظ حجمها وشكلها فهى الجامد واما أن تحفظ حجمها ولاتحفظ شكلها فهو السائل أو لاتحفظ حجمها ولاشكلها فهو الجسم الغازى والأوّل كالحديد والذهب والثانى كالماء والزيت والثالث كالبخار والهواء . انظر الى هذا التقسيم والى صنع القادر الحكيم . تراه أعطى المادّة كل ما يمكن فى عقولنا وعقولنا لاتتصوّر إلا واحدا من ثلاثة حافظ لحجم وصورة . غير حافظ لهما . حافظ للحجم دون الصورة وهناك صورة رابعة وهى مايحفظ الصورة ولايحفظ الحجم وذلك مثل كل نام من حيوان ونبات فليس كالحجر ولا كالماء ولاالبخار بل هو قسم رابع ولكنه ليس من الأقسام العامّة فى المادّة بل هو داخل فى قسم الجامد . هذه هى الأقسام التى يحصرها العقل وهاهى ذه قد وجدت فعلا فى المادّة والانسان اذا قرأ هذا يرى انه عرف الاجمال . فانظر ماذا

ترى . للمادّة صفات عامّة وصفات خاصة فالصفات العامّة هى التى لايخلو منها جسم ما وأهم ذلك ﴿ثمان صفات﴾

(١) الامتداد وهو أن يشغل الجسم حيزا ومقدار الحيز الذى يملؤه الجسم يسمى حجما

(٢) عدم التـدخل وهو كون الجسم لايشغل إلا حيزا واحدا فى وقت واحد فاذا حلّ جسم فى مكان لايمكن أن يحلّ غيره فى ذلك المـكان

(٣) التجزؤ وهو كون الجسم يقبل الانقسام فمهما كان الجسم صغيرا فهو قابل للقسمة

(٤) لـكل جسم مسام كبيرة كما فى الخبز والاسفنج أو صغيرة كالحديد والذهب.

(٥) الاستمرار ومعناه أن الجسم اذا حرّك ولم يعارضـه مايوقفه لم يقف . واذا سكن ولم يجد له محركا يحركه لايتحرّك

(٦) عدم فناء المادّة إلا بأمر خالقها ونحن انما نغيرها من حال الى حال

(٧) قبول الضغط وهو أن تضيق المسام والغازات أقبل للضغط من الجوامد وهذه أسهل ضغطا من السوائل

(٨) الثقل فـكل جسم نراه منجذبا الى مركز الـكرة التى هو فيها

هذه هى الصـفات العامّة للمادّة بمعنى أن كل جسم متصف بهذه كلها . فالذهب مثلا يشغل حيزا وهذا الحـيز لايقبل غيره وهو يتجزأ وله مسام سنشرحها قريبا واذا حرك على سطح أملس لاخشونة فيه ألبتة لم يقف وهـذا على سبيل الفرض . واذا تركناه فى مكان لايتحرّك ألبتـة . واذا أذبناه فى النار ذاب ولـكنه لايفنى ويمكن ضغطه ولو قليلا وهو ثقيل ومثله الماء والهواء والبخار . أما الصفات الخاصة فهى ما يأتى

(١) فهى كون الجسم يمكن سحبه شريطا وأكثر الأجسام قبولا لذلك الذهب والفضـة والبلاتين أما مثل الزجاج والحجر فلا يمكن ذلك فيهما فلذلك كانت هذه الصفة ليست عامّة

(٢) قبول الطرق . وأشدّ المعادن قبولا للطرق الذهب وذلك لايمكن فى نحو الزجاج والحجر لذلك كانت هذه صفة خاصة أيضا

(٣) الصلابة بحيث يعسر تفريق اتصاله أو مطه وأصلب المعادن الحديد

(٤) المرونة وهى رجوع الجسم الى حاله الأصلية بعد ما يكون مضغوطا أو ممطوطا أو مفتولا

(٥) القساوة وهى كون الجسم لايذعن للضغط إلا بصعوبة كالذهب والحديد

(٦) وقبول القصف بحيث يسهل كسر الجسم كالزجاج

فهذه هى الصفات الخاصة وكلها ترجع لجاذبية الملاصقة وتـكيفها بكيفيات شتى . وهناك أحوال أخرى

(١) مثل قوّة الجذب والدفع بين دقائق الجسم

(٢) والجاذبية العامّة

(٣) ومثل أحوال الأجسام الساقطة ومركز الثقل ورقاص الساعة

(٤) والـكلام على الحركة ونواميسها والسطوح المائلة التى يرفع الحمل عليها

(٥) والـكلام على السوائل

(٦) وعلى الهواء وعلى الصوت

(٧) وعلى الضوء ونواميسه (٨) وعلى الحرارة (٩) وعلى الظواهر الجوّية

(١٠) وأشـكال الماء ومنافعه (١١) والـكهربائية (١٢) والمغناطيسية

هذا هو مجمل أقسام الفلسفة الطبيعية التى يدرسها الناس فى الشرق والغرب وهى من القليل الذى عرفناه ويدخل تحتها علوم وعلوم وآلات وأعمـال ينتفع بها الناس . هذا هو المجمل الذى أردت ذكره الآن فهاك بعض عجائبه فهو المقصود فى هذا المقام لأننا لسنا فى مقام علم الطبيعة بل فى تبيان بأىّ طريق

نعرف اننا ما أوتينا من العلم إلا قليلا . أنت تعلم رعاك الله أن هذه المسائل التى ذكرتها لك قدقام بتعلمها جميع أهل الشرق والغرب فى الأمم المتمدينةوقدشغلت سائر الأمم وفرّعوا عليها آلاف المسائل والآلات الزراعية والصناعية والانتقالية والبصرية . وهاهم أولاء يجدّون ولانهاية للاختراع . فهذه المسائل المذكورات هنا أشبه بحروف المعجم أو بالأرقام البسيطة للحساب فهى عند تركيبها لاتقف عند حدّ . فالحساب لامنتهى لأعداده والكلام لامنتهى لتركيب كلماته . فحروف اللغة العربية وهى (٢٩) والانجليزيةوهى (٢٥) حرفا يمكن الانسان أن يركب من كل منهما مالاحدّ له من الكلمات فهكذا هنا وهذا الذى ذكرته مجرّد تنظير لتقريب المقام هذا ولأرك عجيبة من عجائب العلم ينظره الناس عادة وأكثرهم لايعلمون

(١) قد ذكرنا فى الصفات العامّة أن الجسم له مسامّ كبيرة وصغيرة كالاسفنج والفخار وكالذهب والحديد أفلا أريك العجائب فى هذا المقام . قد أسمعتك الآن رؤس مسائل وهى مجموع علم فلسفة الطبيعة ولكن لم تأخذ بلبك ولم تكن مما يشرح الصدر لأنها اجمال ولأنها أشبه بدروس التلاميذ تلقى اليهم وان كانوا لايغرمون بها ولاهم بها معجبين . أتدرى ماهذه العجائب . هى

﴿ المسام ﴾

كل الناس يشاهدون الأحجار والطين والزجاج والذهب والفضة والحديد والنحاس . يشاهدونها ولكن ليس يخطر لأحدهم أن تلك الجوامد المصمتة مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب واسعة الطرقات كبيرة الحجرات

هذا ولما وصلت الى هذا المقام حضر ذلك العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى عويصات المسائل . فقال حياك الله . ماهذه السجعات والخطرات . تقول مفتحة الأبواب ليس دونها حجاب . ماذا تريد بهذا . أتريد أن تقول ان الحديد كالسفنج . قلت كلا . قال فكالغرابيل . قلت كلا . قال فهل أجزاء الحديد مثلا بينها متسعات كشوارع المدينة . قلت أوسع . قال فكالفاصل بين البلدتين . قلت كلا بل أوسع من ذلك . قال وهل هذا القول يقال فى تفسير القرآن . أتفسر القرآن وتقول أيها المسلمون ان الحديد منفصل لامتصل وهكذا بقية المعادن وأن فيها فتحات وتلك الفتحات أوسع من الحقول التى بين القرى فى البلاد المصرية . واذا كان هذا يقال فى التفسير تضيع الثقة لأن هذا انكار للمحسوس وهل بعد تكذيب الحسّ من ضلال . فقلت كم للحسّ من غلط وقد غلط الحسّ فى قوله ليس هنا فتحات وصدق فى فتحات الخبز والسفنج فقال ربما كان ذلك ولكن هذه المبالغات التى تخالف العقول تذهب بثقة الناس بالمؤلفين . فقلت له لقد برهنوا على هذه المسام بما يأتى

(١) نملأ كأسا ماء ونزيده ملحا ثم سكرا فاننا بعد هذا كله لانرى الماء زاد ألبتة لأن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء فدقائق الماء كالبطيخ والملح كالليمون والسكر كحبات القمح فالليمون يذهب بين البطيخ ولايكبر حجمه وحب القمح يسعه الليمون بين وحداته

(٢) أخذ بعض أهل (فلورنسا) بايطاليا كرة مجوّفة من الذهب وملأها ماء ثم سدّها سدّا محكما وحفظها من الخارج فتسطحت قليلا وصغر حجمها فخرج الماء من مسامها وتجمع على سطحها كالندى

(٣) ان الذين يجرّبون المدافع الكبيرة يضغطون الماء فيها حتى يترشح من مسامها و يصير زبدا على سطحها ثم يجتمع و يقطر عنها

(٤) الأعمدة الحجرية والقناطر تضغط أحيانا فتقصر اذا كانت تحت بناء عظيم لزيادة ثقله وقد تقدّمت فى سورة آل عمران فهل كفاك هذا فى أن لها مسام . قال هذا كافينى ولكن المبالغات المذكورة هى التى تخالف كل عقل . فقلت ان القوم بحثوا ودققوا كما رأيت أن دقائق السكر أصغر من دقائق الملح ودقائق الملح أصغر من دقائق الماء . فاذن دقائق الماء أكبر وقد رأيت أن دقائق الماء قد اخترقت دقائق الحديد والذهب

وهذا الاختراق معناه أن الفتحات تسع ذرات الماء وهذا الاتساع بحثوا فيه وفى الذرّات المحيطة به فظهر لهم ما يأتى قالوا ﴿ لو تصوّرنا أنّ فى المسام حيوانا صغيرا جدّا جدّا بحيث يعيش على جوهر من الجواهر كما يعيش انسان منا على الأرض وفرضنا أن ذلك الجوهر واقع فى وسط حجر لكان الحيوان المشار اليه يرى أقرب الجواهر اليه بعيدة جدّا عنه كما نرى نحن الشمس والقمر والنجوم وربما كان يحتاج لمعرفة تلك الجواهر الى مناظير كبيرة كما نحتاج نحن اليها لمعرفة الأجسام السماوية فيظهر بهذا المثال اتساع المسام بالنسبة للجواهر انتهى كلامهم . ثم قلت ان بعد الشمس المتوسط عن الأرض يعادل تقريبا قطر الأرض (١١٦٥٠) مرة فقتضى كلامهم أن يكون بين الجوهر والجوهر فى الحديد والذهب مسافة تبلغ مقدار أحدهما ١١٦٥٠ مرة هذا معنى كلام أولئك العلماء وقد قالوه ولم ينكر أحد منهم هذا بل أقرّوه والناس لا يقرّون مثل هذا إلا اذا كان واضحا لديهم أجمعين . هذا شأن جميع العلوم . فاذن هذا أشبه باليقينيات لاجماع الأمم عليه . أفلست بهذا ترى أن الأجرام الجامدة وغير الجامدة أمرها عجب وأن ما نراه مصمتا هو خاو وكلها مسالك بل يكاد يكون أشبه بالخلاء الذى قلت الأجسام فيه وهذا مما يحير العقول ويدهش الألباب فأمثال الحديد والذهب على هذا المنوال فهذا أمر عجب وهو من أدل الدلائل أن العلم لا نهاية له وأن علمنا قليل . فقال أريد بيانا أزيد من هذا . قلت قد تقدّم بعضه فى أوّل (آل عمران) . فقال أريد ما يقرب منه هنا . فقلت ان رأى العلماء اليوم أن المادّة مؤلفة من جواهر غاية فى الصغر ولكل جوهر شكل ولون وثقل وانها تبقى على حالها فلا يلحقها تغير طبيعى ولا كماوى وهذه الجواهر لم يرها أحد ولا برهان محسوسا على وجودها وانما هى توافق العلوم لاسيما الكيمياء ولذلك أجمع العلماء على قبولها ويستعان على تصوّرها بهذه الصفة

(١) إن بعض الحيوانات لشدّة صغرها لا ترى بالعين المجرّدة وهناك آلاف الآلاف منها تعيش فى نقطة واحدة صغيرة من الماء تعلق برأس الابرة مثلا وتنمو هناك وتتكاثر وتموت كما تعيش حيوانات البرّ فى القفار وحيوانات الماء فى البحار ويسطو بعضها على بعض ويقاتل ويفترس بعضها بعضا كالكواسر والجوارح وهى فى المستنقعات أيام الصيف وتصعد فى البخار بحرارة الشمس وتطير فى الجوّ مع الهباء ثم تعيش وتتكاثر حيثما نزلت ووافقتها الرطوبة والحرارة . وهناك فى سورة (آل عمران) زيادة فارجع اليها وكفاك ماهنا

أفليس هذا معناه ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ وأىّ علم عندنا اذا كانت قطرة فيها آلاف الآلاف من المخلوقات ونحن لا نراها وكل حيوان منها له معدة أو أكثر لهضم طعامه والاغتذاء به وأن طعامه بعد أن يدخل معدته لا يغذيه إلا بعد ما يدور فى قنوات كثيرة فى جسمه وطعام الحيوان مؤلف من دقائق سائلة وأخرى جامدة مثل ما نرى فى الحيوان المشاهد وكل دقيقة مؤلفة مما هو أصغر منها وهكذا فأصبحت تلك الحيوانات التى لا نراها عالما جديدا لا ندرى ماوراءه وربما كان فى باطنه حيوانات ذرّيّة كما نشاهد فى الحيوان الذى نراه هنا . ونحن فى حيرة فلا الصغير أدركنا صغره ولا الأجرام العظيمة من الشموس والكواكب أدركنا نهايتها

هذا تفسير قوله تعالى ــ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ــ وقوله ــ لقد خلقنا الانسان فى كبد ــ أى نصب وتعب لأنه بعد هذا النصب كله أصبح جاهلا جهلا حقا وقوله ــ وما ننزّله إلا بقدر معلوم ــ فهو لا يعطينا العلم إلا على مقدار طاقتنا وقوله ــ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ــ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ حادثة عجيبة فى الطيارات ﴾

أنا أكتب هذا فى صباح يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر نوفبر سنة ١٩٢٤ ولما وصلت الى هذا المقام ذكرت ما اتفق لى أمس . ذلك أن بعض الشبان قتلوا رئيس الجيش الانجليزى والمصرى وهو حاكم السودان من قبل الحكومة الانجليزية والمصرية . وقد ارتجت بلادنا من أقصاها الى أقصاها لوقوع هذا الحادث لأن بلادنا المصرية قد أعطى لها الانجليز استقلالا ويراد تسوية الامور بيننا وبينهم . فلما وقع هذا الحادث

اختلطت الامور والناس فى ذهول عميق . فبينما أنا فى الغرفة إذ سمعت أصواتا فى الجوّ فقمت ووقفت خارجها اذا هناك طيارات تتلوها طيارات وهى محلقة فى الهواء على هيئة طيور ذوات أجنحة وذيول ورؤس تقليدا لطيور السماء وطال الأمد على وقوفى وهى تمرّ مثنى وثلاث ورباع وخماس احتفالا بدفن ذلك الحاكم الكبير الذى أقام انكلترا وأقعدها كما أقلق مصر وأخافها وأنا شاخص اليها أراقب حركاتها وأسمع أصواتها وهى تحلق فوق البيوت ﴿لغرضين * الأوّل﴾ الاحتفال بالجنازة ﴿والثانى﴾ ليقولوا للمصريين انظروا انظروا هذه طياراتنا قد ملكت السماء عليكم وسددناها فى وجوهكم فالبحر من ورائكم فيه أساطيلنا والجوّ فوقكم فيه طياراتنا فالى أين تفرّون . هذا مايقصدون

﴿ لغة الطيارات التى فهمتها ﴾

أما أنا فكنت أسمع غيرهذا . كنت أسمع انى الآن أكتب فى التفسير وهناك أناس مثلى يكتبون لرقى المسلمين وكأن تلك الأصوات تقول بلسان فصيح سيكون فى هذه الأمّة الاسلامية رجال غيرماترون وسينشر هذا الكتاب ويكون من ورائه ووراء أمثاله مايرقى هذه الأمّة ويكسبها حركة عظيمة وسيعود الاسلام كما بدا أى ينتشر انتشارا غريبا وليس الانتشار هوكثرة الأتباع فلا فائدة فى اتباع أذلاء بل سيكون هذا الاسلام أمره غريب جدّا وسيظهرفيه أناس بارعون فى جميع الصناعات و يعملون أعمالا يعجز عنها الاوروبيون ولكنهم يكونون خدّام الانسانية . خدّام الحضرة العلية . خدّام الحق . خدّام الحكمة يربون العالم تربية علمية ويكونون صلة بين الأمم المختلفات . هذا هوالذى فهمته من غويرالطيارات وأنا لا أقول تكلفا ولا أذكر إلا ماخامر قلبى وتلقاه فؤادى . فالأمّة الاسلامية سيكون بها أناس أبرع فى هذه الصناعات من جميع الأمم يؤدّبون العاصين ويرفعون المدنية الجاهلة الى أوج الكمال وتكون دعوتهم الدينية مبنية على الاقناع ولايستعملون السلاح إلا للفضيلة وتربية الأمم تربية علمية لأنهم يحبون الله حبا جما فيعملون لمصالح عباده والخلق كلهم عباد الله . هذا هوالذى فهمته من الطيارات الطائرات الانجليزيات . وهذا هو الذى فهمته فى قوله تعالى ــ وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ــ وانما الامور بالاستعداد والعمل والحمد لله ربّ العالمين ولنذكرهنا ﴿أربع لطائف﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى ــ إنّ قرآن الفجركان مشهودا ــ ﴾

أى يشهد معناه المصلى و يطالعه و يحضر فيه قلبه ونفسه إذ ذاك فارغة عقب النوم فهى مستعدّة للفهم ولتلقى المعانى لاسيما وقد تجلى الله على الناس بالصبح منبع الأنوارالمشرقة الفائضة على الآفاق فتذكرالنفس بالجمال والبهاء . وانما ذكر هذه الجلة لأنه لامعنى للصلاة إلا بحضورالقلب ومطابقة القلب للسان وموافقته له كما قال فى آية أخرى ــ إنّ ناشئة الليل هى أشدّ وطأ وأقوم قيلا ــ أى أشدّ موافقة بحيث يوافق القلب اللسان موافقة أشدّ وأبين قولا . فهذا هو المعنى المقصود من قوله تعالى ــ مشهودا ــ وأما الحديث فانه ذكر بعض لوازم حضور القلب من الانتفاع بحضور الملائكة للالهام فيلهمون المصلى المعانى وترسم فى نفسه عند صلاته

﴿ اللطيفة الثانية ــ ويسألونك عن الروح ــ ﴾

﴿ اللطيفة الثالثة ــ قل لوكان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين ــ ﴾

﴿ اللطيفة الرابعة زيادة مبحث فى القسم الأوّل فى قوله تعالى ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ ﴾

هذه اللطائف الثلاث يتجلى لك نبؤها وتشرق شمسها وتبهرك بحسنها وتراها عروسا حليت فى حبر قد ازينت للناظرين وقالت هيت لك للعاشقين فهاك غادة هيفاء وكاعبا غيداء وعقيلة حوراء أزفها اليك باسمة الثغر حالية المنطق عذبة المورد شارحة الصدر مرقية العقل جالبة الأنس بمنطقها الرخيم و بيانها الفصيح فلأزفها اليك ساعية اليك لم تجشمك مهرا إلا قبولها ولا نفقة إلا وصالها وهى مبتهجة بحلالها وحلاها

تختال فى غلائلها السندسية وأثوابها العبقرية

فأقول نقلا من ﴿كتاب الأرواح﴾ الذى ألفته منذ بضع سنين ولاأحيلك عليه بل أذكر منه مايناسب المقام لترى جمال الاسلام قد أوحى به الى الأنام ولتحجب أيها الذكى كيف أشرقت أنوار الله على عباده وأخذ نوره يتجلى على المخلوقات الانسانية فأظهر الأرواح وأقامها من برازخها تصل السرى بالسرى لتقابل الأحياء فتريهم أن وعد الله حق وانهم أحياء فعلا وأن الأبرار والفجار بعد الموت هم هم الذين كنا نراهم فى الدنيا ولقد ذكرت لك بعضا من هذا الكتاب فى سورة البقرة مما يناسب المقام هناك فلأزدك الحقيقة الناصعة لترى أن الحياة الأخرى موجودة فعلا وأن الناس لم يموتوا إلا أجسامهم وأن أرواحهم تطالع ماكسبت فى حياتها وأن العذاب والنعيم حاصلان فعلا فى الدنيا وفى الآخرة وهنا يظهرلك سر هذه السورة وكيف تكرر فيها ذكر النفس وانها تطالع أعمالها ويكشف عنها غطاؤها وأن الملائكة لايستطيعون المشى على الأرض . وبالجملة هذا الموضوع سترى فيه معجزات القرآن فى آخر الزمان وهذه هى المعجزات الكبرى التى وعد بها الله إذ قال سبحانه — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم — أما آيات الله فى الآفاق فهذا الكتاب مملوء منها وأما آياته فى أنفسنا . فهاأناذا أتلوها عليك من الكتاب المذكور بعد أن ذكرت مسألة الروح فى سورة البقرة ومباحث العلماء فيها ومباحثى أنا أيضا عند قصة العزير وحماره وابراهيم وطيره الذى فرقه على الجبال ثم دعاه فاقول جاء فى هذا الكتاب مايأتى وهوتبيان اللطيفة الثانية والثالثة

﴿ فصل فى طرق إحضارالأرواح ﴾

قال شيرمحمد . قد فهمت تاريخ مناجاة الأرواح بأوروبا وقد شاقنى هذا الى أن أعرف كيف أحضرت واذاكانت العلوم الرياضية والطبيعية قد صدقهاالجهال لعلمهم أنهم إن سلكوا السبل التى سارعليها المهندسون وعلماء الحساب والطبيعة وصلوا الى النتائج التى وصل اليها أولئك الأعلام فحق لنا أن نسأل عن الطرق التى سار عليها علماء الأرواح فى أوروبا حتى اذا اعتورنا الشك فيما أخبرونا به مما لم نحط به علما سلكنا سبيلهم ليحق الحق ويبطل الباطل عند المحققين . فقلت اعلم ياشيرمحمد أن الطرق التى اطلعت عليها فى كتبهم ست وسأوضحها جهد طاقتى ولا أخرج عن دائرة النقل مما يكتبون ﴿الطريقة الأولى﴾ لابد من قراءة الفصل الآتى أوّلا فى آداب المحضرين فتى عملت به فلتجلس أنت وأصحابك أوأهل منزلك حول مائدة ذات ثلاثة أرجل وتضعوا أيديكم عليها غير متكئين بقوّة وقد لامست يد كل واحد منكم يد الآخر واتصلت بها ثم يدوم ذلك لايزيد عن ربع ساعة فاذا لم تتحرك فليعد الى العمل فى اليوم الثانى وهكذا كما سيأتى فى الفصل الآتى ومتى تحركت فلتسألوا الروح الحاضر أن يرسل لكم من تريدون من أصدقائكم أوأساتذتكم ومتى حضر فههنا طرق تتفقون عليها معه لأنه إما أن يقال له أن الجواب نعم بضربة أو بضربتين وهكذا واما أن يقال يكون الجواب كتابة فتكون الألف ضربة والباء ضربتين والتاء ثلاثة واما أن تنطق حروف الهجاء (ا ب ت الخ) والحرف الذى تضرب المائدة عنده يكتب ثم تكتب الحروف فتكون ذات معنى وهناك يحصل كثير من التهويش والتخليط عند المبتدئين كما فى الفصل الآتى ﴿الطريقة الثانية﴾ تجلس أنت وأصحابك أو أهل منزلك وقد وضعتم فنجانا فوق المائدة مثلا وقدكتبتم حروف الهجاء واضحة جلية حسنة الخط فى ورقة لطيفة وجعلتم هذه الورقة محيطة بهذه المائدة ويكون الفنجان فى وسط المائدة مقلوبا وقدوضعتم أصابعكم على قاعدته ويدوم ذلك ربع ساعة كما تقدم فان لم يتحرك فليعد العمل وهكذا اسبوعا أوشهرا الى ستة شهوركما سيأتى فى الفصل التالى ولتكن أنت رئيس القوم ولتفكروا جميعا فى روح صالحة حاضرة فى المكان أوتريدون احضارها ومتى حضرت فاطلبوا منها أن تعرف اسمها فيتحرك الفنجان والأصابع موضوعة عليه بطريق الملامسة بلاضغط ويتجه الى الحروف حرفا حرفا فتكتب تلك الحروف وتقرأ وتكون مفهومة معقولة وقد يحصل

تهويش وخلط عند المبتدئين لتداخل أرواح سفلية واذن تكف حالا عن العمل ثم يعاد مرة أخرى ولا بدّ من الصبر والثبات ﴿ الطريقة الثالثة ﴾ انّ الأرواح أنفسها لما رأت أن فى تحريك المائدة واستخراج الحروف بطرقها صعوبة وضياعا للزمن أشارت بما يأتى . وهى أن تأخذ قطعة صغيرة من الخشب مثلثة الزوايا تجعل لها ثلاث قوائم صغيرة منتهية بدواليب صغيرة وتربط باحداها قلما من الرصاص وتضعها على صحيفة من الورق فلما فعلوا ذلك ووضع الوسيط يده على هذه المنضدة الصغيرة أخذ القلم يتحرّك فخط أحرفا ثم جملا و بعد ذلك أخذت المائدة تكتب بسرعة زائدة وتحرّر رسائل مطوّلة ﴿ الطريقة الرابعة ﴾ أن يضع الوسيط يده على الورقة وهو ممسك القلم فيستولى عليها الروح ويحركها بذاته ويسمى هذا كتابة آلية لأن الكاتب إذ ذاك لا يدرى ماتخطه يده . ولقد جاءتهم كتابات ورسائل بلغات مختلفة وعجائب من التصوير و بدائع من النقش ومن العلوم المختلفة ﴿ الطريقة الخامسة ﴾ أن توضع الورقة فى علبة مختومة و يضع الوسيط يده خارج العلبة ولما فعلوا ذلك خرجت مشحونة بالكتابة والتصاوير الجميلة ﴿ الطريقة السادسة ﴾ أن تظهر الأشباح والأنوار وصور أيد بشرية نورية ووجوه مستنيرة لامعة ويدعى القوم انهم لمسوا الأشباح أخيرا بأيديهم . ولاجرم أن هذا لايكون إلا بطريقة التنويم المغناطيسى . قال شير محمد . أأجريت بنفسك هذه الطرق الست أم هذا مجرّد نقل . قلت بل مجرّد نقل . قال أراك فى هذا أشبه بمن يصف للناس علم الكيمياء القديم التى يزعم القوم انها تكون الذهب فتضرّ المسلمين بلافائدة . فقلت ان الانسان قديصف المزارع والأشجار والأنهر والبحار والأرض وهو لم يصنع شيأ من ذلك . فقال وهل شاهدت شيأ من هذا . قلت نعم قد شاهدت فقد فيض الله لى من عمل الطريقة الأولى والثانية وأنا جالس بالقرب منهم وهم قوم صالحون . وهذا كان عندى من العجب لأنه كان أثناء تأليف الكتاب فانهم طلبوا أناسا منهم روح الاستاذ الامام الغزالى فتحرك الفنجان الى الحروف بهذه العبارة ﴿ مسكين شاب عرف الله ولم يهم شوقا الى جماله ﴾ ثم سألته مسائل أخرى لايعلمها الحضور فأتت الأجوبة مطابقة فعجبت أشدّ العجب . فقال شير محمد لعلّ أعصابهم تأثرت بما فى ذهنك أو بما عندهم من الصلاح فجاءت العبارة على مقتضاه . فقلت ياشير محمد هذا هوالذى أريد من الناس أن يبحثوه ولست أقطع فى العلم بل هذا يعوزه جماعات وقوم عندهم استعداد ـ وما على الرسول إلا البلاغ ـ انتهى

﴿ أمثلة على ماتقدّم ﴾

﴿ المثال الأوّل ﴾ وهاك حادثة مدهشة . وذلك أنه فى سنة ١٨٧٣ ذكرت جرائد أوروبا وأمريكا حادثا مدهشا وهو أنّ المؤلف الانجليزى (ديكنس) فاجأته المنية فى مدينة لندن سنة (١٨٧٠) م قبل تمة روايته الأخيرة المدعوة ﴿ أسرارادوين برود ﴾ فأتمها بعد موته على يد الوسيط الأميركى (جيمس) فى مدينة (بوستون) وذلك أن (جيمس) كان غلاما صانعا قليل العلم يقضى أيامه فى العلم واتقان حرفته فحضر فى احدى ليالى (تشرين الأوّل) سنة ١٨٧٢ جلسة روحانية تجلى فيها روح (ديكنس) وطلب أن يكون (جيمس) وسيطا يتمّ به روايته فقبل (جيمس) وصار يجلس فى كل ليلة فى نحو الساعة السابعة وتتحرّك يده وهى تكتب فى القراطيس أقوالا لايعلمها ودام على ذلك سبعة أشهر أكمل فيها الرواية بألف ومائتى قرطاس . ولقد شهد رجال الصحافة عموما أنه يستحيل على القارئ أن يميز بين ما كتبه (ديكنس) قبل موته و بين ما كتبه الوسيط (جيمس) بعد موته أقل اختلاف لافى الانشاء ولافى الخط ولافى نسق الرواية حتى ان الأغلاط الاملائية التى كان المؤلف فى حياته يعتادها بقيت كماهى . ولقد جاءت مقالات فى الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدى فتيان حديثى السنّ أوفتيات ساذجات لايحسنّ القراءة ﴿ المثال الثانى ﴾ قال . فى المذهب الروحانى أن الأرواح قد أشارت الى واسطة أسهل من المائدة لمخابرتهم وهى أن يمسك الوسيط بيده قلما و يضعها على قرطاس

فيحس بعد ذلك بيده قد تحركت من نفسها وأخذت ترقم نقطا وخطوطا ثم أحرفا يتألف منها المقالة الروحانية وهاك كيفية ماملك الدكتور (سرياكس) الألمانى الوساطة الخطية بعد أن عزم على استجلاء الحوادث الروحانية فى بيته ومابين آله دفعا للاحتيال فبعد أن أقام تسع عشرة جلسة بدون نتيجة تذكر قال ماترجمته ﴿فى هذه الجلسة الأخيرة وهى العشرون شعرت فجأة و بالتوالى باحساس غير مألوف من الحرارة والبرودة ثم بريح باردة مرّت على وجهى و يدى فاعترى ذراعى الأيسر نوع من الخدر لامناسبة بينه و بين التعب الذى كان يعتريني فى الجلسة فكانت يدى مخلعة على نوع القول لاتقوى ارادتى على تحريكها و بعد هنيهة شعرت بقوّة أجنبية تحركها بسرعة لم أكن أقوى على تثبيطها ثم أحضرت لى امرأتى ورقا وقلم رصاص ووضعتهما على المائدة فوثبت يدى اليسرى على القلم وأمسكته و بدأت تخط فى الفضاء اشارات لامعنى لها و بسرعة عنيفة أجبرت مجاورى على التخلف للوراء و بعد ذلك انقضت يدى على الورق وضربت بعنف حتى انكسر القلم ثم انحطت على المائدة وهمدت فتأكدت أنه ليس لارادتى دخل لافى الحركات التى أحدثتها يدى ولافى حالة السكينة التى صارت اليها فيما بعد و بعد أن برى القلم من جديد ووضع أمامى أمسكته يدى وأخذت تتلف أوراقا جمة مالئة إياها شطوطا وتقاطيع الى أن هدأت بعد هنيهة ورأيناها تكتب تمرينات خطية يبدأ بها صبيان المدارس أى خطوطا بسيطة فى الأوّل ثم أحرفا هجائية وكل ذلك بسرعة عجيبة و بعدها هدأ اضطراب ذراعى وشعرت من جديد بريح باردة مرّت على يدى فعادت الى أصلها وتبدّد منها كل ضرر وتعب فسررت جدّا بهذه الجلسة لتأكيدى فيها ظهور قوّة لاتعلق لها بارادتى ولافى وسعى مقاومتها . وفى الليلة الثانية قنا من جديد الى العمل ومامضت خمس دقائق حتى شعرت بالريح الباردة والاعراض ذاتها التى تمت فى الجلسة السابقة فكانت يدى اليسرى تهتز بعنف متزايد وتطرق أحيانا طرف المائدة طرقات شديدة مترادفة حتى ظننت انها قدسلخت إلا انى لم أرفيها بعد الجلسة أدنى خدش ولااعترانى فيها أقل وجع ثم تمرّنت وساطتى فى الجلسات التالية وتكاملت بسرعة حتى صارت يدى اليسرى تكتب مقالات شتى للأرواح وفى احدى الليالى صورت ثلة من الزهور فى منتهى الاتقان ولاحاجة للقول انى لا أستطيع أن أستعمل يسارى حتى فى الأكل فكيف فى الكتابة . وأما التصوير فليس لى إلمام باصوله ولو بيدى اليمنى وقد تأكدت تأكيدا لاريب فيه أن القوّة التى كانت تستعين بيسارى للكتابة والتصوير كانت خارجة عنى ولاتعلق لها بارادتى وكنت فى حال الكتابة على أتمّ الانتباه لا أشعر من نفسى بغير خدر يدى وتسلط غريب عليها بمعزل عن اختيارى . والدليل على ذلك انى كنت فى حال الكتابة أخاطب رفقائى وأطارحهم الحديث دون أن تتوقف يدى عن الكتابة ولا أدرى ماتخط

وقصد أحد الحضور فى جلسة أن يوقف يدى فوضع عليها يديه وارتفع جسمه حتى وقع كل ثقله عليها فبقيت مع هذا تتحرّك للكتابة بقوّة ونظام كأنها ليس عليها شئ وأنا لا أحسّ بالثقل الواقع عليها﴾

قال فى الكتاب المذكور أحببنا الملاحظات التى نشرها الدكتور (سرياكس) لأنها تحتوى على الأعراض التى تعترى كل وسيط كاتب فى أوّل وساطته فضلا عما لصاحبها من الشهرة فى العلم والكفاءة واهتدائه الى الروحانية باختباره حوادثها فى نفسه ﴿المثال الثالث﴾ قال فى الكتاب المذكور قال العلامة (وليام كروكس) فى الوساطة الخطية ﴿كثيرا ماشاهدت الآنسة (فوكس) وهى الوسيطة تكتب مقالة روحانية لأحد الحضور فى حين أن مقالة أخرى وفى موضوع آخر كان يتلقنها آخر بواسطة طرقات المائدة الواضعة الوسيطة يدها عليها . وفى الوقت نفسه كانت الوسيطة تكلم انسانا ثالثا بكل سهولة وانتباه فى موضوع مخالف للموضوعين الآخرين﴾

قال ﴿ولاجرم أن الوساطة الخطية أكمل وأسهل طريقة لمناجاة الأرواح ولنيلها يبذل المبتدئون جهدهم خصوصا لأنهم يتمكنون بها من تمييز الأرواح واستجلاء بواطن أفكارهم وتقدير درجة ارتقائهم﴾

﴿ الأرواح تكتب بلا أقلام ﴾

(المثال الرابع)

قال البارون (جيلد نستويه) فى كتابه عن حقيقة الأرواح فى أوّل شهر (آب) سنة ١٨٥٦ ما يأتى ﴿ خطر لى أن أجرّب كتابة الأرواح من غير يد الوسيط لما قرأت فى كتاب موسى عن كتابة الوصايا العشر وفى سفر دانيال عن الكلمات السرّية التى خطتها يد غير منظورة فى وليمة بلتشاصر وماقرأته عن أسرار (أستراقور) الأمريكى فى هذا الموضوع فوضعت ورقا أبيض وقلم رصاص فى علبة أقفلتها ووضعت المفتاح معى ولاعلم لأحد بما فعلت وفى اليوم الثالث عشر من شهر آب سنة ١٨٥٦ رأيت حروفا سرّية مكتوبة فدهشت وعجبت أشدّ العجب وكررت العمل فى ذلك اليوم عشر مرات فكلل مسعاى بالنجاح وفى اليوم الثانى كررته عشرين مرة والعلبة مفتوحة أمامى وأرى الحروف والكلمات تسطر أمامى بلا قلم فصرت بعدذلك أضع الورق أمامى على المائدة فتسطر المقالات عليه بيد غير منظورة ﴾

بهذا العمل نفسه حظى الكونت (أورش) برسالة من أمّه المتوفاة بالخط والامضاء نفسه الذى كان لها فى حياتها على يد البارون المتقدّم . وقد جرب مثل هذا العلامة (والاس) وكذا العلامة (أوكسون) من جمعية العلماء فى (اكسفورد) والعلامة (زولنر) الألمانى والدكتور (جيبيه) الافرنسى والمعلم (أويت كويس) الأمريكى فى مؤلفاتهم بعد الاحتياط الشديد لرفع الريبة ونفى الشبهة والاثبات واليقين ﴿ المثال الخامس ﴾ روى المشترع الفقيه (سارجان كوكس) ماتعريبه ﴿ كثيرا مارأيت غلاما صيرفيا وهو وسيط عار عن كل علم وتهذيب يجادل عند استيلاء الروح عليه قوما من الفلاسفة فى مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقدرة وغالبا كان يفحمهم بأجوبته السديدة وأنا نفسى ألقيت عليه يوما بعضا من معضلات علم النفس فحلها لى ببراهين قاطعة وألفاظ فى منتهى الرقة والفصاحة مع أنه فى حالته الطبيعية لايدرى ما الفلسفة ولايجد ألفاظا يعبر بها عن أفكاره الصغيرة ﴾ . ﴿ المثال السادس ﴾ روى العلامة (والاس) فى تكلمه عن أعمال الحاكم (أدمون) الأمريكى ما يأتى ﴿ ان ابنة الحاكم المدعوّة (لاورا) أصبحت فيما بعد وسيطة متكلمة وصارت تنطق بلغات أجنبية لاتعرف هى منها شيأ وكثيرا ماخاطب أصحاب الحاكم موتاهم على يدها و بلغاتهم الخصوصية . واتفق مرة أن نطقت بعشر لغات فى مدّة ساعة فقط منها الاسبانية والافرنسية واليونانية والايطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية والانجليزية وغيرها من اللغات التى كان يجهلها الحضور ﴿ المثال السابع ﴾ هو و بعض ما تقدّم خاص بالتنويم المغناطيسى و بعضها يتيسر لجميع الناس بلاتنويم على شرط المثابرة والصبر والاحترام والالتجاء الى الله عزّ وجل فلنختم بهذا المثال فنقول . قال فى المذهب الروحانى لابدّ لأهل الشك أن ينسبوا الى الأحاديث الخرافية كل الوقائع التى أتينا على ذكرها رغما من ثبوت صحتها وصدق رواتها زاعمين أنه لابد أن يكون للتخيل الوهمى والمبالغة النصيب الأوفر فيها ولكن هل يثبت شكهم ازاء حوادث من هذا النوع تمت فى معمل وحيد العصر وخيرة علماء انكلترا أعنى به (وليام كروكس) ان ضيق المقام لايمكننا من تفصيل الامتحانات التى أقامها على يد الوسيط هوم والآنسة (فلورنس كوك) فنكتفى بتلخيص بعض الأندية التى فيها تجسمت الروح المدعوة (كاتى كينج) وظهرت عيانا للحضور قال العلامة المذكور فى كتابه المدعو ﴿ مباحث الروحانية ﴾ كنت أقيم الجلسات فى معملى ذاته والمكتبة التى ينفذ اليها أجعلها الحجرة السوداء التى تدخلها الوسيطة لالقائها فى السبات ومنها يظهر خيال الروح بعد اضعاف النور . وقد قال فى الكتاب المذكور كانت (كاتى كينج) هذه روح حى من عالم الغيب تجلت فى البدء بهيئة بخار يظهر فى الظلمة ولايقوى على تحمل النور ولكنها تدرجت شيأ فشيأ الى أن تجمعت فى وسط الأشعة الكهربائية وفى معمل عالم كبير تنزّه عن الجهل والغش" . ثم قال العلامة المذكور لم تظهر (كاتى) قط ظهورا واضحا كهذا فانها لبثت زهاء ساعتين تمشى فى الغرفة وتكلم

بدالة

بدالة كلا من الحضور ثم أخذت مرارا بذراعى لنتمشى معا • وناهيك ماتولانى من التأثر عند معرفتى أنى أماشى زائرا من عالم الغيب لا امرأة حية ثم قالت (كاتى) انها تستطيع فى هذه المرة أن تتجلى مع الآنسة (كوك) وهى الوسيطة فأطفأت نور الغاز وأخذت مصباحا من الزيت الفسفورى ودخلت الحجرة السوداء فوجدت الآنسة (كوك) ملقاة على المقعدة فاقدة الحراك جثوت بجانبها وأدنيت المصباح منها فألفيتها لابسة حلة من المخمل الاسود ثم رفعت المصباح ونظرت الى ماحولى فرأيت (كاتى) واقفة ازاء الوسيطة لابسة حلة بيضاء ضافية الذيل ثم أمسكت ثلاث مرات يد الآنسة (كوك) لأتحقق أننى ممسك يد امرأة حية ورفعت مصباحى ثلاث مرات نحو يد الآنسة (كاتى) لأفحصها بدقة وأنا كد انى أعاين حقا أمامى من كنت أتمشى معها و يدى فى يدها منذ بضع دقائق ثم تحركت قليلا الآنسة (كوك) فأوعزت (كاتى) حالا الىّ بالذهاب فخرجت من الحجرة و بعد قليل استيقظت الوسيطة بعد أن توارى خيال (كاتى) وأعدنا مصباح الغاز الى ما كان عليه • ثم أخذ العلامة المذكور يقارن مابين الآنسة (كوك) الوسيطة والآنسة (كاتى) المتجلية فكان الفرق فى اللون واللمس والطول وثقب الأذن والنبض والشعر والرئتين • فالآنسة (كاتى) كانت ذات شعر ذهبى ووجه أبيض ناصع وعنق ناعم الملمس وقوام أطول وأذن غير مثقوبة ونبضاتها (٧٥) فى الدقيقة والرئة أكثر اعتدالا • فأما الآنسة (كوك) فانها ذات شعر كأنه أسود ووجه أسمر وعنق فى بعضه خشونة وأذناها مثقوبتان وطولها أقصر قليلا ونبضاتها ٩٠ فى الدقيقة وفى رئتها زكام • ثم وصف العلامة المذكور آخر جلسة للآنسة (كاتى) وذكر فيها عجائب لا يستطيع الخيال فضلا عن العقل تصوّرها • فعلى من عندهم قوّة على هذه الأعمال أن يجرّبوها فى بلادنا حتى نوقن بما يقولون • يقول ان الآنسة (كوك) وهى الوسيطة دخلت الحجرة الساعة السابعة والدقيقة ٢٣ مساء وفى الساعة السابعة والدقيقة ٢٨ سمعنا صوت (كاتى) وفى الدقيقة ٣٠ تجلت وظهرت بحلة بيضاء قصيرة الأكمام وعنقها مكشوف وشعرها منسدل حتى خصرها ووجهها مبرقع بخمار طويل لم تنزعه إلا قليلا ثم أخذت (كاتى) تكلمهم عن رحيلها القريب وقدّم لها أحد الحضور باقة من الزهر فقبلتها ثم قعدت على الأرض وأقعدتنا حولها وأخذت تفرّق الزهور علينا وحررت رسائل لأصحابها ومنها رسالة للآنسة (كوك) مطوّلة وذيلتها باسمها الحقيقى على الأرض (حنا مرجان) وقد زعمت انها عاشت فى عصر (كارلوس) الأوّل ثم تمشت مع هذا العلامة آخذة بذراعه فى الغرفة مليا ثم جلست وقصت قطعا شتى من ردائها وخمارها وقدّمتها لهم هدايا • قال العلامة المذكور فسألناها هل تستطيع أن تملأ الخروق التى فى ثوبها كما فعلت ذلك مرارا فأجابت نعم وأخذت بيدها القسم المخروق وضربت عليه بيدها فعاد حالا الى ما كان عليه فسألتها حينئذ أن تأذن لى فى تحقيق الأمر فأذنت فلم أجد فى الرداء أقلّ أثر للفتق ثم دخلت الى الحجرة السوداء وأيقظت الآنسة (كوك) وقالت لها لقد أزمعت الرحيل فانتحبت الآنسة (كوك) وطلبت أن لا تفارقها فقالت لها إنى راحلة الى عالم آخر غير الذى أنا فيه الآن • ومما قالته لهم انها لا تقدر أن تتجلى فيسمعوا صوتها او يروا شخصها وانها تأتى لهم بالوساطة الخطية على يد الآنسة (كوك) ولا تظهر لها إلا فى السبات المغناطيسى • انتهى

وهناك حوادث شهيرة لتجسم الأرواح كاتى ظهرت من تجسم (استيل) قرينة الصيرفى الأمريكى ليفرمور فانها تجلت بعد موتها لزوجها ٣٨٨ مرة بهيئة محسوسة فى خلال خمس سنين كذلك العلامة (جيبيه) الافرنسى شهد فى معمله كثيرا من هذا النوع على يد الوسيطة (مدام سلمون) ونشرها مفصلة فى تأليفه وفى سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٢ ذكرت الصحافة الايطالية غرائب الامتحانات التى أقامها العلامة (لومبروزو) فى (جينوا) مع العلماء (مورسلى) و (برو) والكاتب النحرير (فاسالو) مدير جريدة الجيل التاسع عشر الايطالية وكانت الوسيطة (اوزابيا بالادينو) وقد تجسم على يدها مرارا ابن (فاسالو) المتوفى وقد أطفأ بتجليه لوعة

أبيه وأيد له صحة خلود النفس . ثم قال فى الكتاب المذكور وان لنا حوادث أخرى عديدة من تجسم الأرواح على يد الوسطاء وظهورهم لأحبائهم لتعزيتهم وتبديد حزنهم نضرب عن ذكرها لاكتفائنا بشهادات العلماء المتقدّم ذكرهم . قال شير محمد وهل اطلعت على شئ مما يذكره جهلة المسلمين اليوم من قولهم ان العفريت لبس جثة فلانة أوفلان و يأتى شيخ يقرأ و يعزم . أحق هذا أم ضلال . أفلا يمكن تبيان الحقيقة حتى لا يقع الناس فى شباك الكذابين . فقلت ياشير محمد انى قابلت كثيرا من هؤلاء فألفيتهم كذابين غاشين للأمة ولطالما قابلت متعلما فاضلا حاز الشهادات العالية وقد أحسن الظن بأحد هؤلاء فاذا قابلته وجدته أفرغ من فؤاد أم موسى والى الآن لم أسر بواحد من هؤلاء وجدير بالأمة أن تتيقظ وتأنف من مسايرة هؤلاء لاسيما انها دخلت باب العلم والترقى وقد اطلعت على نبذة يسيرة تناسب هذا من الكتاب المذكور . قال

﴿إن الاستيلاء الجسدى ليس لصاحبه قوة كافية للتخلص من مضايقة الروح فلهذا يشترط فى الأمر تدخل شخص ثالث يفعل إما بقوة المغناطيسية واما بسلطة ارادته . هذه السلطة أدبية محضة فلا يقوى على طرد الروح إلا من كان متغلبا عليها بالفضيلة والكمال﴾ الى أن قال ﴿وليس للتقسيم والتعزيم أقل فعل فى طرد الروح المضايق﴾ ثم قال ﴿ان النقائص الأدبية أقوى جاذب للأرواح الشريرة ومن قصد التخلص منها فعليه أن يسعى فى عمل الخير فيجتذب اليه الأرواح و بمجرد ارادتها فقط تكبح جماحها وتطردها إلا أن مساعدتها لا ينالها إلا المجتهدون فى اصلاح أنفسهم الساعون وراء الكمال والفضيلة . أقول ان هذا القول أقرب الى الصواب فعلى من يتولى أمر من يتخبطه الشيطان من المس أن يأمره بالأعمال الصالحة والاخلاص ـ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ـ وأن استيلاء الروح الشريرة على الجسد المذنب أشبه بما جاء فى مجالسنا السابقة ياشير محمد إذ قالت الروح العالية فيما ذكرته لك فى المجلس التاسع ﴿ثم لولم تكونوا ناقصين ما وافاكم إلا أرواح صالحة فاذا مكر بكم أحد فلا تلوموا إلا ذواتكم وما أنسب هذا لقوله تعالى فى سورة ابراهيم ـ وقال الشيطان لما قضى الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخيّ إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إنّ الظالمين لهم عذاب أليم ـ وفى آية أخرى ـ كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين ـ والحكمة فى ذلك ترويضنا على الثبات وصدق العزيمة وكأن الله عزّ وجل يريد بذلك ترويضنا على مصادمة الأهوال والثبات فى سائر الأحوال فكل شرّ جسمى أووسوسة عقلية تدعو حثيثا الى الصبر والثبات فمن صبر وصار ذلك عادة فيه سعد ومن مال مع الهوى فرضى بالترف والنعيم ولم يحتمل المشقات أوأطاع الوسوسة سقط فى الهاوية . وقد تقدّم فى المجلس التاسع قول الروح ﴿ان الله يسمح بذلك حتى تروضوا على الصبر والثبات وتتعلموا أن تميزوا الخبيث من الطيب فان لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على نقصكم﴾

﴿مطابقات للشريعة الاسلامية﴾

ثم قلت . أليس هذا ياشير محمد من العجب العجاب . أوليس حديث (ديكنس) السابق هذا يومئ الى قوله عزّ وجل ـ ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردّ ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ـ وقوله ـ وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرة ـ وقوله ـ اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ـ فقال شير محمد أما حديث (ديكنس) فهو عجيب ان صح بل هو أعجب ماسمعنا وأما هذه الآيات فلا أدرى ماموقعها وأى علاقة لعرض جهنم على الكفار يوم القيامة وعلى الله وقراءة الانسان كتابه لما فى حكاية (ديكنس) من غلط الانشاء وخطأ الاملاء . فقلت اعلم ياشير محمد . ان هذه الآيات فيها دلالة واضحة أن كل عمل نعمله واعتدناه

يصبح فينا سجية وغريزة ثابتة فلاينزعه منا الموت وأن (ديكنس) لم يقتلع الموت منه خطأ الاملاء وأبقى عنده حسن الانشاء . ولاجرم أن كل ذنوبه وأعماله من الخير والشر بقيت فى نفسه يحاسب عليها و يعاقب وهذا قوله تعالى ـ ولوردّوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون ـ لأن الغريزة لاتقاوم كما لم يمكن اصلاح الاملاء بعد الموت عند (ديكنس) وهكذا كل ذرّة من الخير والشرّ حاضرة عندنا باقية فى نفوسنا هى هكذا لم تتغير فلايغادر صغيرة ولا كبيرة من أعمالنا ولايعزب عنه مثقال ذرّة فى الأرض ولافى السماء وكفى بنفسنا حسيبا علينا واذا قلنا ـ أرجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل ـ أجابنا ـ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ـ ويقول لورددتكم لعدتم لما نهيتكم عنه وأنتم تكذبون كما كنتم تكذبون فى الدنيا بنقض عهدى بعد مرض يصيبكم أوفاقة تفتاتكم أونازلة تمحقكم فلاعهد لكم عندى . ياشير محمد اننا غافلون عن نفوسنا فى هذه الدنيا ولقد أفلح المؤمنون ولأذكرك بالحديث الصحيح الشريف ﴿ يبعث العبد على ما مات عليه ﴾ وقال الشيخ محمد الزرقانى

وتحشر أطفال وسقط كمثل ما * يكونون عند الموت ثم تكمل

وقال فى شرحه للنظم . هل يحشر الطفل والسقط بصفته وقت الموت أم لا . جوابه قال الحافظ ابن حجر كل واحد من أهل الموقف يكون على ما مات عليه

أقول . ألست ترى ياشير محمد أن كلام النبوّة صريح فى أن الانسان حافظ لأخلاقه وآدابه حتى يحشر عليها . أليس هذا بعينه مافى حكاية (ديكنس) وانه قد حفظ أخلاقه فى أسلوب الانشاء وخطأ الاملاء وهكذا يقاس عليها سائر أخلاقه التى يحشر عليها إلا أن هذه الأخلاق الثابتة فينا بعد الموت أعدل ناقد وأكبر شاهد كمنت فينا فأظهرها الله ألا وان العادات المغروسات فينا بالتكرار لن تزول بل تبقى خزيا علينا وعارا وفضيحة يقرؤها الناس فى صحائف أرواحنا ويكون عذاب الخزى . فايقلع المرء عن عاداته وليوطد النفس على منابذة الهوى ومحاربة العادات الذميمة فانها برسوخها فينا تشهد علينا . أوليس الخطأ فى املاء (ديكنس) شهد عليه بذلك . أليس ذلك مصداقا لقوله تعالى ـ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ـ ـ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ـ وقوله ـ حتى اذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهوخلقكم أوّل مرة واليه ترجعون * وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أنّ الله لايعلم كثيرا مما تعملون ـ

﴿ فصل فى آداب من يحضرون الأرواح ﴾

قال فى كتاب ﴿ المذهب الروحانى ﴾ ملخصا من أخصّ شروطه مايأتى

الاختلاء والسكينة والرغبة الصادقة والارادة مع العزيمة والهدوء والتجرّد من الاضطراب وقلة الصبر وليكن فى مكان معتزل بعيد عن الضوضاء وتشتيت الفكر وليلجأ المرء الى الله تعالى وليحترم الأرواح . ولاينبغى أن يطيل الامتحان أكثر من ١٥ دقيقة كل يوم وذلك مدّة شهر أوشهرين أوأكثر اذا لزم ذلك فان من الناس من لاتتحرّك أيديهم إلا بعد مرور ستة أشهر من التجربة و بعضهم تتحرّك أيديهم لأوّل جلسة وهو نادر جدّا . ومتى شعر المجرّب بضعف فى قواه أوضيق فى صدره ناتج عن فقد كهربائيته العصبية فليكف حالا عن العمل ولايستأنفه إلا بعد أن تكمل قواه . واذا أطال الجلسة أكثر من (١٥) دقيقة فهو غير حسن وليكن العمل كل يوم أويومين على قدر امكانه وان خالف ماذكرناه انتابه أمراض و بيلة . وليجلس مع أهل منزله على مائدة بهدوء و يمسك كل منهم قلما على قرطاس فعسى أن يكون لأحدهم استعداد سريع . واذا جلس وحده أضربه . ومن جرّب ولم يجد فى نفسه استعدادا فليكف . واذا ظهرت فيه هذه القوّة فليصرفها

فى الامور الشريفة لافى اللهو واللعب والامور الشهوية . وليختر يوما فى الاسبوع يحضر مع آله لذلك العمل والأرواح ليسوا تحت أمرنا بل يحضرون متى وكيفما شاؤا . واذا كانت الكتابة غير مفهومة فليطلب من الروح اعادتها و بعض الأرواح لا يمكن حضورها فلا يكن فى صدر الطالب حرج من ذلك وكثرة الاستحضار تضر المستحضر وقد يحدث الجنون لمن فى دماغهم ضعف وهكذا كل مايهيج العصب وهى ضارة بالغلمان إلا اذا كان طبيعيا فيهم وليست هذه القوة دليلا على الكمال ولاعدمها دليلا على النقص انما هى ترجع للاستعداد وسوء التصرف بهذه القوة يضر بصاحبها لأن من يعلم يعذب أكثر من لايعلم على التقصير وكمال صاحب هذه القوة ونقصه يرجعان للامور النفسية من التواضع وحب الناس والكبر وكراهة الناس وما أشبه ذلك . ألا وان اجتماع الحاضرين فى الفكر صالح لحضور الأرواح وضد ذلك تفرق الأهواء وخير للمستحضر أن يعين وقتا لأحبابه الذين يستحضرهم لأنهم ليسوا تحت أمره بل لهم أعمال غيرذلك همولها عاملون . ومن الأرواح من يسر بالحضور وهم أحبابنا أومن يحبون الخير العام ويرون اننا نطلبهم لغاية جيدة بنا والروح العاوى قد يحضر مجالس كثيرة فى آن واحد . أما الأرواح السفلية فلاتحضر إلا مجلسا واحدا لأنهم أقرب الى الأرض . أما الأرواح النقية وهى التى ارتفعت عن المادة فلاتناجى إلاقلوبا مخلصة لايشوبها كبرياء ولاحب ذات . ومن أراد الفوز بتعليم الأرواح فليصنع الخير وليتجنب الكبرياء وحب الذات

﴿ درجات الأرواح ﴾

إن الأرواح على ﴿ ثلاث درجات ﴾ أرواح سفلية وأرواح علوية وأرواح نقية

(١) فالأرواح السفلية هى التى تغلبت عليها المادة فمالت الى الشر وهى إما نجسة وديدنها الشر والقاء الخصومة . واما طائشة تحب الخلاعة والخفة والتلاعب . واما متكبرة بمعارفها القليلة وعلومها الضئيلة فتتعامى عن الحق . واما عقيمة لا تصلح لخير ولاشر

(٢) وأما الأرواح العلوية فلها سلطان على المادة تحب الخير وتبعد عن الرذائل وهى

(ا) إما صالحة توصف بالجود وحب الصلاح و إلهام الناس أفكارا صالحة ومعارفها قليلة وترقيها العقلى دون ترقيها الأدبى

(ب) واما حكيمة وصفاتها الأدبية جيدة لانقص فيها وعلومها أوفر اتساعا وأغزر مادة

(ج) واما رفيعة جمعت مابين الحكمة والعلم والفضيلة ولاتلقى تعاليمها إلا لمن طلب معرفة الحق بخلوص نية وجرد قلبه من المطامع الدنيوية

(٣) وأما الأرواح النقية فهى التى بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادة أدنى تأثير فيها فأصبحت معاينة لله مغتبطة به وليست تناجى إلا من كان ذا فضيلة سامية وقلبه مجرد من كل ماهو ذميم وعليه فالموت لايغير طبع الانسان فالعالم يبقى عالما والمتوحش متوحشا والشاعر شاعرا وهلم جرا كما ورد فى الحديث ﴿ ان العبد يحشر على مامات عليه ﴾ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا . وعلى ذلك تكون رسائل الأرواح غير مسلم بها ففيها الغث والسمين فربما حضر للمحضر روح طائشة أونجسة أومتكبرة أوعقيمة فتذكر له حقائق ناقصة لجهلها أولسوء خلقها . وكما اننا فى الدنيا نرى طوائف الناس على أقسام . فهكذا نرى الأرواح فالآخرون من الأولين . فاذا شككت فيمن حضر من الأرواح فسله عن اسمه ولقبه وعدد السنين التى عاشها على الأرض والأماكن التى حل بها والظروف التى مكنته من التعرف بك الى غير ذلك وتسأله أن يقسم لك بالله انه هو حقا روح فلان فأكثرهم لايجسرون على هذا الكذب وقليل منهم يقسمون وهم الفاسقون . ومن الأدلة أيضا الامضاء ومضاهاته بامضائه المعروف فى الأرض . وأهم الأدلة سير الانشاء وأسلوبه ومعانيه فغالبا لايمكن الجاهل أن يظهر عليما ولاصاحب الرذيلة أن يزور الفضيلة فالأرواح

تميز

تميز بالحديث . ألا وان الرذائل تحيط بالروح بعد موته احاطة الهواء وأن العالم المتكبر أشدّ خطرا من الأرواح الشريرة لأن العالم جمع العلم والنباهة والكبرياء والمكر فيغرى الجهال ويشربهم مبادئه السخيفة الكاذبة والروح العلوى قد يحضر لطالبه وقد ينيب عنه من يعلم أنه كفؤ . على أن الأرواح كلما ازداد اتفاقها ازدادت فى وحدة الفكر وانضم بعضها الى بعض فما يراه أحدها يراه الآخرون وقد تنتحل بعض الأرواح السفلية أسماء الأرواح العلوية بغير ارادة الآخرين فتعاقب بعد تلك الجريمة ويكون ذلك امتحانا واختبارا للناس ليميز الخبيث من الطيب . وقد تأتى الرسائل محشوّة بأكاذيب تفرق مابين الأسرة فلاينبغى أن يصدّق مافيها كما قدمنا . وللأرواح العلوية سلطة أدبية على السفلية فهى التى تمنعها عن اغواء من هم مخلصون صادقون قال تعالى — إنّ عبادى ليس لك عليهم سلطان — والأرواح فى حال تمكنهم من فعل مايريدون كما يتمكن الناس على الأرض ألا وان الانسان قد يناجى الأرواح بفكره وان لم يكن وسيطا وهذا يسمى الاحضار الفكرى ولايجوز له أن يحضر روحا شريرة احضارا فكريا اذا كان وحده . والذى يصدّ الروح عن اجابة محضره أمور كثيرة منها ارادته الخاصة به فله الحرية المطلقة . ومنها أن يكون فى أعماله الخاصة فلايتفرّغ الى المحضر . ومنها أن لايؤذن له فى اجابة المحضر عقابا له أولمن يحضره . ومنها أن يكون فى عالم أدنى من العالم الأرضى وهولايتسنى له الحضور هنا لتنافى المبدأين . فأما اذا كان علويا وقد أرسل الى العالم السفلى تكفيرا عن ذنبه أولرسالة يقوم بها فذلك لن يعجز حينئذ عن الحضور لمناجاة أهل الأرض . ثم ان الفكر تحمله المادّة الأثيرية الى الروح كما يحمل الهواء الصوت والاوّل لاحدّ له والثانى محدود . وجميع الأرواح لها الحرية المطلقة فى الحضور وعدمه ولكن الأرواح السفلية ترغمها الأرواح العلوية على الحضور اذا كان ذلك نافعا لها . والرجل الفاضل تهابه الأرواح السفلية فلاتقربه ولاسيما ان كانت تحميه أرواح علوية والطلاسم لاتأثير لها على الأرواح وانما ذلك فى عقول السذج والعوام . والروح قد يحضر عند موته ولكنه يكون فى حال اختلاط واختباط وتحضر روح الحىّ اذا كان نائما ولكن اجابتها لاتكون سهلة وليس يتذكر عند اليقظة مافعله وقت الاحضار فى نومه والجنين لايمكن احضاره البتة واحضار المريض والصغير والشيخ الضعيف يضرّ بهم كما تقدم أنه يضرّ بهم أيضا أن يكونوا وسطاء . ومن المقالات ما يكون من روح الوسيط الكامنة وعلومه الخفية التى علمها قبل وروده الى هذا العالم فلا ندرى أمن النائم هذا أم من روح حاضرة . ولاجرم أن هذا مما يدعو الى التفكير والتبصر ليزول اللبس . والأرواح العلوية لاتحضر المجالس الروحانية الهزلية وانما تحضرها الأرواح الطائشة فتنشئ طرق الموائد ورفعها وتلقى الأحاديث الهزلية والأكاذيب الفارغة إذ شبيه الشئ منجذب اليه وليس يؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة إلا اذا حضرت للاستفادة فلاتجسر أن ترفع أصواتها . والوسيط قد يفقد الوساطة مؤقتا إما لتصرّفه بأن يجعلها بابا للرزق أواللهو واللعب واما اراحة الوسيط من التعب . ولا يسمح لآخر أن يحلّ مكانه والذكي يميز بين الأمرين . ثم ان المبتدئ يرغب فى مناجاة أحبائه وهم ربما لايقدرون على مناجاته لجهلهم بطرق ذلك واما لأنهم فى عالم أقلّ من عالمنا فليتخذ الانسان روحا مرشدا من الارواح العالية و يسأله عمن تحضره من الارواح وهو يجيبه ﴿أذلك ممكن﴾ وليستعن المبتدئ اذا داخلته الأرواح الشريرة بالأرواح العالية مع التوقف حالا عن الكتابة وقد أطنبت فى هذا المقام لأهمية الموضوع وليكون القارئ على بصيرة ونور وهدى وكتاب منير . هذه الاحكام كلها من محادثات الأرواح أنفسها مع العلماء فيما تقدّم نقلا عن الآن كردك

﴿ تذكرة فى مقارنة مافى هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالى واخوان الصفاء ﴾

قال شير محمد . إذن كل هذا الفصل نقلته من كلام نفس الأرواح . فقلت نعم . قال سبحان الله إنّ فى هذا لعجبا عجابا . قد قسمت الأرواح الى درجات من صالحة ونقية وعلوية والصالحة جعلت أقلّ الجميع والنقية

أرقاها . فهل له نظير عند علماء الاسلام . واذا كانت الأرواح لها حياة بعد الموت وحرية فلم يكره الناس الموت وجهلوا حياتهم بعده وهو فى الحقيقة الحرية التامة وأرجو أن تزيدنى يقينا فى أن أرواح الأموات لها اتصال بالأحياء تعلمها وتربيها . فقلت أما درجات الأرواح فقد وردت فى قوله عزّ وجل - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله - فالأنبياء هم الأرواح النقية والصدّيقون والشهداء هم الأرواح العلوية ومنهم الصالحون وهم أقل الجميع درجات

وقال الامام الغزالى فى كتابه ﴿ بداية الهداية ﴾ ما ملخصه ان العلم أفضل مايبتغيه الطالبون و يليه كل عمل عام للناس من المنافع المادّية كاغاثة الملهوف ودفع الضرّ والأذى وآخر الدرجات أن ينقطع للعبادة وشرّ الدرجات له أن يكون شريرا مؤذيا طماعا جماعا . وأما كون الناس يكرهون الموت لجهلهم بالحياة بعده ولا يحبونه مع انهم بعده أحرار . فهاك أسمعك ماقاله (اخوان الصفا)

إن علة كراهة الحيوانات الموت هو مايلحقها من الآلام والأوجاع والفزع عند مفارقة الأحياء فان قيل فلم لاتدرى النفوس بأن لها وجودا خلوا من الأجسام قلنا لأنه لايصلح لها أن تعلم هذه المعانى لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكمل . واذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلا بلافعل ولاعمل وليس من الحكمة أن يكون كذلك اذا كان خالقها لم يخل من تدبير ليكون فارغا بلافعل بل كل يوم هو فى شأن . وأما قولك كيف كانت الأرواح مهذبة ومربية للأحياء فى الدنيا فقد ذكرنا فى هذا الكتاب ماورد فى النبوّة أن إلهام الناس من الملائكة والوسوسة لهم من الشياطين كما جاء عن الأرواح فى المجامع النفسية . ونزيده بيانا الآن فنقول قال ﷺ ﴿ إن الله تعالى وملائكته عليهم السلام وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة فى جحرها والحيتان فى البحر يصلون على معلم الناس الخير ﴾ وقال ﷺ ﴿ إن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم ﴾ فانظر وتعجب . أليس ذكر الملائكة فى هذا الحديث وانها تضع أجنحتها لطالب العلم دلالة على المناسبة والملازمة بين المتعلم و بين الملائكة والأرواح العالية . أليس هذا نظير ماجاء فى هذا المقال عن الأرواح ترجمة الآن كردك إذ يقول ان الأرواح العلوية لاتحضر المجالس الهزلية وانما تحضرها الأرواح الطائشة ولايؤذن للأرواح الطائشة أن تحضر المجالس الرزينة . ونقول أيضا ان الأرواح العلوية قد تأمر الأرواح بالحضور فى المجالس النافعة الروحية . فهناك إذن علاقة علمية . وترى مناسبة الملائكة لأهل العلم جاءت فى السنة وفى كلام الأرواح ووردت فى القرآن الشريف - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فجعل أولى العلم بعد الملائكة فان الأوّلين يعلمون الآخرين . وقال فى (اخوان الصفاء) فى رسالة (العلل والمعلولات) صفحة ١٣٢ مايأتى

ثم اعلم أن النفوس التامّة الكاملة اذا فارقت أجسادها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتمّ هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ تلك الى حال الكمال وترتقى هذه المؤيدة أيضا الى حال هى أكمل وأشرف وأعلى - وان الى ربك المنتهى - والمثال فى ذلك الأب الشفيق والاستاذ الرفيق وتعليمهما التلامذة والأولاد واخراجهما إياهم من ظلمات الجهالات الى فسحة العلوم وروح المعارف ليتم التلاميذ وليكمل الآباء والاستاذون باخراج مافى قوّة نفوسهم من العلوم والمعارف والصنائع والحكم الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبها به فى حكمته إذ هو السبب الأوّل والمبدأ فى اخراج الموجودات من القوّة الى الفعل والظهور . وكل نفس هى أكثر علوما وأحكم صنائع وأجود عملا فهى أقرب تشبها بربها وهذه هى مرتبة الملائكة الذين لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون مايؤمرون ويبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب . ولذا قالت الحكماء ﴿ الحكمة هى التشبه بالله بحسب طاقة البشر ﴾ معناه أن تكون علومه حقيقية وصناعته محكمة وأعماله صالحة وأخلاقه جميلة وارادته صحيحة ومعاملته نظيفة وجوده على غيره متصلا والله سبحانه

وتعالى

وتعالى كذلك . انتهى ما أردته من (اخوان الصفاء)

فتعجب أيها الذكى . أليس ما قالته الأرواح فى الجمعيات النفسية فى أوروبا هو كما فى القرآن وفى الحديث وفى كلام (اخوان الصفاء) . ذلك اجماع من الغرب والشرق والعلم والدين أن أرواح الناس بعد الموت تكون متصلة بالأحياء تشبه الشياطين تارة والملائكة أخرى وأن الكاملة منها تعلم الأحياء وتهديهم الصراط المستقيم . أوليس هذا معجزة لسيدنا محمد ﷺ

ما كان ليجول فى خاطرى أن العلم يكشف عن وجه الحقيقة النقاب ويجليها عذراء بهية لأولى الألباب . إن فى هذا لعبرة لقوم مفكرين . أوليس ذلك قوله تعالى — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط — ولقد تبين فيما مضى أن الانس لهم تأثير على الأرواح السفلية وهنا تجلى أن للأرواح السفلية والملائكة سلطانا على نفوس الأحياء وأن الفضلاء منا يتلقون عن الأرواح العالية والسفهاء من الأرواح يتعلمون من الانس لاقتراب طبيعتهم السفلية من طبيعة الأحياء لانغماسهم فى المادّة . وكل هذا يستفاد من كلام الأرواح كما تقدّم فانظر كيف صحّ هذا فى ديننا . تعجب . أليس النبى ﷺ لما قرأ سورة الرحمن وكرر آية — فبأىّ آلاء ربكما تكذبان — أى بأى نعم ربكما يامعشر الجنّ والانس تكذبان . ذكر للصحابة رضوان الله عليهم أن الجنّ لما سمعوها قالوا ﴿ ولا بشئ من نعمك ربنا نكذّب فلك الحمد ﴾ وكثيرا ما كنا نسمع أن النبى عليه الصلاة والسلام مرسل للانس والجنّ ونسمعه فى سورة الرحمن يقول سبحانه وتعالى — يامعشر الجنّ والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان — وقال فى سورة أخرى — يامعشر الجنّ والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى — فاذا سمع العاقل أمثال هذا قال فى نفسه كيف يرسل للجنّ وهم مجرّدون عن المادّة وبهذا الكتاب وضح الحق واستبان السبيل وأن الأرواح التى ماتت ناقصة طبيعتها أقرب الى البشر فيفهمون عنهم أكثر مما يفهمون عن الأرواح العالية التى تفيض العلم على أفئدة العلماء فى الدنيا . وقد تأذن الأرواح العلوية للسفلية أن تحضر مجالسنا لتستفيد منها علوما وبهذا تجلى لنا كيف كان ﷺ مرسلا للجنّ والانس . ما أجل العلم والحكمة

﴿ فائدة ﴾

ربما أشارت النبوّة من طرف خفىّ الى بعض حوادث العصر الحاضر إذ جاء فى السيرة الحلبية الجزء الأوّل صفحة ٢٠٦ قال قال رسول الله ﷺ ﴿ والذى نفس محمد بيده لاتقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله وعذبة سوطه بما فعله أهله ﴾ وشراك النعل أحد سيورها الذى يكون على وجهه وعذبة سوطه طرفه وقيل سيوره وهذا أشبه بشريط (المسره) التليفون ولعلّ فى المستقبل مايبين معناه من هذا العلم أوغيره والله أعلم

﴿ جوهرة فى النفس وقواها ﴾

بينما كنت فى يوم ١٥ ديسمبر سنة ١٩٣٦ قائما إذ وقعت ساعتى فكسرت زجاجتها ووقفت وكان معى صديق هوملازمى فى الحضر والسفر فقال عقب ذلك . لماذا يألم الانسان لمثل هذا . ولم كانت نفوسنا تتأثر تأثرا يطابق مايحدث فى المادّة فان وقفت ساعة أواختلّ حائط أوسقط منزل أوحصل قحط أوهجم عدوّ نرانا نتأثر على مقدار الحادث . هكذا نألم للحرّ وللبرد ولقلة المال والملابس والأغذية كما نموت من الغرق والحرق والعطش والجوع وبالسيف وبالمدفع . ياعجبا . لماذاهذا التلازم بين المادّة والنفس اذا جزعنا على مايصيب أجسامنا من جوع أوعطش أومرض . فلماذا نجزع على مايحصل فى المادّة حولنا من قبح أوتخريب الخ هل المادّة أمّ والنفس بنتها . أم النفس أمّ والمادّة بنتها . أم هما ابنتان لأمّ واحدة . فقلت انك بهذا السؤال قد تعرّضت لاصول علم المادّة وعلم النفس وارتباطهما . إنك قدأبنت الملازمة بينهما إبانة تامّة وأوقعتنى

فى حيرة لأنى لاقوّة لى على الاجابة التامّة لأن العلماء الى الآن لم يهتدوا الى سبيل هذه الحقيقة هداية تامّة بل هم فى حيرة . وغاية الأمر أن كلا يرجح ما يراه . إنى سأبحث هـذا الموضوع بحثا عاما سيتضمن آراء العلماء وسأكون فيه حرا لا أتقيد برأى بل أوجه النفس الى مبدعها ليعطيها من العلم مابه يستنير وجه الحقيقة . فقال مع مشاركتى . فقلت نعم . فقال (س) لم هذا الألم وهذا السرور صفهما (ج) إن المادّة حولنا مرتبطة بمصالحنا فنفرح ونغتم لكمالها ونقصها . إن الله لم يخلق فى الأرض خلقا إلا لحكمة و يظهر أن هذه النفس لاتسعد إلا بظهور جميع ما كمن فيها وقد كمن فيها الألم واللذة وكأن هذا الألم مهماز يدفعها الى الرقى كالجوع والعطش وكسر الساعة . نحن نحتاج الى الغذاء والشراب والدواء والملابس ومراقبة حركات الشمس وسير الكواكب ونظام أممنا والآلام والمسرات تتبع ذلك قلة وكثرة وذلك لارتقائنا ولوكان الألم لافائدة فيه ماخلقه الله فينا . إن ألم الأم لأجل ولدها والأنبياء والحكماء للأمم والانسان لجرحه ومرضه كل ذلك مرق للانسانية (س) صف الانسان ومصاحبته للمادّة (ج) الانسان والحيوان والنبات . كل هؤلاء ينمون فى المادّة أى فى الماء والهواء والتراب بحيث يكون النموّ بأجزاء مادّية مكوّنة من هذه العوالم المحيطة بنا (س) ثم ماذا (ج) فيكون الحرّ والبرد المفرطان والجوع والعطش وعدم اللباس لمن يحتاج اليه كبعض بنى آدم . كل ذلك مضعف للحى وكل من هذه الأحياء ينمو ثم يقف ثم يموت (س) إذن هذا دليل على أن المادّة أصل والنفس فرع وما مثل النفس إلا كمثل اللون والشكل والصورة فى المادّة . إن كلا من هذه تضمحل على طول الزمان . فاذن هذه النفس تابعة للمادّة . ألاترى أن عقل الانسان يضعف بمعاقرة بنت الحان وكثرة التدخين وتعاطى الأفيون والحشيش . إن للمادّة سلطانا على العقل . فالعقل نتيجة المادّة لا أكثر ولا أقل . فأين الحساب والعقاب إذن (ج) اعلم أن هذه العوالم التى نعيش فيها لغز وهذا اللغز لايحله إلا جميع العلوم . فاذا وقفت عند هذا فمعناه مجاراة العامّة لأن ما أوضحته الآن يعلمه الجهلاء والحكمة والعلم يترفعان عن مرتبة الجهلاء (س) فأبرز الحكمة إذن ولمن تبرزها اذا لم تسمعها لى (ج) ليست نفس الانسان كالمادّة التى نعيش فيها (س) بين ووضح (ج) إن للنفس قوى ظاهرة وقوى باطنة . والقوى الظاهرة هى الحواس الخمس ﴿البصر والسمع والشم والذوق واللمس﴾ وهذه الخمس أربعة منها فى الرأس والخامسة فى الجسد كله وهى حاسة اللمس والأربعة الأولى هى السمع والبصر والشم والذوق فى الأذن والعين والأنف واللسان مع سقف الحلق . هذه الحواس الخمس جواسيس لهنّ رئيس وهو المسمى (الحسّ المشترك) وما الحسّ المشترك إلا أمير خضعت له هذه الجنود إن هذه الحواس خاضعة لارادته . جارية على ناموسه . يأمرها فتأتمر . فترى حاسة البصر تحضر لهذا الأمير الألوان والأشكال والسطوح والأحجام والأنوار والظلمات والحركات والسكنات والقرب والبعد . وترى حاسة السمع تحضر له نغمات الموسيقى وأصوات الانسان والحيوان وأصوات الرياح من كل فج . وترى حاسة الشم تفرق بين الرائحة الذكية العطرة والرائحة المنتنة المكروهة . وترى حاسة الذوق تبين له الحلو والحامض والملح والعفص والحريف والمز والمرّ والعذب وهكذا . وحاسة اللمس تبين الثقيل والخفيف والحارّ والبارد والأملس والخشن واللين والصلب واللزج وضده وقد عدّها العلماء (٣٦) لهذه الحواس الخمس (س) ثم ماذا (ج) هذه الصور كلها تقتنصها الحواس الخمس وتعطيها للحس المشترك والحسّ المشترك يسلمها لقوّة سموها (الخيال) فهذا الخيال تحفظ فيه الصور . والدليل على ذلك اننا نرى الصورة أونشم الرائحة أونأكل التفاح أونحسّ بالحرير ونغفل عن ذلك سنين ثم اذا تذكرناه وجدنا هذه الصور مخزونة عندنا فنتذكرها . فياليت شعرى من أين تذكرناها . فاذا كان عقلنا مادّة أى تابعا لها كما يتبع اللون المتلون . فلماذا عكس الأمر لأننا نرى أن الأجسام لاتتحمل إلا صورة فصورة وشكلا فشكلا ومارأينا قط أن الانسان يكون شيخا وطفلا فى آن واحد ولا المزارع مثمرة وغير مثمرة فى آن واحد ولا الحجر مربعا ومثمنا فى آن واحد . إن المادّة نطاقها ضيق

انها لاتقبل إلا صورة فصورة . أما العقل فانا نراه قد جمع هـذه الصور كلها وخزنها عنده وله جواسيس وله أمير وله مخزن وهذا المخزن قد حفظ تلك الصور لافرق عنـده بين السماء والأرض ولا بين الشباب والشيب والقبح والجمال والحلو والحامض . إن الذى فرّق على الحواس اجتمع فى الخيال . جمع الخيال كل صورة رأيناها أوسمعناها أوشممناها أوذقناها أولمسناها بل هناك ماهو أعجب (س) وماهو ذلك (ج) إن هذه الصور تحصل فيها أعمـال عجيبة (س) ماهى (ج) هناك قوّة أخرى فرضها القدماء كما فرضوا خطوط الهندسة فى المادّة فقالوا ان عداوة الذئب للشاة ومحبـة الأمّهات للأبناء تلك معان جزئية ليست من الصور المحسة فلها قوّة تسمى الواهمة وهذه المعانى تخزن فى خزانة لها سموها الحافظة . فاذن هنا أربع قوى الحس المشترك والخيال والواهمة والحافظة وهناك قوّة تتصرف فى أكثر من هذه وهى القوّة المتصرفة وهذه تتصرّف فى الصور المرسومة فى الخيال والمعانى المخزونة فى الحافظة . ألاترى اننا نرسم فى نفوسنا أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد اذا أردنا أن نشـبه الورد وقد لعبت به الرياح فهذه صور مبتكرة ابتكرتها القوّة المتصرّفة وهى حينئذ تسمى متخيلة . وقد تبتكر هذه القوّة المتخيلة صورة ومعنى أومعنى ومعنى فالصورة والمعنى كبياض صديقك وسخائه والمعنى مع المعنى كتصوّر الشاة أن الذئب منفور منه والولد معطوف عليه (س) هذه مباحث طويلة لاتناسب هذا التفسير فأوجز وائت بالنتيجة . ألاترى اننا فى مقام الكلام على المادّة والنفس الانسانية فـاذا يفيدنا من هذا كله . هل تريد أن تأتى بكل ماقرأته . ان التطويل ممل فالاختصار هو المفيد فائتنا بما يفيد . ان النفس فيها مزايا ليست فى المادّة (ج) إنك بهذا القول أشبهت من يسمع قصة أبى زيد طول الليل فلما انصرم الليل قال الشاعر أسمعنا قصة أبى زيد . إن هـذا هو الجواب . إن النفس لما جمعت الصور فيها وعجزت المـادّة عن هذا الجمع دلّ ذلك على أن النفس غير المـادّة . ومعنى هذا أن الحائط فى منزلك لم يحتمل إلا لونا واحدا (س) بل فيه ألوان (ج) إن البقعة الواحدة لاتحتمل إلا لونا واحدا وصورة واحدة والجسم أيا كان لايقبـل شكلين معا . قال ثم ماذا . قلت ونحن اخترعنا فى نفوسـنا معانى وكليات فان القوة العاقلة فينا تأتى بقضايا كلية وتحلّ مشـكلات وتحكم على المادّة . أليس الانسان بعقله قلب وجه البسيطة وتصرّف فى المادّة وهندس وزوّق وبنى وهدم وزرع وحصد وغلف وجه الأرض بالأسلاك الكهربائية وحكم على المادّة وأدرك انها كانت أثيرا فصارت أجساما ثم ترجع أثيرا كرة أخرى والانسان بعقله فعـل الأعاجيب وحكم ودبر . فهل خزنت المادة الصور كما خزنها العـقل . فهل تصورت المـاضى وأدركت القضايا العقليـة كما أدركها العـقل . كلا . إن الانسان فى الدنيا أشبه بمسجون فى سجن تكون أطواره تابعـة لحال السجن وخدامه ولكن المسجون ربما كان حكيما عليما والسجان جاهل غر . إن الانسان حبس فى المادة وتغذى بها والتوى تبع التوائها ومات على مقتضى نظامها ولكنه ليس معنى موته انه فنى كما انه ليس معنى خروج المسجون من السجن أنه مات . كلا . بل لاتظهر فائدة المسجون العالم إلا اذا خرج من السجن وليس احتياجه فى أثناء السجن للقوّامين عليـه فيطعمونه ويسقونه ويلبسونه بمانع من نفعه ورقيـه وسعادته بعد خروجه من السجن . هكذا ليس تطوّر الانسان فى المادة صغرا وكبرا وضعفا وصحة وحياة وموتا بحجة على أنه لاحياة له بعـد ذلك . تتشابه المـادة والنفس فى ظواهر الأحوال . كلاهما دائم الحركة ليلا ونهارا أمد الدهر . المـادة لاتفتأ تتحرّك شمسها وقمرها وليلها ونهارها وجميع مافيها . هكذا نفوسنا فى حركة مستمرة حتى أثناء النوم . النفس متحركة والأرض متحركة فهما فى ظواهر أمرهما كأنهـما شئ واحـد تشابها حركات ونموا وذبولا . وهـذا يشير له قوله تعالى ــ والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها * والنهار اذا جلاها * والليل اذا يغشاها * والسماء ومابناها * والأرض وما طحاها ــ

علم الله قبل أن يخلق السموات أن الناس سيرون الشمس والقمر والنهار والليل والأرض كلها جاريات بلا

انقطاع وعلم أنهم سيعلمون أن النفس لاتفتأ تتحرك فعطفها على الأرض ولكن النفس فيها مزية أرقى فقال ـ ونفس وماسوّاها * فألهمها فجورها وتقواها ـ . ذكرالله هذه ليبين لك كل ماذكرناه الآن . فالهام الفجور والتقوى يجمع كل ماتقدم من القوى وهى الحواس الخمس الظاهرة والحواس الخمس الباطنة والعقل المخزون فيه . فبهذا فاقت النفس هذه العوالم . الله أكبر . إن النفس هى الواسطة بين المادة و بين العوالم العالية بل انه قيل ان المادة صنع النفس

(١) وهل أتاك نبأ الغذاء إذ يتحوّل فينا قوى كثيرة ومنها قوّة الفكر فالفكر اشتق من المادة والمادة كانت أوّلا فكرا فلعلّ المادة فكر متجمد والا فكيف رجعت فينا نحن فكرا

(٢) وأيضا الأعمال المادية لاتكون إلا بعد فكر و يتبع الفكر نية والنية يتبعها العمل فلاعمل إلا بعد فكر . فالمادة بعد فكر والفكر فى النفس فالعالم المادى من نفس كلية

(٣) وأيضا ان الانسان يمشى على الأرض فلايقع واذا مشى على الحائط وقع لأن فكره أفهمه أنه يقع مع انه على الأرض لايمشى على أوسع من الحائط . فهذه ﴿ ثلاثة براهين ﴾ رجوع الغذاء فينا الى فكر وأن أعمالنا بعد الفكر . وأن الانسان يسقط عن الحائط بفكره وخوفه وهو على الأرض لايمشى فى أوسع من الحائط

إن نفوسنا محل الالهام والوسوسة . فبالالهام نصلح الأرض و بالوسوسة نفسدها ولا إلهام ولا وسوسة تقترحان أشياء غير ماذكرناه مما أتى من الحواس الظاهرة والباطنة . ولما كانت النفس بهذه المثابة وانها واسطة لأنها لطيفة والمادة غليظة قال الله فيها فى هذه السورة ـ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ . ههنا بان معنى الآية . يقول الله ـ قل الروح من أمر ربى ـ أى الروح ليست من المادة بل من أمر الرب والرّب فيه معنى التربية . إذن الروح مربية للمادة لأن الرب لطيف والروح أقرب اليه من المادة وكلما كان المخلوق ألطف كان أقدر . ألاترى الى الكهرباء كيف حركت الآلات بل ألم تر الى البخار كيف أدار الآلات وحرّك القطرات ـ إنّ ربى لطيف لما يشاء ـ والروح أقلّ لطفا من الله والمادة أغلظ شكلا والكهرباء والمغناطيس والبخار أقلّ لطفا من أرواحنا فلذلك تجد أن البخار والكهرباء سلطت على المعادن وعلى المادة فخضعت لها بالحركات والأعمال . ثم ان البخار والكهرباء والمغناطيس لم تسلط على المادة إلا بتسخير نفوسنا لها بدليل انها بقيت ساكنة لاحراك لها حتى حركها الانسان فاستيقظت . فأما عقولنا فما أجلها وما ألطفها وما أعلاها . ألم تر أنها سخرت هذه اللطائف فحكمت المادة وسخرتها . ألم ترانها حكمت على الأفلاك حتى عرفت بالمنظار من كواكب السماء نحو (بليونين) أى ألفى ألف ألف وهذا آخر كشف عند كتابة هذه السطور وعرفت أن هذا القدر قطرة من بحر وأدركت حركات كثير منها وأحجامها وأبعادها وأضواءها وعناصرها المركبة هى منها بواسطة ألوان الطيف هل تقدر المادة على هذا أو يقدر الضوء والكهرباء والمغناطيس على هذا . كلا . بل العقل الانسانى فوق هذا كله ولذلك ميزه الله عن الأرض فقال ـ فألهمها فجورها وتقواها ـ وأبان المقام أعظم إبانة فى هذه السورة فقال ـ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ . أظن أن المقام وضح وأن قوله ـ من أمر ربى ـ ظهر بعضه فى هذا الزمان

﴿ عجب عجاب ﴾

عجب لهذه النفس . انها قد خبئت فيها نفائس وعجائب (س) بين ذلك (ج) ان عجائب النفس لم تقتصر على قلب وجه البسيطة بل فوق ذلك أدركت مستقبلها وانها خالدة لاتفنى (س) أما هذا فعقلى لايقبله (ج) انظر الى العنكبوت . ألم تجد فى جسمه مصنعا يصنع فيه الخيوط . قال بلى . قلت ألم تره يفهم كيف يجعله خيوطا و بيوتا وشبكات صيد كما ستراه موضحا فى سورة العنكبوت . قال بلى . قلت فعجب كل العجب

ان

إن كل نفس تعطى من العلم على مقدار استعدادها . استعدت حشرة العنكبوت الى النسج و بناء البيوت فوضع مصنع فى جسمها وقوّة فاهمة فى مخها تدبر أمر هـذا الغزل وتنتفع به . هكذا نرى الطيور والحيوانات الأرضية جميعا خلق فيها بيض وأجنة فى البطون وعلى مقدار ذلك تلهم نفوسها إلهامات مطابقة تمام المطابقة لما فيها فلاطير ولاحيوانا أرضيا إلا ولها غرام بحضن بيضها وتربية ولدها وارضاعه وحفظه . ياعجبا كل العجب . أجسام تظهر فيها مخلوقات صغيرة ونفوس ترسم فيها مايوافق هذه المخلوقات . أنظر الى الانسان . نراه يعيش ويتمنى أن لايموت . هذه فكرة عامّة . فشيوخه وشبانه كل يحبّ أن لايموت وهاأناذا فى هذا التفسير أقول أنا لاأحبّ أن أموت إلا بعد تمام طبع هذا التفسير فأكون قد أدّيت ماعلىّ وأنا شيخ ولكنى لا أدرى اذا تمّ ماذا يحدث فى نفسى بعد ذلك فنفوس الناس جميعا تحب الخلود والبقاء الأبدى

إن هذا الحب وحده قياس اقناعى دال على بقاء النفس . وأىّ فرق بين بقاء الانسان وغرائز الحيوانات كلها . ان غرائز الحيوان كلها صادقة كما عرفت فلم توضع فى نفوسها معان إلا لأغراض صالحة . فاذا كانت غرائز الحيوان صادقة هكذا الانسان . فلماذا نستثنى منها مسألة واحدة وهى حب البقاء . أحبّ الانسان الولد فرباه وأحب الطعام والشراب واللباس والفاكهة والماء والهواء والزينة والشجر والنجم والدواء فوجد ذلك كله وأحب النغمات فلأت السهل والجبل والماء وأعطاه فوق ذلك علما به يأتى بنغمات أجل فلماذا نقول إن غريزة البقاء كاذبة . الانصاف يقتضى أن تكون حقيقة كبقية الغرائز . إن هذا العالم موضوع على نسق جميل وحكمة (س) قد أبنت تفسير قوله تعالى ــ و يسألونك عن الروح ــ وأبنت لماذا ذكر الله النفس بعد الأرض ولم تأت بالنتيجة التى تناسب الآية هنا (ج) إن ما تقدّم كله جاء مقدمة لتفسيرها بل تفسيرها يؤخذ ضمنا . ألم ترأن النفس تخزن فيها الصور . قال بلى . قلت فهذا الخزن يدوم فيها ثم يظهر بعد الموت بصفة أجلى . قال فبين هذا المقام . قلت قد تقدّم فى هذا التفسير أن للنفس أحوالا حال اليقظة وحال التنويم فى الدرجة الأولى ثم فى الثانية ثم فى الثالثة وفى كل حال يظهر للانسان عوالم لم تظهر فيما قبله . اقرأه فى سورة البقرة عند ايضاح الكلام على السحر فانك اذا قرأت هذا المقام هناك تبينت لك أحوال الآخرة من نفس علم التنويم و بذلك تعرف قوله تعالى هنا ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ

(س) قد مضى مافى سورة البقرة وحقيقة هو يفيد ذلك ولكن زدنا شيأ بعده فلعلك اطلعت على زيادة فائدة (ج) ﴿ جرت حوادث ﴾

(١) عالم سويسرى يسمى (هايم) سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ماحصل للناس من الامور المختلفة وجعلها محاضرة ألقاها فى نادى (زوريخ) سنة ١٨٩٥

يقول إنى عند مازلت قدمى وأخذت أسقط فقدت حاسة اللمس وظهرت أمامى جميع الحوادث الماضية أسرع من البرق بحيث طالعتها كلها مرتبة مع انها تحتاج الى زمان طويل . فهذه اللحظة برز فيها هذا كله لجميع الصور التى مرت علىّ والحوادث ظهرت مرتبة . فهى فى ثانية واحدة ظهرت مرتبة كأنها فى ساعات كثيرة ترتيبا ونظاما ووضوحا . وهكذا وجد كل الحوادث التى جمعها من غيره تشابه هذه سرعة ووضوحا وفقد حاسة اللمس سواء أكان ذلك سقوطا أم حرقا أم غرقا

(٢) المسيو (جون لامونت) كان رئيسا للجمعية النفسية فى (ليفربول) فانه غرق فى البحر وأحس بأنه رأى جميع الصور والحوادث الماضية وانه بعد ذلك انعزل عن الجسم وعاشت روحه وحدها . ولكن لما انتشلوه طاح ذلك كله مرة واحدة فكتب ذلك للناس . وهانحن أولاء نضعه فى تفسير قوله تعالى ــ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ــ

(٣) ومثل ذلك ماحدث لطبيبة انها عملت لها عملية جراحية ورجعت لصحتها بعد قطع الأطباء الأمل

من نجاتها . قالت ان جميع حوادثى وذنوبى مرّت علىّ وقد استحضر أقاربى القسيس وهو يلقننى كلمات وسمعت كأنّ قائلا يقول ارجعى الى حسك فلما تنبهت قلت للقسيس قم فانى لا أموت اليوم فقام

. هذه بعض الأحوال التى مرّت على الناس . وهاهى تلك الأحوال المذكورة فى سورة البقرة . انظر الى حوادث الدنيا واعجب من هذا الانسان وقواه . اعجب من نظام هذه الأرض . رأيت الحيوان تساعده غرائزه على ماخلق له كالعسل للنحل والغزل للعنكبوت وحضن الطير لبيضه وارضاع الأم ولدها . ورأينا هذا الانسان مغرما بالبقاء يربى ولده كأنه يظنّ انه بقاء له ولو بقاء صوريا و يؤلف العلم و يشيد المبانى كالاهرام و يكتب اسمه عليها تخليدا له و يبذل المال للشعراء ليحيوا اسمه . أليس ذلك كغريزة الغزل المخلوق فى جسم العنكبوت لابدّ من فائدته . انظر انظر كيف خزنت الصور فى عقله . بل انظر انظر كيف جاء التنويم المغناطيسى فأبان أن الحوادث كلها كامنة وأن الانسان يكاشف عوالم أخرى حينما تضعف رابطته بالجسد . ولسنا الآن نذكر الصالحين وأهل الذكر وأهل الرياضة لأننا فى مقام خطاب الجمهور . انظر الى الأمم جميعها كلها لها ديانات ومامن دين إلا وهو يذكر الخلود . لماذا . أليس قبول الأمم للديانات معناه انهم يحبون حياة خالدة و يحبون أن يكون لهم إله والا فلماذا يصدّقون و يؤمنون . لم يخلق الله أمّة إلا ولها دين . إذن هذا ليس أنقص من غريزة النحلة والنملة والغرائز صادقات . إن الغرائز الانسانية والأميال قد ظهر صدقها بالديانات والديانات ظهر صدقها فى حوادث التنويم المغناطيسى وحوادث الغرق والسقوط من شاهق جبل . إن معنى قوله تعالى – إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا – قد وضح فى الغرائز وفى التنويم المغناطيسى وفى حوادث الغرق والسقوط . إن المسلمين هم المقصرون فى العلوم والأمم كلها عرفت من العلم ماهو سرّ كتابنا وكتابنا لم نعرف منه إلا حفظ الكلمات وعلم الأحكام الشرعية ونحن عن علومه معرضون . اللهم ألهم الأمّة الاسلامية علما وحكمة والحمد لله رب العالمين

﴿ ياقوتة فى الحياة بعد الموت ﴾

كنت كتبتها فى مجلة ﴿ نور الاسلام ﴾ منذ سنين وهى التى كانت تصدر بالزقازيق

من العجب أن جميع الجرائد والمجلات العلمية العربية لم تبحث بحثا يعتد به فى الحياة بعد الموت إلا ماينقله بعض من نصبوا أنفسهم لترجمة المقالات العلمية عن فلاسفة الافرنج أولئك هم الباحثون . فياسبحان الله كأن أهل الشرق لما رأوا أنفسهم خسروا الماديات أتبعوها بالأدبيات والعقليات فتركوا للغربيين العلمين وقرؤا – ثم ارجع البصر كرّتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير – وتراهم كل يوم يندبون الاتحاد وهم الى الآن ما اتحدوا فى الاعتقاد فعمّ الفساد فى كل ناد . كيف وهذا البحث طالما كان الشغل الشاغل لفلاسفة الشرق بل هو موضوع أبحاث كل ملة فى مشارق الأرض ومغاربها وهاك ما اختلج فى صدرى . فما أحوج الأمّة الى الخوض فى هذا الموضوع فى هذه النشأة المدنية التى التبس فيها الحق بالباطل حتى ان الناس يخوضون فى كل موضوع فاذا وصلوا الى هذا فلاتسمع منهم إلا همسا كأنهم ظنوا أنه من القضايا التى لم تحم حولها الفلاسفة والكتاب مع انها أوّل خاطر يخطر للتفكر المتبصر ولنجعل مدار بحثنا على ﴿ ستة اوجه ﴾

﴿ الوجه الأوّل ﴾

من نظر الى الفطرة الانسانية وجدها تأبى أن تعمل عملا بلافائدة وتحب أن يكون ماتفعله تاما . وانظر لو رأيت أيها الانسان رجلا أوقد شمعة فى ضوء الشمس لحكمت عليه أوّل وهلة أن موهبة الانسانية وغريزته الفطرية انتزعت منه وقلت هذا فعل الأطفال الذين لا يعقلون والفطر فينا كلها صادقة قد اندمجت فيها الحجج والبينات على أميالها الغريزية والحجة ههنا أن يقال هذا الفعل لابدّ له من فائدة إما للفاعل أو للمفعول أو لغيرهما وغير ذلك لا يكون . فأما فائدة المفعول وهو الشمعة ههنا فالعدم المحض و بئست الفائدة ولافائدة

للفاعل

للفاعل ولا لغيره لشروق الشمس التى لا أثر للصباح فى ضوئها فلننظر الى أرقى من هذا ألا وهو هذه العوالم بأجمعها التى أشرقت بأنوار الحياة السارية فى كلياتها وجزئياتها - الله نور السموات والأرض - نرى نجوما طالعة وأقمارا لامعة وشموسا ساطعة فشروقها بنظام وغروبها باحكام . فليفكر الانسان - الشمس والقمر بحسبان * والنجم والشجر يسجدان - أى يخضعان لما يراد منهما - يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل - فعوامل السموات وقوابل الأرض كالذكر والأنثى وأنت أيها الانسان نتيجتهما ففصل التفصيل السابق فى مثال الشمعة وقل ما الفائدة فى خلقك إذن . فاما أن تكون للخالق ومعلوم أنه غنى واما أن تكون لك أنت ونحن نعلم انك فى هذه الدار تسعد يوما وتشقى أياما . وهب انك ملكت مقاليد السعادة . أفلا يكون مصيرها الى الفناء فالقصور قصور والحور بور

أشدّ الغمّ عندى فى سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا

واما أن تكون لغيرك من المخلوقات وقد علمت أن فائدته من نفسه لاقيمة لها فكيف بفائدته منك فنتج انه اذا كان مصير هذا العالم الى الفناء المطلق كان عبثا وباطلا . واذا كنت أنت أيها العاقل تأبى نفسك أن تفعل العبث وتتكبر عن اللغو والباطل فهل يتصف بذلك الذى أودع تلك الفطرة السامية فيك كيف وقد ورد فى القرآن مايطابق الوجدان قال تعالى - وماخلقنا السماء والأرض ومابينهما باطلا ذلك ظنّ الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار - وقال أيضا - وما خلقنا السموات والأرض ومابينهما إلا بالحقّ وان الساعة لآتية - وقال - وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما لاعبين * ماخلقناهما إلا بالحقّ ولكن أكثرهم لايعلمون أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين - . فانظروا أيها العقلاء كيف أعقب خلق السموات والأرض بالحقّ بذكر قيام الساعة وانقلاب هذا العالم الى نشأة أخرى كأنه يقول ان لم يكن لهذا العالم نشأة غير هذه بأن هدمناه وأعدمناه كان خلقه بغير حق ولا حكمة فلابدّ أن يأخذ دورا جديدا بل نشأة أخرى أرقى من هذه كما هو شأن نظامنا العالى الذى تشاهدونه فى الانسان والحيوان والنبات وجميع العوالم فقيسوا ماغاب على ماشوهد . ولما كان الدليل واضحا ظاهرا ظهور الشمس فى رابعة النهار من طريق الاعتبار . أنكر الله على من لم يتفطن لذلك فقال تعالى - أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون * فتعالى الله الملك الحقّ - كأنه يقول ألم تنظروا فيما ترونه من حكم هذه العوالم وانها تأخذ فى الترقى فحسبتم أن خلقكم عبث وانكم لاترجعون أفلا تعقلون - وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فثبت بالدلائل العقلية والنقلية أن اعدام العالم بلا نشأة أخرى أرقى من هذه عبث والعبث مستحيل على الله تعالى فلابدّ إذن من نشأة أخرى لهذه العوالم - يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات - واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا - فوق ماتشاهده فى هذه النشأة الصغيرة ولولا خوف الملال لأطلت المقال

﴿ الوجه الثانى ﴾

اننا نرى فطرنا الصادقة فيها داعية عجيبة وهى حبّ الأخذ بناصر الضعيف على القوى فهؤلاء الحكام والقضاة وأرباب المنازل يجدون فى أنفسهم قاهرا وشوقا باعثا على مكافأة المحسنين على الاحسان والمسيئين على الاساءة وهو أمر يقع بالاضطرار من دواعى النفوس فبالله ما هذا الوجدان العجيب . أليس هو من العدل المنبعثة أشعته من الحكمة الالهية العالية فى نفس هذا الانسان الذى أشرقت عليه أنوار الكمال من الحضرة الالهية . فكل انسان من الملوك الى الصعلوك ومن أعلم عالم الى أجهل جاهل اذا رأوا ذا روح اعتدى على غيره من انسان أوحيوان دعتهم أنفسهم الى المدافعة عنه بل ربما خاطروا بها مخاطرة وتمدّحوا بذلك حتى عدّ هذا من فروع الشجاعة التى هى أحد أركان كمال الفطرة الانسانية كما أوضحه علماء الأخلاق . فهذه فطرنا الصادقة التى تشف من وراء ستر رقيق عن حكمة عالية وعدل تام فى مصدرها وهو القائم على كل نفس بما

كسبت وهو القاهر فوق عباده . أفتكون أنت أيها الانسان مفطورا على العدل والجزاء والقيام بالقسط حتى ان فطرتك السامية كتبت على صفحات ضميرها المستتر ـ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ـ ومع هذا كله لاترقى فى الفكر قليلا الى فاطر هذه الفطرة وموجد هذه الفكرة ـ ومار بك بظلام للعبيد ـ

فساء مايحكم الجاهلون . كيف ونحن لم نر جزاء فى هذه الدار التى استوى فيها المحسن والمسىء ـ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ـ

فالأرزاق فى هذه الدار جعل الخالق موردها الحياة ولم يفرق فيها بين الخبيث والطيب والبر والفاجر حتى قال ـ ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ـ فبالله رعاك الله أين مايوجد من الفرق بين ذوى النفوس الفاضلة والنفوس الناقصة . واذا ثبت أنه لاجزاء هنا فالجزاء إذن فى دار أخرى وهى به أحرى ـ ومار بك بغافل عما تعملون ـ وهل يستوى عنده الأخيار والأشرار ـ أفنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ـ وهل كل عنده متساوون ـ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون ـ فانظروا أيها العقلاء فى هذا التوبيخ وتأملوا هذه الآية مع ماقدمنا سابقا تجدوا انطباقا تاما بين المعقول والمنقول

﴿ الوجه الثالث ﴾

إن فطرة الانسان لاتكاد تقنع بالحاجيات من المال ولابالكماليات من الجمال والحور الحسان ولابالعقليات من العلوم والمعارف ولابالحياة الفانية فهى أبدا تحب الغنى والجمال والجاه وسعة العلم ودوام البقاء فلو أوتيت ما أوتى قارون وهو ذو الحظ العظيم فى المال وحكمة لقمان وملك سليمان وحظيت بأجل أهل دهرها من بنات الانسان . بل لوملكت البسيطة وماحوت والسماء وماوعت لقالت ـ هل من مزيد ـ فكأنها تنادى معربة عما خط فيها بالقلم الالهى . إن هذا الملك لايكون إلا فى عالم أرقى من هذا ونشأة تناسب شوقى وتكون منتهى لذتى ـ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا ـ والا فبالله أين العلم الذى لاجهل معه وأين الغنى الذى لافقر بعده وأين الحياة التى لاموت بعدها وأين مقتضى الفطرة من حبنا دوام البقاء ونفوسنا مستشعرة بذلك فهل يحب أحدنا إلا الحياة الدائمة . ولما أيس منها فى هذه الدار وخيل له الوهم بادئ بدء أن لاحياة فى غيرها وانحصرت أمانيه فيها إذ لارسم فى الخيال لدار غيرها أخذ يخترع صورا شتى تصور البقاء بأنواع من الخيالات وضروب من الأوهام التى لاحقيقة لها فلوكنا وعظماؤنا بل وعامتنا يحبون تخليد أسمائهم فى بطون التواريخ وعلى المبانى الباقية وأن يلدوا من يبقى لهم شبه الحياة . كل هذا شهادة من الفطرة بالبقاء . ولاتظنن أن الفطرة ليست من الأدلة فان جميع الفطر المنغرسة فينا لها حكم باهرة وكلها صادقة . وان كنت فى شك مما رمزنا اليك فسل قوة الشهوة والغضب ومافينا من كبر وتواضع ورحمة وشجاعة وجبن وحياء وعفة وهكذا فكل منها له نبأ ـ ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون ـ فلم تكون هذه الفطرة وحدها بتراء و بقية الفطر صادقة . انتهى الوجه الثالث

﴿ الوجه الرابع ﴾

من المشاهد أن لا لذة فى الدنيا إلا وهى ناقصة ولا ألم إلا وهو زائل فهما كالليل والنهار يمحو أحدهما الآخر . ومن المسلم أن لكل شئ غاية يصل اليها . فأين غاية اللذات . وأين نهاية الآلام فى هذه الحياة التى امتزج فيها الخير بالشر والخبيث بالطيب بل كل من اللذة والألم ينتج الآخر فهما فرسا رهان فلابد من دار أخرى تكمل فيها اللذات لقوم والآلام لقوم آخرين ـ ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم ـ ويجعل أهل الكمال على سرر فى جنات النعيم حتى تتحقق نهاية كل من اللذة والألم والا كانتا ناقصتين لم يصلا لغايتهما وذلك يخالف القياس فمنتهى الألم فى دار يقال فيها ـ وحيل

بينهم

بينهم و بين مايشتهون ـ ومنتهى اللذات فى دار يقال فيها ـ ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيهاماتدعون ـ

﴿ الوجه الخامس ﴾

قد ثبت فى الاستكشافات الحديثة فى الجغرافيا الدينية أن جميع سكان الكرة الأرضية فى مشارق الأرض ومغاربها متوحشين ومتمدينين يذعنون بجزاء على الخير والشرّ بعد الموت . فياليت شعرى كيف انغرست الفكرة فى جميع الأذهان . ويالالعجب ان سكان المحيط الأعظم مع تباعد جزائرهم وتفرّقها فى أقاصى المحيط وأدانيه عندهم هذا الاعتقاد ولاتواصل بينهم فى محيطهم ولابينهم و بين الأمم التى فى القارّات . فياليت شعرى ما الذى أثبت تلك الفكرة فى الأذهان من قديم الزمان . ولعمرى ماهى إلا فطرة سارية فى جميع النوع الانسانى . اللهم إلا من شذّ من قليل من المتمدينين الذين خرجوا عن الفطرة الأصلية ولم يصلوا الى الكمال فى العلم فهؤلاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * قال الشاعر

ولم أر فى عيوب الناس عيبا * كعيب القادرين على التمام

واذا كانت هذه الفطرة عامّة فلا عجب اذا اتخذناها دليلا وحدها . ولعمرى لايسلم بهذا الدليل إلا من كانت له قدم راسخة فى العلوم وعرف صدق جميع الفطر المنغرسة فينا وأن شهادتها لاتقبل الرشا وهذا يحتاج الى بصيرة ونظرتام فى جميع العلوم لاسيما علم النفس والتشريح ونظير هذه شهادة جميع الفطر أيضا بأن لها ربا صانعا وتوّعته بحسب مايناسب فكرها فى كافة أنحاء الأرض . ولقد أشار الله سبحانه وتعالى لذلك بقوله ـ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ـ

﴿ الوجه السادس ﴾

أردت بهذا الوجه تقريب حال الآخرة بأمثلة الظواهر الطبيعية فربّ قائل يقول نحن لانعقل للميت نشأة وكيف يعذّب أويثاب قبل أن يأتى اليوم الموعود . قلت أنت فى كل يوم وليلة تموت وتحيا فالنوم أخوالموت قال تعالى ـ الله يتوفى الأنفس حين موتها و ـ يتوفى ـ التى لم تمت فى منامها ـ وكثيرا مانرى اثنين فى لحاف واحد قد أحكمت عليهما الحجرة وغلقت الأبواب فقام هذا يقول واحسرتاه على لذّة ذهبت قدكنت فى بستان مع الغزلان والندمان اقتطف الريحان وأجنى الثمار ويقول الآخر الحمد لله الذى أيقظنى من النوم ولم يكن الحلم واقعا قد أخذوا بمخنقى الى رجال الشرطة وحكم علىّ بما يسىء واشتدّ الأمر فهذا فى النعيم وهذا فى العذاب الأليم مع ان ظاهرهما ساكن قد ضرب على آذانها وأطبقت أجفانهما وخشعت أصواتهما وهاك مثالا أقرب وهوالتنويم المغناطيسى فان المنوّم يسمع من المنوم كل غريبة * حكى أنه نوم بعضهم فتاة فقالت أثناء المحادثة أتظنّ انك أنت اليقظان وأنا النائمة لا فالأمر بالعكس فانى أرى وأسمع من بعد مالاترى ولا تسمع وسوف يأتى وقت نصل فيه لهذه الحال جميعا . وكأن هذه الفتاة تشير لمعنى الحديث ﴿ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ﴾ وتشير الى الآية وهى قوله تعالى ـ فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ـ أى قوىّ ثابت . فيالالعجب لهذا الزمان الذى ظهرت فيه العلوم العقلية والنقلية للعيان بعد أن عرفها الأقدمون بالبرهان العقلى حيث أثبتوا أن الجسم متى ضعف واضمحل قويت حالة النفس ورأت المستغربات ولا أفتح علىّ هذا الباب لئلا يطول المقال ويخرج عن حدّ الاعتدال . ولكن أقول كلمة . قد ورد فى بعض الأخبار مايشيرالى أن هذه الأزمنة المتأخرة مصدرالعجائب وظهورالغرائب . ومن أراد أن يطلع على كل جمال وكمال ويرى مافى العالم الاوروبى والأمريكى من المستكشفات التى بهرت العقول مما يدل على بقائنا بعدالموت فعليه بعلوم الأرواح فانها أنت من سبأ بنبأ يقين وأظهرت للعالم الاسلامى غرائب يجب على كل متنوّر أن يطلع عليها لاسيما متخرجى المدارس . هذا ومثل النشأة الأخرى بالنسبة الى الدنيا كمثل الحياة الدنيابالنسبة لحياة الانسان

فى الرحم فلايزال الانسان فى ترق من ظهر أبيـه الى بطن أمّه الى عالم الدنيا الى البرزخ . وكلما كان فى حالة لايكاد يصـدق بغيرها ولايحب الانتقال منها فلوقيل للطفل فى بطن أمه بفرض أنه يعقل انك ستنزل الى فضاء واسع سماؤه قدر المشيمة التى أنت فيها ملايين كثيرة وفيها قوم مثلك وأشـياء تأكلها وتركبها ولا تقتصر على طعام واحد والأطعمة هناك أحسن من دم أمك الذى يغذيك وستأكل بفمك لابسرتك بل هذا الدم الذى يغذيك الآن ستستقذره هناك و يمجه طبعك ولاتودّ الرجوع الى هذا الرحم فلوذكر بهذا كله لأحاله واستبعده كما نستبعد نحن حال الآخرة لولا البصائر والاخبار . ولنرجع الى مانحن بصدده أوّلا فنقول ربّ قائل يقول كيف مثلت بالنوم وهوأمر بسيط عادى . قلنا على رسلك أيها الأخ فماأضاعنا إلا الجهل بما بين أيدينا فالأمم الغربية من حولنا ماترقت إلا بنظرها حق النظر فى الامور البسيطة . من كان بالله قبـل اليوم يظنّ أن الكهرمان الذى كنا نضحك من جذبه للأشياء الصـغيرة عند فركه يضىء الأمكنة و يجرّ الأثقال و يولد الحرارة ومن بالله قبل اليوم كان يظنّ أن البخار الذى يشاهد كل يوم فى كل منزل بحيث يراه العامّة يحدث انقلابا عظيما فى عالم المدنية ومن ذا الذى كان يظنّ أن المغناطيس بجذبه لقطع الحديد يساعد فى ايصال الأخبار الى مابعد من الأقطار مع الكهرباء . اذا كان هذا كله فى الآفاق ونشأت منه هذه العجائب فكيف تركنا النظر فى نفوسنا وعجائبها أظهر وأبهر من عجائب البخار والكهرباء والمغناطيس . فنحن كتاركة بيضها بالعراء وملبسة بيض أخرى جناحا ـ أولئك الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ـ وقال تعالى ـ وفى أنفسكم أفلاتبصرون ـ النوم الحقيق والصناعى هى حالة أخرى للانسان ضربت لك مثلا وتكرّرت كل يوم تمثل حالتك بعد الموت وان كانت نسبتها الى الموت كنسبة ضوء المصباح الى الشمس ـ و يضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ـ وقال ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ بكسر اللام . وقال الحكماء ﴿ إن لذّة النوم لافرق بينها و بين لذّة اليقظة إلا أن لذّة اليقظة يمكن استبقاؤها بخلاف لذّة النوم فمن رأى وجها جميلا وتمتع بمشاهدته فى نومه كانت لذّته به كلذته فى يقظته لافرق بينهما ولودام النوم إذ ذاك لدامت اللذات ﴾ ومن فهم هـذه المقدّمات عرف معنى قوله تعالى ـ ولاتحسبنّ الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضـله ـ وقوله ﷺ للذين قتلوا يوم بدر يافلان يافلان قد وجدت ماوعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا فقيل يارسول الله أتناديهم وهم أموات فقال ﷺ والذى نفسى بيده انهم لأسمع بهذا الكلام منكم إلا انهم لايقدرون على الجواب . وماورد أيضا ﴿ القبر أوّل منزل من منازل الآخرة وانه إما روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار ﴾ وغير ذلك مما لايحصى . وبالجملة فأمر الانسان فى حياته و بعد موته يدهش العقول ولولا خوف الملال لأطلت المقال وفى هذا بلاغ والله أعلم

وسيأتى فى سورة الكهف زيادة على هذا فى مسألة الروح بمناسبة البعث وقصة أهل الكهف

﴿ بهجة اللطيفة الثانية والثالثة فى قوله تعالى ـ و يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ ﴾

اعلم أن الروح كانت قديما ولم تزل حديثا مناط مباحث العلماء والحكماء أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو ومن نحا نحوهم من علماء الاسكندرية الذين لخصوا فلسفة اليونان واستخلصوا زبدتها وأخرجوها للناس صافية فى القرون الأولى للتاريخ المسيحى . ومن هؤلاء فى نحو القرن الثانى للميلاد حكيم يقال له (أفلوطين) فكل هؤلاء بحثوا فى النفس ودققوا فيها وجمهور هؤلاء انها نور إلهى تنزّل من الله الى هذه الأشخاص الانسانية . ومعلوم أن هـذا اللفظ مجاز لأن النور لايحس وهذه تحسّ ثم رتبوا على نسبة أرواحنا الى ربنا علم الأخلاق جميعه فترى (الرواقيين) منهم يحرصون الحرص كله كما يحرص متبوعهـم (سقراط) على التخلق بالأخلاق الجميلة من الصبر والحلم والشجاعة والعفة والحكمة لأن هذه هى التى تنقى هذه النفس وترفعها الى خالقها فترجع له نقية . لاتكاد تقرأ كتابا من كتب هؤلاء الحكماء ولامن حكماء الاسـلام ولا كبار الصوفية إلا وجدت

نسبة الروح الى الله ويسمونها تارة ﴿ الجزء الالهى ﴾ وتارة نورا والنور مجاز . فانظر للقرآن كيف يقول - من أمر ربى - وهذا هو التعبير الصحيح الخالى من المجاز بخلاف النور . وتجد (سقراط) فى الاستدلال على أن طبيعة النفس غير طبيعة الجسد يقول ﴿ إن النفس آمرة والجسم مأمور ومن شأن الامور الالهية أن تكون آمرة الخ ﴾

فاستبان لك من ذلك أن نفوسنا لها شأن من الشؤن الالهية ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هذه النفس فى صفاتها وتعقلها وتفكرها تكون أقرب للعوالم المجرّدة التى هى أقرب الى الله من عالم الأجساد . فانظر الى أفعال هذه النفس فى عالمنا الذى نعيش فيه لاسيما فى هذا الزمان . اعلم أنى اطلعت على كتاب يسمى ﴿راجا يوقا﴾ باللغة الانجليزية كما ذكرته مرارا فى هذا التفسير وهذا الكتاب مترجم من اللغة الهندية فعرفت منه عجائب النفس وأن القوم لهم طرق يستعملونها لتقدر أرواحهم أن تحكم أجسامهم فيجدّون فى التسلط على أنفسهم بحيث يكون الشهيق والزفير أطول من المعتاد شيأ فشيأ الى دقيقة فخمس دقائق وهكذا . وبهذه الطريقة أمكنهم حبس النفس مدّة طويلة . ومعنى هذا أن حركة الدم تكون ضعيفة وقد تقف وليس هذا الوقوف الاختيارى موتا . كلا . ويقولون انهم متى حكموا هذا التنفس الذى (بواسطته حكموا الدورة الدموية) فقد تسلطوا على القوى العقلية بحيث لايدخل فى عقله إلا ماينفع نفسه فلا يلحقه همّ ولاغمّ لأنه متى أراد شيأ حصل له وهو لايريد الغمّ فلايغتمّ وهكذا . وهناك فروع كثيرة وكتب مؤلفة ظهرت حديثا بلغات مختلفة فى هذا الباب . وعلى ذلك قدر بعضهم أن ينام فى الصندوق ستة أشهر بارادته

هذا ما كنت قرأته فى هذا الكتاب ثم مضى زمن بعد ذلك فقرأت عن حوادث حصلت فى أوروبا وفى مصر تشابه ماقرأته فى ذلك الكتاب وهى ﴿ ثلاث حوادث * الحادثة الأولى ﴾ حادثة الفقير الألمانى (ديبلر) الآتى تفصيل حوادثه هنا . فهذا لما وقع أسيرا قطع (عرق الوريد) من رقبته ثم أحبّ الحياة فاجتهد أن يقوّى ارادته حتى انقطع الدم وكان هذا مبدأ لحصول القوّة عند الرجل فصار يفعل بجسمه مايشاء ويريد من غير ألم . ﴿الحادثة الثانية﴾ الفتاة (تريزنيومان) هذه التى كانت فى ليلة الجمعة من كل أسبوع تظهر عليها أعراض تشبه الأعراض التى تسمعها فى الكتب الدينية وهى علامات آلام السيد المسيح . ولعمرى إن ذلك لم يحصل لها إلا بكثرة تأمّلها فى أمر السيد المسيح عليه السلام فأصبحت تظهر عليها الأعراض التى سمعت انه اتصف بها ﴿ الحادثة الثالثة ﴾ هى حادثة الدكتور (طهرا بك) الذى جاء الى مصر أثناء طبع هذه السورة وفعل مثل ما قرأته عن علماء الهند تماما فى أوروبا وفى مصر . وقد آن أن أسمعك هذه الأخبار الثلاثة ثم أحدّثك بعد ذلك عن هذه المناظر مايليق بالمقام من الجمال والجلال والحكمة والنور الالهى والسعادة الأبدية والسرّ العظيم

﴿ الحادثة الأولى والثانية ﴾

أرسل مكاتب جريدة (البتى باريزيان) فى (برسلو) البرقية الآتية الى جريدته

تكلمت الجرائد الألمانية والأجنبية فى المدّة الأخيرة عن المظاهر الغريبة التى بدت مؤخرا على الفتاة (تريزنيومان) البافارية التى كان يرى على جسدها فى يوم الجمعة من كل أسبوع علامات آلام السيد المسيح وقد تألفت لجنة من الأطباء هى الآن مجدّة فى البحث لمعرفة كنه هذه الوقائع . ويظهر أن الاستغراق الدينى لم يكن وحده السبب لهذه المظاهر وحدوث هذه العلامات فقد قام مؤخرا رجل من العمال فى (برسلو) اسمه (ديبلر) وجهر أمام الأطباء ورجال العلم والصحافة فى تلك المدينة بأنه قادر بمجرد ارادته فقط أن يحدث على جسده وبدون أى ألم كل الظواهر (الفسيولوجية) التى بدت على جسم الفتاة (تريزنيومان) وفعلا كان ظهور (ديبلر) هذا حادثا خارقا للطبيعة اهتم بشأنه رجال العلم لأنه يضاهى فى غرابته الأعمال التى يقوم بها فقراء الهنود . عرف (ديبلر) لغاية الآن بأنه رجل لا يشعر بأى ألم من الآلام الطبيعية ولذلك لقبه مواطنوه

(بالفاقد الألم) وقد ظهر على جملة مسارح عمومية وسمر مرارا على صليب بواسطة دق مسامير كبيرة فى يديه ورجليه وطعن أيضا فى جنبه بحربة اخترقته . ومن المدهش أن كل جراحاته هذه لم تكن قط لتنزف دما وكان يصرح وهو فى هذه الحالات بأنه لايشعرقط بأى ألم . ولما بلغت أسماع (ديلر) أخبار (تريزنيومان) طلب أن تعقد لجنة مؤلفة من الأطباء ورجال العلم والصحافة فى مدينة (برسلو) ليعرض أمامها مشاهدغريبة من نوع جديد . وفعلا أمام هذه اللجنة أظهر (ديلر) على يديه ورجليه وجنبه لطخا حمراء بشكل صليب كما كانت تظهر على (تريزنيومان) وجعل هذه اللطخ تنزف دما وبرهن (ديلر) على أنه بمجرد ارادته فقط يستطيع احداث هذه المظاهر فى أى قسم من جسده وذلك بدون أى ألم . وقد يكون من المفيد أن نروى للقراء كيف توصل (ديلر) المذكور الى هذه المقدرة الفائقة لاحداث هذه المظاهر الخارقة للعادة

فى بدء الحرب العالمية كان (ديلر) هذا جنديا فى آلاى (الهوسار) بمدينة أوهاو ثم أخذ أسيرا واعتقل فى (بولونيا) حيث تعلم سريعا اللغة الروسية وساعده ذلك على الفرار مختفيا بملابس ضابط لكن ألقى القبض عليه وحوكم وحكم عليه بالاعدام بتهمة التجسس . وفى الليلة السابقة لليوم المعين موعدا لتنفيذ الحكم حاول الانتحار بأن قطع من عنقه الشريان المعروف (بحبل الوريد) ولكنه قبل أن يسلم الروح عاوده فجأة شوق شديد الى الحياة وتمكن بقوة ارادة خارقة للعادة من توقيف النزيف الدموى ثم أغمى عليه ولما أفاق من اغمائه وجد نفسه منطرحا على حافة حفرة كانت بدون شك معدة لأن تكون قبرا ولايعلم للآن لأى سبب لم يطرح فى داخلها . ولماذا لم يهل عليه التراب . وقد كان ذلك سببا لنجاته وتمكنه من الفرار ثانية . و بعد رجوعه لألمانيا أخذ يقص على مواطنيه الحوادث الغريبة التى طرأت عليه . ولما لاحظ انهم كانوا يدهشون لها ولا يكادون يصدقونها آلى على نفسه أن يجتهد لكى يقوى لدرجة عجيبة . تلك الارادة التى أحسها فى داخله أثناء ظروف غير عادية وهكذا كان فان النتائج المدهشة التى حصل عليها لاتجعل مجالا لأى شك . ونحن نتساءل ألاتكون هذه النتائج ردا علميا يفسر ماغمض من مظاهر (تريزنيومان)

﴿ الحادثة الثالثة حوادث روحية فى مصر ﴾

ظهر رجل يقال له (طهرا بك) فى أوروبا وفى الشرق وحضر الى مصر واجتمع به عدد من راغبى مشاهدة التجارب الغريبة ليلة ٢ نوفبر سنة ١٩٢٧ وكان بين الحاضرين كثيرون من الأطباء ورجال الصحافة العربية والأفرنجية . ومع ان صاحب الحفلة كان قد نبه على استحسان عدم حضور السيدات لأن منظر تجاربه قد يؤثر فى مزاجهن قد حضر هذه الحفلة كثيرات منهن . وقبل الساعة العاشرة بدقائق رفع الستار عن الدكتور (طهرا بك) فى لباسه العربى الأبيض وعلى رأسه العقال وعن منضدة غرزت فيها خناجر ودبابيس طويلة وعن سائر أدوات تجاربه مما سنذكره فى خلال وصف هذه التجارب وقد تصاعدت رائحة البخور فى المسرح ووقف أحد أصدقاء الدكتور (طهرا بك) فأخذ يتلو باللغة الفرنسوية شرحا لنظريات الدكتور ثم أكمل هو هذا الشرح و بسط جانبا من برنامج الحفلة . وقبل أن يشرع فى تجاربه طلب من الأطباء ورجال الصحافة أن يصعدوا الى المسرح فصعد عدد كبير منهم فأعلن لهم انه سيبتدئ بتجربة وقوعه فى غيبوبة أوتيبس وطلب من الأطباء أن يفحصوا نبضه ففحصوه ووجدوا انه ١١٠ فى الدقيقة ثم زاد النبض حتى بلغ ١٤٠ فأعلنوا ذلك للجمهور . وعندئذ وضع يديه على صدغيه وضغط بأصابعه على الوريدين الموصلين للدم الى رأسه ضغطا شديدا فغاب عن صوابه وصار فى حالة تخشب فحمله اثنان ووضعوه على نصال من الفولاذ محمولة على حاملين ولكنها غير محددة ثم رفعوا عن الأرض حجرا ثقيلا كالحجارة التى تستعمل فى أفاريز الشوارع ووضعوه على بطنه وهوى شخص بمطرقة على هذا الحجر فكسره نصفين . وعلى أثر ذلك أفاق الدكتور (طهرا بك) من غيبوبته دون أن يصاب بسوء . ثم طلب من الحاضرين من الأطباء ورجال

الصحافة أن يفحصوا الخناجر والدبابيس ففحصوها وأعلن انه أصبح فاقدا الاحساس بالألم وتناول خنجرا كبيرا وأدخله بمقدار (٥) سنتمترات فى الجزء الأسفل من عنقه وطلب من أحد الأطباء الواقفين أن يولج دبوسين فى سطح جلد ساعديه ففعل وأولج هو كذلك دبوسين فى شدقيه ودبوسين فى ثندوتيه فسال دم من هذه الجروح لوث ثوبه الأبيض ولكنه لم يتألم ونزل الى البهو وطاف بين الحاضرين يريهم هذه الدبابيس المولجة فى جسمه وعاد فصعد الى المسرح وأخرجها منه . وكان قد أعدّ له لوح من الخشب ثبتت فيه مسامير حادّة طول كل منها أكثر من ١٠ سنتمترات فاستلقى على ظهره فوق هذا اللوح وجاء بعض الأطباء وفحصوا الأمر فقال طبيب منهم إن المسامير لم تمسه وانه فيما بين أعلى فخذيه قد وضع قطعا من الكاوتشوك . وقال أطباء آخرون بل ان جانبا من المسامير اخترق لحمه ولاسيما فى الجانب العلوى من الظهر وحدث خلاف فى هذا الشأن وأصرّ كل من الفريقين على رأيه وكان الطبيب المخالف يودّ أن يرى المسامير تخترق السلسلة الفقرية أوالمقاتل الأخرى . وأخيرا ثبت انه وان كانت المسامير لم تخترق موضعا قاتلا فقداخترقت مواضع أخرى وانه قام من فوق هذا اللوح دون أن يتألم . والى هنا انتهى الفصل الأوّل . ولما رفع الستار فى الفصل الثانى أعلن الدكتور (طهرا بك) أنه مستعدّ لقراءة الأفكار عن الماضى والحاضر فقط وطلب من أحدهم أن يفكر فى أى شخص كان فى القاعة ففكر فى صديق له جزة فى أحد اللوجات العليا فقرأ فكره وقاده الى صديقه ثم طلب منه أن يفكر فى بعض أشياء صديقه ففكر فى منديله فأخرجه من جيبه

على أنه لم ينجح تماما فى قراءة أفكار آخرين . وعلل ذلك بتردّدهم فى الفكر . وانتقل الى تجربة مقدرته على تنويم الحيوانات تنويما مغناطيسيا فجىء له بديكين وأرنب كبير فنوّمهما بمجرّد لمسه إياهما

وختم تجاربه بتجربة دفنه فى صندوق وكان قد أعدّ هذا الصندوق فوق المسرح والى جانبه كومة كبيرة من الرمل وجاء كثيرون ففحصوا قاع الصندوق وجوانبه و بعد ماشرح نظريته هذه وتعليلها العلمى قال ان هذه النظرية منقولة عن المصريين القدماء ثم سأل الحاضرين كم من الوقت يريدون أن يظل مدفونا فاقترحوا أن تكون المدّة ١٠ دقائق ثم جىء له بقطن سدّ به أنفه وأوقع نفسه فى غيبوبة كما فى المرة الأولى وحمل الى الصندوق وأهيل عليه التراب وسدّ الصندوق بغطائه وأحكم سدّه من الخارج بالرمل وعند ما انقضت الدقائق العشر كشف التراب عن الصندوق فى الحال وأخرج منه فاذا هو حى ووقف على حافة المسرح وفى يده أوراق صغيرة وازدحم الجمهور حوله وتخاطفوها من يده وهى كما قال (طلاسم) مفيدة وكان الحاضرون يصفقون له

وقد سئل طبيب كبير مشهور من أطباء الامراض الباطنية فى العاصمة وكان من جملة الحاضرين . بماذا يعلل عدم احساس الدكتور (طهرا بك) بالألم فى تجربة الخناجر والدبابيس . فأجاب بأن ذلك نتيجة تشنج فى الأوعية . وعلل تجربة الوقوع فى الغيبوبة بأنها نتيجة تمرين المخ تمرينا مستمرا على ذلك وقال انه يوجد أناس يستطيعون أن يوقفوا حركة القلب مدّة معينة دون أن يموتوا . أما هو فيقول ان هذه الاعمال ترجع الى أصل علمى أى انها ليست سحرا ولا شعوذة . ثم انه قد افتتنت به أوروبا فى العامين الماضيين عند ما طاف عواصمها وهو يدهش الناس بأعماله الخارقة للطبيعة و يجعل الصحف الغربية تعجب بتجاربه العلمية الساحرة وقد اهتم الاطباء بأمره وعقدوا الجلسات لفحصه ودراسة عجائبه فقرّروا أنه ذومقدرة عجيبة تتسلط بها روحه على جسده فيأتى بالعجائب وطيرت التلغرافات فى العام الماضى عجائبه فروتها الجرائد فى مصر . ولما سئل قال ان هذا العلم اسمه علم (الفقيرزم) وقال ان الانسان مركب من ﴿ ثلاثة عناصر ﴾ الجسم والنفس والروح . وللنفس ﴿ قوّتان ﴾ احداهما متصلة بالجسم تدبر حركاته والاخرى متصلة بقوّة خفية عظيمة هى التى يعرفها أهل الأديان باسم (الله) والغرض من (الفقيرزم) البحث عن هذه القوّة النفسية وانمائها والتوصل الى الانتفاع بها فى جعل الحياة سعيدة هانئة . وقد ولد الدكتور (طهرا بك) فى الاستانة وتخرّج من كلياتها

الطبية وشغف بالفقيرزم فدرسه على شيخ مصرى يدعى الشيخ الفلكى واستطاع أن يتبحر فى هذا العلم و يقوم بتجاربه العجيبة ومنها أن يطعن نفسه بالمدى والخناجر و يتسلط على الدورة الدموية فلا تسيل الدماء من جروحه ثم تلتحم فى الحال وأن يسيطر على تنفسه وعلى دورته الدموية فيدفن نفسه فى صناديق مفرغة من الهواء و يظلّ مدفونا ساعات وأياما ثم ينهض حيا . وقد قضى ١٨ يوما مدفونا فى بطن الأرض فى بلاد اليونان و يستطيع أن يصلب جسمه فلا يتأثر من الوخز و يغرز فى جسمه المسامير والدبابيس فلا تترك أثرا . وقال ان فى استطاعة كل انسان أن يقوم بهذه التجارب اذا مرن ارادته على التحكم فى جسده بقوّة روحه . انتهى الكلام على (طهرا بك)

انظر أيها الذكي الى العلم قديما وحديثا وانظر الى تعاريف القدماء إذ يقولون انها نور من الله أوشعاع منه . ثم انظر الى قول (سقراط) كيف استدلّ على أنها مخالفة للأجسام بعلامة وهى انها آمرة والجسم مأمور والأمر انما يكون من الله . فهى إذن منسوبة اليه مستمدّة منه . ثم انظر كيف جاء القرآن وقال — من أمر ربى — فعبر بما هو أدق . ثم تعجب ألف مرة من هذا النوع الانسانى ذلك النوع النشط المفكر فانظر أوّلا الى (ديلر) الألمانى . ألم ترأن تسلطه على قوى جسمه انما جاء بطريق المصادفة بحيث انه لما قطع العرق ونزف الدم واقترب الموت وجد فى نفسه نزوعا الى المغالبة فغلبت ارادته الدم وقوى عليه . أفلست ترى أن هذه الحادثة التى جرت فى أوروبا تلك الأمم المادّية التى أصبحت تعبد المادّة عبادة قد جرت قبلها قديما عند الهنود فى مدنياتهم القديمة فأخذوا يفكرون فيما به يحكمون أجسامهم فوجدوا أن النفس الخارج الداخل موصل لذلك بحيث يحبسونه داخلا أوخارجا بنظام خاص . وأيضا بما ان بعضهم فى الأعصر القديمة حصل له ما حصل الى (تريزنيومان) البافارية من ألمانيا أيضا فعلموا أن الأفكار الدينية لها تأثير على الجسم فأخذوا يفكرون حتى فعلوا ذلك علما . ولعلّ مسألة التنفس عندهم أقرب الى مسألة (ديلر) المتقدّمة إنّ الله لذو فضل علىّ وعلى الناس بالعلم وأسأل الله أن يلهمنا شكر هذه النعمة العظيمة

﴿ عجائب العلم ﴾

فانظر كيف يحصل هذا أيام طبع هذا التفسير ونشره بين الناس وابتهج بالعلم الذى ستسمعه فسترى من آيات الله عجبا . فانظر الى هذا الانسان إذ عرّف روحه الفلاسفة وأصلح القرآن تعريفهم ثم جاء العصر الحاضر فاطلعنا على أسرار للروح جاءت على أيدى أقوام قبل الهجرة بآلاف السنين ثم اقترب العلم منا وظهر لنا ووضح وأصبح ما كان اجتهادا وفلسفة عملا ظاهرا مكشوفا للناس ورأينا أن هذه النفس نافذة العمل فى الجسم بالتصرّف فيه تصرّفا تاما كأنها تقول أنا نور الله وان لم تصدّقوا فانظروا آثارى القاهرة العجيبة فيه . الأهم من ذلك

﴿ ثمرة هذا المقال و بهجته ﴾

اللهم إنك أنت المحمود على العلم والحكمة . اللهم أنت المعلم . أنت الحكيم بعلم الحكمة المرشد لنفوسنا المسعد لها . أنت الذى أنزلت العبادات على الأمم جميعها . وأنت الذى أمرتهم أن يصلوا و يقولوا — اهدنا الصراط المستقيم — فها نحن الآن فهمنا فائدة الصلاة . إن المصلى والذاكر لله كلاهما يحضر فى قلبه عظمة مولاه فيفاض عليه حلل من أنوار ذى الجلال والاكرام من جنس ما فكر فيه . فاذا كانت الفتاة البافارية فكرت فى أن المسيح مصلوب فقد ظهرت أعراض الصلب على جسمها وهكذا الفتى الألمانى وهكذا طهرا بك

الله أكبر . جلّ العلم وجلّ الله . إذن عقلنا حقا من أمر الله أونور من الله ولولم يكن من الله لم يؤثر هذه الآثار الهائلة عند الاستعداد لها بالممارسة بالتنفس أو بقوّة الارادة أو بالفكر الدينى . أليس هذا بعينه هو قوله ﷺ فى الحديث المشهور ﴿ أنا عند ظن عبدى بى ﴾ ولسنا نهتم بكون الحديث بسند ضعيف أوصحيح لأن المعنى صحيح . وأظهر من هذا قوله تعالى — إنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم — . لقد استبان

بهذا

بهذا المقام كيف وصل قوم الى معانى تظهر على ألسنتهم وتؤثر فى عقول الناس بواسطة طريقة واحدة وهى استدامة الذكر فيذكرون اسما من أسماء الله تعالى أو يلزمون الصمت والجوع والسهر وما أشبه ذلك فيحصل لهم أمور عجيبة . فهذا حقا من هذا الباب لأن النفس الانسانية تتجه الى الأغراض السامية اذا وجهت اليها والى الدنيئة كذلك . ولما كان الذكر حبسا للنفس الانسانية عن أمور الدنيا اتجهت النفس الى ماطلب منها وهذا أمر أجمعت عليه أمم الأرض . ولقد قرأته فى كتاب ﴿ راجا يوقا ﴾ مترجما الى الانجليزية عن الهندية . فهؤلاء الوثنيون بعد أن ذكروا نظام الجسم وفقرات الظهر وانها فى وسطها فراغ يوصل الى المخ وفى نهايتها من أسفل مثلث محكم السدّ يشتمل على عجب الذنب . قالوا وهذا له سرّ لا يعلمه الناس . وبكثرة المجاهدة يحصل اتصال مجهول بين هذا المثلث وبين المخ به تفاض العلوم على الانسان جميعها وان لم يتعلمها . هذا كلامهم

وهذه النغمة هى التى يردّدها الصوفية وليس لهذا أهمية فى هذا المقام إلا أنهم يقولون ان عجب الذنب موضع العلوم والأسرار وبالتهذيب والعبادة يفتح سدّ مجهول بينه وبين المخ فيعرف الانسان العلوم كلها . هذا القول يذكرنا بقول العلماء ان عجب الذنب باق كالروح كما جاء فى كتب التوحيد إذ قال صاحب الجوهرة

﴿ عجب الذنب كالروح الخ ﴾

نعم إن المسألة فيها خلاف ولكن كيف يرد فى ديننا مسألة عجب الذنب وبقائه وكيف يكون هذا القول حاصلا عند البراهمة قبل آلاف السنين وأن العلم فى ذلك المخزن واذن يكون الباقى هو العلم لا نفس العجب . إذن عجب الذنب رمز الى العلوم والعلوم فى النفس تبقى معها . فالروح باقية وعلومها باقية واذن يكون علم الهنود فى هذا سرّ هذه المسألة ويزول الخلاف . وعندى أن هذه وحدها أعجب المعجزات فهذا القول لم يسمع به المسلمون فى العصور الأولى ولا المتأخرة . وقد عثرت عليه مصادفة وأنا أقرؤه فى الكتاب

وجاء فى هذا الكتاب أيضا أن ذكر اسم الله وتكراره فى النفس يؤثر فى الأعصاب فتمتلئ بالأنوار بحكم المجاورة فترتقى النفس وتعرف ربها . ولكن هم يقولون إن كبح جماح الشهوات لابدّ منه لأن كثيرا من الناس بالذكر يصلون الى الله ولكن الوصول ناقص لأنهم يحبون الدنيا فلابدّ من احتقار الدنيا وحصر الحبّ فى الله وحده . هاهنا ظهرت صفوة العلم فى هذه الدنيا

﴿ صفوة العلم فى هذا المقام ﴾

إن النفس الانسانية بالتهذيب والذكر وحصر الفكر والتنفس وقوّة الارادة المكتسبة قد تصل الى الله أو تتحكم فى الجسم كما تشاء أو تنفع الناس بعلمها ومواهبها . يظهر أن الله قد أعطانا هذه القوّة وقال لنا سأنظر ماذا تصنعون ونحن منا من جعل ذلك سببا لرفع نفسه ورفع الانسانية ومنا من جعلها لذاته وشهواته

هذا هو حلّ المشاكل التى كانت أمامى فلقد سألنى شاب مهذّب ذكي من مدينة (تيطوان) من بلاد مراكش قائلا . لقد شهدت جماعة ببلادنا لهم رئيس كبير وهو وأتباعه وأشياعه يجتمعون فى مكان خاص ويوجهون همتهم الى أمر واحد فلا يلبثون حتى يروا واحدا منهم ارتفع الى أعلى المنزل وهؤلاء لاصلاة لهم ولا زكاة ولاحج ولاطهارة . واذا أهداهم أحد كبشا من الضأن أو تيسا من المعز لم يذبحوه بل يخرقون بطنه بسكين ثم يتلقفونه ويأكلونه . ثم قال فهذه القوّة الخارقة للعادة ليست عندنا نحن المصلين فلا أدرى أنحن على الحق أم هم . لهذا أطلت فى هذا المقام وأتيت بزبدة علوم الأمم قديما وحديثا هنا قائلا للمسلمين وجميع المتعلمين ان روح الانسان فيها قوّة إلهية كما رأيتم بالبرهان فى هذا المقام وهذه القوّة بحصرها تفعل الأعاجيب ولا تتوقف على دين بل هذه القوّة كامنة فى النفس تظهر فى الوثنى والمتدين بل ربما ظهرت فى الوثنيين أكثر ذلك لأن الدين جاء لمنع اخراج هذه القوّة وبعثرتها فيما لا يفيد وماذا يفيد الانسانية من أمور مثل هذه وما هذا إلا ضرب مثل من السحر لأن السحر يرجع أهمه الى تأثير النفس تأثيرا سافلا . فههنا انصرفت النفس

الى تعطيل قواها وملكاتها فى هذه الحياة فانبعثت قوّتها الى الشعوذة والشعبذة وهذه نفس معذّبة فى هذه الحياة و بعد الموت لأنها عالة على الأمم ضالة . فهذه القوّة التى ارتفع بها أحد المجتمعين هى نفسها التى صرفها المؤلفون والمدرسون والصانعون والمهندسون فى منفعة الأمم ولهذا جاء الدين . الله أرسل الأنبياء للناس بوحى وقوّة قدسية وقال للناس فكروا واعقلوا وايا كم أن تتبعوا الكهانة لأن الكهان يوجهون هممهم الى الاخبار بالغيب واعلام الناس بحوادث تافهة منها الصادقة والكاذبة ومن هذه الكهانة مايرد على ألسنة بعض الذاكرين الذين اتبعوا طريقا من طرق الصوفية فهؤلاء ربما يرد بخواطرهم و يظهر على ألسنتهم بعض حوادث الناس فيظنون هذا وصولا لله وماهو بوصول ولكن هذه قوى كانت كامنة فظهرت لتقوّيهم على العبادة لا لتكون آلة للشهوات فاذا اتخذوها صناعة وصاروا على الناس عالة أصبحوا شياطين ضالين كما نص عليه أكابر الصوفية وتراه ظاهرا فى كتبهم و بهذا ظهر الأمر واتضح وتحقق والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . فالأنبياء جاؤا لانقاذ الناس من أمثال هذا ووجهوا الناس الى كشف قواهم التى بها يساعد بعضهم بعضا وهى العلوم والصناعات . فأما أمثال هذا فهو المسمى سحرا أوشعوذة أوشعبذة

إن فى نفوسنا قوّة كامنة يظهرها مؤثرات عليها كما نرى فى التنويم المغناطيسى وكيف يصبح الانسان عند تنويمه فى الدرجة الأولى عالما بأمور يجهلها فى اليقظة وفى الدرجة الثانية عالما بأمور يجهلها فى الدرجة الثالثة يخاطب الأرواح ويكلمهم و يتصرّف فى جسمه كأنه غريب عنه و يساعد الأطباء فى قطع عضو من أعضائه وهوضاحك مستبشر . كل ذلك تقدّم فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى ـ وما كفرسليمان ولكنّ الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ـ فهذه القوّة النفسية ظهرت بالتنويم المغناطيسى وهونوع من السحر ولم يخلقنا الله فى الأرض لنفعل ذلك بل خلقنا لنقوّى ارادتنا وندرس العالم الذى نحن فيه لتزيد قوّتنا المدّخرة العظيمة . ومن هذه القوّة ماذكره العلامة الرئيس ابن سينا أن القوّة الروحية فى الانسان قد تظهر فيخبر بأمور غائبة أو يقوى على أعمال جسمية . أقول وهذا حقّ كما تبين لك فى مسألة (طهرا بك) المذكورة فيما تقدّم . وقد ذكر هوأيضا أن الترك اذا أرادوا أن يستخبروا عن الحوادث المستقبلة يضعون رجلا معروفا عندهم باستعداده لذلك و يشدّونه بحبل و يذهب ويجىء وهوكالمختنق به وزفيره وشهيقه مرتفعان حتى يغشى عليه فيخبرهم ببعض الحوادث . وقد يضعون قطعة حبر أسود فى كوب ماء و يأمرون صبيا مثلا أن يحدق فيه ببصره مدّة طويلة فيخبرهم ببعض الحوادث . أقول وهذا هو «المندل» المعروف . وكل هذا نوع من التنويم المغناطيسى . ومن هذه القوة ما ذكره العلامة ابن خلدون فى مقدّمته قال «و بالمغرب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يعرفون (بالبعاجين) وهم الذين ذكرت أوّلا أنهم يشيرون الى الكساء أوالجلد فينخرق ويشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج و يسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج لأن أكثر ماينتحل من السحر بعج الأغنام يرهب بذلك أهلها ليعطوه من فضلها وهم متستّرون بذلك فى الغاية خوفا على أنفسهم من الحكام . لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه وأخبرونى أن لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجنّ والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخنزيرية) يتدارسونها» ثم قال «وأما أفعالهم فظاهرة موجودة وقفنا على الكثير منها وعايناها من غير ريبة . هذا شأن السحر والطلسمات فى العالم» انتهى ما قاله ابن خلدون

أقول وهذه الطائفة بعينها التى تقدّم ذكرها فى مقال الشاب المراكشى المتقدّم فان هؤلاء يجلسون ويبعجون الغنم ويتكلون على الأمّة فى احضارها بطريق انهم أولياء أوعندهم سرّ . فالمرجع فى هذا كله للنفس الانسانية فيها قوة كامنة إلهية ان حركناها بعداستخراجها للخير نفعت بالعلوم والصناعات وان حركناها بعد استخراجها للشرّ فعلت كما يفعل الناس اليوم فى التنويم المغناطيسى إذ يأمرون المنوّم (بالفتح) أن يقتل

زيدا

زيدا فى وقت معين فاذا استيقظ وجد فى نفسه الميل للقتل فى نفس الوقت وهذا أمر معلوم مشاهد . ولا فرق بين هؤلاء البعاجة وبين لا المخبرين ببعض الغيب كل عنده قوة حركها الى ما لا خير فيه . ولكن العلم فى عصرنا الحاضر استخرج قوات الطبيعة فبدل أن يبعج بقوته الروحية بطن الغنم أهلكوا بقوة السلاح الأمم فالقوة الخفية يجب توجيهها الى العلوم المعروفة الآن لأنها ترقى الأشخاص والأمم . فأما فعل السحرة وصغار الصوفية فهو فسق وجهل بين وقد وقعت الأمم فيه . ومعلوم أن الخوارق للعادات إما معجزة لنبى أو كرامة لولى أو استدراج لفاسق أو معونة لعاص ولذلك قال تعالى – وما نرسل بالآيات إلا تخويفا –

وما مثل القوى المتقدمة إلا كمثل الحرارة والحركة والمغناطيس والكهرباء اللاتى اتضح شرحها فى سورة الرعد فهذه ينقلب بعضها الى بعض فالحرارة تنقلب حركة والحركة كهرباء وهكذا وهى شئ واحد هكذا قوة النفس إن وجهت الى المنفعة أعطاها الله معجزة لنبى أو كرامة لولى . و بالعكس المعونة لعاص والاستدراج لفاسق كما تقدم . وقد وقعت الأمم الاسلامية المتأخرة فى هذه الورطة وصار الناس فرقا متشاكسين لأنهم جهلوا أصول العلوم ولم يفرقوا بين التصوف الصحيح والتصوف المزيف الكاذب . وههنا سألنى بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيأ مما دخل من البدع فى علوم المسلمين من الباطنية ونحوهم حتى نتنور ونميز الغث من السمين . فقلت أنا سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذى تغلغل فى بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك والوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطنى توضيحا للمسألة الأولى ﴿ المسألة الثالثة ﴾ زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم فى فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وان هذا مسبب عن المسألتين السابقتين . وسترى الكلام على هذه المسائل فى سورة الكهف عند قوله تعالى – وما كنت متخذ المضلين عضدا – انتهى الكلام على اللطيفتين الثانية والثالثة

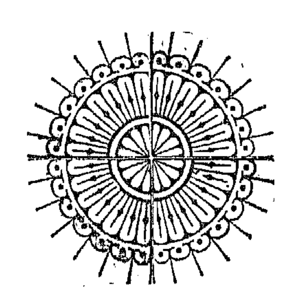
﴿ اللطيفة الرابعة الجمال والبهاء والحسن والسحر الحلال فى قوله تعالى – واذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا – ﴾

اعلم أن الحجاب ﴿ خمسة أنواع ﴾ حجاب جسمى . وحجاب خلقى . وحجاب عقلى . وحجاب علمى . وحجاب دينى . أما الحجاب الجسمى فان الانسان اذا كان ضعيف الجسم خائر القوة مريضا لم يفقه العلم بل تتجه قواه لاتمام ما نقص من قوة الجسم فلا تتفرغ لعمل ولا تنصت لعلم ولا تستلذ بالحكمة ولا تهش ولا تبش للحكماء وهذا يفهم من قوله تعالى – وزاده بسطة فى العلم والجسم – فكأن فيه اشارة الى أن بسطة الجسم قد توافق بسطة العلم . وأما الحجاب الخلقى فهو ما يعترى الناس من الشهوات وأنواع العداوات فتشغل النفس عن العلوم وتصد عن سبيل المعارف بما ملئت به من الحسرات على ما فات ومن الندم والألم وهكذا الآمال الكثيرة التى تستغرق أمر النفس وتوقعها فى اللبس وتهمكها وتخرجها عن دائرة الحكمة وسواء السبيل وهذا قوله تعالى – بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون – . وأما الحجاب العقلى فهو ذلك النقص الذى يخلق مع الانسان فى مبدإ حياته وأول نشأته بحيث يكون قليل التمييز ضعيف الفكر فمثل هذا لا ينفعه تعليم المعلمين ولا يرفعه تهذيب المهذبين ولكن هذا النوع نادر أو قليل وهذا معنى قوله تعالى – فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور – . وأما الحجاب العلمى فهو ما يغتر به الانسان من الشهادات الدراسية والمناصب العلمية والاجازات الفنية ومدح الناس وثناؤهم عليه والتصدر للفتوى ونحو ذلك فيظن انه قد كملت نفسه وفاق الأقران علمه . فهنالك لا تكاد تقبل نفسه علم العلماء ولا حكمة الحكماء وهؤلاء يقول الله فيهم – فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن –

فيا حسرة على من طبع الجهل على قلبه وختم الغرور على سمعه و بصره فعمى عن حقيقة نفسه فصار من

الجاهلين الهالكين والله تعالى يقول ـ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وان يروا كل آية لايؤمنوا بها ـ فاذن أكبر مصيبة وأجلّ رزية تغتال النفوس وتحصد الرجال الشهادات الدراسية من المعاهد العلمية والمدارس النظامية فهى حجاب بين العقول وارتقاء العلوم وقد يغترّ المرء بعلم من العلوم كالنحو والصرف والمعانى والبيان والبديع وكالانشاء والتاريخ وكالفقه وكالطب وكالهندسة فيشمخ أحدهم بما حواه من العلم فيكون فى ذلك مصرع نفسه وذهاب أنسه

فأما الحجاب الدينى فهوما يعتورالقلوب من العمى بالاغترار بمذهب من المذاهب الدينية فيظنّ الجهول أن دين الله انما هو فى هذا المذهب فيحصر عقله فيه تقليدا لاستاذ ضيق العطن قليل الفطن فيقول مادمت أقرأ مذهب الشافعية أوالحنفيةأوالزيدية أوالشيعية أوغيرهم فانى قد قضيت واجبى وأطعت خالقى . وماعرف المسكين أن ماقرأه انما هو بعض الدين لا كله وان أصل الدين الوقوف على جمال هذا العالم ونظامه إذ ذلك به زيادة التوحيد وبه اليقين وبه شكرالله تعالى فلاشكر إلا بعلم وأجلّ العلوم معرفة هذه الدنيا ومادروس اللغات جميعها من عربية وفروعها الاثنى عشر ونحوها ومن فارسية وتركية وأوردية وانجليزية وألمانية ويونانية إلا مقدّمات للعلوم . فعلوم اللسان مقدّمات لعلوم الجنان . وعلوم الجنان هى علوم نظام هذه الدنيا من السموات والأرضين . ومادروس الفقه إلا لنظام القضاء بين العباد لنظام هذه الدنيا فمن جعل حياته وقفا عليه فقد باء باثم عظيم اذا كان عنده استعداد للعلوم . فهذه كلها حجب أسدلت على عقول طوائف من المسلمين منذ تسعة قرون فكان ماكان وهذا أوان اشراق شمس المعارف فى بلاد الشرق . انتهى تفسير سورة بنى اسرائيل



سورة

سورة الكهف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية

﴿ المناسبة بين سورة الاسراء والكهف ﴾

اعلم أن قوله تعالى ـ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ـ متصل بالحمد فى آخر سورة الاسراء . يقول هناك ـ وقل الحمد لله الذى ـ لم يشغله ولد عن اسداء النعم ولم يعارضه شريك ولم يعوزه ناصر فهناك يحمد على أنه لاصارف له يصرفه عن القيام بشؤن خلقه وهنا أخذ يتم صفاته تعالى . فهناك صفات الجلال التى يكون بها التنزيه وهنا صفات الجمال وهى انزال الكتاب الموصوف بوصفين وصف سلبى ووصف ايجابى على الترتيب السابق . ومن العجب أن الحمد فى آخر الاسراء مناسب للتنزيه فى أوّلها والحمد فى أوّل الكهف جاء متمما . فالله كامل فى نفسه مكمل لغيره . وهكذا الانسان يجب أن يتشبه بالله فيكون كاملا مكملا لغيره وهذه صفات الأنبياء والحكماء والعلماء . وانظر الى الاسراء فأوّلها تسبيح والى الكهف أوّلها تحميد والتسبيح مقدّم على التحميد كما تقدّم فى قوله تعالى فى الاسراء ـ وان من شئ إلا يسبح بحمده ـ انتهى

والسورة ﴿ قسمان * القسم الأوّل ﴾ فى قصة أهل الكهف وما يناسبها من أمر البعث و بقاء الأرواح ﴿ القسم الثانى ﴾ فى قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام وذى القرنين

القِسْمُ الأَوَّلُ

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ)

اُلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً * وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً * مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً * فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً * إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً * أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَا مِنْ دُونِهِ إِلٰهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً * هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً * وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

إِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً
* وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ
الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
وَلِيّاً مُرْشِداً * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً * وَكَذٰلِكَ
بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً * وَكَذٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ
وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً
رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ
رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ * فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِراً وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ
أَحَداً * وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللّٰهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ
وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذَا رَشَداً * وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ
وَازْدَادُوا تِسْعاً * قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا
لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً * وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ
رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ
مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً * وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَمَنْ
شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ
الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ
مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً * وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ
جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعاً * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ
آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَراً * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ
يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ
تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَداً * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً *
قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ
رَجُلاً * لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا
شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَداً * فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِنْ
جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً
فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً * وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً * هُنَالِكَ الْوَلاَيَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً * وَاضْرِبْ
لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ ، فَأَصْبَحَ هَشِيماً
تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً * وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا * وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ
مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ
أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ

مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً * ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا * وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا * وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً * وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً * وَما نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَما أُنْذِرُوا هُزُوًا * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً * وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا *

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (عوجا) شيأ من العوج والعوج بوزن عنب فى المعانى كالعوج بوزن سبب فى الاعيان فتقول فى رأيه عوج وفى عصاه عوج (قيما) أى وجعله قيمامستقيما معتدلا أوقيما بمصالح العباد (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) عذابا شديدا (من لدنه) من عنده (أجرا حسنا) الجنة (ماكثين فيه) مقيمين فيه (مالهم به) بالولد و باتخاذه أى ان قولهم لم يصدر عن علم بل هم جهلاء لايعرفون الأدلة التى توصلهم الى العلم بنفيه (كبرت كلمة) نصب كلمة على التمييز وفيه معنى التعجب أى عظمت مقالتهم هذه فى الكفر وهى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها والمخصوص بالذم محذوف وصف بقوله (تخرج من أفواههم) استعظاما للفعل وفعل كبرت كبئس وفاعله مضمر ميز بالنكرة (إن يقولون إلا كذبا) أى مايقولون ذلك إلا كذبا (فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثارهم) أى آثار الكفار فكأنك رجل فارقه أحبته فهو هالع القلب يتحسر و يتساقط حسرات على آثارهم وهو يبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا فكأنه ينتحر أسفا عليهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أسفا) أى لفرط الحزن والأسف (إنا جعلنا ماعلى الأرض) من نبات وشجر وأنهار وعلماء وصلحاء وكل ماعلى الأرض فهو زينة لها بعضها معروف عند العام والخاص والجميع معروف عند الخواص كالحيات والعقارب والحشرات (زينة لها) ولأهلها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) فى فهم مقاصد تلك الزينة وخالقها والآثار المترتبة عليها وهل هناك لها نتيجة فى الوجود فيكون الناس محاسبين عليها وهل هى متقنة حقا وصدقا وفى فهم جميع دروسها وهل يأخذون منها مايكفيهم و يواسون غيرهم بالباقى

وهل يعرفون نعمة الله أم هم ينكرونها (صعيدا جرزا) الصعيد وجه الأرض والجرز الأملس اليابس الذى لاينبت فيه شئ (أم حسبت) بل أحسبت (أنّ أصحاب الكهف والرقيم) الكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم لوح حجرى رقت فيه أسماؤهم كالألواح الحجرية المصرية المشهورة التى يذكرفيها تاريخ الحوادث وتراجم العظماء (كانوا من آياتنا عجبا) أى لاتحسب يامحمد أن قصة أصحاب الكهف والرقيم المذكورة فى كتب الأمم السالفة وابقاء حياتهم أمدا طويلا عجبا بالاضافة الى ماجعلناه على الأرض من زينتها عجبا فليست هى عجبا من بين آياتنا فقط بل زينة الأرض وعجائبها أبدع وأعظم من قصة أصحاب الكهف فاذا وقف علماء الأديان الأخرى على أمثالها فأنا أدعوك وأمّتك الى ماهو أعظم منها والنظر فى هذا العالم الذى تعيشون فيه لتفوزوا فى الدنيا والآخرة بالعلوّ والجنة . فأما الوقوف على القصص وغرائبها فذلك ليس يكفى الانسانية فى مستقبل الزمان وانما يقف عندها العامّة والخاصة يقرؤن مانقشته فى الطبيعة وهو الموصل الى خيرى الدنيا والآخرة والوصول الى الله . لقد تقدّم فى سورة الاسراء أن الحديث المشهور وهو انهم سألوه ﷺ عن الروح وعن ذى القرنين وعن أصحاب الكهف لم يرد فى الصحيح فلايعوّل عليه . ولنذكر لك نبذة صغيرة مما ذكره المفسرون على انه من غير الصحيح لتقف على ماقاله العلماء لمجرّد المعرفة * يقال ان النضر بن الحارث كان يؤذى رسول الله ﷺ ومتى جلس ﷺ مجلسا ليبلغ الرسالة يخلفه النضر ويقول بعد أن يقوم أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ويحدّثهم عن ملوك فارس ثم ان قريشا بعثوه ومعه آخر الى اليهود ليسألوهم فى أمر النبى ﷺ فلما وصلا الى المدينة قال الأحبار سلوه عن ثلاث عن فتية ذهبوا فى الدهر الأوّل ما كان من أمرهم فان حديثهم عجب وعن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح وماهو فان أخبركم فهو نبى والافهو متقوّل فلما قدم النضر وصاحبه مكة سألوا النبى ﷺ قال أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة حتى أرجف أهل مكة به وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة فشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل من عند الله بسورة أصحاب الكهف وفيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم وفيه خبر أولئك الفتية وخبر الرجل الطوّاف وهو ذوالقرنين

﴿ قصة أهل الكهف ملخصة ﴾

روى أن أهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام وأكرهوا على عبادتها الناس فشدّد أكثرمن الجيع فى ذلك (دقيانوس) الملك فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الدين فنزع ثيابهم وحليهم وتوعدهم ولكنه رحم شبابهم فأمهلهم حتى يرجعوا الى رشدهم وانطلق (دقيانوس) الى مدن أخرى ليأمرهم بعبادة الأصنام أوليقتلوا . أماالفتية فانهم انطلقوا الى كهف قريب من مدينتهم المسماة (أفسوس) وهذا الجبل يسمى (ينجايوس) وأخذوا يعبدون الله فيه حتى اذا هجم عليهم (دقيانوس) وقتلهم ماتوا طائعين عابدين وقد كانوا سبعة فلما مروا فى الطريق الى الكهف تبعهم راع ومعه كلبه فجلسوا هناك على العبادة والتسبيح وكان أحدهم المسمى (تمليخا) هوالذى يبتاع لهم أرزاقهم ويوصل لهم أخبار (دقيانوس) وهوجدّ فى طلبهم وبقوا كذلك أياما حتى رجع دقيانوس الى بلدتهم وبحث عن عابدى الله يذبحهم أوفليسجدوا للأصنام فسمع بذلك (شمليخا) وهو يشترى الطعام فى اختفاء فأخبرهم فبكوا ثم ضرب الله على آذانهم فناموا وتذكرهم (دقيانوس) فهدّد آباءهم ان لم يحضروهم فدلوه عليهم فى الكهف فتوجه الى الكهف فسدّه عليهم ليموتوا وانتهى الأمر على ذلك . ثم انه كان هناك رجلان مؤمنان فى حاشية الملك (دقيانوس) يكتمان ايمانهما وهما (بيدروس) و (روناس) فكتبا قصة هؤلاء الفتية سرا فى لوحين من حجر وجعلاهما فى تابوت من نحاس وجعلا التابوت فى البنيان ليكون ذلك عبرة وتاريخا فيما بعد . ثم مضت قرون تبعتها قرون ولم يبق لدقيانوس ذكر ولا أثر وملك

البلاد ملك صالح يقال له (بيدروس) و بقى ملكه ٦٨ سنة وانقسم الناس فى أمر البعث فرقتين كافرة ومؤمنة فحزن الملك حزنا شديدا وتضرّع الى الله تعالى أن يرى الناس آية حتى يعلموا أن الساعة لا ريب فيها . واتفق إذ ذاك أن راعيا اسمه (أولياس) خطر له أن يهدم باب هذا الكهف ويبنى به حظيرة لغنمه ولكن الله لم يمكنه من رؤيتهم فلما فتح الكهف استيقظوا جميعا فجلسوا مستبشرين وقاموا للصلاة ثم قال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما ـ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما الخ ـ فذهب تمليخا على عادته يشترى الطعام و يتلطف فى السؤال متخفيا حذرا من (دقيانوس) فلما خرج تمليخا من باب الكهف عجب من الحجارة التى حوله وذهب الى المدينة فرأى جميع معالمها متغيرة

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى رجال الحىّ غير رجالها

وسمع اسم المسيح ينادى به فى كل مكان فقال عجبا لم لم يذبح (دقيانوس) هؤلاء المؤمنين ولما تحير قال ربما كنت نائما ولعلّ هذه ليست مدينتنا فسأل رجلا ما اسم هذه المدينة فقال (افسوس) وأخيرا تقدّم الى رجل فأعطاه الورق ليشترى به طعاما فدهش الرجل وأخذ يقلبها و يعطيها الى جيرانه وهم يعجبون و يقولون هذا كنز عثرت عليه فان هذه الدراهم عليها اسم (دقيانوس) وذلك من زمان بعيد فسحبوه حتى دخلوا على رجلين يقومان بأحكام المدينة فظن تمليخا انهم أخذوه الى (دقيانوس) فلما عرف انه لم يؤت به الى (دقيانوس) سرى عنه الغمّ وذهب البكاء فسألاه الحاكمان وهما (اريوس) و (طنطيوس) أين الكنز الذى وجدت يافتى . و بعد أخذ وردّ ذكر لهما خبر الفتية (ودقيانوس) وأن أمرهما كان أمس ولكنه متحير فى أمره وانكم ان شئتم فهاهو ذا الكهف فاذهبوا معى فانظروه وفيه أصحابى فقاموا معه حتى وصلوا الى باب الكهف وتقدّمهم تمليخا فأخبرهم الخبر كله فعجبوا وعرفوا انهم ناموا ثلثمائة وتسع سنين وانهم أوقظوا ليكونوا آية للناس ثم دخل (اريوس) فرأى تابوتا من نحاس مكتوبا مختوما بخاتم وفيه قصتهم فى اللوحين المذكورين وملخصها انهم فتية هربوا من (دقيانوس) خوفا على دينهم فسدّ عليهم بالحجارة . وقد كتبنا هذه القصة ليعرفها من بعدنا فخرّ (اريوس) ومن معه سجدا لله وأرسلوا بريدا الى ملكهم الذى تضرّع لله (بيدروس) أن عجل واحضر لترى آية الله فى أمر البعث فهؤلاء فتية ناموا منذ (٣٠٠) سنة الخ فحمد الملك الله وركب وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة (افسوس) وكان يوما مشهودا . ولما رأى الفتية (بيدروس) خرّ ساجدا لله ثم اعتنقهم و بكى وهم لا يزالون يسبحون الله تعالى . ثم قال الفتية له نستودعك الله ونعيذك من شرّ الانس والجنّ فرجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله أنفسهم فأمر الملك أن يجعل كل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام رآهم فى المنام يقولون له اتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله فأمر الملك أن يكونوا فى تابوت من ساج فجعلوا فيه ولم يقدر أحد بعد ذلك أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى الناس فيه وجعل لهم عيدا عظيما انتهى

هذا ملخص القصة ذكرتها لك حتى يسهل عليك فهم الآيات الآتية ولم يبق إلا تفسير ألفاظها . فهذه هى القصة التى كان النصارى يجعلونها دليلا على البعث . فأما القرآن فان الله يقول فيه إن آياتى على البعث وعلى بقاء أرواحكم ورجوعها بعد الموت وعلى وجودى ليست قاصرة على هذه القصة فآياتى لا تعدّ والأقلام لا تحصيها فلا تقفوا على هذا بل اقرؤا نقوش هذا الوجود لا نقوش أهل الكهف والرقيم وحدها فأنتم خير أمّة أخرجت للناس ونظركم عام فى الكائنات لا فى مجرّد القصص والحكايات وان كانت فيها دلائل ولكن دلائلها أوسع . يقول الله تعالى اذكر يا محمد (إذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) أى رحمة من خزائن رحمتك وهى المغفرة والرزق والأمن من الأعداء (وهيئ لنا من أمرنا) الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين (فضربنا على آذانهم) أى ضربنا عليهم حجابا

يمنع السماع بمعنى اننا أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الأصوات فحذف المفعول الذى هو الحجاب (فى الكهف سنين) ظرفان لضربنا (عددا) أى ذوات عدد (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم أىّ الحزبين) الطائفتين المتنازعتين فى مدّة لبثهم منهم ومن غيرهم (أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم اختلافهما موجودا كما علمناه قبل وجوده انه سيوجد (نحن نقصّ عليك نبأهم بالحق) بالصدق (إنهم فتية) شبان جمع فتى كصبية جمع صبى (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبت (وربطنا على قلوبهم) قوّيناها بالصبر لهجر الوطن والحال والجراءة على اظهار الحق والردّ على دقيانوس الجبار (إذ قاموا) بين يديه فى مدينة افسوس (فقالوا ربنا ربّ السموات والأرض) الى قوله (شططا) أى والله لقد قلنا إذن قولا ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم ثم قال (هؤلاء قومنا) مبتدأ وعطف بيان عليه وخبره (اتخذوا من دونه آلهة لولا) هلا (يأتون عليهم بسلطان بين) على عبادتهم بحجة بينة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه . ثم خاطب بعضهم بعضا لما رحم الملك شبابهم وأرجأ أمرهم (وإذ اعتزلتموهم ومايعبدون إلاالله) أى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم إلا الله لأنهم كانوا يعبدونه و يعبدون الأصنام (فأووا الى الكهف) فى الجبل الذى هو بالقرب من افسوس (ينشر) يبسط (لكم ربكم من رحمته) فى الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) أى ما ترتفقون به أى تنتفعون وذلك لوثوقهم بأن الله معهم لاخلاصهم وقد فعل الله ذلك بهم إذ أقفل دقيانوس عليهم فم الكهف ليكون ذلك آية (وترى الشمس) أيها الانسان (اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين) أى تميل جهة اليمين أى الجهة صاحبة اسم اليمين * وقرئ - تزّاور - بالتشديد وأصلها تتزاور فأدغمت التاء فى الزاى (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتتركهم وتعدل عنهم (ذات الشمال وهم فى فجوة منه) أى فى متسع من الكهف أى انهم فى ظل نهارهم لاتصيبهم الشمس فى طلوعها ولاغروبها وكان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش فهو الى الجهة الشمالية والشمس لاتسامت ذلك أبدا لأنها لاتصل الى أبعد من خط السرطان وكل بلاد بعده الى جهة الشمال تكون من ورائها لا أمامها فيكون الظلّ مائلا جهة الشمال طول السنة كما يعرفه من له أدنى إلمام بعلم الفلك (ذلك من آيات الله) أى شأنهم وايواؤهم الى كهف بهذه الصفة واخبارك بقصتهم ووضعهم فى موضع بحيث تزاور الشمس عنهم طالعة وتقرضهم غاربة . كل ذلك من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) أى من يوفقه الله بالتأمّل فى آياته الكثيرة هذه وغيرها فهو الذى يصيب الفلاح (ومن يضلل) ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا مرشدا) معينا يرشده (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) وتحسبهم أيها الانسان منتبهين لأن أعينهم مفتحة وهم نيام (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) لئلا تأكل الأرض لحومهم (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أى فناء الكهف أوعتبة الباب (لواطلعت عليهم) يامحمد (لوليت منهم فرارا) لما ألبسهم الله من الهيبة (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا وهذا قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا وليثقوا بالبعث (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم) فضتكم (أيها أزكى طعاما) أى أى أهل المدينة أحلّ طعاما لأن منهم مؤمنين يخفون إيمانهم فلنأ كل من ذبائحهم أوأجود (برزق) من قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) يترفق فى الطريق وفى المدينة (ولايشعرنّ) يعلمنّ (بكم أحدا) من غير المؤمنين (إنهم إن يظهروا عليكم) يعلموا بمكانكم (يرجموكم) يقتلوكم بالحجارة وهو أخبث القتل أو يعذبوكم (أو يعيدوكم فى ملتهم) كما تقدّم فى أعمال دقيانوس الذى أرجأ أمرهم (ولن تفلحوا إذن أبدا) أى ان عدتم اليهم (وكذلك أعثرنا عليهم) أى وكما أنمناهم و بعثناهم اطلعنا عليهم (ليعلموا) أى ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (أنّ وعد الله) بالبعث (حقّ) فنومهم كحال الأموات واستيقاظهم كحال البعث (وأنّ الساعة لاريب فيها) وأن القيامة لا ريب فى امكانها فمن حفظ أجسامهم مدّة ثلثمائة سنة ولم تتعفن ثم أيقظهم قادر أن يحفظ الأرواح أمدا طويلا ثم

يردّها الى أبدانها (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) متعلق بأعثرنا أى أطلعنا عليهم بيدروس وقومه حين ينازع بعضهم بعضا بعد مافرحوا وفرح الملك بآية الله تعالى على البعث وذهب مابينهم من الشقاق فى أمر القيامة وحمدوا الله تعالى الى آخر مافى القصة • ففريق يقول نبنى عليهم قرية نسكنها • وفريق يقول نبنى مسجدا يصلى فيه الناس فغلب هذا الفريق الفريق الآخر فى الرأى و بنوا عليهم مسجدا وهذا قوله تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) الى قوله (مسجدا) وقوله ـ ربهم أعلم بهم ـ جملة اعتراضية من الله • ولما فرغ من الكلام على القصة وعلى نزاع المتخاصمين فيما يبنى عليهم أخذ الله يقص علينا مادار فى زمن النبى ﷺ بعد ماقص مادار فى زمن بيدروس الذى بنى المسجد إذ اختلف الناس فى عدد أهل الكهف فقال السيد وهو نصرانى يعقوبى من نجران انهم ثلاثة ورابعهم كلبهم وقال العاقب منهم وكان نسطوريا هم خمسة وسادسهم كلبهم وقال أصحاب الملك وهم الملكانية سبعة وثامنهم كلبهم قطمير وهذا قوله تعالى (سيقولون ثلاثة الى قوله (مايعلمهم إلا قليل) وقوله ـ رجما بالغيب ـ ظنا بالغيب بغير علم * ويروى أن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنا من القليل هم ثمانية سوى الكلب ولم يرد فى الصحيح عن النبى ﷺ شئ فى هذا دلالة على أن أمر العدد لايهم والمهم الاعتبار بمجموع القصة وما يكون نافعا لعقولنا وارتقائنا فى حياتنا الدنيا وفى الأخرى • هذا هو القصص الذى طلبوه (فلاتمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أى لاتجادل فى شأن الفتية إلاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه فتقص عليهم مافى القرآن من غير تجهيل لهم ولاردّ عليهم (ولاتستفت فيهم منهم أحدا) أى لاتستفت فى أصحاب الكهف من أهل الكتاب أحدا أى لاترجع الى قول أحد منهم بعد ما أخبرناك وانما كان التعمق غير مرغوب فيه لأن المقام مقام عظات واعتبار فالبحث عن العدد مثلا هل كان (٣) أو (٥) أو (٧) لافائدة من تحقيقه ولاغرض فى معرفته • واذا كانت القصة كلها ليست بالنسبة لآيات الله إلا أمرا قليلا فكيف يكون البحث عن مفصلاتها • إن القصص لم يكن الغرض منها سوى الوعظ وهذه القصة يقصد منها أمر البعث وأمر البعث يعرف بأمور من العوالم المحيطة بكم لاتتناهى كما سيأتى بيانه من علم الطبيعة فى العلوم الحديثة فكيف تضيعون الوقت فى ذلك والوقت يجب أن يوفر للعلوم الطبيعية التى دخلت فى ضمن ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ ثم قال (ولاتقولنّ الخ) * يقول العلماء رحمهم الله تعالى إن هذا تأديب من الله لنبيه ﷺ حين قالت العرب باشارة اليهود ماتقدّم من طلب الامور الثلاثة فقال إئتونى غدا أخبركم ولم يقل ان شاء الله أى ولاتقولنّ لأجل شئ تعزم عليه إنى فاعل ذلك الشئ غدا إلا حال كونك متلبسا بمشيئة الله أى قائلا ان شاء الله (واذكر ربك) أى مشيئته وقل ان شاء الله (اذا نسيت) أى اذا فرط منك نسيان لذلك أى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تذكرتها فتداركها بالذكر مادمت فى المجلس عن الحسن و بعد سنة عن ابن عباس وفى أقرب زمن عند بعضهم والأحكام الفقهية مبنية على أن يكون الاستثناء متصلا

﴿ حكاية ﴾

حكى انه بلغ المنصور أن أباحنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضى الله عنهما فى الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال له أبوحنيفة هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك هذا هو الذى يقصده هذا الذى وشى بى اليك فاستحسن كلامه وأمر أن يخرج الطاعن فى الامام من عنده • انتهت الحكاية

﴿ وجوه أخرى فى الآية ﴾

(١) واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء

(٢) وصل صلاة نسيتها اذا ذكرتها

(٣) اذا نسيت شيأ فاذكره ليذكرك المنسى

أقول وهذه الأخيرة جرّبتها فتذكرت مانسيت وكان الذكر بلفظ يارب . واعلم أن هذه القصة المذكورة جيء بها كما تقدّم على أنها ليس العجب خاصا بها بل أعجب منها عجائب الله فى الأرض والسماء فما على الأرض من نبات وحيوان الخ أعجب . ومافى الفلك من بهجة أجل وأبهر وأبهى من خوارق العادات فى هذه القصة أوفى غيرها ولذلك أتبعهما بعده فأمره ﷺ أن يسأله تعالى فقال (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) أى لأظهر دلالة على أنى نبىّ من نبأ أصحاب الكهف الذى هو عبارة عن حديث جرى لأمم النصارى مع ان آيات الله لاتتناهى فى أرضه وسمائه فهو قادر أن يعطينى منها مايشاء ولذلك أجاب دعاءه حالا وأنزل عليه (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مئة) وأبدل منها لفظ (سنين) وقرئ بالاضافة على وضع سنين موضع سنة التى هى الأصل فى تمييز المائة . يقول الله اخبارا من عنده ولبث أهل الكهف الى يوم النبوّة المحمدية ثلثمائة سنة وتسع سنين . ولما سمع أهل الكتاب وهم نصارى نجران ذلك قالوا أما الثلثمائة فقد عرفناها وأما التسع فلاعلم لنا بها فقال الله له (قل الله أعلم بما لبثوا) كما قلنا لك من قبل ــ فلاتمار فيهم إلا مراء ظاهرا ــ الخ لأن المقام مقام اعتبار وحكم والمشاغبة والجدال يضيع المقصود من الرسالة ومن العلم . ثم اعلم أيها الفطن أن هذه معجزة أهم من ذكر قصة أهل الكهف لأن الله يقول أيها الناس هذا النبىّ الأمى الذى لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس علم الحساب ولاالهندسة ولاالفلك من أين جاء له أن كل ثلثمائة سنة تزداد تسع سنين ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ من أين عرف أن كل مائة سنة شمسية تزيد ثلاث سنين قمرية وكل ثلاث وثلاثين سنة شمسية تزيد سنة قمرية وكل سنة شمسية تزيد نحو (١١) يوما . من أين جاء له ذلك وهو لم يدرس ذلك وكيف ينزل عليه لفظ ــ وازدادوا ــ ليفصل بين الزيادة فى القمرية والمزيد عليه فى الشمسية . هل هذه رمية من غير رام . واذا وقف أهل نجران وقالوا لانعرف التسع ونعرف الثلثمائة أفلايتفطن الناس لهذا القول و يعرفوا أن هناك معانى وأن أهل عصر النبوّة عجزوا عن فهم مثل هذه الامور . واذا كان حبر عظيم من أكبر علماء الاسلام كالعلامة الرازى رحمه الله يقول ان الحساب لايوافق هذا القول فكيف بغيره من الذين لاعلم لهم . فاذا كان فلاسفة الاسلام وحكماؤهم يترددون فى هذا القول من حيث السنين الشمسية والقمرية و يقولون ليس ذلك حقيقة فكيف بغيرهم ممن لاعلم لهم بحساب ولافلك . ولقد أريتك الحقيقة ناصعة كما أثبتها المحققون وقرأناه فى الفلك وأصبح معلوما مشهورا عند علمائه . أفلاتعجب من حكمة عالية وآيات ظاهرة وعجائب باهرة . إذن عرفت كيف هداه الله لأقرب من هذا رشدا وكيف لفت الأنظار الى علم ماعلى الأرض من زينة لها كضوء الشمس المشرق على وجهها وحسابه وزينته ومانتج عن الضوء من بهجة الأرض وزينتها لأنه لولا اختلاف الفصول لم تكن للأرض زينة ولا اختلاف للفصول إلا بتقلب الشمس وطلوعها من حيث لاتمسى وتنقلها فى البروج فهذا التقلب هو الذى يعطى الأرض زينتها فما من دابة ولاحيوان ولاجمال إلا وكان أسه ضوء الشمس الذى أرسله الله الى الأرض كما يرسل نبينا ﷺ ليهدينا للعلم و يقول لنا ان النظر فيما على الأرض من زينة الناجم من ضوء الكواكب أقرب رشدا من قصص الأوّلين وحكايات الغابرين وان ماترونه فى هذه الأرض أبهر وأجل من كل مايصدر من خوارق العادات فكم فى العوالم المحيطة بكم من خوارق فاياكم أن تذروها ابتغاء مايقع على يدى أنبيائكم وأوليائكم فانى أرسلت الأنبياء ليرشدوكم الى ملكى حتى انى لم أشغلكم بما جاء على يدى المختارين منكم لأن ذلك يسير بالاضافة الى عجائبى فى خلقى وما الأنبياء والأولياء إلا بعض خلقى . فخلق السموات والأرضين أكبر من خلق الناس . فانظروا فيما هو أكبر والأنبياء ماجاؤا لكم إلا ليرشدوكم الىّ والى نظامى وعجائبى فاذا قصرتم عقولكم على بعض مايقع لهم كنتم غافلين عما هو أقرب رشدا . وسيأتى ايضاح هذا المقام فانتظر يسيرا ترالعجب العجاب . واعلم أن هذا ينافى ماجاء فى القصة وهو أن ثلثمائة سنة كان آخرها العثور عليهم وقت أن بنوا المسجد ولكن القصة فيها تساهل والحكايات يدخلها التحريف فالقول أن المدة

الى زمن النبوّة أقرب الى التاريخ وهى المنقولة عن كثير من العلماء ورجحوها ثم قال تعالى (له غيب السموات والأرض) أى ماغاب وخفى فيهما ومن ذلك الغائب على كثير من العقول حساب السنين الشمسية والقمرية غيبه الله عن بعض الناس حتى يطلع عليه العارفون بحساب الفلك فيعجبون من أمر نبيهم و يعلمون أن هذا مبدأ زينة الأرض وزخرفها و يتعجبون ويدرسون العلوم المتعلقة بهذا التى مبدؤها العلوم الرياضية ونهايتها العلوم الطبيعية أى انى أعلم غيب السموات والارض وغيبها هوماغاب عن العقول وسأفطن لها الأجيال المقبلة حتى يدرسوا الرياضة التى أشرت لها بالسنين المذكورة ونتيجة الأضواء والشموس زينة الأرض وهى علوم الطبيعة (أبصر به وأسمع) أى ما أبصر الله وما أسمعه صيغة تعجب من أن الله يسمع و يبصر مالاعلم لنا به وهوخارج عن ادراكنا (مالهم) لأهل السموات والأرض (من دونه من ولىّ) من يتولى أمورهم (ولايشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولايجعل له فيه مدخلا . ومثل هذا القول لايذكر عادة فى القرآن إلا عند الامور العظيمة للتنبيه على مافيها من خفايا وقد أرشدك الله اليها فى هذا التفسير كأنه يقول انظروا فى جمال الفلك وحسابه ونتائج الاشراق وجمال زينة الأرض التى جعلتها لكم ابتلاء واختبارا لعقولكم وأعمالكم فلتجدّوا فى العلوم لتعرفونى ولتكونوا أقوياء فى الأرض

أيها المسلمون . هذا أوانه وهذا أوان ظهور مقاصد القرآن وعلومه وقد أرشد الله كتاب الاسلام أن يظهر الله على أيديهم غرائب القرآن لتتجهوا الى عجائب ربكم فى أرضه وسمائه والله ولىّ حميد . واعلم أن الكلام على مازينت به الأرض المذكور فى أوّل السورة جاء فى ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل ﴾ قصة أهل الكهف وانها أقلّ عجبا من زينة الأرض وما عليها

﴿ الفصل الثانى ﴾ حساب السنين الشمسية والقمرية وجمالها و بدائعها وهذا أوّل قطرة من بحر الزينة الفائض وهى مجملة وقدّمت لأنها أصل ماعلى الأرض كما تقدّم فى أن النيل والفرات جا آ من الحركات السماوية

﴿ الفصل الثالث ﴾ ايضاح المقام بذكر أن القلوب ﴿ قسمان ﴾ قسم غافل وقسم مستبصر فالمستبصرون يفكرون والغافلون يطلبون الزينة المذكورة فى أوّل السورة للشهوات والحياة الدنيا الى قوله ـ وساءت مرتفقا ـ

﴿ الفصل الرابع ﴾ دخول فى المقصود فعلا وايضاحه بضرب مثل لرجلين فأحدهما له بستان والآخر لابستان له واغترار الأوّل وتبصر الثانى . فهذا بيان لمن غفل قلبه فتعلق بظاهر الزينة ومن فكر قلبه فعرف حقائقها وفناءها الى قوله ـ وخير عقبا ـ

﴿ الفصل الخامس ﴾ فى استخراج النتيجة كما هى والرجوع لأوّل السورة إذ ضرب مثل الدنيا بمثل النبات يخضر ثم يصير هشيما تذروه الرياح وأن المال والبنين كالنبات كلاهما متاع الحياة الدنيا ذاهب أيضا كما يذهب النبات فالمدار على الحقائق لا المظاهر . ثم أتبع ذلك بذكر خراب الأرض وذهاب الجبال وقراءة الناس كتبهم وذكر ابليس وعصيانه الذى هو أصل هذه الأخلاق وأن هؤلاء الضالين المضلين ومن تبعهم لايعرفون حقائق الأشياء فى السموات والأرض الى آخر ماسيأتى

﴿ تفسير كلمات الفصل الثالث ﴾

قال تعالى (من كتاب ربك) القرآن (لا مبدّل لكلماته) لا أحد يقدر على تغييرها (ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) احبسها وثبتها (بالغداة والعشىّ) أى فى جميع أوقاتهم أوفى طرفى النهار (يريدون وجهه) رضا الله تعالى (ولاتعد عيناك عنهم) أى لاتجاوزهم عيناك * يقال عداه جاوزه ولكن عدى هنا بعن لتضمن معنى نبا يقال نبت عنه عينه اذا لم تبصره (تريد زينة الحياة الدنيا) فى موضع الحال (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر كأمية بن خلف لما دعاك الى طرد الفقراء من مجلسك ليحل محلهم صناديد قريش (واتبع هواه) فى طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) مجاوزا الحق

مخالفا

مخالفاله (وقل) يامحمد (الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله لا مايقتضيه الهوى (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا أبالى بايمان من آمن ولا بكفر من كفر (أعتدنا) هيأنا (سرادقها) فسطاطها فقد شبه مايحيط بهم من النار بالسرادق أوالسرادق الدخان لأنه محيط بالنار وبهم فيها فهو كالفسطاط من وجه الشمول والاحاطة (وان يستغيثوا) من العطش (كالمهل) هودردى الزيت أوماأذيب من الجواهر المعدنية كالرصاص والنحاس (يشوى الوجوه) أى ينضج الوجوه من حرّه (بئس الشراب وساءت) فعلان للذم والمخصوص بالذّم المهل والنار (مرتفقا) متكأ بجىء به لمشاكلة قوله ـ وحسنت مرتفقا ـ فى الجنة (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) أى لانترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم بأعمالهم الصالحة (أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الأنهار) خبر ـ إنّ الذين آمنوا ـ وجلة ـ إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ـ اعتراضية وقوله (يحلون فيها من أساور من ذهب) خبر ثان من الأولى ابتدائية والثانية للبيان بين الأساور بأنها من الذهب أى أساور كائنة من ذهب وهى جمع اسورة جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لأن الخضرة أوفق للابصار ولذلك جعلها الله عامّة فى النبات وزين بها الأشجار كما لوّن السماء بالزرقة وهما معا مقبولان نافعان لابصار الحيوان (من سندس وإستبرق) مارقّ من الديباج وماغلظ منه (متكئين فيها على الأرائك) السرر (نعم الثواب) الجنة (وحسنت) الأرائك (مرتفقا) متكأ . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع . ضرب المثل ﴾

قال تعالى (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن والمتبصر والغافل أى و بين لهم الخ صفة (رجلين) أخوين فى بنى اسرائيل أومن مكة (جعلنا لأحدهما جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم (وحففناهما بنخل) أى وجعلنا النخل محيطا بهما * يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم أى جعلتهم حافين حوله وهو متعدّ الى مفعول واحد وتزيده الباء مفعولا ثانيا (وجعلنا بينهما زرعا) أى جعلناها أرضا جمعت القوت والفاكهة وهى متواصلة متشابكة فليس هناك مايقطع شكلها الحسن الجميل البهيج (كلتا الجنتين آتت) أعطت وجاء الخبر على لفظ ـ كلتا ـ وهومفرد و يصح أن يراعى المعنى فى اللغة (أكلها) ثمرها (ولم تظلم منه شيأ) ولم تنقص من أكلها شيأ . ثم ذكر ماهو أصل هذا الخير والبهجة فقال (وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما ولتظهر بهجتهما ووجود النهر مما يجعل الثمر لاينقص (وكان له ثمر) أى وكان لصاحب الجنتين مال سوى مافى الجنتين * يقال ثمر ماله اذا كثره فهوالأموال الكثيرة المثمرة من الذهب والفضة وغيرهما (فقال له صاحبه وهو يحاوره) يراجعه الكلام يقال حار يحور اذا رجع * يقال ان هذين الرجلين هما قطروس وهوكافر و يهوذا وهومؤمن ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما الى ماحكاه الله أوهما أخوان من بنى مخزوم ولايهمنا شئ من ذلك لأن الآية تسرى على كل اثنين هذه صفتهما وهذه حال عامّة والناس فى كل جيل يحسون بهذه المعانى و يتعالى الغنى على الفقير غرورا وجهالة ولوكانا مؤمنين على سبيل الغفلة والمؤمن قد تكون له جهالة تنسيه الآخرة وايمانه لايمنعه من الغفلة . فقال صاحب الجنة لصاحبه (أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا) حشما وأعوانا وأولادا ذكورا لأن هؤلاء ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها و يفاخره بها (وهوظالم لنفسه) ضارّ لها بعجبه وبكبره وكفره (قال ما أظنّ أن تبيد) تفنى (هذه) الجنة (أبدا) لطول أمله وتمادى الغفلة (وما أظنّ الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدنّ خيرا منها) أى يعطينى هنالك خيرا منها وهولم يعطنى هنا إلا لأنه يعطينى هنالك (منقلبا) مرجعا (قال له صاحبه) المؤمن (وهو يحاوره) كيف تقول ـ وما أظنّ الساعة قائمة ـ (أكفرت بالذى خلقك من تراب) وذلك التراب تغذى به وبالماء النبات والحيوان فأكله أبواك فولداك وأكلته أنت فكان منه الدم فصرت بشرا سويا وهوقادر أن يخلقك مرة أخرى

كما خلقك هذه المرة بهذا النظام وهذا قوله (ثم من نطفة ثم سوّاك رجلا لكنا) أى لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل حركتها الى ماقبلها وحصل الادغام * وقرئ — لكن أنا — على الأصل (هوالله ربى) الضمير للشأن (ولا أشرك بربى أحدا * ولولا) هلا (إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) أى الأمر ماشاء الله مبتدأ وخبر أوماشاء الله كان على انها شرطية (لاقوّة إلا بالله) اقرارا بأن عمارتها لم تكن بقوّتك بل بقوّة الله (إن ترن أنا أقلّ منك مالا وولدا) ولذلك تكبرت علىّ (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا والآخرة (ويرسل عليها) على جنتك (حسبانا) جمع حسبانة أى صاعقة (من السماء فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الأرض فهو مصدرا وصف به (فلن تستطيع له طلبا) أى للماء الغائر . فلخص المحاورات ﴿ ثلاث ﴾ الافتخار بالمال والأعوان والأمل الطويل ببقائها وانكار الساعة . هذه هى المقالات التى قالها الكافر والاجابات ثلاث على نظام عكسى إذ قال صاحبه — أكفرت بالذى خلقك — الخ ردّا على الثالث وقوله — ولولا إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله — ردّا على الثانى وهو — قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبدا — وقوله — إن ترن أنا أقلّ منك مالا وولدا — ردّ على قوله — أنا أكثر منك مالا وأعزّ نفرا يقول له هذا لايدوم وزخرف الحياة ذاهب لا بقاء له وكل هذا تطبيق على القاعدة التى فى أوّل السورة . ثم تمّ ماقال له صاحبه إذ هلك ثمره قال تعالى (وأحيط بثمره) أى أهلكت أمواله أى أحاط الهلاك بثمر جنتيه فوقعت عليها نارمن السماء وغار الماء (فأصبح يقلب كفيه) أى يصفق بكف على كف أو يقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) أى فأصبح يندم على ما أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ان عروشهاسقطت على الأرض وسقطت الكروم عليها وهو يقلب كفيه (ويقول ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) هناك تذكر موعظة أخيه (ولم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) يقدرون على نصرته فيدفعون عنه الهلاك (وما كان منتصرا) أى ممتنعا بقوّته عن انتقام الله (هنالك) فى ذلك المقام (الولاية لله الحق) الولاية بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك فهنالك النصر بيد الله فلافئة ناصرة أوالسلطان والملك له فهو الغالب فمنه النصروله السلطان وحده (هو خير ثوابا) أى أفضل جزاء (وخير عقبا) أى عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره . وهذا نهاية الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس ﴾

قال تعالى (واضرب لهم) أى بين لهم (مثل الحياة الدنيا) أى صفتها الغريبة أو بين ماتشبه الحياة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها . مثلها كائن (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) فاختلط بعضه ببعض وتكاثف بسبب الماء (فأصبح هشيما) يابسا متكسرا واحدته هشيمة (تذروه الرياح) أى تنسفه وتطيره (وكان الله على كل شئ مقتدرا) فهوقادرعلى الافناء والانشاء . شبه الدنيا فى نضرتها وبهجتها ثم تصيرالى الزوال بحال النبات اخضرّ والتفّ وأزهر ثم صارهشيما تذروه الرياح . ثم أخذ يبين المقصود من ضرب المثل فقال (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) لاتنفع فى القبر ولايوم القيامة . وهنا أوضح المقصود من هذا كله فقال (والباقيات الصالحات) أعمال الخيرات التى تبقى ثمرتها للانسان كالصلوات والصدقات والجهاد والحج وفعل البرّ ومساعدة المسلمين جميعا . ومن الباقيات الصالحات ﴿سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاالله والله أكبر﴾ وغيرها وكل كلمة طيبة (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) جزاء (وخير أملا) مايؤمله الانسان . فانظر كيف يقول فى أوّل السورة — إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها — ويذم هنا المال والولد لأنهما من تلك الزينة فالكلام مرتبط بعضه ببعض أيما ارتباط . ثم أخذ سبحانه يزيد المقام ايضاحا فقال (و) اذكر (يوم نسير الجبال) نذهب بها فنجعلها هباء منثورا (وترى الأرض بارزة) ليس عليها مايسترها مما كان عليها من الجبال والأشجار (وحشرناهم) أى الموتى (فلم نغادر منهم أحدا) أى فلم نترك أحدا

يقال

يقال غادره فتركه (وعرضوا على ربك صفا) مصطفين ظاهرين لايحجب أحد أحدا فحالهم أشبهت حال الجند الذين يعرضون على السلطان وقد قلنا لهم (لقد جئتمونا كما خلقناكم أوّل مرة) عراة حفاة لاشئ معكم من المال والولد (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) يقول ذلك يوم القيامة لمنكرى البعث . فههنا سيرت الجبال وبرزت الأرض وحشر الناس عراة بعد ما استبان أن الدنيا لاقيمة لها وذلك على الترتيب الطبيعى ولم يبق إلا عرض الأعمال ولذلك قال (ووضع الكتاب) صحائف الأعمال فى أيمان قوم وشمائل آخرين (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ياهلاكنا كما هو شأن من وقع فى الهلاك (مالهذا الكتاب) يتعجبون من شأنه (لايغادر صغيرة ولا كبيرة) أى أى هنة صغيرة أوكبيرة من ذنوبنا (إلا أحصاها) إلا عدها وأحاط بها لأننا قدّمنا أن النفس أشبه بالزجاجة التى يضعها المصوّر فى صندوق الآلة المصوّرة فكل صورة تقع عليها تحفظها . فهكذا نفوسنا تلتقط كل شئ تحصل عليه من ضار ونافع فاذا كشف الغطاء أبصرنا كل ماعملنا ورأينا صورنا بحالها فتظهر لنا جميع المحاسن وجميع الرذائل فتفعل فى عقولنا فعلها بلا كلام ولا كتابة وكل امرئ يقرأ هذه الكتابة والناس فيها سواء (ووجدوا ماعملوا حاضرا) كيف لا وهو مرسوم واضح (ولا يظلم ربك أحدا) ومن أين يأتى الظلم اذا كانت المسألة صورا مرسومة فى قوالب حافظة لها فليس يمكن الانسان دفعها ولاظلم فى ذلك كما لانعدّ التخمة بعد الأكل الكثير ظلما ولا المرض بعد الشرب من ماء آسن مملوء أدرانا ظلما بل نرى ذلك أسبابا ومسببات . وهنا انتهى مبحث الانسان فى دنياه وآخرته ولما كان ذلك تابعا لعالم ألطف من عالمنا وكان للشياطين مدخل فى كل ماتقدّم أعقبه بذكر ابليس وعصيانه الذى هو قدوة هؤلاء فقال (و) اذكر (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس) لأنه (كان من الجنّ ففسق عن أمر ربه) فخرج عن أمر ربه بترك السجود ولو كان من الملائكة لسجد وقد شرحنا هذا الكلام مرارا فى سورة البقرة وفى غيرها فارجع اليها ان شئت . واذا كانت هذه حاله وقد عصى أن يسجد لأبيكم آدم كما رأيتم الآساد والنمور والحيوانات المحدثة للطاعون خلقت لايذائكم . فعجبا لكم كيف تتخذونه وذرّيته أولياء توالونهم وهذا قوله تعالى (أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دونى) أى أتغفلون وتجهلون فتبدلونهم بى (وهم لكم عدوّ) أى أعداء والجملة حالية (بئس للظالمين بدلا) أى بئس مااستبدلوا ولاية الله بولاية الشيطان . ولاجرم أن عالم الأرواح فيه الأخيار والأشرار والأشرار يلحقون بعالم الجنّ والأخيار بعالم الملائكة وسترى بعضه قريبا كما تقدّم غير مرة فالأرواح الطيبة كالأنبياء والحكماء والملائكة يطلعهم الله على بعض أسرار خلقه والأرواح الشريرة من الناس الذين هم أحياء والذين ماتوا ومن نحا نحوهم من أرواح الشياطين يحجبون عن تلك العوالم وهذا المقام أوضحناه فى سورة البقرة أى مقام الملائكة والشياطين ونحوهما وهذا قوله (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولاخلق أنفسهم) فهم لاعلم عندهم والذى لاعلم عنده بالحقائق كيف تتبعونه وتعماون بما يوسوس به اليكم والمتبوع يجب أن يكون ذا بصيرة ولا بصيرة لهؤلاء كما نرى ذلك عيانا فى الدنيا . فالشياطين المجسمة تراهم لايعرفون شيأ من هذا الوجود إلا طعامهم وشرابهم هكذا ابليس وجنوده فليس لهم علم إلا بالامور التى تحوم حول الاضلال والزخارف (وماكنت متخذ المضلين عضدا) أى أعوانا وأنصارا وهم الشياطين فكيف اتبعوهم أوعبدوا الأصنام على مقتضى وسوستهم (و) اذكر (يوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم) انهم شركائى (فدعوهم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أى فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم موبقا) أى جعلنا بينهم وبين آلهتهم مهلكا يهلكون فيه وهو النار (ورأى المجرمون النار فظنوا) أيقنوا (أنهم مواقعوها) داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أى معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب . وههنا وصل القول الى آخر الأحوال الانسانية . غرور بالحياة وزوال وموت وزوال الجبال وبروز الأرض وحشر وعرض وهم حفاة عراة وكتاب يقرؤنه وحرق المجرم وحضور جميع الأعمال ووسوسة

الشياطين وتوبيخ على اتباعهم وجهلهم وتجريدهم من العلم ودخول النار والهلاك فيها . وهنا قد تم كل مايتعلق بالانسان وأصل هذا كله ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ وهنا أخذ يصف القرآن وآثاره لأن هذه الفصول المتتابعة حوت علما جما وسأنبئك ببعضه فيما يأتى فكان جديرا أن يوصف القرآن بقوله تعالى (ولقد صرّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) أى بينا فيه من كل وجه من وجوه العبر والعلم والمثل هو وصف فيه غرابة (وكان الانسان أكثر شئ جدلا) خصومة بالباطل وجدلا تمييز (ومامنع الناس أن يؤمنوا) أى من الايمان (إذ جاءهم الهدى) وهو الرسول والقرآن (ويستغفروا ربهم) من الكفر والذنوب (إلا) طلب أو انتظار (أن تأتيهم سنة الأوّلين) أى سنتنا فى اهلاك الأوّلين ان لم يؤمنوا وهو عذاب الاستئصال وابادتهم (أو يأتيهم العذاب قبلا) أى عيانا أوجمع قبيل أى أنواعا . ولما كانت الهداية بالقرآن والرسول هو الذى أنزله الله عليه قال بعد أن وصف القرآن (ومانرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات كأن يسألوا عن أصحاب الكهف ونحوهم تعنتا مع ان الأنبياء لم يرسلوا لهذا أى لم يرسلوا للبحث عن غرائب التاريخ ولاغيرها ولكنهم جاؤا ليدربوا الناس على العلم من طرقه وطرقه هى النظر فى الذى فوق هذه الأرض من عجائب فليدرسوها ولايتخذوها للشهوات فحسب ثم ليتزوّدوا من الدنيا ليسافروا الى الآخرة . هذا هو المقصود وقد تقدّم ذلك . فهؤلاء الكافرون يجادلون بالباطل (ليدحضوا به) أى ليزيلوا بالجدال (الحقّ واتخذوا آياتى وما أنذروا) أى وانذارهم (هزوا) أى استهزاء (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكرها (ونسى ماقدّمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يفكر فى عاقبة ذلك أى لا أحد أظلم منه ثم بين سبب ذلك فقال (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) أى ثقلا وصمما (وان تدعهم) يامحمد (الى الهدى) فى الدين (فلن يهتدوا إذن أبدا) وذلك فيمن علم الله انهم لايؤمنون (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذوالرحمة) الموصوف بها (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما فعل مع قريش إذ أمهلهم مع كفرهم (بل لهم موعد) هو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) ملجأ (وتلك القرى) أى قرى قوم نوح وعاد وثمود الخ (أهلكناهم لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى أجلا لاهلاكهم . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأوّل مع بعض تحقيق وهنا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى فى ملخص هذا القسم وبعض مباحثه ﴾

لقد علمت أن هذا القسم من السورة أصل وخمسة فصول . أما الأصل فهو ـ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ـ الى قوله ـ أسفا ـ . وأما الفصول الخمسة فقد بينا انها (١) قصة أهل الكهف (٢) وحساب السنين (٣) وبيان القلوب الفاضلة وغيرها (٤) ومثل الرجلين المتحاورين (٥) ومثل الحياة الدنيا وقد تقدّم ذلك فلنبدأ الكلام على الأصل الذى بنيت عليه تلك الفصول فأقول

ليكن الكلام عليه من وجوه

(١) وجه اتصال السورة بما قبلها فوق ماتقدّم فى أوّل السورة

(٢) وبيان الحمد فيها والسور التى فى أوّلها الحمد وما القصد من ذلك

(٣) وبيان أن ماعلى الأرض زينة لها

﴿ الوجه الأوّل اتصال السورة بما قبلها ﴾

(١) لقد تبين فيما تقدّم أن سورة الاسراء بدئت بخلوص أكبر نفس بشرية من علائق المادّة حال كونها فى عالمنا وارتقت طبقا عن طبق تدريجا حتى جاوزت الأفلاك والسبع الطباق وذلك راجع لصفاء النفس وخلوصها

من كثافتها سواء أكان الجسم يسرى ليلا مع الروح أم لا فالأمر واضح إن المقام مقام تجرّد النفوس عن العلائق المادّية وقد جاء فيها الكلام على الروح وانها من أمر ربى فهى من عالم الأمر لامن عالم الخلق الذى له طول وعرض وعمق وفيها — قل كونوا حجارة أوحديدا الخ — وملخص ذلك أن السورة فى أوّلها وفى آخرها تمهد وتبرهن على البعث وانتقال الأرواح من هذا العالم الى عالم غيره نعيم أوجحيم

(٢) وهذا القسم من هذه السورة مباحثه كلها فى مسألة البعث وانتقال الروح الى ذلك العالم فان قصة أصحاب الكهف ماقصت فى القرآن ولاجاءت فى الكتب السابقة عند الأمم الخالية إلا للبرهنة على بقاء أرواحنا و بعثها ولقد علمت كيف كانت الفصول الخمسة متلاحقة لاثبات ذلك

(٣) وأيضاجاء فى سورة الاسراء السابقة انهم قالوا — لن نؤمن لك حتى تفجرلنا من الأرض ينبوعا — الخ وهكذا هنا طلبوا قصص أهل الكهف تعنتا فأراهم فى كلتا الحالين أن هذا غيرالمطلوب والمهم العلم بالنظام والعجائب فيه

(٤) الوجه الثانى والثالث قوله — الحمد لله — ومابعده . ابتدأ الله هذه السورة بالحمد لله وهكذا الفاتحة وسورة الأنعام . يقول فى الفاتحة الله يستحق الحمد لأنه ربى العالم كله من نبات وحيوان وانسان وقد شرحناه هناك ومعناه لتكونوا دارسين للتربية التى نظمها فى هذه الكائنات حتى يكون الحمد على نعم عرفتموها وتكون قلوبكم مماوءة بحبه وحمده واعظامه لابمجرّد اللفظ . وقال فى سورة الأنعام ليكن حمدكم على أنى خلقت السموات والأرض وجعلت الظلمات والنورفلتكونوا دارسين لنظامهما وجمالها وآثارهما ونواميسهما حتى يكون الحمد على علم . وقال هنا لتحمدونى على القرآن وانزاله على محمد ﷺ وهذا الكتاب فيه الانذار والتبشير وفيه ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها . فاذا كان ماعلى الأرض زينة لها ثم يكون معدوما فهو ﴿لثمرتين * الثمرة الأولى﴾ أن لاتحزن يامحمد فان كل شئ هالك وسيزول عنك هذا الألم بمفارقة هذه الدنيا فلاتحزن على عدم ايمانهم ﴿والثمرة الثانية﴾ أن كل ذلك عجب فآل الأمر الى أن الحمد على انزال القرآن يدخل فيه الحمد على عجائب هذه الدنيا وغرائبها العلمية فأصبحت الفاتحة والأنعام والكهف من حيث الحمد فى أوائلها ترجع الى أن المسلم يحمد الله على هذه الكائنات وتربيتها وأنوارها وظلماتها وعجائبها وعلى القرآن ومعانيه فآل الأمر الى أن القرآن يوجه الهمم الى درس هذه الدنيا وعجائبها . وههنا ﴿فريدتان * الفريدة الأولى﴾ فى قوله تعالى — الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا * قيما — ﴿الفريدة الثانية﴾ فى قوله تعالى — إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا * أم حسبت — الخ

﴿ الفريدة الأولى ﴾

وصف الله الكتاب بأنه لاعوج فيه فلا لفظه مختل ولامعانيه متنافية ولادعوته منحرفة عن جناب الحق وفوق ذلك هو معتدل لا افراط فيه ولا تفريط وقائم بمصالح العباد . فاذا كان كاملا بالوصف الأوّل فهو مكمّل بالوصف الثانى . فهنا أقول اللهم إن هذا وصف كتابك فكتابك لانقص فيه فهوكامل وهومكمل وهومعتدل . ولقد حرت فى أمرى حينما نظرت فى هذه الدنيا . ولما دخلت الجامع الأزهر وأخذت عن شيوخى الفضلاء عجبت يارب من نظام هذه الدنيا ورأيت نظام التعليم فى الأمم الاسلامية عموما لايوافق كتابك ولانظام حقولك ومزارعك التى أنعمت بها على الناس جميعا فقد كنت حينما أذهب الى بلاد الريف والقرى أفكر بنفسى فى هذه الدنيا وأبحث عن خالقها ومدبرها ذلك المتكبر المتعال القهار الذى لايرينا ذاته وقد احتجب عنا فكنت لا أذر زهرا ولاثمرا ولافاكهة ولا أبا ولالونا لنبات ولارائحة لأمثال الورد إلا فكرت فى أمرها ودرستها دراسة نظرية بلامرشد ولامعلم وكنت أقول من هذا فليدرس الانسان ومن هذا فليكن العلم

وتارة أنظر فى السحاب المسخر بين السماء والأرض وما ينزل من المطر . وآونة أفكر فى سير الشمس وكيف اختلفت الفصول باختلاف قربها و بعدها عنا . وكيف كان هذا الزرع والثمر يتبع ضوء الشمس وهكذا مما كتبته فى كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾ ثم نظرت فى أحوال الأمم الاسلامية كما ذكرته كثيرا فى هذا التفسير فوجدتهم مختلفين اختلافا بينا فما تركت صوفيا يمرّ ببلادنا إلا جلست أمامه طالبا اليقين ولاعالما دينيا إلا سألته عن الحقائق وهكذا كانت هذه حالى مدّة الشباب فقد رأيت اختلافا بينا فأما أكثر الصوفية فهم يذمّون العلوم الشرعية و يقولون العلم حجاب و يظهرون بهيئة الوقار والخشوع و يقولون ان عندهم أسرارا وهكذا رجال الدين أكثرهم يقولون ان أكثر هؤلاء جهال . ثم انى بعد هذه الحيرة قرأت العلوم التى تدرس فى الأمم المحيطة بنا وذلك فى (دار العلوم) وهذا دأبى الى الآن . وقد كتبت فى سورة (آل عمران) مافتحت به علىّ عند آية — ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب — إذ بينت بما شرحت به صدرى أن علماء الدين وعلماء الصوفية والعباد والأغنياء جميعا مقصرون نقلا عن الامام الغزالى رحمه الله تعالى لأن الأمّة انقسمت وصارت فرقا وشيعا وكل حزب بما لديهم فرحون ولم أجد سبيلا لانقاذ الأمّة من هذا التفرّق إلا بأمر واحد وهو الذى كنت عليه أيام الشباب أى البحث فى نظام العالم الذى نعيش فيه . فالصوفى والفقيه والعابد والغنى بالمال كل هؤلاء لامندوحة لهم عن دراسة العلوم التى تدرس فى المدارس الثانوية فى الأمم المحيطة بنا وهذه هى الطريقة المثلى التى بها تعتدل العقول الاسلامية فى العالم الذى نعيش فيه و يشاركون غيرهم . فكتاب الله لاعوج فيه وهو مكمل لأتباعه قائم بمصالحهم فى هذه الحياة الدنيا وفى الآخرة . ومن أراد المزيد فليقرأ هذا المقام هناك

ثم انى أقول الآن . لقد نظرت نظرا عاما فى أمر الأمم الاسلامية بعد ماتقدّم فكنت أقول ياليت شعرى لماذا أرى رسول الله ﷺ وأصحابه فى القرون الثلاثة لا نسمع عنهم مانقرؤه عن المتأخرين من الصوفية بعد الصدر الأوّل . أرى رسول الله ﷺ يأكل و يشرب و يتزوّج وهكذا أصحابه والتابعون فلماذا أرى المسلمين بعد الصدر الأوّل قد اختطوا خطة أخرى فنهم من يأمر تلاميذه بالجوع تدريجا حتى يأكل كل أربعين يوما مرة واحدة و يترك بعضهم المال فلايقتنيه . و بعضهم يصير عالة على الناس وهكذا مما هو ظاهر معلوم بل بعضهم يرقصون رقصا دينيا وهم المولوية وقد رصدت لهم الأوقاف فى مصر حتى ان ناظر الأوقاف أخبرنى بأن لهم (٧٠) جنيها كل شهر من الأوقاف . ثم فكرت فى هذا الأمر فوجدت المسيحيين سبقونا بأمر يشبه هذا وذلك هو الذى ستراه فى سورة الحديد من معجزات القرآن الكريم إذ يقول تعالى — ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم — والرهبانية من الرهبة والخوف إذ كان رجال الدين المسيحى يخافون من الملوك الوثنيين فكانوا يزهدون و يتركون التزوّج و يعتكفون فى الجبال و يبنون هناك الصوامع فهؤلاء الرهبان لم يتعلموا ذلك من المسيح وانما ابتدعوه ابتداعا اضطروا اليه اضطرارا والله يقول — ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله — وهذا هو الذى جاء به الكشف حديثا فانك سترى ما أسأنقله هناك من كتاب ﴿ الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ﴾ الذى ألف فى عصرنا الحاضر من أن عالما دينيا مصريا فى القرن الثالث المسيحى هو الذى خاف من جهره أن يقول للحكومة المصرية إذ ذاك انه من أتباع المسيح فتزهد وترك النساء وعبد الله فى الجبال فنجا . ثم ان هذه البدعة صارت من قواعد الدين . و يقول المسيحيون القبط بمصر انهم لم يعرفوا هذه الحقيقة إلا فى أيامنا هذه ونحن نقول ان هذه من أكبر المعجزات فى الاسلام فان هذا الابتداع لم يعرفه الناس إلا فى هذه الأيام مصداقا للقرآن . والمهم فى هذا المقام أن أقول فلعل ابتداع تقليل الأكل واعتزال الناس وترك المال بعد القرون الثلاثة الأولى فى الاسلام كان أشبه بما ابتدعته النصارى من الرهبنة فأولئك ابتدعوا الرهبنة للفرار من ظلم الملوك فصارت من الدين وهؤلاء ابتدعوا تقليل الطعام والاعتزال عن الناس والبحث عن الأسرار إذ وجدوا الشهوات قد اغتالت الأمم الاسلامية . واذا قال الله تعالى فى الرهبان

ـ فما رعوها حقّ رعايتها ـ فهل المسلمون راعوا التصوّف حقّ رعايته . المسلمون ابتدعوا طرائق حديثة فى التصوّف غير طرائق أكابرهم الذين ذكرهم القشيرى فى القرن الرابع فى رسالته . فهل هذه الطرائق التى ابتدعوها راعوها حقّ رعايتها . ألم تنحرف انحرافا قليلا أوكثيرا بعد القرون الأولى بل ألم يكن أكثر العاطلين والجاهلين وعباد المال والمناصب والمرشدين للفرنجة أن يحتلوا البلاد منهم . نعم هذا هوالذى حصل فى أمم الاسلام حقا وصدقا . إن كثيرا من الصوفية قد تنعموا وعاشوا فى رغد من العيش وأغدق الناس عليهم المال من كل جانب وجبيت اليهم الثمرات . وهوت اليهم القلوب . لما ركز فى النفوس من قربهم الى الله . فلما راوا الفرنجة أحاطوا بالمسلمين لم يسعهم إلا أن يسلموا لهم القياد ليعيشوا فى أمن وسلام وهذا هو الذى حصل فى أيامنا وذكره الفرنسيون فى جرائدهم قبل الهجوم على مراكش وقرأناه نحن فيها إذ صرحوا بأن المسلمين خاضعون لمشايخ الطرق وأن الشرفاء القائمين بالملك فى تلك البلاد ورجال الصوفية هم الذين يسلمونها البضاعة فعلى رجال السياسة أن يغدقوا النعم على مشايخ الطرق وعلى الشريف الذى يملك السلطة فى البلاد . وقالوا هكذا بصريح العبارة ﴿ إن هؤلاء جميعا متمتعون بالعيش الهنىء ورغد المعيشة فى ظلال جهل المسلمين وغفلتهم فتى أكرمناهم وأنعمنا عليهم فهم يكونون معنا ويشاركوننا فى جرّ المغنم وبصريح العبارة يكونون أشبه بالغربان والنسور والعقبان التى تأكل مافضل من فرائس الآساد والنمور ﴾ ولقد مرّ بعض هذا فى سورة البقرة ولكن الكلام هنا أوضح لاسيما ماستراه فى نفس هذه السورة عند قوله تعالى ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ فسترى هنالك مسألة حسن بن الصباح وتعاليمه ومنعه الناس من قراءة العلوم وأن طريقته لاتزال متبعة الى الآن فى الهند . أقول هذا هو الذى كتبوه فى جرائدهم وقرأناه فى زمن الشباب ولقد نفذه الفرنسيون بالدقة وملكوا البلاد وتعاونت أمم الفرنجة على ابتلاع تلك الممالك . حجة الله لاتزال قائمة على عباده فهل تحبّ أيها الذكى أن أسمعك بعض مااطلعت عليه بعد ذلك . لقد ذكرت لك فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ـ إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ـ أن صاحب كتاب ﴿ الابريز ﴾ الفاضل الشيخ أحمد بن المبارك تلقى عن شيخه الأمى علوما وذكرت بعضها هناك . فلعلك تسرّ اذا رأيت ماذكرناه هنا بطريق الاستنتاج قد صرّح به ذلك الصالح الأمى . الله تعالى هوالذى أرسل نور الشمس والمطر والهواء فالنور دائم والهواء محيط بنا . إن النعم تحيط بالناس ومن اطلع على هذا التفسير أيقن أن الله لم يذر نملا ولاحشرات ولاحيوانا ذرّيا لاتراه العيون إلا دبر أمره تدبيرا خاصا . فاذا كان الله عزّوجل حاضرا عند كل حيوان صغير فهو لاجرم يراعى أمّة الاسلام فى كل زمان ومكان . علم الله أن الجهل فشا فى الاسلام وقل العلماء بعد ذهاب الدولة العباسية وأخذ الناس العلوم عن جهال المجاذيب ومشايخ الطرق فألقوا اليهم الأكاذيب والأساطير والخرافات باسم الدين . فماذا فعل الله تعالى تلقاء هذا . ألهم رجلا لاعلم عنده بالدين أن يعلم أكبر كبار علماء الاسلام فى ذلك الوقت وأفاض عليه العلم حتى يأخذ المسلمون عنه العلم وذلك فى القرن الثانى عشر الهجرى وذلك ليس أمرا بدعا فان علم الأرواح أثبت اتصال الناس بالأرواح . وقد اشتهر فى أمريكا وأوروبا هذا العلم فاقرأه فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ تأليفى فهناك ترى غلاما صيرفيا جاهلا أكمل رواية مات مؤلفها قبل اتمامها فى جلسات روحية بحيث يمسك القلم وروح المؤلف الذى مات قدسلطت عليها وكتبت فوق ألف صفحة وانتشرت تلك الرواية وذلك كثير مشهور . علم الله أن بلاد الاسلام خلت من الحكمة والنابغون من المسلمين كالعلامة أحمد بن المبارك بمراكش قد درسوا كتب الفلسفة القديمة وتضلعوا من العلوم الشرعية فألهم الله ذلك الأمى الشيخ عبد العزيز الدباغ علوما تظهر بعض الحقائق والذى يهمنا فى هذا المقام أن نذكر ما جاء عنه فى أمر الصوفية وتاريخهم . ومامثل هذا الشيخ فى ظهور العلم على يديه بلامعلم فى الأمّة الاسلامية إلا كمثل الدين الاسلامى فى الديانات مع الفرق بينهما وانما هوتنظير لاغير فان الكشف الحديث قد أظهر أن أديان الأمم

مقتبسة بعضها من بعض وأن التثليث متوارث ينقله كابر عن كابر كما تقدم فى آخر سورة (المائدة) وكما سيأتى فى سورة (مريم) فالذى فى (المائدة) أن التثليث دين هندى والذى فى سورة (مريم) أن التثليث دين بابلى آشورى وفى الوصفين ايضاح تام منقول من الآثار التى عرفت حديثا فاقرأه تر العجب العجاب

هنالك أرسل الله نبيا أميا لم يقرأ تلك الديانات لئلا تعلق بذهنه فتمنع عنه قبول الوحى فصدع بالحق وقال أيها الناس الله واحد . فهكذا هذه الأمة الاسلامية علم الله أن كل عالم اسلامى لايقرأ إلا كتب أسلافه المصنفة فى الاصول والفقه و بعض شذرات من الفلسفة القديمة المضادة للدين . هنالك أفاض بعض العلوم على قلب هذا الشيخ الذى لم يتعلم فأدهش علماء الاسلام . وسأنقل فى هذا الكتاب بعض ماقاله مما لم يكن معروفا إذ ذاك وظهر فى الكشف الحديث ان شاء الله تعالى . وأنقل هنا مايناسب مانحن فيه وهو ماجاء فى صفحة ١٩٣ من الكتاب

سأل (الشيخ الدباغ) بعض الفقهاء عما قاله الشيخ (زروق) أن التربية انقطعت بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولانقصان الخ . فأجابه بما ملخصه ان مقصود التربية تطهير الذات بازالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عنها ثم قسم الطرق لقطع علائق الباطل الى ﴿ثلاثة أقسام * القسم الأول﴾ طريق السلف الصالح فقد كانوا فى القرون الثلاثة الأولى لايصرفون وقتا فى تطهير نفوس تلاميذهم قال وانما يلقى الشيخ مريده وصاحب سره ووارث نوره فيكلمه فى أذنه الخ ﴿القسم الثانى﴾ ما كان بعد القرون الثلاثة الأولى إذ فسدت النيات وعمت الشهوات الخ فأمروهم بالخلوة و بالذكر و بتقليل الأكل لينقطع بالخلوة عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى و بالذكر يزول الكلام الباطل واللهو واللغو و بقلة الأكل تقل الشهوة فيرجع العقل الى التعلق بالله ورسوله الخ ﴿القسم الثالث﴾ قال لما اختلط الحق بالباطل صار أهل الباطل يربون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون الى ذلك عزائم واستخدامات تفضى الى مكر الله واستدراجاته . ثم قال إن الشيخ (زروق) لما رأى هذا نصح بالرجوع الى الكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقص . قال وهذا خرج مخرج الاحتياط والافالبركة باقية الى يوم القيامة الخ . انتهى باختصار جامع لما فيه من المعانى

﴿ سؤال آخر من هذا الفقيه ﴾

وجاء فى صفحة (١٩٦) أن هذا الفقيه سأله أيضا قائلا ﴿أيهما أفضل أطريق الشكر أم طريق المجاهدة والأولى طريقة الشاذلى إذ يأمر بالشكر والفرح والثانية طريق أبى حامد محمد الغزالى وهذه الطريقة تحث على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع﴾ فأجابه بأن كلا من هاتين الطريقتين لها فضل ولكنه فضل طريقة الشكر على طريقة المجاهدة . وجعل ان المجاهد بالسهر والجوع وقلة الطعام يعانى مايعانى ليصفى نفسه قاصدا أن يفتح الله عليه فيطلع على مالايعرفه غيره . أما طريقة الشكر فهى التسليم لله وذكره فى كل لحظة فلايحول عنه كل حين . وهذه الطريقة لايقصد سالكها إلا حب الله لاشئ سواه فلاهوطالب الاطلاع على أسرار كالمجاهد ولاهومتوان فى ملاحظة جناب الحق . وماعمل المجاهد إلاباب من أبواب الحظوظ النفسية إذ كشف الحجاب لذة يصرف المريد أوقاته لنيلها . فأما الشاكر فان كشف له الحجاب فانه لم يعمل لأجله بل عبد الله حبا فيه لاطلبا لشئ سواه . ومتى كشف الحجاب عن نفس المجاهد ربما انقلب على عقبيه وفرح بما نال من الفتح واغتر بما يشاهد من العوالم و يفرح بما نال من ذلك و يرى أن ذلك هو الغاية وهذا من ـ الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ـ . ثم قال ومنهم من تتبدل نيته بعد الفتح فيرحمه الله و يأخذ بيده وهذه الحالة التى حصلت لهذا بعد الفتح هى التى كانت البداية فى طريق الشكر . ثم قال فيا بعد مابين الطريقين وتباين مابين المطلبين . فطريق الشكر سير القلوب وطريق المجاهدة سير الأبدان

واعرب

وأعرب بعد ذلك عن أن هذا القول لم يقصد به إلا التعليم العام . وأما الامام الغزالى فهو إمام حق وصدق . ثم قال وطريق الشكر لاينال الفتح فيه إلا المؤمن العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح فى طريق المجاهدة فانه يكون للرهبان وأحبار اليهود فان لهم رياضات يتوصلون بها الى شئ من الاستدراجات . ومن قوله أيضا ﴿ إن النيـة فى طريق الرياضة مشوبة وفى طريق الشكر خالصة والفتح فى الأولى انما ينال بحيلة وسبب والفتح فى الثانية يكون هجوميا . قال وماهـذه الطريقة إلا تعليق القلب بالله عزّ وجل والدوام على ذلك وان كان فى الظاهر غير متلبس بكبير عبادة ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الأبدان . وقال مرة أخرى والهجرة فى طريقة رياضة الأبدان قصد بها الفتح ونيل المراتب ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فينقطع قلبه مع الامور التى يشاهدها فى العوالم ويفرح بما يرى من الكشف الخ ماتقدم . انتهى

وهذا عجب عجاب . ثم انظر كيف أعلن الوهابية فى زماننا أنهم يمقتون طرق الصوفية بلا استثناء ويرون أنها حائدة عن الصواب كما شرحه العلامة ابن تيمية واعترض على الامام الغزالى وعلى ابن الفارض

﴿ فتاوى الشيخ الخوّاص للشيخ الشعرانى ﴾

ألا تعجب معى أيها الذكي كيف تكون هذه الآراء فى أمم الاسلام وتبقى مدفونة فى الكتب يقرؤها الناس ولكنهم لايدعون الى مافيها من الاراء وتجد رجال الصوفية يجوبون البلاد ويهيمنون على العقول ويسدّون المسالك أمام المسلمين ويمنعونهم من العلم الصحيح إلا قليلا منهم والله عليم بالمفسدين . فانظر كيف كانت فتاوى ذلك الشيخ الذى لم يتعلم علما ثم وازن هذا القول بما حكاه الشيخ الشعرانى قبل تاريخ الشيخ الدباغ عن شيخه الخوّاص الذى لم يقرأ ولم يكتب

جاء فى كتاب الشيخ الشعرانى المسمى ﴿ درر الغوّاص * على فتاوى سيدى على الخوّاص ﴾ ما يأتى ساله عن قول أحمد بن حنبل رضى الله عنه إذ قال ﴿ رأيت ربى عزّ وجل فقلت له بم يتقرّب اليك المتقرّبون قال يا أحمد بكلامى فقلت يارب بفهم و بغير فهم فقال تعالى بفهم و بغير فهم ﴾ انتهى

فأجابه ان الفهم خاص بعلماء الشريعة المطهرة وأما غير الفهم فذلك هو الكشف للعارفين وعلماء الحقيقة لأن العلم يفاض عليهم بالذوق وليس ذلك ككشف الصور الى أن قال واعلم أن الله تعالى قد أخبر فى كتابه عن أقوام فقال ـ إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا ـ وأخبر ﷺ عن أقوام من أمته يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم فكيف تكون هذه الأقوام متقرّبين اليه وكيف يتقربون بعدم العلم الذى هو الجهل هذا عجيب والله أعلم انتهى

قال ثم سألته عن مقام المجاذيب فى الجنة . فأجاب ان المجاذيب ليس لهم مقام عملى فليس لهم فى جنة الأعمال نصيب. ولكن لهم نوع من النعم يتميزون به . ثم قال بل أقول ان السوقة وأرباب الحرف والصنائع أعظم نفعا من المجاذيب لقيامهم فى الأسباب النافعة لغيرهم ولكثرة خوفهم من الله تعالى اذا وقعوا فى ذنب ولايرون لهم عملا يكفر ذلك الذنب أبدا مع احتقارهم نفوسهم وعدم رؤيتهم لها على أحد من الخلق فضلا وهذه الصفات عزيزة فى أهل الجدال الخ

ثم قال وسألته عن قول بعضهم ان الفقير اذا عرف الله لايؤثر فيه الأ كل من طعام الناس نقصا . فقال ان المدد يتلون بحسب القلب والقلب يتلون بحسب الطعمة وفسادها . ثم قال ان الله لينطق على لسان عبده بحسب مضغته فان كان طاهر القلب من سائر الرذائل كان كلامه شبيها بالوحى وان كان ملطخا بالقاذورات نطق بما يشبه كلام الشياطين ومنعه من أخذ الهدية إلا بمقابل لها ولو بالدعاء فى أوقات الاجابة

وسأله عن الأنبياء هل يتخذون واسطة . فأجابه قائلا لاتجعل بينك و بين الله واسطة أبدا من نبى أوغيره

لأن الرسول إنما هو واسطة بين العبد و بين الرب فى الدعوة الى الله لا الى نفسه فاذا وقع الإيمان الذى هو مراد الله تعالى من عباده ارتفعت واسطة الرسول عن القلب إذ ذاك وصار الحق تعالى أقرب الى العبد من نفسه ومن رسوله ولم يبق للرسول إلا حكم الافاضة على العبد من جانب التشريع والاتباع كما فى حال المناجاة فى السجود فنفس الرسول يغار أن يقفوا معه دون الله فانه تعالى يعلم أن مقصود التشريع حصل بالتبليغ كما حصل له الأجر على ذلك كما أشار له ﷺ بقوله ﴿ من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها ﴾ الحديث وانظر أيها الأخ الى غيرة الحق تعالى على عباده لقوله لسيدنا محمد ﷺ ـ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان ـ فأعلمنا الله بأنه أقرب الينا من أنفسنا ومن رسولنا الذى جعله تعالى واسطة لنا فى كل خير مع انه تعالى بالغ فى مدحه ﷺ حتى كاد يصرّح بأنه هو لكثرة ماوصفه بالكمال فى نحو قوله تعالى ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله ـ و بقوله ـ إنّ الذين يبايعونك انما يبايعون الله ـ ومع ذلك قال له ـ ليس لك من الأمر شئ أو يتوب أو يعذّبهم فانهم ظالمون ـ الخ

ومما يناسب هذا ماذكره الشيخ أحمد بن المبارك فى كتاب ﴿ الابريز ﴾ المتقدّم ذكره أنه سأله قائلا لم استغاث الناس بالصالحين دون الله ويحلفون بهم . فأجابه بأن الناس انقطعوا باطنا عن ربهم وأظلمت قلوبهم وأطال فى ذلك . ثم قال ومما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام فى ذواتهم انك ترى الواحد منهم يؤدّى الدراهم الى ضريح الأولياء ولايعطى فقيرا من الفقراء الذين يقابلونه حاجة وهذا أقبح ما يكون وسبب ذلك أن الصدقة لم تخرج لله وانما قصده أن يخص بها الولى ليقضى حاجته . ثم أفاد أسباب انقطاع هذه الأمّة عن الله عزّوجل وأبان الذنوب الشاغلة للناس حتى نسوا ربهم . انتهى

أقول وهاأنا ذا أذكرك أيها الذكى بما تقدّم فى سورة (المائدة) إذ ذكرت هناك محادثة المسيح عليه السلام مع الحواريين وماقصه عليهم من ذلك النبى الذى سبقه وأنكر على الأعمى حبه له . فكلما ألحف الأعمى فى السؤال عنه وهو لايعلم انه هو أجابه بأن من تسأل عنه حجاب بينك و بين الله فارجع اليه هناك فانه هو روح ماذكره الشيخ الخوّاص . وأنا أقول ماكنت أظنّ قبل هذا اليوم أن أحدا من علماء الاسلام صرّح بذلك قبل ابن تيمية والوهابية وعجبت كل العجب أن يكون من علماء الصوفية من يقول هذا القول . واعلم أيها الذكى أن الله عزّوجل قد جعل هذا التفسير فى هذا الزمان الذى ظهرت فيه مفاسد ومصالح وعلوم لم تكن فيما مضى . فالخوّاص والشعرانى وابن المبارك والدباغ كل هؤلاء فى القرون المتأخرة وهذه نعمة من الله على هذا التفسير فلله الحمد على التوفيق . وانظر كيف يفضل الشيخ الخوّاص الصناع على المجاذيب ويجعل أرباب الصنعة أفضل منهم وهذا هو عين ماجاء هذا التفسير لأجله . ولذا أحسن مصطفى باشا كمال صنعا إذ أقفل التكايا وأخرج من فيها لينفعوا أمّتهم بأعمالهم

إن الله عزّوجل ألهم هؤلاء الصالحين أن يلقوا هذه العلوم على أتباعهم و بقى ذلك فى الكتب حتى اطلعنا عليه ولكن ثمرة أفكارهم ستظهر فى زماننا هذا وستكون هذه النهضة الحقيقية بعد انتشار هذا التفسير ان شاء الله تعالى فهو الذى جمع زبدة آراء العلماء وأنعم علىّ وشرح صدرى بنقلها لعلمه عزّوجل أن المسلمين لايقتنعون غالبا إلا بأن يسمعوا كلام الأكابر وهذا فى العامّة . أما الخاصة فلايسمعون إلا آراء الفلاسفة لاسيما علماء أوروبا . وهذا الكتاب والحمد لله قد أعطى النعمتين ليرضى الفريقين وأن طريقة الشكر يقرب منها هذا التفسير والله عزّوجل هو الملهم للخير وهو الجواد الكريم والحمد لله ربّ العالمين . انتهت هذه الفريدة يوم الخميس ٣٠ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ فوائد الفريدة الأولى ﴾

﴿ الفائدة الأولى ﴾ أن الطرق التى انتشرت فى الاسلام بعد الصدر الأوّل جاءت لتصفية النفوس ولكن

هذا الدواء انقلب داء فليرجع الناس الى نفس القرآن والسنة كالصدر الأوّل

﴿ الفائدة الثانيـة ﴾ ان الخلوة والسهر وترك الطعام أصـل القصد بها الاطلاع على ماوراء الحسّ وهذا مذموم بل يصرف القلب عن الله وطريق الشكر أفضل منها لأن القصد منها كمال النفس وحب الله لاحب الاطلاع على الغيب الذى هوشأن الكهان والعرّافين وصغار النفوس . وأذكرك بما تقدّم فى سورة الأنفال عند قوله تعالى ــ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ــ فقد أوضحت هذا المقال هنالك بما فتح الله به وهاهوذا كلام الصالحين قد أيده تأييدا فاقرأه فسينشرح صـدرك مما ترى من الموافقة التامّة فالحمد لله الذى وفق وشرح الصدروهوالحكيم العليم وهدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

﴿ الفائدة الثالثة ﴾ ان قراءة القرآن بلاعقل مذمومة والرواية المروية عن أحمد بن حنبل إماباطلة واماموؤلة

﴿ الفائدة الرابعة ﴾ ان الصناع لهم مقام فى الجنة أعلى من نصيب المجاذيب لأنهم ينفعون الناس بأعمالهم وهذا هوالذى حثّ عليه هذا التفسير كثيرا و به ظهر بطلان الفكرة العامّة فى بلاد الاسلام وهى أن الانقطاع عن الناس أوالاعتكاف على العبادة هما المقصودان من الاسلام

﴿ الفائدة الخامسة ﴾ ان تعلق القلب بالناس فى أمر الرزق صارف للقلب عن الله وعن العلم

﴿ الفائدة السادسة ﴾ ان المسلم يجب عليه بعدالايمان برسول الله ﷺ أن لايجعل بينه و بين الله واسطة بل يكون القلب معلقا بربه لايصرفه عنـه صارف وهو أقرب اليه من حبل الوريد فيقول ــ إياك نعبد ــ ويقول ﴿ اللهم لك سجدت ﴾ وأيضا النبى ﷺ لايرضى من المسلم أن يجعله واسطة بينه و بين الله فى العبادة لأنه دله على الله وهو يعبده رأسا والفضل فى ذلك له ﷺ

هذه ﴿ الفوائد الست ﴾ لم يكن ليخطر بفكر أكثرالمتعلمين فى ديارالاسلام أنها فى دين الاسلام بل هذه تقلب أفكارأهل العلم جميعا لأنها صادرة ممن يعتقدهم أكثرالمسلمين . وأنا أعجب أن تكون هذه الصراحة عند رجال الصوفيـة والناس عنها غافلون . وليس يزيل الخرافات من بلاد الاسلام إلا الاطلاع على تاريخ العلوم ومنها التصوّف

﴿ علماء الألمان يعرفون حقائق التصوّف وتاريخه والمسلمون نائمون ﴾

من عجائب الحكم الالهية أن خمسة علماء أتوا ضيوفا فى بلاد مصر وأنا أكتب هذا الموضوع . ثلاثة منهم يعلمون الفلسفة الشرقية فى جامعات ألمانيا واثنان من الانجليز يعلمان تلك الفلسفة . أحدهما فى انكلترا . والثانى فى (اسكوتلانده) حادثهم أحد مكاتبى الصحف المصرية وهذا نص المحادثة

ظننت فى أوّل الأمر أنهم قنعوا بمشاهدة بعض الطرق وقد عرفتهم الشئ الكثير عنها فاذا بهم يريدون أن يشهدوا جميعها وأن يعرفوا كل شئ عنها وقد تمّ لهم ذلك أوكاد . وقدأدهشنى منهم ماعلمته أثناء الحديث من أنهم درسوا كل شئ عن التصوّف والصوفية فى الصدر الأول بل الأدهى من ذلك أن أحدهم يحفظ من كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ للامام الغزالى أضعاف مايحفظ مدمنو قراءته منا وآخر منهم يعلم كل شئ عن آثارالحسن البصرى والجنيد والامام جعفر الصادق . والبعض الآخر يعلم من أمر السيد أحمدالرفاعى والسيد عبـد القادر الجيلانى والسيد أحمد البـدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى أكثر مما نعلم نحن المسلمين بل طرق التفهم مع الدقة فى الاستقراء والاستقصاء . سألنى أحدهم هلايعقد شيوخ الصوفيـة لتلاميذهم دروسا فى التصوّف ونشأته وتاريخ أطواره فى الاسلام . فأجبته بأنهم يعلمونهم بقدرمايعلمون . وقال آخرهل يدرس التصوّف فى الأزهر . قلت نعم ولكن مع عدم اعتباره علما أساسيا . قال وهل يدرس فى الجامعة المصرية قلت نعم تدرس الفلسفة الاسلامية . قال وهلايحاضر عن غيرالامام الغزالى من فلاسفة الاسلام . قلت قد يكون ذلك بعد هذا العام بحيث يفرد بكل عام فيلسوف مسلم . قال وابن رشد . قلت وجعفر بن الطفيل

قد يكون لهما نصيب من عناية أستاذ الجامعة . وهنا قال . هل تستطيع أن تطلعنى على مقدار ماوصل اليه درس الاستاذ فى فلسفة الامام الغزالى . قلت لا أستطيع لأن دروسه لم تذع بعد . قال يؤخذ من مجمل إجابتك أنكم لاتعنون بدرس الفلسفة الاسلامية مع انها ثروة عظيمة من ثروات تعاليم الاسلام . قلت سنعنى ان شاء الله ولكن جامعتنا حديثة النشأة وستؤتى أكلها بعد حين وأسأل الله أن يكون شهيا حتى اذا وفدت استطعت أن تجد من يحدثك عن الفلسفة الاسلامية والتصوّف الاسلامى ومبلغ علاقتهما بالفلسفة الحديثة . ثم اطلعنى أحد العلماء الألمان على سبع كراسات مطبوعة احتوت مباحثه فى فلسفة الغزالى فقلت فى نفسى ليتها تعرّب ليدرسها الطلبة والعلماء مادام وا قد أضربوا عن إحياء كتاب ﴿ إحياء علوم الدين ﴾ وغيره

أما بقية فلاسفة الاسلام فعلى فلسفتهم فى مصر العفاء مادام لايعنى بها أحد ولاحول ولاقوّة إلا بالله

ومن عجب أن يحضّ هؤلاء العلماء على دراسة تاريخ التصوّف فان ذلك هو الذى يزيل الخرافات كما جاء فى هذه الفريدة عن الشيخ (الدباغ) الذى أجل تاريخ التصوّف . انتهى

﴿ الفريدة الثانية فى قوله تعالى ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا * وانا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا * أم حسبت ـ الخ مع قوله تعالى ـ قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ـ وقوله تعالى ـ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم ـ ﴾

ولأجعل الكلام فى هذه الفريدة فى ﴿ ستة فصول * الفصل الأوّل ﴾ فى بهجة الجمال فى قوله تعالى ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ وبيان حكمة التأكيد بان واللام من جمال علوم الطبيعة السارّة للناظرين ﴿ الفصل الثانى ﴾ فى قوله تعالى ـ وجعلناها رجوما للشياطين ـ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى بيان قوله تعالى ـ قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده ـ الخ ﴿ الفصل الرابع ﴾ فى قوله تعالى فى هذه السورة ـ لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ ﴿ الفصل الخامس ﴾ فى قوله تعالى ـ وزيناها للناظرين ـ ﴿ الفصل السادس ﴾ فى قوله تعالى بعدها ـ أم حسبت ـ الخ وبيان الصلة بين الآيتين

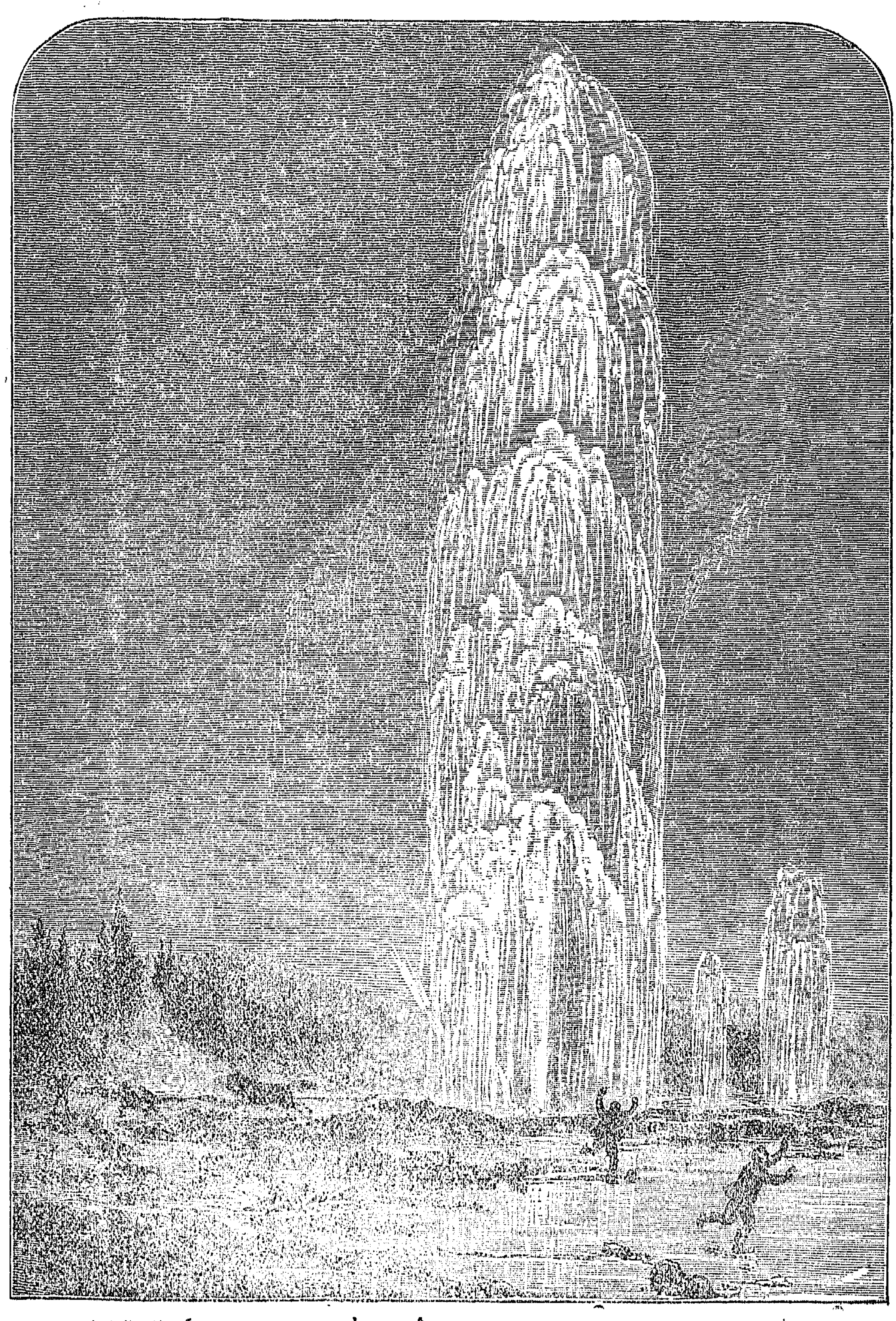
﴿ الفصل الأوّل فى بهجة الجمال فى قوله تعالى ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ ﴾

اعلم أن ماعلى الأرض من العجائب لاحصر له ولنقتصر فى هذا المقام على ﴿ صنفين ﴾ من الجمال وعجائب المخلوقات ﴿ أوّلهما ﴾ عجائب الجمال فى الماء ﴿ ثانيهما ﴾ عجائب الجمال فى الحيوان

﴿ الصنف الاوّل عجائب الجمال فى الماء وغرائبه ﴾

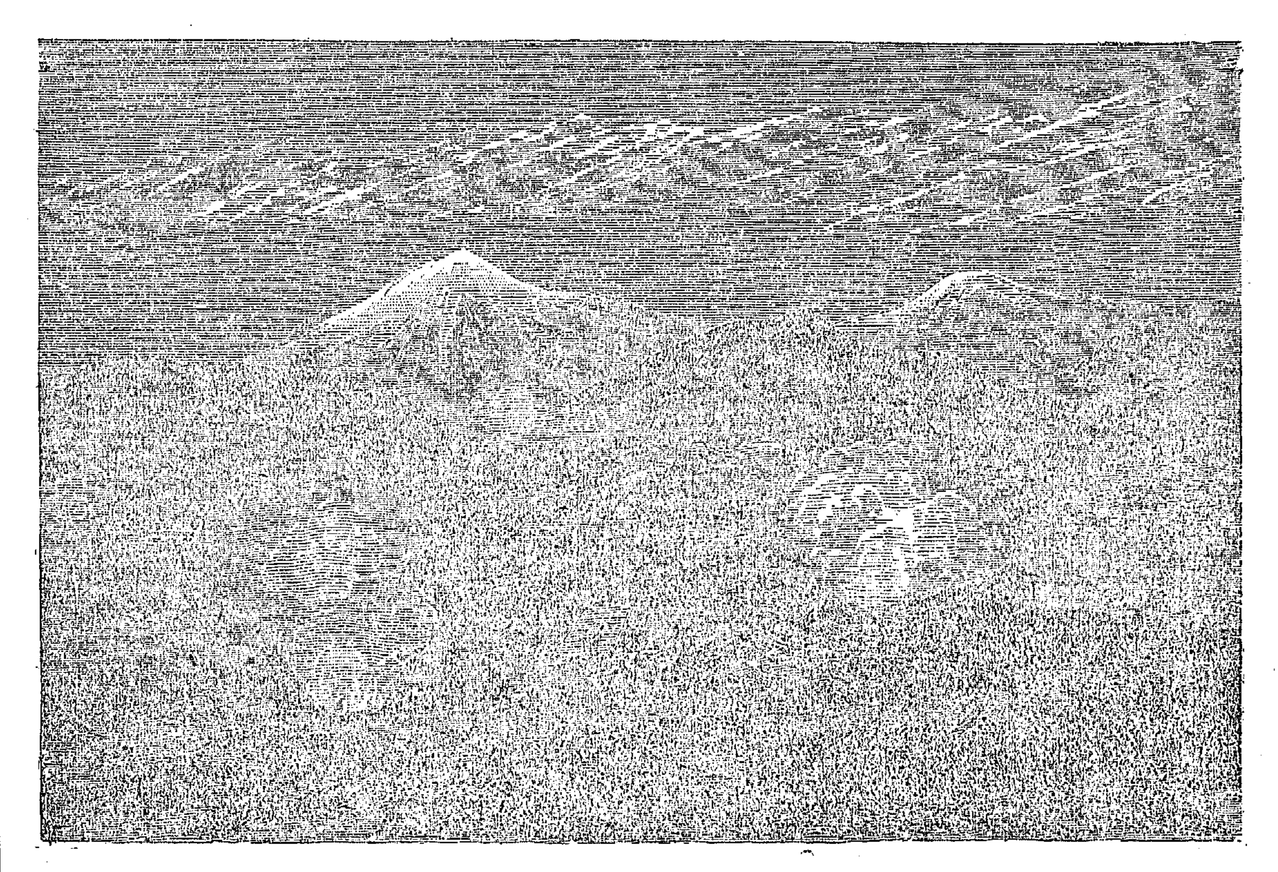
لقد تقدّم فى سورة الأنعام عند قوله تعالى ـ هو الذى أنزل من السماء ماء ـ عجائب الثلج القطبى وأن هناك جبالا من الثلج تعوم على سطح الماء وهناك فى بلاد (لابونيا) و (المسكوف) وبلاد (الاسوجيين) الثلج المصقول السميك الصلب المسهل للسير وأن الثلج يكون عند القطبين على الأرض ثم يرتفع يسيرا يسيرا حتى يصير على ارتفاع (١٣) ألف متر عند قرب خط الاستواء وهكذا يأخذ ذلك الخط فى الانحطاط حتى يبلغ القطب الجنوبى وهناك ذكرت لك ألوان ماء البحر وانها تكون ذات ألوان بهجة فيما بين المدارين وهكذا ذكرت المياه المعدنية النابعة من الأرض واختلاف أوصافها . فهاك اليوم عجبا عجابا لم يذكر هناك . أذكر لك اليوم من جمال الله عزّوجل الذى اختاره وأنزله الى هذه الأرض واختصنا به وقال انظروا وفى هذه السورة يقول ﴿ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ . فاذا قلنا فيما تقدّم فى الأنعام ان الثلج يكون فى الجوّ دائما فكما يدوم فى القطبين على وجه الأرض يدوم فى الارتفاعات المختلفة المذكورة هناك . نقول هنا ان الثلج المرتفع لاتؤثر فيه حرارة الشمس فى خط الاستواء إلا قليلا كما ذكر العلامة (بريت) فهو الذى بعقاله فتح لى الباب على مصراعيه هنا ونقلت الصور منه . وقد قال لاشئ من الأعمال العجيبة الطبيعية تلفت النظر وتدهش اللب وتحدث المسرة بالفكر الجيل أكثر من ظاهرتين فاخرتين وهما (١) ينابيع الماء الحار

(٢) والمقادير الهائلة من الجليد ٠ فينابيع الماء الحار تنبع فى (١) الأقطار الثلجية بأبدع منظر وأبهج سناء وفى (٢) (زيلندا الجديدة) (٣) وفى أمريكا الشمالية كمثل أرض الاحجار الصفراء فيها (شكل ١)



(شكل ١ رسم الينبوع العجيب الحار الفاخر فى أرض الحجارة الصفراء فى امريكا الشمالية)

فأما المقادير الهائلة من أجراف الجليد فهى عبارة عن أنهار عظيمة مملوءة بالثلج بدل الماء وهذا الثلج يتحرك بالتدريج حوالى جوانب الجبل ثم يأخذ بالتدريج فى الذوبان بالحرارة التى تتخلله أثناء سقوطه فى الوادى كما يتجدد بالتدريج من تلك المملكة الثلجية فى الجو على الجبل . وهذه الأنهر الثلجية تكون فى (سويزرلند) أوفى (نروى) وهذا أصغر وأقل جدا من تلك المقادير الهائلة من الثلج التى تعم داخل أرض (الجزيرة الخضراء) ومن التى كانت قديما قد غطت أرض الجزائر البريطانية وعمت أرض قارة أوروبا بجميعها وليس الجمال فى ذلك والبهجة قاصرين على محاسن المناظر الحسية . كلا بل ان العقل ليقف أمام تلك المناظر مسحورا . وكيف لايسحر العقل وقد رأى حادثين غريبين ﴿أحدهما﴾ أن القطع الثلجية تنزلت من أعلى الجو وأضواء الشمس المحرقة تتخلل تلك القطع الهائلة ولا تذيبها . فكيف مرت تلك الجروف الباردة وسط الحرارة المحرقة فى خط الاستواء التى دلتنا على ممالك واسعة النطاق ثلجية . وكيف اجتمع النقيضان حار و بارد وما أثر الأول على الثانى . وسترى صورة تلك الثلوج المتنزلة من أعلى الجبال فى سورة النور عند قوله تعالى ـ و ينزل من السماء من جبال فيها من برد ـ الخ ﴿ثانيهما﴾ تلك الينابيع الحارة التى نبعت من بين الثلوج المتراكمة على الأرض . فهاك صورة الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية (شكل ٢)



(شكل ٢ ـ رسم الينابيع الحارة فى الأقطار الثلجية)

فهذه هى الغرائب التى تسحر العقل وتبهجه . هذان نهران نهر حار نبع وسط البارد وثلج بارد تنزل وسط الحرارة . إذن تلك الينابيع الحارة الهائلة لها مخزن عظيم تحت وجه الأرض لايبرد . وهذه الينابيع لقوتها اخترقت الثلج كما يخترق العالم طبقات الجهل فى أمته و يلقى اليهم العلم فيدفئ جوهم البارد وذلك لأن البواطن أساس الظواهر فتى انقد الباطن بالحكمة أثارت الظواهر فأدفأتها قال تعالى ـ ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا ـ و يقول تعالى أيضا ـ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج

وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ـ فاذا كان الله لم يخلط البحر الملح بالحلو وهما متجاوران فهاهوهنا لم يخلط البحر الحار فى باطن الأرض الذى لم نعرفه إلا من تلك الينابيع الحارّة التى شاهدناها بالثلج الذى فوق سطح الأرض بل اخترق الحارّ البارد ولم يختلط به وطار الى الجوّ حارّا كما هو وهذا من العجب . إذن ذكر الملح والعذب فى الآية تنبيه على التمييز وجعل كل واحد منهما مستقلا عن الآخر إذ جعل الله بينهما حجرا محجورا . وهذه الينابيع نابعة صاعدة فى الجوّ يراها الانسان كأنها الألماس البديع اللون الحسن الشكل لما تخلل الماء من المواد التى اذا قابلت الشمس عكست لونا بديعا فلذلك ذكرنا هذه هنا إذ صارت حلية للأرض وزينة لها وبهجة فأرضنا كعروس زينها الله لنا وقال ياعبادى انظروا هذه الحسناء الجميلة وانظروا أقراطها من الماس قد تدلى وظهر ببهاء وسناء وهذا القرط دائم لينظره العاشقون . والى هنا انتهى الكلام على الصنف الأوّل

﴿ الصنف الثانى فى عجائب الجمال فى الحيوان ﴾

أذكرك أيها الذكى بما تقدّم فى سورة الرعد إذ ذكرت هناك عند قوله تعالى ـ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله ـ الخ الصوت والحرارة والنور وماسبب تكوّن الحرارة وأن الضوء مكوّن من سبعة ألوان أدناها الحمرة وأعلاها البنفسجية . وهنالك ايضاح بعض الألوان وعدد اهتزازات الضوء فيها وهنا أريد أن أشرح لك شرحا مستفيضا فى جمال هذه الدنيا وكيف رأينا الله عزّ وجل جعل شمسه أشبه بريشة المصوّر فكما يرسم المصوّر بريشته ويصنع بفكر وعقل ويخرج صورا بديعة . هكذا رأينا ـ ولله المثل الأعلى ـ لله هذه الشمس التى يطلعها صباحا ويغيبها عنا مساء فنجدها قد أبدع الله بها التصوير والنقش الغريب والجمال والبهاء والحسن فى الابداع . لقد ذكرت فى هذا التفسير سابقا أنّ الله هو الذى أنزل القرآن وهو نفسه الذى أبدع العقول . فبينما نسمعه يقول فى القرآن ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ـ الخ نراه قد فسر هذه الآية فى أوروبا أى انه ألهم قاوما وقاوما فدرسوا بعض هذا النظام وجماله . وقد اطلعت الآن فى كلام (وليم اكرويد) تحت عنوان ﴿ مظاهر ماشيدته العلوم ﴾ على بهجة الجمال فى نظام النبات والحيوان وأن الناس اليوم جميعا لايزالون أطفالا فى معرفة أسرار الجمال فى الحيوان والنبات وأن ماعرفوه اليوم وان كان قليلا سيبهرك ان تقرأه وترى رسمه وتعرف بعض سرّ قوله تعالى هنا ـ إنا جعلنا ـ بالتأكيد بان واللام والتعبير بضمير العظمة فى موضعين من الجملة

لقد ابتدأ مقاله بالقاعدة المشهورة فى الضوء وانه مركب من ﴿ سبعة ألوان ﴾ وهى الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى وأخذ يوضح أمر الألوان كما هو معروف . ذلك أن الناس فرضوا أن سطوح الأجسام على الأرض تمتص ألوانا من هذه السبعة وما فضل عن امتصاصها تعكسه فتراه العيون . وضرب مثلا لذلك بالآجر الذى تبنى به البيوت فان عيوننا ترى لون الحمرة مع اللون البرتقالى قليلا فهذان اللونان هما اللذان نشاهدهما من الآجر الذى بنيت به بيوتنا . ومعنى هذا أن ضوء الشمس قد ابتلع الآجر منه خمسة ألوان وهى الأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى وعكس لونين اثنين الأحمر والبرتقالى فارتدا الى أعيننا فقلنا هذا أحمر برتقالى . وفى الحقيقة لالون للأجسام وانما هى أضواء الشمس عكست عن الجسم . وأقول كأن هذه الظاهرة تفهمنا نظام هذا الوجود كله فانك ستقرأ فى سورة النور أن قطرة الماء مركبة من (٥٠٠) مليون مليون مليون مليون مليون جوهر فرد من الماء وأن هذه الجواهر كلها التى كوّنت منها قطرة الماء اذا حللت رجعت الى ﴿ عنصرين * أحدهما ﴾ هو الاكسوجين ﴿ وثانيهما ﴾ هو الاودروجين وكلاهما مركب من كهرباء مضيئة بحيث ترى الكهرباء السالبة فى كل منهما تجرى حول الكهرباء الموجبة دورات تعدّ بمئات آلاف الآلاف فى الثانية الواحدة . إذن أصبحت المادّة

كلها سواء أكانت ماء أم هواء أم حجارة وحديدا عبارة عن عناصر تبلغ نحو (٩٠) الآن . وهذه العناصر بتحليلها ترجع الى ضوء . إذن العوالم كلها نور فى الواقع ونحن محجوبون عنه وانما ظهر لنا بجوده وسيولته وكونه جسما غازيا (كالحجر والماء والهواء) بتركيبنا ووضعنا فى عوالم متأخرة . فما يقوله العلماء هنا من أن لون الأجسام لاحقيقة له وانما هو ضوء الشمس لاغير . هكذا يقول نظيره هنا عظماء الفلاسفة ان المادّة لا وجود لها وانما الموجود هو نور تنوّع فصار جواهر فردة وهذه بتنوّع تركيبها صارت عناصر مختلفة والعناصر المختلفة كوّنت منها هذه المخلوقات فى الأرض والسماء والنور ماهو إلا حركات فى الأثير . إذن المادّة قوّة فرجعت العوالم الى قوّة وهى الحركة . واذن قول القدماء ان المادّة لادليل على وجودها هو عين قول علماء العصر الحاضر انها قوّة . فاذا قال الناس بحسب الظاهر هنا مادّة وهنا قوّة فالحقيقة لاموجود إلا القوّة وهذه القوّة صارت حركة والحركة تنوّعت فصارت كهرباء ونورا والنور باجتماعه صار عناصر . ومن الأنوار مانحن بصدده من الألوان فى كلام العلامة (وليم) الذى هو أصل كلامنا فى ترجمة مارآه فى جمال هذا الوجود إذ قال

﴿ ليست دراسة الألوان فى الحيوان سهلة بل لابدّ من أن نبتدئ فى البسائط قبل المركبات فاذا أحكمنا البسائط وفهمناها أدركنا سرّ المركبات فلندرس ألوان العناصر فاذا عرفناها أدركنا ألوان ماتركب منها من حيوان ونبات . قال وهاك مثلا . إن المعادن المتحدة مع الاكسوجين تحصل لها حال نسميها نحن (صدأ) فهذا الصدأ ماهو إلا اكسوجين الهواء اتحد مع معدن من المعادن كالرصاص والزئبق والزنك و يقال لذلك المتحد أكسيد الرصاص واكسيد الزئبق وإكسيد الزنك . ثم ان ألوان ذلك المركب وهو الاوكسيد تكون تابعة لدرجة الحرارة فنجد (أوكسيد الزئبق) لونه على الدرجة المعتادة برتقاليا مع الصفرة . ثم كلما ازدادت الحرارة يزداد تغير اللون تبعا لها فيصير أوّلا برتقاليا ثم أحمر ثم أسمر ثم أسود بالتتابع والتدريج و يصير ذلك قانونا مسنونا ونظاما ثابتا تغير فى الحرارة يتبعه تغير فى اللون . فهذا قانون لايتغير (الاسود . الأسمر . الأحمر . البرتقالى . الأصفر) وهكذا الى الأبيض . فالاسود أكثر حرارة ومابعده أقل والأبيض نهاية القلة فى الحرارة فلايتشرب الألوان و بقية الألوان بين السواد والبياض على هذه القاعدة . نظر علماء الحيوان فى أمره فقالوا هل ندرس الحيوان المنزلى . كلا ثم كلا . إن الحيوان المنزلى تحت سيطرتنا وتأثيرنا فلانبحث إلا فى الحيوان المتوحش فانه تحت التأثير الطبيعى فدراسته تبين لنا القانون الحقيقى وقد انضم الى ذلك ماتحت سيطرتنا من الحيوان اذا لم يكن لنا عليه تأثير أوكان التأثير قليلا . فانراقب ذوات الأربع اللاتى ترضع أولادها ولها على جلودها شعر . وقد وضعوا هذه القواعد بعد البحث والاستقراء. أوّلا ماانكشف للهواء من أجسام ذوات الأربع يكون أزهى لونا من ظهورها . ذلك لأن ظهر الحيوان أشدّ تعرضا للشمس من بطنه مثلا . ولاجرم أن ذلك تبع القاعدة المتقدّمة فلون السمرة والسواد ناجم من شدّة الحرارة والبياض وما يقاربه من الصفرة والحمرة ناجم من ضعف الحرارة على تفاوت فى ذلك فلذلك يكون لون الظهر أقرب الى السواد الذى هو الغاية العظمى للحرارة . وضربوا لذلك مثلا بحيوان (السنجاب) فظهره أسمر و بطنه وصدره أحمران والحمرة ابتعدت عن السواد درجة الى البياض الذى هو النهاية الصغرى للحرارة . ومثل هذا يشاهد فى الحمار المعتاد الذى أجزاء ظهره أشدّ سوادا من بقية ظاهر جسمه . قال العلامة (وليم) وهكذا يشاهد فى بقرنا المعتاد . قال ومن أراد أن يتحقق هذا القانون فليزر دار الآثار فانه يجد هذه القاعدة تامة إلا قليلا يشذ عنها . ثم أخذ الكاتب يذكر مازوّقته يد القدرة وما أبدعته من الصور الهندسية فى جلود الحيوان .
قاعدة وضعها الله فى المعادن التى صدئت أن يختلف لونها باختلاف الحرارة ومثلها ذوات الأربع فيكون ما تعرّض للشمس من ظهورها أقرب الى السواد مما بعد عنها كبطونها . هذا ظاهر ولكن هنا ظهرت بهجة العجائب إذ ظهرت نقط وخطوط هندسية متناسبة الأجزاء تناسبا تاما منتظما . فهذه خارجة عن القاعدة أبدعت على

شكل

شكل يبهج الناظرين . ولذلك يقول العلامة (وليم) إن هـذا العلم لايزال فى طفوليته لم تنظم دراسته ولم تعرف حقائقه . فمن ذلك تلك الخطوط فى رأس (نمرالبنغال) فى بلاد الهند انهاتقترب اقترابا بينا من النموذج الهنـدسى من حيث تناسب الأجزاء وأن الخطوط على أحد الجانبين جعلت لها نظائرها بهيئة جميلة من الجانب الآخر . ومثل هذا التناسب الجميل يشاهد فى حمار الحبشة وفى حيوان آخر فى الهند اسمه (تبر) و بعض الهرر المنزلية . إن ذراعى ذوات الأربع المذكورة ورجليها وذيولها معرّضات للشمس لاسيما الذيل فهذه أكثر امتصاصا للضوء فتكون أقرب للسواد من بقية أجزاء الجسم والذيل أكثرها امتصاصا وسوادا (انظرشكل ٣)



(شكل ٣ صورة حمار الحبشة)

ألا ترى الى (السنجاب) المتقدّم ذكره فانه اذا كان بطنه أحمر وظهره أسـمر فان ذيله أسود . إذن الذيل يمتاز عن بقية الأجزاء . وقد وجدوا بالاختبار أن (٩٤) فى المائة من الخيل السمر تكون ذيولها سوداء وهذا تثبيت لقاعدة الذيل المتقدّمة . وقد وجدوا أيضا أن لون الذكرأوضح من ألوان الاناث والقاعدة التى ذكرناها فى ذوات الأربع موضحة سارية أيضا فى الطيور والزواحف وفى بعض أدنى الحيوان أى التى ليس لها ظهر عظمى . فهذه ترى فيها الأجزاء المتناسـبة والخطوط المنتظمة من الجانبين التى تشبه النماذج الهندسية وذلك كالحشرات . خذ مثلا لذلك حشرة (أبى دقيق الطاووسية) . قال الـكاتب (وليم) إبحث

هذه الحشرة وانظر عجائب ألوانها فكل جزء منها محلى ببهجة الحلى والجمال البهيج من أحد الجانبين قد ازدان بنظيره الموازن له فى الجانب الآخر . وهذه صورتها (شكل ٤)

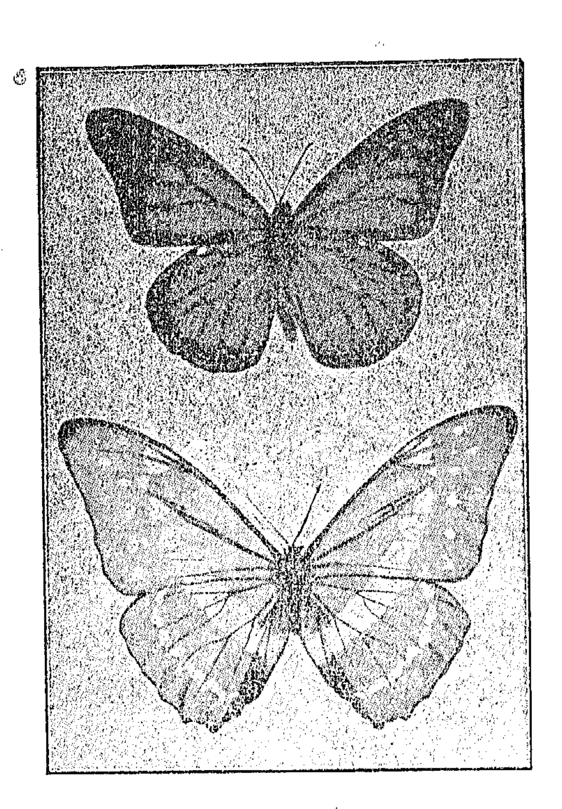


(شكل ٤ صورة حشرة أبى دقيق الطاووسية)

ثم أخذ الكاتب (وليم) يصف الطيور قائلا إن ظهر الطيور يكون أشد سوادا من بقية أجسامها مثل ذوات الأربع ويظهر هذا ظهورا أتم فى الطيور المائية المنسوجة أصابعها . انتهى

فانظر كيف كان قانون الألوان ساريا فى المعدن وذوات الأربع والطير . فكل هذه نرى الأعضاء التى هى أكثر تعرضا للشمس كالظهر وكالذيل تكون أشد اسمرارا وسوادا وبالعكس ما كانت أسفل البطن مثلا فهذه تكون أكثر ظهورا فى ألوانها لبعدها عن السواد . ولكن الذى سقنا له هذا المقال هو تلك النقوش المبدعة التى رأيتها فى حمار الحبشة وفى حشرة أبى دقيق الطاووسى . فانظر الى الدوائر البديعة المتوازنة فى الجانبين على وزان المحل الهندسي الذى شرحناه سابقا فى المجلد السابع فى التفسير . فاذا كانت الحمرة والسواد جارية على ناموس عرفته . فما هو الناموس الذى به أبدعت هذه النقوش وزين هذا الحيوان المزوّق كما يزوّق الطاووس . هذه هى الزينة التى أشار لها الله فقال ـ إنا جعلنا ـ فها هو ذا سبحانه يقول . ها أنتم أولاء يا أهل الأرض قد اعترفتم أن علم الألوان عندكم لا يزال فى حال الطفولة بدليل أنكم لم تعرفوا من أين أتت هذه النقوش فانه لو كانت الألوان راجعة الى تأثير الشمس كما فى ذوات الأربع والطيور فلماذا يكون التزويق المختلف الأشكال البهيج فى (نمر البنغال) وفى هذه الحشرة . أيها الناس . إنى أنا الذى وضعت القاعدة العامّة لضوء الشمس وأردت مخالفة القاعدة فى هذه الحيوانات لتعلموا أننى أنا الذى صوّرت هذه الصور وحليتها بتلك الحلى ليتذكر أولوا الألباب . واعلم انه انما اختير هذا النوع لأن جماله أظهر وأبهر من جمال غيره من أنواع (أبى دقيق) وفى كل جمال . ولنعد رسم حشرة (أبى دقيق) التى تقدّمت فى سورة النحل عند الكلام على اختلاف الألوان لتنظر عجائب ربك وتفهم حكمته وتعجب مما ذكرهناك وذكرهنا فهناك قد ذكرت لك أن الحشرة الواحدة فى جناحيها ألف ألف وخمسمائة ألف بيت وكل بيت منها اما مملوء مادّة ملونة فى ذرات الغبار التى فوق أجنحتها . واما أن يكون مملوأ هواء وهذا الهواء متى وقعت الشمس عليه انعكس

النور عنه (انظر شكل ٥)



(شكل ٥ صورة أخرى لحشرة أبى دقيق)

الفراشة العليا سبب اللون فيها مادّة ملونة فى تلك الآلاف من البيوت . والفراشة السفلى فى بيوتها هواء يعكس النور كما علمت . فانظر لأنواع الجمال والتفنن فى الحشرة وكيف كانت أولاهنّ أجملهنّ فهى كالطاووس وكانت الثانية فيها موادّ ملونة والثالثة ليس فيها إلا الهواء والنتيجة الجمال وهذا بعض تفسير التأكيد فى الآية يقول الله أيها الناس . إنى جعلت للنور ناموسا وهذا الناموس يقتضى أنه كلما كانت قوّة الحيوان أضعف كان لونه أميل الى البياض وكلما كانت قوّته أشدّ كان أميل الى السواد وهو هكذا بالترتيب (أبيض . أزرق أخضر . أصفر . برتقالى . أحمر . أسمر . أسود) . فالرجل أيام قوّته شعره أسود ومتى شاب ابيض شعره والمقام لا يحتمل التفصيل وقد علمت بعض التفصيل فيما مرّ آنفا . فماذا يقول الحكماء فى تزويق حمار الوحش وحشرات أبى دقيق المرسومات هنا وما هذا الابداع فى أجنحتها . الله أكبر . الأجنحة كما تقدّم مكشوفة للشمس معرّضة لها . وقد تقدّم أن هذه تكون أميل الى السمرة والسواد فما هذه الحمرة وما هذا البياض . أين القاعدة إذن . ما هذا التزويق . الله أكبر . ههنا ظهر الاختراع والابداع . القاعدة كانت تقتضى أن يكون الجناح لونا واحدا . ولكن الحكمة قضت أن تضع فيه مخازن وتملأه موادّ ملونة أو هواء والنتيجة النظام الجميل . هذا هو السبب فى التوكيد . يقولون فى علم البلاغة

جاء شقيق عارضا رمحه * إن بنى عمك فيهم رماح

فشقيق لما ورد على بنى عمه ورد عليهم غير مكترث بهم وجعل رمحه بهيئة من لا يكترث ببنى عمه كأنه يعدّهم لا سلاح معهم وكأنهم عزل من السلاح فهو يعلم أن عندهم سلاحا ولكنه لما لم يكترث بهم نزل منزلة من ينكر سلاحهم وقوّتهم فلذلك قالوا * إنّ بنى عمك فيهم رماح * هكذا هنا يقول الله للناس قاطبة سواء أكانوا من الجهلة أم من علماء الطبيعة . أيها الناس . مالكم لا تتعجبون من صنعى فأنتم ﴿قسمان﴾ إما معرضون لا يفكرون لجهلهم . واما مفكرون ولكنهم مقصرون . فالأوّلون هم العامّة والآخرون هم علماء الطبيعة الذين يقولون كما ذكرنا اننا أطفال فى علم ألوان الحيوان فيقول الله للطرفين مالكم

تعرضون عن هذا الجمال . إذن أنتم كالمنكرين فلذلك قال ـ إنا جعلنا ـ فأكد لانزال الطائفتين منزلة المنكرين فانهم يشاهدون تنوّع الألوان فى مثل هذه الحشرة . ومن عجب أن يقول ـ جعلنا ـ ففيها معنى التحويل كأنه حوّل وصرف هذه النواميس فلم يجعلها جامدة بل لون وأبدع وزوّق عند الحاجة . ذلك أن الحمار العادى لم يلونه بألوان مزخرفة وكذلك كثير من الحيوان . ولكن هذه الحشرة لما لزم الأمر لتزويقها لم يجعل قاعدة اللون مطردة على وتيرة واحدة بل حوّلها ونوعها وصرفها وزوّقها . هذا هو المعنى الذى يؤخذ من لفظ ـ إنا جعلنا ـ . ألسنا بهذا نفهم قوله تعالى ـ الذى أحسن كل شئ خلقه ـ انتهى الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى فى قوله تعالى ـ وجعلناها رجوما للشياطين ـ ﴾

الله عزّ وجل جعل الجمال فى هذا العالم ليتذكر به أولو الألباب . فأما غيرهم فان الجمال يكون لهم فتنة فاذا بهرهم الجمال فى الأشكال الحيوانية والمعدنية والانسانية أخذوا يحرصون عليه ويكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله ويحرصون على المال وجمعه غراما به ويصدّون عن حكم هذه الدنيا ويغفلون عنها ولا يفقهون من جمال هذا العالم إلا امرأة يشتهونها أوصورا يغرمون بها . فأما جمال هذا العالم من سماواته وأرضه فلا يعرفونه فأصبح الجمال لهؤلاء رجوما يرجون به وكأنما هم يريدون الصعود فيرهقهم هذا الجمال فيقعدهم عن النهوض الى العلا وهذا قوله ﷺ ﴿ إن الدنيا خضرة حلوة وأن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ﴾ فحلاوة الدنيا هذه هى التى تقعد بهم أكثر الناس عن العلوم والمعارف فهى رجوم لشياطين الانس والجنّ الذين لا يعقلون

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

لقد تبين فى هذا المقام وفى غيره من هذا التفسير أن الضوء ينزل على الأرض فتكون منه نفس الألوان إذن لا لون فى الأرض إلا من الضوء . فألوان الشمس السبعة هى الألوان التى نشاهدها فى الأرض . إذن جمال الوجوه وبهجة الحدائق ومحاسن الناس والحيوان كلها أصباغ من لون الشمس وهذه الأصباغ يعكف عليها الجهال فهم لا يعرفون إلا الجمال الظاهرى المثير للشهوة التى يشاركهم فيها الحيوان فى الأرض . أما جمال الحكمة وبهجة العلم ورقى العقل فهم محرومون منها فصح إذن أن المشرقات من الكواكب تقذفهم من كل جانب بما يثير شهواتهم التى تصدّهم عن العقل . ولا فرق بين شهب تقتل قتلا حقيقيا وبين صور تصدّ عن العلم فتميت القلب * قال الشاعر

ليس من مات فاستراح بميت * إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا * كاسفا باله قليل الرجاء

﴿ الفصل الثالث فى قوله تعالى ـ قل من حرّم زينة الله ـ الخ ﴾

هذه الآية وردت لاباحة اتخاذ الزينة والجمال من كهرباء وحدائق وبساتين جميلة وحقول ظريفة ومساكن لطيفة . فكل هذا من المباح ولا حرج فى المباح . ومن ذلك الحلى المختلفة الأشكال البديعة الأوصاف ولا زال الناس قديما وحديثا يقتنون الأحجار الكريمة . وقد شاهد الناس ماخلفه الأوّلون من تلك التحف الجميلة فقد كشف الناس فى عصرنا حلى كثيرة لقدماء المصريين مثل ﴿ توت عنخ أمون ﴾ وهكذا ورد عند كتابة هذا الموضوع أنه قد كشفت آثار فى العراق هذا وصفها يوم الأربعاء (٢١) مارس سنة ١٩٢٨ م إذ زار مندوب الأوقاف البغدادية المتحف العراقى وشاهد الآثار النفيسة التى أضيفت حديثا الى المتحف والتى اكتشفتها بعثة المستر (وولى) فى هذه السنة فكتب عن تلك الآثار ما يلى

﴿ تقادم عهد الحضارة ﴾

كلما توالت الحفريات فى العراق ظهرت لنا آثار جديدة تدل على حضارة السلف ومعظم الآثار عن حضارة

العراق القديمة لا يزال مدفونا تحت أطباق الثرى متواريا عن الأنظار . وكل ما كان يحكى عن الاشوريين والكلدانيين والعيلاميين لم يكن يخرج عن حدود ماورد فى بعض فصول التوراة وما نقل عن سياحات (هيرودوتس واكسنوفون واسترابون) ولم يكن اسم الشعب الشومرى معلوما إلا قبل بضع سنوات لذلك لم يكن هناك من يجسر على القول بأن حضارة العراق تضارع حضارة مصر فى قدمها . أما اليوم فلم يبق شك فى أن حضارة العراق القديمة لم تكن متأخرة عن حضارة مصر فى شئ ان لم تكن هى السابقة لها فى القدم وأن الكنوز الأثرية لاتزال مطمورة فى جميع أنحاء العراق لم تمسها آلة الحفارين والمنقبين بعد . وهنا نذكر كلمة للبروفسور (كاى) العالم الأثرى الأمريكى الذى كان قد قدم العراق وألقى على المعلمين محاضرة فى المدرسة الثانوية فى شتاء سنة ١٩٢٥ فقد قال ﴿ لوأتت عشرات البعثات الأثرية الى هذه البلاد واستمرت فى العمل ٢٠٠ سنة لاتستطيع أن تكتشف جميع الكنوز الأثرية التى فى أرضها ﴾ فلا يعلم والحالة هذه المدى الذى يرجع اليه مبدأ الحضارة فى العراق بعد أن اكتشفت فى (أور) آثار حضارة زاهية و بقايا قصور مشيدة يرجع عهدها الى ٤٦٠٠ سنة قبل الميلاد أى قبل عصر (الاهرام) بقرون كثيرة

﴿ ١٧ قرنا قبل توت عنخ أمون ﴾

ليست الاكتشافات الحديثة التى عثر عليها المستر (وولى) فى الشهر الماضى أقل قيمة من الوجهة العلمية والتاريخية من الاكتشافات التى عثر عليها المستر (هوارد أرثر) منذ أربع سنين فى وادى الملوك . فاذا كانت آثار (توت عنخ أمون) تمثل الحضارة المصرية فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد فان التحف التى ظهرت فى قبر الملكة (شوباد) ملكة (شومر) على يد المستر (وولى) فى الشهر الماضى تمثل حضارة (الشومريين) الى ماقبل القرن الثلاثين قبل الميلاد أى انها سابقة لعهد (توت عنخ أمون) بنحو سبعة عشر قرنا

﴿ العظمة الحربية التالدة ﴾

يروى لنا التاريخ العربى أن أمير البصرة (معن بن زائدة الشيبانى) كان يصيغ نصول سهامه من الذهب وذلك ماحمل شعراء عصره على التغنى بعظمته والاشادة بمدحه واطراء سلطانه . ولم يكن يحكم أحد بأن ملوك العراق وأمراءه قبل خمسة آلاف سنة أو أكثر كانوا يلبسون الخوذة الذهبية و يتمنطقون بالخناجر المرصعة بالحجارة الكريمة ولكن ذلك ماتثبته لنا الآثار التى أودعت المتحف العراقى قبل بضعة أيام . ومن أهمّ الآثار التى وقعت فى حصة المتحف العراقى وشاهدناها خوذة ذهبية كبيرة تلبس على الرأس وتغطيه حتى أسفل الأذنين وتتجلى دقة الصنعة فى هندامها ونقشها واتقانها ولها عقدة كبيرة لطيفة تشبه عقدة العقال فى مؤخرة الرأس وللأذنين فيها محل ناتئ مصنوع على قدر الأذن والقسم الواقع أمام الأذن وتحته يكفى لأن يستر الصدغين والوجه ويجانب الخوذة الأسلحة الذهبية الأخرى وهى عبارة عن خناجر وحراب ذهبية وضعت فى المتحف وشكلها بديع يدل على عناية الشعب الشومرى بأسلحته الحربية وجميع ذلك قد ظهر فى الحفريات الأخيرة التى نحن بصدد ذكرها

﴿ حسن الذوق ﴾

لقد ألفنا فى عصرنا هذا أدوات الزينة الدقيقة للرجال والنساء وشاهدنا أنواعها المختلفة ومع ذلك لانتمالك من ابداء تعجبنا عند مانرى قرطا جميلا أوخاتما أودبوس صدر يوضع على رباط الرقبة أوماشا كل ذلك ولكن الأعجب من جميع ذلك أن نجد من هذا القبيل ما كان مألوفا فى العراق قبل خمسة آلاف سنة . ففى المتحف العراقى اليوم دبوس فضى ملتوى الرأس وعلى قمته تمثال (قرد) ذهبى صغير لايزيد ارتفاعه عن ثلث قيراط فيه من دقة الصنعة وجمال المنظر مايدهش الناظر . إن مثل هذا (الدبوس) كان يحلى عصائب النساء فى ذلك العهد أكثر مما كان يحلى صدور الرجال . وعلى كل حال فهو دليل على حسن ذوق الأسلاف وتفننهم فى أساليب

الزينة . وهناك دبوس آخر ينتهى رأسه بحجر كريم (لازوردى) ودبابيس أخرى مجرّدة

﴿ التماثيل ﴾

من أجل التماثيل التى ظهرت فى الحفريات الأخيرة والتى أودعت (المتحف العراقى) رأس أسد ورأس ثور وكلاهما من (البرونز) إلا ان رأس الأسد يضرب الى اللون النحاسى والذى يدهش الناظر أن التمثالين عيناهما الصناعيتان اللتان قد قلدت الطبيعة فى صنعهما أجمل تقليد وقد وجدنا كثيرا من التماثيل المصرية والافريقية والرومانية وشاهدنا صورها فلم نجد إلا عينا من مادّة التمثال نفسه . وقلما شوهدت تماثيل لها أعين تحاكي العين الطبيعية وتقلدها . أما فى هذه التماثيل فالأعين تكاد تجعل التمثال حيا يحدق فى وجه الناظر اليه

﴿ الحلى والمصوغ ﴾

يظهر من القلائد الذهبية التى أودعت المتحف أن الشومريين كانوا يميلون جدّا الى تقليد الطبيعة فى معظم مصنوعاتهم وأدوات الزينة عندهم . فهذه القلائد الذهبية عوضا عن أن تكون على شكل عقود الخرز كما ظهرت بين آثار الأكاديين والاشوريين وفى (بابل) نجد هذه القلائد منظمة من قطع ذهبية ومطروقة ومسننة على هيئة أوراق الأشجار وكانت هذه القلائد تحلى صدور الأوانس والسيدات قبل خمسة آلاف سنة انتهى . وانما ذكرت هذا لتعلم أن الله الذى أنزل القرآن وأبدع الجمال فى تلك الحيوانات وغيرها هو الذى أودع فى قلوب الناس حبّ الجمال . فطائفة فتنت به فهلكت وطائفة أبيح لها فاعتدلت وماطغت وقد ظهر هنا أن الناس قديما وحديثا مغرمون بالتحلى بكل جميل وهذا التحلى مباح . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى قوله تعالى فى هذه السورة ـ لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ ﴾

اعلم أن الصناعات كلها فرض كفاية كما تقدّم فى أكثر هذا التفسير ومنها صناعة الحلى التى رأيتها فهى مباحات للابسين وواجبة وجوبا كفائيا على الصانعين . وبيانه أن هذه الحلى وان كان لبسها مباحا أومندوبا لم تخرج عن كونها إحدى الصناعات والصناعات اذا لم يقم بها طائفة من الأمّة ولو كانت للزينة كهذه الحلى اضطر الأغنياء اذا أرادوا أن يستعملوا الحلى أن يجلبوها من البلاد الأخرى وهذا من أهم أسباب خراب الأمم كما هو الحاصل الآن فى بلاد الشرق كمصر وغيرها ففرق مابين اللابسين والصانعين بل الأمر فوق ذلك لوأن امرأ وجدت فيه قابلية أكثر من غيره لمثل هذه الصناعة وجب على رجال الدولة أن يخصصوه بهذه الصناعة تعلما وتعليما فيكون فرض عين عليه وان كان هو فى ذاته فرض كفاية والأمّة كلها تذنب اذا تركته كلها والله هو الولىّ الحميد . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس فى قوله تعالى ـ وزيناها للناظرين ـ ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل لم يخلق الخلق عبثا ومن أعجب خلقه الجمال والنقش والتصوير الذى رأيته فى نحو الصورتين السابقتين . أما العامّة وسائر الجهلاء بل مثلهم أكثر المتعلمين فى ديار الاسلام لايهتمون بهذا الجمال لأنهم غالبا محرومون من تذكير المذكرين به وفاقد الشئ لايعطيه . إذن هذا الجمال لطائفة خاصة من الناس وهم المفكرون . تعجب ثم تعجب من نظم القرآن لم يقل الله وزيناها للابسين ولازيناها للعاملين بل جعل هذه الزينة خاصة بالناظرين وهؤلاء الناظرون الذين زين لهم السماء وهم المفكرون فى خلق السموات والأرض . فأما بقية الناس بالنسبة لهم فهم أشبه بالخدم والعبيد مسوقون للنظام العام ولاملوك لهؤلاء إلا حكماؤهم المفكرون فهم الذين زين الله لهم السماء

﴿ حكمة باهرة فى خرافة ظاهرة ﴾

لقد كنت فى زمن الصبا أسمع فى قريتنا الناس اذا رأوا فى السماء سحابا متقطعا زمن الشتاء لامطر فيه

يقولون

يقولون ان السماء ازينت فهذا اليوم مات فيه عالم فهم يظنون أن العالم اذا مات زين الله السماء له • أقول وهذه الخرافة من الحقائق لأن الله هنا يقول ــ وزيناها للناظرين ــ ولاينظر إلا المفكر العالم • إذن زينة السماء لن تكون إلا لمن يفرح بالزينة و يعقلها • فانظر كيف كان هذا الجمال مصائب على صغار النفوس الذين هم كالشياطين وحلالا للابسين وعملا واجبا على العاملين وزينة للمفكرين والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل السادس فى قوله تعالى بعدها ــ أم حسبت أن أصحاب الكهف ــ الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية أشبه بآية يوسف عليه السلام إذ ذكر القصة بتمامها ثم أفهم القارئين أن هذه القصة من آيات الله وهى كثيرة • واذا كانوا لايعقلونها فكم تركوا آيات فى السماء والأرض فلم يعقلوها فهذه عادتهم هكذا هنا يقول سبحانه ــ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ــ وهذه الزينة انما أبدعها لينظرها و يعقلها المفكرون • إذن ليست قصة الفتية فى الكهف أعجب آياتنا • فكم لنا من آيات ومنها صور الحيوانات والنباتات البديعة البهية السارّة للناظرين • ولكن هذه العجائب والجمال والزينة ليست مقصودة لذاتها بل أنا سأجعلها ــ صعيدا جرزا ــ وأزيلها من الأرض • فاياكم أيها الناس أن تجعلوها قبلتكم وتؤموها مقصدكم فما ذلك الجمال إلا صور من العوالم زوّقتها لتدرسوها • كتبتها بيدى كما تكتبون فى الألواح للصبيان فاذا قرأتموها محوت ما كتبت وجدّدت غيره • وماهذه الصور المتلاحقة إلا دلالة على جمال أعلى فانتهزوا الفرصة واخزنوا هذه الصور الجميلة فى خيالكم وادرسوها فى عقولكم حتى ترجعوا الىّ وقدعلمتم نموذج أفعالى وجمال حكمتى ــ ومايعقلها إلا العالمون ــ بكسر اللام • انتهى ليلة الأحد الثالث من شهر شوّال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ شمس عقد الزينة فى بهجة الجمال ﴾

ألا يارعى الله العلم وحيا أهله وأنار سبل الهدى بنوره • الجاهل لايعقل الجمال • ليس الجمال كل الجمال مايفهمه ذكران الناس والأنعام والغنم والبقر والآساد والخنافيس من محاسن إناثها ولامايفهمه الاناث من قوّة ذكورها وجمالهم • هذا جمال حيوانى شهوى تساوى فيه الانسان والحيوان قد أعدّ لغرض خاص وهو التناسل • ألا انما الجمال كل الجمال ماخبأته يد الأقدار عن عيون الجاهلين وأبرزته لبصائر الحكماء والعلماء والفهماء • أوّل الجمال جمال البصر • وثانيهما جمال البصيرة • أبصار الجهال كأبصار الخفافيش لاترى الصور والسبيل إلا حيث يكون الظلام • و بصائر الحكماء والعلماء أشبه بأبصار سائر الحيوان ترى بنور الشمس من الصور والجمال وأنواع المحاسن ما أظلم على أعين الخفافيش فى وضح النهار • أكثر أهل الأرض الجاهلون وأقلهم الحكماء والمستبصرون والله عزّوجل لم يدع طريقا لفتح البصائر حتى يلج منه الجهال الى حظائر الجمال فى العلوم والمعارف إلا أوضحه وجلاه ولاسبيلا من سبل الهداية إلاسنها وسهلها • ألا انمامثل عقول الناس بالنسبة لجمال هذا الوجود كمثل الأرض ومثل العلم كمثل الماء والله تعالى يقول فى الأولى ــ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزّت وربت إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شئ قدير ــ وهذا أمر مشاهد فالناس يرون الأرض وهى ساكنة خاشعة لامرعى فيها ولا نبات ولاشجر ولاحيوان اذا مطر أصابها فنراها أخذت تنتفخ وتنفلق عن صغير الحشائش والشجر وأنواع النبات فتزهر وتنمو وتصير عروسا جميلة شابة مقبلة بعد أن كانت عجوزا شوهاء مدبرة • الله أكبر هكذا العقول فانك اليوم ترى أكثر العقول فى بلاد الشرق نائمة خاملة خامدة هامدة • ولكن انظر انظر • انظر الى غيث العلوم وفنون الحكم والصناعات أفلست ترى سحائبها أخذت تمطر عليها صيبا • فهاهوذا يحييها ويخرجها من جهالتها وينيرها ويقضى على ظلمتها • ألست ترى أن أهل الشرق الآن أخذوا يقرؤن العلوم ويحبونها ومنهم بل أكثرهم المسلمون ومن هذه النهضة الحديثة هذا التفسير الذى شرح الله قلبى له وزينه فيه وجعلنى أكتب بشوق وحبّ عظيمين وسترى فى هذا المقام من الجمال والبهجة مايشرح صدرك وصدور المؤمنين لحوز العلوم على اختلاف أنواعها

وفنونها والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • إن قياس العقول الانسانية على الأرض وقياس العلم على الماء جاء فى نفس القرآن فليس هـذا بدعا فالله يقول ـ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل ـ الخ فجعل الله القرآن والعلم أشبه بالماء والعقول أشبه بالأودية * وجاء فى حديث البخارى انه ﷺ قال ﴿ مثل ما بعثنى الله به من العلم والهدى كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا الخ ﴾ فاذن هذا التشبيه معروف معقول وانما أوضحته لأرتب عليه ماترى من الجمال

﴿ حصر أهمّ الطرق التى بها تثار العقول لادراك الجمال وفهم زينة هذه العوالم ﴾

(١) خوارق العادات على أيدى الأنبياء (٢) ظهور غرائب من العلم على ألسنة قوم لم يتعلموا وهم صلحاء فى أمّة الاسلام (٣) غرائب من العلم ينتجها الخيال الانسانى فيثير فى النفوس حبّ المعرفة فتدرك الجمال (٤) الجدّ والنصب فى معرفة العلوم وذلك ﴿ بطريقين ﴾ طريق الدراسة المعروفة • وطريق السير فى الأرض لمشاهدة العجائب الطبيعية • فهذه خمس طرق (١) طريق الأنبياء (٢) طريق الأولياء (٣) طريق وضع القصص والأخبار لأجل الحكمة (٤) طريق التعليم فى المدارس (٥) طريق السير فى الأرض كالسفر الى القطبين مثلا كما سيأتى بيانه ﴿ الطريق الأوّل ﴾ طريق الأنبياء ومعجزاتهم • قلت لك إن أكثر العقول فى هـذا النوع الانسانى خامدة جامدة جمود الأرض وجودها وقد ابتلاها الله جميعها بالسير فى الأرض لطلب المعاش ومدافعة الأعداء حتى سدّ عليها طرقها وعميت عليها مسالكها فأرسل أنبياء فجاؤا بمعجزات فرأوا أو سمعوا أن العصا قلبت حية والميت قد حيي وأن أقوالا نزلت على لسان انسان لم يتعلم تخرّ له المتعلمون من الأمم سجدا وخضعوا له • سمعت ذلك الأمم أورأته فقالوا أيام موسى كيف تقلب العصا حية فقال قوم هذا يدل على أن هناك قوّة فوق قوّتنا وهذه القوّة بها صار هذا نبيا فأخذوا يفكرون فى العالم وفى صانعه وقال آخرون • كلا • هذا سحر فنحن لانصدّقه • فاذن يكون الناس ﴿ فريقين ﴾ مصدّق ومكذب وهناك يكون جدال ونضال وأخذ ورد وهذا فتح لباب العلوم والمعارف ومعرفة الجمال فى هـذا الوجود • إن الله قد جعل هذا العالم كله قائما على الاعطاء بعد المنع ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ على الشوق • فأماشوق أحد الصنفين للآخر فهوطبيعى والجمال فيه لا يعوزه كبير عناء • أما الشوق لمعرفة جمال هذه الدنيا وماعلى الأرض من الزينة فانه لايحصل إلا بمقدمات تتقدّمه ومنها ثورة الفكر بحرب أوظهور نبىّ يحدث حوله جدال • وبالجملة فكل مايؤلم النفوس أو يهيجها يفتح لها بابا من أبواب المعرفة ويصقلها أنواع المزعجات من صروف الليالى وثورة الأفكار كلها صاقلات للعقول منيرات لسبل العلوم وادراك الجمال • هنالك ينقسم المؤمنون ﴿ فريقين ﴾ فريق لايتعدّون الايمان بالأنبياء وفريق يقولون اننا اذا رأينا أوسمعنا أن العصا قلبت حية أوأن ميتا رجع حيا على يد نبىّ أوأن نبيا قرأ للناس قرآنا فاتبعته أمم وأمم من دول شتى ولغات مختلفة وهولم يتعلم حرفا واحدا فمعنى هذا أن هذا الوجود فيه عجائب مخبوءة عنا وجمال مستتر فلنمض قدما فى العلم ولنجدّ حتى نعرف قصة هذا الوجود الذى نعيش فيه وقصة العصا والحية تفتح لنا بابا لدروس علوم العجائب وهى الكيمياء والطبيعة وأمثالها من كل مايعرّفنا جمال هذه الدنيا وقصة الميت الذى حيي على يد المسيح كذلك تشير لنا أن ندرس مناهج عجائب الحيوان والنبات كماسيأتى فى سورة مريم • هذا اجمال الكلام على الطريق الأوّل وهوطريق معجزات الأنبياء الموقظات عقول الناس لادراك ماعلى الأرض من زينة وجمال

﴿ الطريق الثانى العجائب التى تظهر على أيدى الصلحاء ﴾

أمامى الآن ﴿ كتابان * أحدهما ﴾ كتاب (الابريز) ألفه نجم العرفان الحافظ الشيخ أحمد بن المبارك وهذا الكتاب يشهد بأن هـذا المؤلف قرأ علوم الأوائل الفلسفية وعلوم الدين الاسلامى وقد كان فى القرن الثانى عشر الهجرى • ولكن هذا العلامة النحرير يجلس أمام الشيخ عبد العزيز الدباغ الذى لم يتعلم علما

ولا

ولادينا فيجد الرجل حكيما فى كل علم دينى أوفلسفى فصار الشيخ ابن المبارك تلميذه يتلقى عنه العلم وهذا عجب أن يكون من لاعلم عنده أعلم من علماء الاسلام جميعا بعلومهم وغيرها . ومعنى هذا أن الله عزّوجل يخلق فى هذا العالم خوارق لعوائدهم تقرع أسماعهم وتوقظهم الى التعقل والتفهم وانما فعل ذلك الله فى ذلك الزمن لأنه زمان جهالة والمسلمون قد أدبرت دولهم وذهبت ريحهم وكثرت خرافاتهم جاءهم بالعلوم من طريق مايعتقدون وهم لما أدبرت دولهم وغابت شمس علومهم كانوا قد عكفوا على قبور الصالحين وتقرّبوا اليهم وطلبوا منهم المعونة فأرسل الله لهم فى ذلك الزمن علوما على ألسنة بعض الصالحين ليرشدوهم ويقولوا لهم أيها المسلمون أنتم فى ضلال فارجعوا عنه وافهموا بعقولكم ولاتتكلوا إلا على ربكم والصالحون والأنبياء ماهم إلا عبيد امتازوا عنكم والله ربكم وربهم . هذه بعض الحكم فى خلق هذه النفوس النادرة الوجود فى أمّة الاسلام . هذا أحد الكتابين . أما الكتاب الثانى فهوكتاب ﴿ درر الغواص * على فتاوى سيدى على الخوّاص ﴾ ومعه كتاب آخر وهو كتاب ﴿ الجواهر والدّرر ﴾ مما استفاده الشيخ عبد الوهاب الشعرانى من شيخه على الخوّاص وكلا الكتابين للشعرانى وكان ذلك فى القرن العاشر الهجرى أى قبل ابن المبارك بقرنين . إذن الموقظات للأمم الاسلامية تترى عليهم من حيث لايشعرون فيكون ظهور الحكمة على ألسنة بعض الصالحين فى فترات لتوقظهم . ولكن يظهرأن هذا الزمان هوالذى سيكون فيه أجلى ظهور للعلم وأبهج السبل وبدائع العرفان . فانظر الى ماجاء فى الكتاب الأوّل فقد سأل الشيخ ابن المبارك شيخه الدباغ قائلا ماملخصه أن الناس يستغيثون بالصالحين دون الله عزّوجل ولايحلفون إلا بهم ولايخافون إلا منهم فأجابه بما يفيد أن هناك أسبابا أوجبت انقطاع الناس عن الله عزّوجل طرأت على هذه الأمّة من غير أن تشعر بها . وهذه الأسباب هى التى أوجبت ارتباط قلوبهم بالصالحين وانقطاعها عن الله عزّوجل وذكر منها

(١) الهدية للصالحين ليشفعوا لهم عند الله لوجه الله

(٢) والتوسل للصالحين بالله عزّوجل ليقضوا حاجاتهم

(٣) أن يترك المسلم فرض الصلوات ويزور الصالحين

(٤) أن يخاف الانسان من الظالمين على العمر والرزق مع ان المرء اذا قوى علمه بتصرّف الله وحده فى ذلك قرب منه بقدر ذلك العلم

(٥) التقرّب للظالم لينال منه رزقا

(٦) عدم النصيحة للمسلمين إذ يرى مايضرّهم ولا يأمرهم بالتحرّز منه ويرى ماينفعهم ولا يأمرهم بالتأهب له

(٧) أن يعبد الانسان ربه ليرحمه وينفعه مع ان الأفضل أن يقصد وجهه مرة واحدة لاحظ الدنيا ولا الآخرة . انتهى

وجاء فى كتاب الشعرانى حكم مثل ان الشعرانى رضى الله عنه سأل شيخه الخوّاص عن الأوراد التى يقرؤها المريدون التى لم ترد فى الشرع مثل مافعله البونى . فأجابه شيخه المذكور بما يفيد أن عباد الأوثان أحسن حالا من هؤلاء لأن هؤلاء اتخذوا هذه الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وانقياد الخلق لهم وعباد الأوثان قالوا انما نعبدهم ليقرّبونا الى الله زلفى . وقال له فى موضع آخر من آخر الكتاب الثانى ان الشيخ يلقن ألف تلميذ أذكارا وأورادا فلاينتج له مريد واحد . وعلى ذلك لايعوّل على هؤلاء الأشياخ فى هذا الزمان ولاعلى أورادهم وأقول ان هذا مبالغة ولكن فيه حقائق

واعلم أيها الذكي أن هذه الكتب وأمثالها قدقرئت فى أمّة الاسلام فى القرون المتأخرة وفيها حكم كثيرة جدّا وعلوم جمة ومنها علوم لم تكن معروفة وظهر بعضها فى الكشف الحديث ولكن فيها هناك أمور أخرى

غامضة و بعضها لايوافق الحقائق . أتدرى لم هذا . لأن الله يأتى بالمتناقضين فى هذه كلها ليوجب علينا البحث والتنقيب ولايجعلنا متكلين على أحد لاعلى الأولياء ولاعلى غيرهم بل لا نتكل إلا على الله والله هو الذى أعطانا العقول والأنبياء أيقظونا لاستعمالها . فرام أن نترك عقولنا ونتكل على أحد ولذلك جاء هذا التفسير وأمثاله من كتب المعاصرين لنا لنجدّ فى بحث العلوم والحكمة بأسرها لنعرف الجمال فالعلم جمال وماأقبح وصف الجهال

﴿ الطريق الثالث غرائب العلم التى ينتجها الخيال الانسانى فيثير فى النفوس حبّ المعرفة فتدرك الجمال ﴾

ان العقول الانسانية التى ليست بأنبياء ولا أولياء هى نورمستمدّ من نور الله عز وجل . فكل نورفهو مستمدّمن نوره . ولوخلا الانسان بنفسه وفكر فيها لدهش من هذا العقل والخيال اللذين يسموان به الى الأفلاك ويقطعان فيافى وموامى ومجاهل تخترق السبع الطباق وتهيم فى تلك الخارق الفسيحة ولاتقف عند حدّ ثم هى تعرج فى مجاهل بعد مجاهل فتعرف ماشاء الله من الكواكب الثابتة طبقا عن طبق ودائرة وراء دائرة الى أن ينقطع الفكر — ومايعلم جنود ربك إلا هو وماهى إلا ذكرى للبشر — ثم نراهما يرجعان الى الأرض أى الخيال والعقل فيخترقانها ويجوسان خلالها ويدرسان معادنها وفحمها ثم يغوصان على جواهر علومها فيقولان ان هناك بحرا من نار فى داخلها بحسب مايتخيل المتخيلون . فهذا العقل وهذا الخيال الجميلان المرسلان من الله عزّوجل لنا الذى أحاطنا بالأنوار الحسية والأنوار المعنوية هما اللذان بهما اخترعنا أنواع النقش والتصوير والنحت والشعر والموسيقى وأنواع صورالجمال والبهاء فى هذه الدنيا . ومن ذلك الاختراع ما أنتجته العقول فى علم البيان والبديع من الصور الجميلة الخيالية مثل تشبيه معركة حربية واختلاف السيوف فيها بهيئة ليلة انتثرت نجومها فهى مضيئة فى وسط الظلام وتقول

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهادى كواكبه

ولاريب أن الشعر وبدائعه أمر مشهورمعروف فلانطيل به . وأبدع من ذلك ماتراه من ضروب الخيال والسحرالحلال الذى يسميه الناس خرافات فى أمثال كتاب ﴿ألف ليلة وليلة﴾ وكتاب ﴿كليلة ودمنة﴾ وفى الثانى محاورات بين أنواع الحيوان فيها ضروب الحكم والعلوم والسياسات . وفى الأوّل اختراع أقاصيص تصور الامور المستحيلة فتشوّق العقول للاغتراف من بحار العلم . فهذه أكاذيب جعلت وسيلة للصدق فى العلوم لقوم يعقلون . وأذكرلك منها الآن ﴿قصتين اثنتين﴾ قصة مدينة النحاس وقصة أبى قير وأبى صير

﴿ الأولى قصة مدينة النحاس ﴾

ان المؤلف اخترع قصة خيالية ملخصها أن موسى بن نصير المعروف فى التاريخ أنه هو وطارق بن زياد فتحا الأندلس كان معه رجل يقال له الشيخ عبد الصمد وقد كان أمامهما جنى من الجنّ التى حبسها سليمان عليه السلام فى عمود ولما خرج من العمود حكى لهما عن تاريخ حبسه وعن كل ماجرى له من أيام سليمان الى أيام عبد الملك بن مروان وموسى بن نصير و بعد ذلك رأيا مدينة من النحاس التى طاف حولها رجال على خيولهم يومين كاملين وفى ثالث يوم رجعوا الى اخوانهم فأدهشتهم المدينة لعظمتها وارتفاع أسوارها ثم اجتهدوا حتى عثروا على مفاتيحها ففتحوها ووجدوا فيها من الجواهر والذهب والفضة مالاحصرله والقوم فيها صرعى جميعا والأسواق مفتحة والبضائع كثيرة وهى خلية إلا من جثث الموتى وانهم عثروا على فتاة جميلة بعينين تنظران فسلما فلم ترد فعرفوا أن هذه ميتة ولكن عينها تتحرّك بالحكمة فالحركة صناعية . ولما قرب واحد منها تحرّك سيافان واقفان حولها بتصوير الحكمة فضرباه بالسيف فقتلاه وقد كانت محلاة بابدع الحلى التى لانظير لها فى المدينة فتركوها ثم وجدوا لوحا مكتوبا فيه ما ملخصه

﴿ ان ترمز بن بنت عمالقة الملوك قد حبس المطر عن مملكته سبع سنين ولم يبق شئ يأكلونه بعدأ كل

الدواب

الدواب والجيف فأرسل بالمال من طاف الأقطار فلم يجد قوتا يشتريه فأغلقنا حصوننا ومتنا وهذه أموالنا لم تفدنا ﴾

ولما رجع الأمير موسى ومن معه الى عبد الملك بن مروان أخبره بما حصل وأراه اثنى عشر قمقما من القماقم التى زعموا أن فيها جنا وكلما فتح عبد الملك قمقما خرج له شيطان صارخ يقول التوبة لله يانبى الله ومانعود لذلك أبدا . هذا ملخص القصة والقارئ لها أحد رجلين إما جاهل يعتقد صحة هذه الخرافات التى لاتوافق الحقائق ولا التاريخ ولكنه قد خرج بعلم وحكمة وأشعار كلها حكم تزهد فى الدنيا وتصغرها فى عينه واما عالم أدرك أن هذا مجرّد خيال وقد خرج بحكم شعر وجمال . ولاجرم أن أمثال هذا من الزينة التى زين الله بها أرضنا فقال — إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا — فهذه زينة لم تكن زهر البساتين ولانور النجوم وانما هى أنوار العقول برزت فبهرت قوما وهدتهم وأضلت آخرين فأغوتهم . انتهت القصة الأولى

﴿ القصة الثانية قصة أبى قير وأبى صير ﴾

وملخصها أن الاسكندرية كان فيها رجلان صباغ وحلاق . فأما الصباغ فانه كان رجلا كاذبا خادعا يبيع مايعطى له ليصبغه . وأما الحلاق فكان رجلا صادقا مخلصا وقدعضهما الفقر بنابه فخرجا معا فى بلادالله يطلبان الرزق فصار الحلاق يعول الصباغ أسابيع وأسابيع . ثم ان الحلاق أصابه مرض وأغشى عليه فسرق الصباغ الدراهم من جيبه وأقفل عليه الحجرة وسار فى المدينة التى هما فيها يتجوّل فيها وقابل الصباغين فوجدهم لايعرفون إلا قليلا من فنّ الصباغة فتوجه للملك وأخبره قائلا ﴿ أنا أصبغ ألوانا كثيرة مثلا الأحمر منه الوردى والعنابى والأخضر منه الفستقى والزيتى وجناح الدرّة والأسود منه الفحمى والكحلى والأصفر ألوان مختلفة منه النارنجى والليمونى وهكذا ﴾ فأمدّه الملك بالمال وفتح له مصبغة صبغ بها جميع الألوان وأقبلت الدنيا عليه من كل حدب وصوب . ثم ان الحلاق بعد أن هرب الصباغ بقى ثلاثة أيام وهو فى الغيبوبة وفى اليوم الرابع أفاق فعلم أن صاحبه هرب ومعه نقوده فصار يتعهده جيرانه . ولما صحّ جسمه خرج فى المدينة فوصل الى المصبغة المذكورة فوجد صاحبه فيها فلما رآه أمر بضربه ضربا شديدا فرجع حزينا بائسا ثم خطر له أن يستحم فى الحمام فلم يجد فى البلاد حماما فتوجه الى الملك فواساه بمال كثير جدّا وصنع الحمام واستحم فيه الملك وجنوده ومن أراد من الناس ومنهم الصباغ فجاء اليه فعرف أن الحلاق هو الذى فتحه فأخبره بأنه لما ضربه لم يعرف انه هو وحلف له على ذلك فتصافيا وتصادقا ثانيا لأن الحلاق صدّقه ثم ان الصباغ قال للحلاق صاحب الحمام ضع الزرنيخ على الجير وأزل به شعر الملك حينما يدخل الى الحمام ثم ذهب الى الملك فقال له انه يريد قتلك بدواء قتال فلما دخل الملك الحمام دلكه الحلاق كعادته ولما أظهر الدواء الذى ينظف الشعر أمر بأن يمسكوه ولما خرج من الحمام أعطاه لرجل ليرميه فى البحر فأخذه الرجل وتوجه به الى جزيرة وقال لا أقتلك بل خذ شبكة واصطد سمكا فوقعت سمكة فى الشبكة فرأى فيها خاتم الملك الذى سقط منه وهو يأمر بأن يرمى الحلاق فى البحر فلبس الخاتم وصار كلما أشار على انسان بيده قتل وهو لايشعر فدهش أشدّ الدهش وهذا الخاتم هو

مالا وفيرا كثيرا لاحصرله فرجع الى الاسكندرية بحشمه وخدمه ورأى بعض خدمه أن هناك زكيبة بجوار الاسكندرية فأخرجوها فاذا هى جثة (الصباغ) فأمر الحلاق بدفنها وأوقف عليها أوقافا كثيرة وعمل لها مزارا وكتب على الضريح أبياتا منها

المرء يعرف فى الأنام بفعله ＊ وفعائل الحرّ الكريم كأصله

الى أن قال

وتجنب الفحشاء لاتنطق بها ＊ مادمت فى هزل الكلام وجدّه

ثم عاش الحلاق ماعاش فى هناء وسرور . ولما توفى دفنوه بجانب قبر (الصباغ) فالصباغ اسمه أبوقير والحلاق اسمه أبوصير . فأبوقير هوالغادر الماكر الذى أحسن اليه أبوصير فى حياته و بعد موته والمكان الذى بقرب الاسكندرية كان يسمى باسم (أبى قير وأبى صير) وصارالآن يسمى (أباقير) لاغير . انتهى

فهذه الحكاية التى انتجها العقل الانسانى خرافة ولكن الخرافة فيها موعظة حسنة والموعظة هى أن فاعل الخير عاقبته السلامة والغادر الخائن عاقبته الندامة فأبوقير خائن فمات مقتولا وأبوصير صادق فعاش فى نعمة وحبور . وللأمم الاوروبية حكايات مثل هذه ألفوا لها الكتب ويقرؤها صغارهم وجهالهم فيها صور من الخيال ينتفع بها الجهال والأطفال كما فى حكاية البنت المستضعفة المتواضعة التى ذهبت الى البئر لتملأ منها فقابلتها عجوز فطلبت منها الماء فسقتها فدعت الله لها أن يخرج من فمها كلما انطقت جواهر وورد فلما رجعت أدهشت امرأة أبيها بالورد والجواهر فأرسلت امرأة أبيها ابنتها الى البئر فأظهرت الكبر على السيدة الجميلة التى قابلتها هناك فدعت عليها أن يخرج من فمها عند الكلام الحيات وأنواع الثعابين فلما رجعت الى أمّها ورأت ذلك طردتها من البيت ثم خرجت فماتت . أما البنت الأولى فلما رآها ابن الملك تزوّجها

وهناك حكايات أخرى كثيرة تمثل الصدق والكذب والخيانة والأمانة وهكذا وفيماذكرناه كفاية . انتهى الكلام على الطريق الثالث للعلوم الذى ينتجه الخيال

﴿ الطريق الرابع . طريق التعليم فى المدارس ﴾

وهذا معلوم مشهور وهذا يرجع الأشياء الى حقائقها كما رأيت من دراسة الألوان بارجاعها الى ألوان الشمس السبعة

﴿ الطريق الخامس طريق السير فى الأرض ﴾

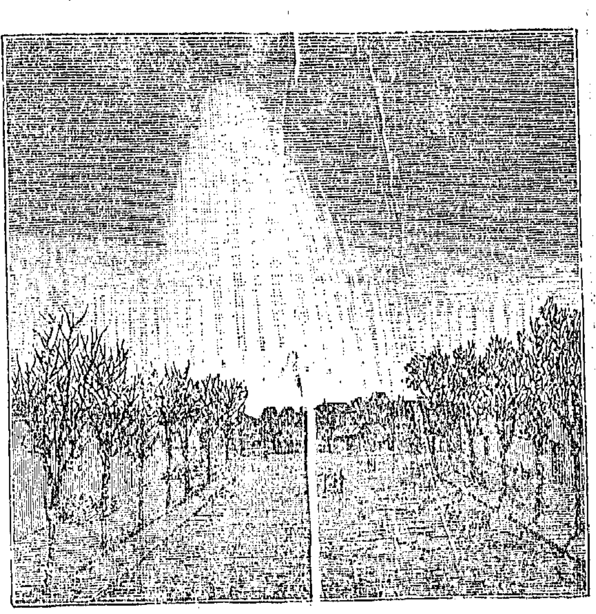
وهذا هوالذى نريد الافاضة فيه ولقد ذكرنا فيما سبق قريبا عجائب ألوان الحيوان من حيث كونها زينة وهكذا أنواع الماء الجميلة التى تنبع من الأرض وهى حارّة وسط الثلوج أومن مواضع حجرية وهذا يعرف بالسير فى الأرض ومشاهدة هذه العجائب فلأذكر الآن عجائب مما على الأرض من الزينة التى تشترك فيها غرائب الأرض وبدائع النور فى السموات . فلأذكر مادبجه يراع الكاتب القدير (جورج ويليم) تحت عنوان (الضوء الشمالى) . (انظر شكل ٦)

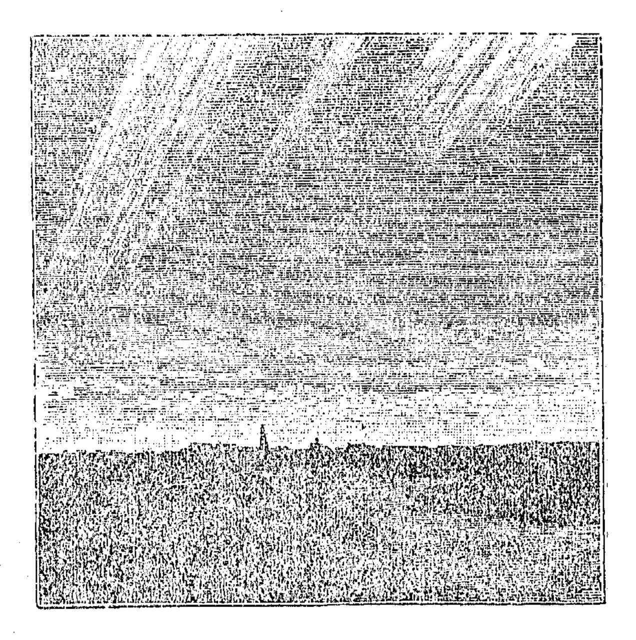


(شكل ٦ ـ صورة الضوء الشمالى من كتاب (علوم للجميع) ملونة بالحمرة والخضرة والصفرة الخ فى الأصل)

هذا (الضوء الشمالى) كنت فى شوق الى معرفته لما كنت أسمعه دائما ونحن نتعلم فى مدرسة (دار العلوم) من أستاذنا المرحوم اسماعيل بك رأفت إذ كان يقول لنا هناك أنوار عجيبة تسمى (الفجر الشمالى) فهاهى ذه الان احدثك عنها من قلم العلامة (ويليم) فى كتاب «علوم للجميع» قال

إن بعض الناس فى بلادنا (بلاد الانجليز) قد يرى (قبابا) جميلة بهجة المنظر حسنة الشكل من النور تعترض ممتدّة فى الأفق بسرعة شديدة وتأخذ صورتها وألوانها تتغيران بما يعرض لها من الأشعة والأنوار التى تكون عمودية عليها . ومن أراد أن يحظى بمحاسن هذه المناظر فى أبهج جمالها واسطع أنوارها وأعجب أشكالها فليتوجه الى خطوط العرض العليا مثل عرض (٨٢) درجة و (٢٧) دقيقة شمالا فقد شوهد ذلك المنظر الجليل هناك سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٧٦ م و بعض هذه المناظر تكون ذات ألوان بهيئة قباب لامعة مشرقة متلألئة ممتدّة من أفق من آفاق السماء الى أفق آخر منها محلاة بلون أحمر و بآخر أصفر مشرقين بهجين . وهذه الأنوار تسمى (الضوء الشمالى) أو (الشفق الشمالى) وانما سميت بهذا الاسم لأن خطوط العرض الشمالية التى تظهر فيها هذه الأنوار يؤمّها الزائرون و يسافرها محبو الاطلاع أكثر من خطوط العرض الجنوبية العليا . إن مناظر هذه الأنوار ترى فى الجهات الجنوبية فى خطوط عروضها العليا كما ترى فى خطوط الشمال ويسمى النور هناك (شفقا جنوبيا) . ثم قال ونحن قد اصطفينا له اسم (النور الشمالى) وهذا الاسم مقبول عند الجمهور وان كانت التسمية المستعملة له عادة (الشفق القطبى) . قال واذا كان بعض قراء هذا المقال ربما لاتتاح لهم الفرص لارتياد النور الشمالى فى الأقطار الشمالية أوالنور القطبى الجنوبى فى الأقطار الجنوبية . فلنفرض اننا فى الفصول القصيرة من السنة أى الخريف والشتاء وقد ركبنا سفينة وسارت بنا بسم الله مجراها ومرساها الى الجهات الشمالية القطبية وليكن ذلك فى أوائل فصل الخريف قبل أن يقترب منا الليل الطويل القطبى . أقول وايضاح هذا أن الليل يكون ستة أشهر فى السنة فى الجهات القطبية من أوّل فصل الخريف الى آخر فصل الشتاء فتكون الزيارة فى أوّل الليل أى أوّل الخريف ليكون ضوء الشفق هناك كافيا لرؤية الأجسام . ثم قال فهناك نلاحظ أن كل ماحولنا فى برد شديد وهو عرضة للرياح الشديدة وان هناك من الأنوار ما يكفى لترى فى كل مكان تلك الصور السحرية العجيبة المناظر من جبال ثلجية عائمة على الماء فى الظلام وهناك نسمع أصواتا هائلة بتصادم تلك الجبال الثلجية وتعارضها وارتطامها فلا يمكننا أن ندفع عن أنفسنا الهلع والفزع والخوف من أن تقع سفينتنا بين جزيرتين من جزائر الجليد العائمة فيكون هلاكنا . إننا نشاهد المناظر حولنا أشبه بما يفعله السحرة والمشعوذون بقضبانهم وصوالجهم إذ تخيل لنا تلك المناظر أننا فى قصور مزخرفة محلاة بأنواع الحلى والجواهر فى ﴿ألف ليلة وليلة﴾ وهذه صورة (الشفق الشمالى) الذى شوهد فى ٤ فبراير سنة ١٨٧٤ عند (أورلين) (شكل ٧ و ٨)

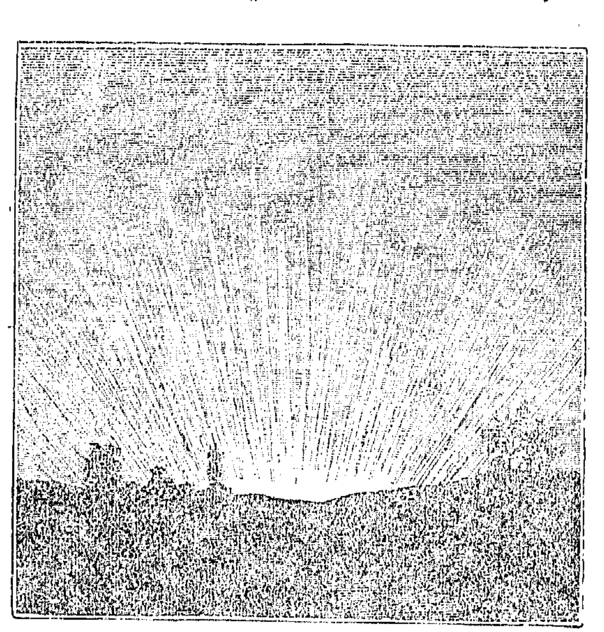




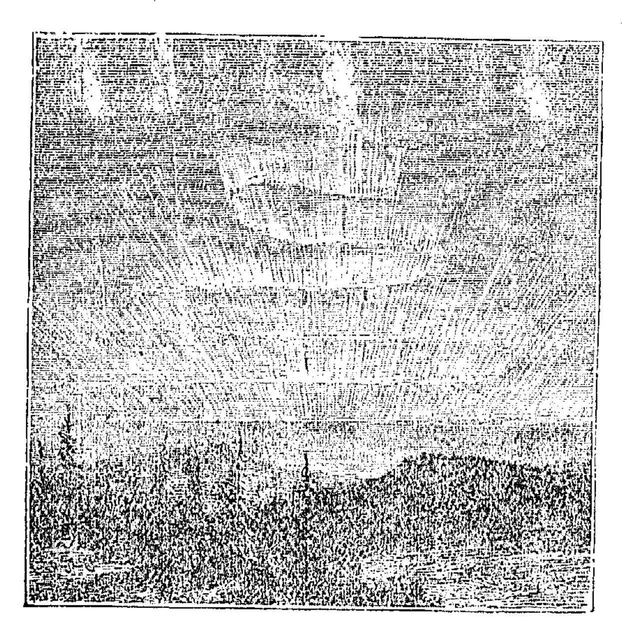
(شكل ٧ و ٨ ـ صورة الشفق الشمالى الذى شوهد عند (أورلين) فى ٤ فبراير سنة ١٨٧٤ م)

انا

إننا نرى هنا (قبابا) من النور المتلألئ البهيج ممتدة متسعة فى أكناف السماء من الشرق الى الغرب وهى تارة تكون واقفة وآونة تسير الهوينا نحو الشمال . ثم نرى ألوانا أخرى تأتى عمودية على تلك القباب المذكورة واذا كانت القباب تحت فانا نرى تلك الأشعة وان كانت متوازية غالبا تتجه الى أن تكون على هيئة خطوط متجهات الى نقطة سمت الرأس . وهذه الأشعة الضوئية فى النادر جدا انها تكون متجهة الى جهة سمت الرأس فى السماء وكثيرا ماتولى وجهها شطر الشرق بهيئة حركة الثعبان التواء وانعطافا من طرف الى طرف وقد يغطى هذا النور أكناف السماء . هذا نظرنا فى السماء فاذا حوّلنا وجهة نظرنا الى مباهج المناظر فيما يحيط بنا من الجبال الثلجية وهى مظلمة معتمة ساكنة فاننا لانثق بثبات هذا المنظر فان هذه الجبال الهائلة تعكس علينا فى سفينتنا ضوأ مكوّنا من ألف لون آتيا لها من الجوّ فوقها . فلو رأيت ثم رأيت قمم تلك الجبال الثلجية الهائلة قد حليت بأنواع من الألوان كأنما هى محلاة بأنواع من الجواهر المختلفة الألوان وباهر الأنوار الساطعة التى تكاد تذهب بالأبصار . هذه الأشعة تظهر فى صور مختلفة متنوّعة ونماذج من أبهج الجمال . وهذه الأشعة قد تستبين كأنها مدلاة من السماء مثنية كهيئة الرداء . (انظر شكل ٩ و١٠)



(صورة الشفق الشمالى مشاهدا عند (الاسكا) فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٦٥ (شكل ٩)



(صورة الشفق الشمالى الذى شوهد عند (بريفلبونت) فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٣١ (شكل ١٠)

هذا ما أردت شرحه فى آية — إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها — ولما كتبت هذا المقال سألنى صاحبى الذى اعتاد أن يبحث معى فى هذا التفسير . فقال هل هذه الآية يدخل فيها هذا كله . إن الزينة اذا صحت فى الجبال الثلجية وفى الينابيع النابعة من الأرض لما فيها من جمال المناظر وفى مناظر الحيوان لايصح أن تكون فى آراء الصوفيـة التى نقلتها ولا فى خرافات ﴿ألف ليلة وليلة﴾ و ﴿كليلة ودمنة﴾ وامثالها . فقلت إن الزينة لاتختص بما يرى بالعين وهى ﴿ثلاثة أنواع﴾ زينـة تعرف بالبصر . وزينة تعرف بالبصيرة والبصر وزينة تعرف بالسمع . فأما الأوليان فهما كل زينة رأيناها أوعرفناها كما تقدّم والأخيرة هى التى نسمعها عن الأنبياء والصالحين أومما تخيله أصحاب الروايات . فقال هـذا الأخير لايسمى زينة . فقلت قال الله تعالى — ولكنّ الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم — . إذن الزينة تكون مرئيـة بالبصر ومرئية بالبصيرة . ولاجرم أن المجالس تزدان بزينة العلم سواء أكان دينيا أم دنيويا . قال أما الآن فانى قد اكتفيت فقلت الحمد لله . انتهى صباح الخميس ١٤ شوّال سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الكلام على الفصل الأوّل فى قصة أصحاب الكهف وهو (وجهان * الوجه الأوّل) فى قوله تعالى ـ أم حسبت ـ الخ (الوجه الثانى) فى مقصود القصة ﴾

﴿ الوجه الأوّل والثانى معا ﴾

اعلم أن قوله تعالى ـ أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ـ دالٌّ كما تقدّم على أن آيات الله فى السموات والأرض لانهاية لها وأن أمثال هذه القصة ليست كل شئ وهذا فى الحقيقة غريب جدّا وعجيب بل ان هذه الآراء وان كانت حقة وقالها المفسرون بقيت مخبوءة عن العقول مبعدة عن ذكرها فى المنقول . فليسمع المسلمون فى أقاصى المعمورة كيف يقول علماؤنا رحمهم الله أن آيات الله فى السموات والأرض أعجب من هذه القصة التى طلبوها تعنتا وأن الله يقول اذا كان ولا بدّ من البحث عن أمر البعث فليكن فى علوم الطبيعة وآياتها البديعة فعلينا إذن أن نشرح ذلك فى كلمات فنقول

(١) انظر . أليس الناس ينامون كل ليلة و يستيقظون وهذا نفسه وان كان معلوما أشبه بأمر البعث ولعمرى أيّ فرق بين نوم الآلاف المؤلفة من الناس ليلة و بين نوم سبعة أنفس مئات من السنين ألا إن الغرابة هناك هى التى ذهبت بعقول الناس فقط والا فالبرهان واحد ففى ثبت نوم وايقاظ لحظات كان ذلك كالسنوات ولكن عادة الناس ألا يخضعوا إلا للغرائب

﴿ عادة قدماء المصريين ﴾

كان الكهنة المصريون يستخدمون هذه الطريقة فى عباداتهم الوثنية ويجعلون غرابة العجل وكونه على هيئة مخصوصة نادرة جاذبة لعقول العامّة فهم كانوا مطلعين على أسرار الكون وقد حجبوا العامّة عن تلك الأسرار بالغرائب والعجائب . ألاترى أنهم اذا مات العجل أخذوا يبحثون عن عجل غيره وهو المسمى (أبيس) ولايزالون يبحثون حتى يجدوه فيفرح الكهنة بذلك وتخدمه سيدات خاصات أربعين يوما ثم يضعونه فى زورق ويذهبون به الى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالكهنة وسراة القوم وجماهير عظيمة من طبقات الأمّة و يستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلف الأنغام ثم يختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهش وهو رقص دينى . فما الذى أفرح المصريين القدماء بذلك . لاشئ إلا الغرابة . فالغرابة هى الباب الواحد لما يراد من الناس . ولكن لاتظن انى أجعل هؤلاء كأولئك ولكن القرآن وان كان يذكر القصة على أنها وعظ دينى مرشدة للبعث فهو من جهة أخرى يقول كيف يقف الناس عند هذا الحدّ أى كيف يكون المسلم عاكفا على قراءة قصص الأوّلين . كلا . بل يقرأ ماخطه الله على لوح الوجود فان أراد ماهو أعجب من نوم أهل الكهف فها كه

(٢) لقد ذكرنا نوم الناس وقلنا لافرق بينه و بين نوم أهل الكهف ولكن أيها الذكى إن هذا القول غير مألوف وأنت وأكثر الناس لايرى فيه وضوحا . فاسمع ماهو أعجب

النمل وكثير من الحشرات تنام طول الشتاء كأنها أموات فاذا جاء فصل الربيع دبت فيها الحياة وعاشت كما كانت

(٣) السمك اذا أثلج الماء الذى هو فيه أصبح كالثلج فلو كسرت الثلج أو قطعته قطعا قطع السمك معه لأنه صار ثلجا و يبقى هكذا أمدا طويلا . فاذا أدنيته من النار تحرّك السمك وذاب الثلج

(٤) أذكرك بما مضى فى هذا التفسير أن حبة القمح الذى أصابه مرض فى سنبله وهو فى الحقل قد وجد العلماء فيها عشرات الألوف من الحيوانات الحية ومتى يبست الحبة وزالت الرطوبة ماتت تلك الحيوانات ولقد جرب العلماء فى ذلك تجارب فمنهم من أخذ تلك الحيوانات ووضعها فى الشمس أياما ثم بلها فى الماء فحييت كما كانت . ومنهم من وضعها فى الشمس كذلك ثم فرغ الهواء حولها مدّة طويلة ثم بلها بالماء ثانيا

فتحركت

فتحركت وعاشت كما كانت . ومنهم من أبقاها عنده فوق العشرين سنة وهى يابسة فلما أنزل عليها الماء تحركت وعاشت . فالعجائب التى قال الله فيها انها أكثر من آية أهل الكهف قد ظهرت لنا حقيقة واضحة وأصبحت حبة القمح الواحدة فيها آلاف مؤلفة تموت وتحيا فعلا بعد عشرات السنين ويقولون انها لو كانت حية فى حياتها العادية لم تتحمل كل هذا . فالله تعالى يسوقنا فى القرآن الى أن نأخذ الأدلة فى هذا وأمثاله من الطبيعة ولايريد منا إلا التوغل والترقى فيها هذا هو الذى يطلبه القرآن

﴿ أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة ﴾

طلب أهل مكة أن يزيح جبالها وأن يجعلها جنات وطلبوا كما قيل نبأ أهل الكهف فلم يجبهم فى الأولى مع أخواتها وأجابهم فى الثانية مفصلا آيات الطبيعة عليها كأنه يقول تعالى وما مكتكم وماجبالها واذا أزحتها عن أماكنها فماذا تفهمون . إنى أبحث لكم عجائب الطبيعة فانظروها . ألاترون أنى أجعل البرّ بحرا والبحر برا فى مئات الآلاف من السنين . ألاترون أن بحرا هناك (هو الذى ذكرته فى قصة نوح) جهة بلاد الروس والترك فحصل زلزلة عظيمة فذهب ماء البحر واتجه الى البحار الأخرى وأصبح الآن بلادا عامرة (انظره فى سورة هود فى قصة نوح) . أنا لا أنقل الجبال إلا بالزلازل فيكون الهلاك . فانظروا فى عجائب هذا الكون ففيه ماتقولون وأما التعنت فليس يفيدكم علما . فلاقصة أهل الكهف بمغنية عن نظركم فى الطبيعة والعلوم ولا الاجابة على مقترحاتكم بمغنية فتيلا اذا أجبناكم . فلينظر فى ذلك المفكرون

﴿ الكلام فى خوارق العادات وفى الكرامات والأولياء ﴾

خوارق العادات الجزئية توجد فى الدنيا . أما الخوارق الكلية مثل مافى الطبيعة أى مثل الأحوال والانقلابات الطبيعية فلاوجود له إذ لم تقطع يد انسان ثم رجعت كرة أخرى ولم تقلع عين ورجعت على يد ولى مثلا أوساحر أوكاهن . ولكن هناك غرائب تظهر وقد أوضحناها فى سورة البقرة فى مقامين عند الكلام على عجائب الأرواح وعند الكلام على السحر فلاحاجة للاعادة فعلم الأرواح قد انتشر فى المعمورة وعلم السحر أصبح بعضه صنائع فى أيدى الناس بعد أن كانت أمورا مكتومة مخبوءة فانظره فى سورة البقرة

بقى أن ننظر فى أمور الأولياء ومن هو الولى . هو فعيل بمعنى مفعول أو فعيل بمعنى فاعل أى تولاه الله أوهو تولى الله بالطاعة

﴿ صفته ﴾

لاصفة له إلا أن يكون فى الظاهر متخلقا بالشرع وفى باطنه مستغرقا فى الله وآياته وذكره

﴿ كراماته ﴾

ربما ظهرت خوارق على يديه وهذه الخوارق لاتعد ومايظهر على يد محضرى الأرواح فقد تصدر على أيديهم بعض لمحات مما فى نفوس من حولهم ومنهم من شاهدتهم بنفسى وهم جهلاء ولكن عند الذكر ووجود شيخ أمامه له أتباع كثيرون ترى هذا التلميذ الجاهل قد أخذ يشرح مواضع علمية فلسفية تعلو على مدارك من حوله . ولقد دهشت اذ اطلعت على هذا فى بعض المجالس ورأيت من ذلك الذى ينشد فى الذكر من العلم مالايقدر عليه أكبر العلماء والفلاسفة فاذا رجع الى حاله الأولى رأيته كما كان لايدرى شيأ مما كان يقوله وقد أقرّ مرارا بهذا

﴿ نظير هذا فى أوروبا والهند ﴾

لقد ذكرت لك فى سورة (النحل) الغلام الصيرفى الجاهل الذى كان يتكلم فى الفلسفة وهو منوّم مع فصاحة وذلاقة حتى اذا رجع الى حاله الأولى لم يدرك شيأ وكذلك ابنة الحاكم المسماة (لاورا) كانت تنطق بلغات لاتعرف منها شيأ وتخاطب الأموات الذين يطلبهم أصحاب ذلك الحاكم الأمريكى المسمى (ادمون) وقد نطقت بعشر لغات فى مدّة ساعة ﴿ الاسبانية والافرنسية واليونانية والايطالية والبرتغالية واللاتينية والهندية

والانجليزية ﴾ وغيرها من اللغات التي كان يجهلها الحضور . وهكذا في بلاد الهند يحصل عجائب وغرائب على يد الشيوخ المنقطعين في الغابات من هذا وأمثاله كثيرا بل عند عباد الأوثان من الغرائب ما يحير الألباب كما روى أن قوما منهم أوقدوا نارا على حجر أياما ثم قالوا للضابط الانجليزي مرّ معنا عليه على شريطة أن لا تنظر خلفك والا احترقت حالا ففعل فلم يحترق وأخبار ذلك كثيرة

﴿ آثار ذلك في الاسلام وما يجب أن يكون ﴾

المسلمون نظروا في أمر الشيوخ فرأوا الصالحين منهم لهم بعض كرامات من هذا النوع وهنا بيت القصيد فماذا نقول . نقول ان الأمر موقوف على صاحب هذه الكرامة فان كان حقيقة مستغرقا في جلال الله فهذه الكرامة يجب أن تزيده تواضعا ويجب على مريديه أن لا يظنوا أن هذا مقصود الاسلام بل مقصود الاسلام ارتقاء العقول والبحث والفكر فلو عكف الناس على تلك الخوارق لأضاعت أعمالهم ولخسروا وضاع الاسلام

إن الشيخ الذي منح هذه الكرامة اذا ظنّ أنّ الله اصطفاه بها وأنه سعيد وأنه مرموق من حضرة الحقّ وقد أصبح آمنا فانه يصبح أبعد من الله وتكون الكرامات شرا ووبيلا ويكون مثله كمثل الذي له جنتان ـ فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا ـ الخ فلا فرق بين تلك الكرامة وبين المال فليس اكرام الله للصالح ببعض الخوارق ولا تسهيل مصالح الانسان واعطاؤه الغنى وسعة الرزق من أيدي سائر الناس بدليل على أنه من المقرّبين فقد يسلب العطية كما يسلب المال وانما رضا الله على مقتضى الاخلاص وكم من رجل دخل الخلوة وصفى نفسه وأعطى بعض الخوارق ثم خرج منها وأخذ الناس يقبلون يديه وقد أصبح شيطانا رجيما لانه رجع لطلب الدنيا والشهرة والمال ومن أكرمه الله ببعض الخوارق من الصالحين أو ببعض اليسار والغنى منهم ومن غيرهم ثم فرح بالكرامة وفرح بالمال . فليعلم ذلك الصالح وذلك الغنى انهما قد استدرجهما الله والاستدراج استبعاد عن الكمال واقتراب من النقص . فالفرح بالكرامة والفرح بالمال يحببان النفس في الدنيا ومحبة الدنيا بعد عن الله فلا صلاح ينفع ولا مال يشفع . وكلما اقترب العبد من الدنيا بحبها ابتعد عن الله وهذا هو الطرد بعينه . وقد رأيت في كتاب ﴿ الروض المستطاب ﴾ لبعض تلاميذ الشيخ خالد رحمه الله تعالى ما يوضح هذا المقام ايضاحا تاما

﴿ فكم من ذاكر لله وقلبه معلق بالدنيا ولذلك ترى كثيرا من شيوخ الطرق في الاسلام صاروا أعظم نكبة على الأمّة وهم جشعون فرحون بالمال مغرمون بالدنيا لاسيما أعقاب أولئك الأولياء الذين لم يسيروا على طرقهم فتصبح العبادة مصيدة للدنيا مبعدة عن الآخرة ﴾

﴿ الصوفية ودول أوروبا ﴾

ومما يناسب هذا ما عرفناه في زماننا أن فرنسا لما نظرت فوجدت أن المسلمين تحت أمر الشيوخ أعلنت في جرائدها أنها ستتخذ كل طريق لفتح مراكش وذلك باعطاء شريف مراكش أموالا طائلة . وكذلك شيوخ الطرق وبعد ذلك نجحت فعلا وقد قالوا ان هؤلاء الشيوخ يخضع لهم الناس ومتى أغدقنا عليهم النعم والمال كان الناس تابعين لهم وهؤلاء الشيوخ متى نالوا النعيم والراحة أحبوا بقاء الحالة على ما هي عليه

﴿ قصة أهل الكهف ﴾

علم الله عزّ وجل أن المسلمين سيقعون في هذه البلايا والنكبات وأنهم اذا عمّ الجهل ربوعهم سيكون الصلاح وما يتبعه من بعض الكرامات يستعملها قوم من الذين لا خلاق لهم في جلب المال ونصب المكائد للأمّة وأنهم سيكون فيهم كذابون مخترعون لذلك ليصيدوا به القلوب . وعلم أن أوروبا ستتخذ من هؤلاء شبكات للصيد فأنزل الله هذه السورة ولم ينزل ما اقترحه أهل مكة في سورة الاسراء بل اصطفى هذه القصة وما بعدها وبدأها بقوله ـ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ـ فجعل عجائب الملك أرقى

من هذه العجائب وحثّ الناس على النظر فى الكائنات لتصقل عقولهم بالمواهب وأن أمثال هذا يكتفى به الأصاغر من الرجال

﴿ واجب المسلمين فى المستقبل ﴾

لاجرم أن الأمم تبدأ بتعليمها بتوسيع الخيال من العجائب القصصية فاذا ارتقى التلميذ فى التعليم أروه حقائق الأشياء فى الرياضة والطبيعة . هذا هو الصراط المستقيم فى أوروبا الآن . فهذه القصص يجب أن تعطى للتلاميذ فى أوّل نشأتهم ولكن حرام أن تترك العقول فلايدرس لها نظام الطبيعة والفلك وقولى حرام أى على من قدر بالمال وبالعقل وانما كان حراما الترك لأن ذلك فرض كفاية ولا كفاية إلا بتعميم التعليم تقريبا فى هذا الزمان إذ كيف يقول الله إن عجائب السموات والأرض أعجب من هذه القصة وكيف يقول فى سورة يوسف عليه السلام بعد أن أتمها ـ وكأين من آية فى السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ـ وبخهم على جهلهم ماحولهم وقال اذا لم تعتبروا بسورة يوسف ولم تؤمنوا فأنتم قوم جهلتم ماهو أعظم . عجب للقرآن يذكر السورة بتمامها ويقول هناك ماهو أعظم بلانهاية وهنا يقول عجائبى أعظم

اللهم إنى كتبت فى هذا المقام ما أعلم فلا تؤاخذنى فيمالا أعلم . فليرشد العلماء أمّتهم فانها أصبحت فى حاجة الى المرشدين وليعلم الناس من قدر فهذا مافى طاقتى . ولقد حاولت هذا الموضوع مدّة حياتى ولكن هذا منتهى جهدى وطاقتى والله ولىّ حميد . انتهى الفصل الأوّل

﴿ الفصل الثانى فى حساب السنين وفى معنى (٣٠٩) فى الآية ﴾

السنة العربية قد ذكرت فى كتاب ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ مايأتى فى صفحة ٢٣٣

أنا الآن فى يوم الأربعاء خامس يوم من شهر المحرم سنة ١٣١٩ هجرية أى قبل الآن بأربع وعشرين سنة فوجب إذن أن أجعل التمثيل بهذه السنة فأقول

اذا أردت معرفة أوّل يوم من السنة العربية فاقسم عدد السنين الهجرية على (٢١٠) واقسم الباقى على (٣٠) ومابقى فانقصه واحدا ثم اضرب البسيط فى (٤) والكبيس فى (٥) واضرب الخارج من قسمة الباقى فى (٥) أيضا وأضف (٥) أخرى فهذه حواصل أربعة فاجمعها واقسمها على (٧) ومابقى فأجره على أيام الاسبوع من يوم الأحد فاليوم الذى يدل عليه العدد هو أوّل تلك السنة من زمن الهجرة

ففى مثالنا هذا باقى قسمة سنة ١٣١٩ على (٢١٠) هو (٥٩) وبقسمته على (٣٠) يكون خارج القسمة (١) والباقى (٢٩) وبطرح واحد منه يكون (٢٨) والسنين الكبيسة فى كل سنة هى (٢و٥و٧و١٠ و١٣ و١٥ و١٨ و٢١ و٢٤ و٢٦ و٢٩) ويضرب الكبيسة فى مثالنا فى (٥) يكون (٥٠) والبسيطة فى (٤) يكون (٧٢) والباقى عندنا (١) نضربه فى (٥) ونضيف (٥) وهذه الحواصل الأربعة (١٣٢) وبقسمتها على (٧) يكون الباقى (٦) فيكون أوّل السنة على هذا يوم الجمعة ولكن الهلال لم ير إلا ليلة السبت فأوّل السنة الشرعية يوم السبت وقد مكث الهلال نحو ٤٣ دقيقة بعد الغروب فدل على أن الاجتماع سبق بمدّة طويلة . ولمعرفة أول الشهر اضرب عدد الأشهر السابقة على الشهر المطلوب على حساب أن المحرّم (٣٠) وصفر (٢٩) وهكذا شهر كامل وشهر ناقص فاضرب التام فى (٢) ويضاف اليه عدد الناقصة ويضاف الى مجموعهما العدد الدال على أول يوم من السنة ويقسم الكل على (٧) فلمعرفة أول شهر ربيع الأوّل من هذه السنة نأخذ واحدا للناقص و٢ للتام فهنّ (٣) ونجمعها على (٦) وهو الذى كان ابتداء السنة يحصل (٩) فنسقط (٧) فالباقى (٢) ويكون أوّل شهر ربيع الأوّل من هذه السنة يوم الاثنين ولكن على حسب القاعدة نفسها لاعلى حساب الهلال . فهذا ملخص ماذكره سعادة مختار باشا الفلكى فى كتابه ﴿ علم الهيئة ﴾

فتأمّل كيف دارت الأفلاك دورات منتظمة . وكيف كانت الأدوار كل دور (٢١٠) وهذه فيها (٧) أدوار لعدد (٣٠) المشتمل على الكبيسة والبسيطة بحيث يكون الكبس والبسط فى كل (٣٠) منها مماثلا

تماما للثلاثين بعـدها ثم ان أوائل الشهور والسنين فى كل دور من الأدوار الكبيرة وهى (٢١٠) هى بعينها تماما أوائل السنين والشهور فى الدور الآخر بحيث ان السنة الثانية من الدور الأول تكون أوائل شهورها مثل أوائل نظيرتها فى الدور الثانى . هذه هى السنة الشمسية والقمرية التى ذكرتها الآية نقلا ملخصا من كتابى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾

اعلم أن قدماء المصريين وأهل أوروبا نظروا فى أحوال الأرض من حيث الحرّ والبرد فوجدوا ذلك تابعا لقرب الشمس و بعدها وانها تقطع فى كل دورة بحسب الظاهر ٣٦٥ر٢٤٢٢١٧ يوما شمسيا بمعنى انها تحدث قربا منا و بعدا عنا ينتج عنهما الصيف والخريف والشتاء والربيع ومدّة هذه الأربع تسمى سنة شمسية إذ النظر فيها الى سير الشمس ٣٦٥ر٢٥ يوما وهذه السنة تسمى الانقلابية أيضا لأنها عبارة عن مدّة تنقضى ما بين مرورين متتاليين للشمس بنقطة اعتدال واحد كالاعتدال الربيعى . وأما السنة القمرية فانها تتركب من ٣٥٤ر٣٦٧٠٦٨ يوما لأن كل شهر ٢٩ يوما و١٢ ساعة و٢٤ دقيقة وثانيتان وتسعة أجزاء من عشرة من الثانية أو ٢٩ر٥٣٠٥٨٩ يوما أى ٢٩ يوما وماينوف عن نصف اليوم . وهذا الحساب مأخوذ من ملاحظة المدّة بين كل كسوفين متواليين فيحسبون عدد الدورات الاقترانية المسماة (الحركات الدائرية) أيضا ويقسمون تلك المدّة الكلية على عـدد تلك الدورات وقد تمّ المطلوب . فاذا طرحنا السنة القمرية من السنة الشمسية كان الفرق بينهما ١٠ر٧٧٥١٤٩ أيام وهذا العـدد يكون فى كل ٣٣ سنة ٣٥٥ر٥٧٩٩١٧ أى ٣٥٥ يوما ونحو ٥٨ جزأ من مائة من اليوم وهذا نحو سنة فتكون كل ٩٩ سنة شمسية زائدة ثلاث سنين اذا اعتبرت قمرية و بالتقريب تزيد كل مائة سـنة ثلاث سنين فثلاثمائة تكون (٣٠٩) فهذا هو الذى ذكره القرآن . فاعجب واعلم والحمد لله رب العالمين

هذا هو الذى ذكره الله بقوله ـ وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ـ . ولعمرى كم من الفرق بين هذا الحساب الدال على النظام الالهى وعلى حكمة الله وعنايته و بين قصة أهل الكهف التى ليست على طراز عام كافل للصلحة العامّة وانما هو خوارق جرت على أيدى أقوام شرفاء لتذكير الناس بربهم حتى اذا انتبهوا رجعوا الى ربهم فقرؤا نقشه وصناعته . إن الله أفهمنا أن هذه العجائب أشبه بلبن الأم يرضعه الطفل صغيرا فاذا كبر فما أجدره أن يجدّ بنفسه لايتكل عليها . فلنقرأ ذلك ولنقرأ بعده العلوم الكونية . ولقد فتح الله الباب فى مثل هـذا التفسير فليلجه المسلمون . أقول وسيلجونه وسيكونون ـ خير أمّة أخرجت للناس ـ وسيتم قول الله وسيتعلم المسلمون وسيكون هذا التفسير من أسباب انتعاش العقول وذهاب الجهالة ـ ولتعلمنّ نبأه بعد حين ـ . ـ وكان أمر الله قدرا مقدورا ـ وسيقرأ هذا من بعدنا وسيرونه حقا والحمد لله . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث فى قوله تعالى ـ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ـ الخ ﴾

لما ذكر الله عزّ وجل حساب السنة القمرية والسنة الشمسية وكان هذا حقا معجزة واضحة بينه ولكنه مجمل أخذ سبحانه يمهد للامور الطبيعية الاتية بذكر القلوب الغافلة والمستبصرة وأمر نبيه ﷺ أن يكون مع الذين قلوبهم مستبصرة ليمهد السبيل الى ذكر الجنتين وهما من زينة الحياة الدنيا . فانظر كيف ذكر الزينة فى أوّل السورة ثم قال هنا ـ ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ـ وكأنه بهذا يفهم الناس ما المقصود من زينة ما على الأرض فقال ليس المقصود زينة الحياة الدنيا بل تزيين العقول بآثارها بعد استكمال الانتفاع بها انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى مسألة الجنتين وأن أحد الأخوين اغترّ بهما والآخر عرف الحقائق وقال له كل ذلك لا بقاء له ﴾

إن هذه المحاورة التى بين الاخوين ضرب مثل للناس جميعا . انها حاصلة فى كل مجتمع فالناس جميعا على هذه

الحال

الحال فكل من أوتى مالا أوجاها أوقوة يفتخر بما أعطيه بل من أوتى علما يفتخر على الجاهل بل أرباب الكرامات من الأولياء بعضهم تكون هذه الكرامات من أسباب تكبره فالمثل هنا شامل كامل وان هذا الذى يفتخر به العالم والغنى والصالح مما آتاه الله من المال أوالاقبال يكون و بالا عليهم جميعا ولا بقاء له . فكيف يفتخر هؤلاء والدنيا دار انتقال ولكن الغفلة متى استحكمت على القلوب تركتها فارغة لا رأى لها . فكل واحد من هؤلاء يقول الله أعطانى المال أوالعلم لاستحقاق وكل من أوتى شيأ باستحقاق فانه لا يسلبه فأنا لا أسلب هذا المال ولا أسلب هذا العلم الخ وهذا قوله تعالى — وما أظنّ أن تبيد هذه أبدا — وأيضا يقولون فى أنفسهم إن الله أنعم علىّ فى الدنيا وكل من أنعم عليه فى الدنيا لابد أن ينال النعيم فى الآخرة فعليه أنا عزيز منعم فى الدنيا والآخرة وهذا قوله تعالى — ولئن رددت الى ربى لأجدنّ خيرا منها منقلبا — . ولعمرى ماضرّ الناس إلا هذان البرهانان اللذان هما من السفسطة وهما أشبه بأدلة ابليس إذ جعل كون آدم من تراب سببا فى احتقاره ولذلك جاءت قصة ابليس وذرّيته بعدها وانهم عدوّ فكيف نأتى بأدلة . يغترّ الرجل فيقول هذا مالى وهذا ملكى ولن يفنى مع أنه يشاهد الأحوال المتغيرة أمامه ويقول ان الله ينعمنى فى الآخرة ومادرى أنه لاتلازم بين الحياتين بل التلازم للعمل لا للمال . وقد يظنّ الصالح أن صلاحه أوجب له ما أنعم به عليه من بعض الأحوال أوماعلم أنه لادوام للاحوال وأنه ربما كان ذلك استدراجا . ويظنّ العالم أن ماكسبه من العلم قرّبه من الله والعلم قد يكون وبالا على صاحبه يقرّبه من الدنيا ويفرحه بها وينفره من الله . أومادرى من أوتى المال والحدائق أن هذه خلقت له ليعتبرها دروسا يدرسها ويفهم مغازيها ويقرأ علومها فتكون جنة حقا توصل لجنة مستقبلة . إن فى لذات المعانى المفهومة من المروج الواسعات مايربو على لذات المحسوسات والثمرات — ومايعقلها إلا العالمون — (بكسر اللام)

يقول الله هذه الحدائق زينة الأرض فاحذروا أن تجعلوها خاصة باللذات الشهوية بل استخدموها فى اللذات العقلية وانفعوا بها البرية . انتهى الفصل الرابع

﴿ الفصل الخامس فى قوله تعالى — واضرب لهم مثل الحياة الدنيا — الخ ﴾

ههنا كما تقدّم تمّ الكلام فى مسألة الزينة فى الحياة الدنيا ووصلنا الى يوم المعاد فيحاسب كل امرئ على ماعمل . وقد قلنا ان هذه السورة متصلة بما قبلها من وجوه وأن المقصد من هذا كله مسألة البعث وكنت أريد أن أسمعك تمام مبحث البعث والمحاورات التى دارت بينى و بين طالب روسى فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ كما وعدت فى سورة الاسراء وهذه المحاورة قد امتزجت فيها الأدلة العقلية بالأدلة الشرعية مشاكلة لما فى هذه السورة من اجتماع النوعين من الأدلة . ولكن اكتفيت فى مثل هذا المقام بما تقدّم فى هذا التفسير فى مواطن كثيرة فمن أراد ذلك فليقرأ الكتاب المذكور . وههنا ﴿ ثلاث جواهر * الأولى ﴾ فى أمر الجنة والنار ﴿ الثانية ﴾ فى ضرب المثلين ﴿ الثالثة ﴾ فى سجود الملائكة قد فتح الله بها بعد ماتقدّم

﴿ الجوهرة الأولى فى قوله تعالى — ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا — ﴾

فى صباح هذا اليوم (١٧) مايو سنة ١٩٢٨ م خرجت للرياضة فى روضة المنيل فى ضاحية مصر فقابلنى أحد الفضلاء وكان من حديثه معى أن قال . ماالذى يطبع من التفسير الآن . قلت سورة الكهف . فقال عندى سؤال لازال يعاودنى طول حياتى . فقلت وماهو . قال يقول الله تعالى — ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وإستبرق — الخ ويقول فى سورة الحج — يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير — ويقول فى سورة أخرى — وأنهار من عسل مصفى — ففى الجنة حرير ولؤلؤ وعسل . ولاجرم أن الحرير لذة حاسة اللمس فان للمس الخشونة والملامسة والثقل والخفة وهكذا الخ مما اطلعت عليه فى كتابك ﴿ بهجة العلوم ﴾

فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية وهذا الكتاب هو الذى جعلنى أفكر فيما أقوله الآن وما العسل إلا لذة حاسة الذوق التى لها تسع صفات من صفات المادّة مثل المرارة والحرافة والملوحة والحلاوة وهكذا وما اللؤلؤ إلا للذة الابصار وللابصار من صفات المادّة عشر من الألوان والأشكال والحركات الخ . كل ذلك قرأته فى ذلك الكتاب وأرى الله خلق ذلك لنا فى الأرض وأنزل سورة النحل وقال تعالى ـ وتستخرجون منه حلية تلبسونها ـ وهكذا وهذه الحواس ثلاث وحواسنا خمس فأرجو ايضاح ذلك المقام . فقلت إن هذه المذكورات مفاتيح العلوم ورقى المسلمين فى الدنيا والآخرة . فقال

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرّب

فقلت لا أنا مشرّق ولا أنت مغرّب . إن المقام مقام علم وحكمة . اعلم أن هذا النوع الانسانى خلق فى الأرض ليدرسها لاغير . والدليل على ذلك أنه جعل ألذ طعامه من حشرة طائرة بجناحيها وهو النحل وألذ الملبوسات من دودة تمشى على بطنها فوق الأرض وهو الحرير . وأبهج الحلى من حيوان بحرى لاحق بالصخور فى البحر وهو الدّر . عسل وحرير ودرّ . قلّ وجودها وغلاثمنها وعسر تحصيلها وفرّقت على عوالم الهواء والأرض والماء . ذلك درس جميل لهذا الانسان . أفلا ترى أن هذه مفاتيح العلوم الجوّية والأرضية والبحرية وهل كرتنا الأرضية هى وما حولها غير ذلك . وقد قلت فى كتابى « جوهرة الشعر والتعريب » ما يأتى من الأبيات

ومن فحمة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج هو الألماس فى صدر قنية

وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من فم نحلة

وأعجب آيات الجمال جواهر * من الصدف المخلوق فى قاع لجة

فهذا على أرض وذلك فى الهوا * وآخر فى لج البحار العميقة

أكثر هذا الانسان يشبهون الحيوان يعيشون ويتمتعون ويقفون عند الحواس الخمس . ولكن هذا الانسان كله خدم وحشم لأولى الألباب الذين يتفكرون فى هذه الدنيا ويعرفون أن هذه انما هى مفاتيح للعلم ويفطنون لهذا الوجود . وماهذا كله إلا تفسير لقوله تعالى ـ ولدينا مزيد ـ . يقول العلماء إن أهل الجنة يتمتعون فيها ولكن أعلاهم الناظرون لوجه ربهم ولاينال ذلك إلا أولو الألباب الذين عشقوا العلوم فى الدنيا . إذن الناس « قسمان » قسم اكتفى بالظواهر فى هذه الأرض وهؤلاء اذا كانوا صالحين دخلوا الجنة الحسية واكتفوا بها . وقسم عرف الحقائق فى الدنيا وأدهشه نظام هذا الوجود وكيف كان هذا الانسان قدقسمت عوالم الهواء والأرض والماء على حواسه فكان منها آلامه ومنها لذاته فهناك يجدّ فى البحث والتفكير وأمّة هذا شأن عقلائها تنال الزيادة فى سعادة الحياة والزيادة فى الجنة وهى النظر لربها والأمم الاسلامية اذا عقلت أمثال هذا نال أحياؤها العزّ فى الحياة وأمواتها فى الآخرة النظر لوجه الله ولانظر لوجه الله إلا بمبادئ تكتسب فى هذه الحياة . تلك المبادئ هى معرفة العالم الذى نعيش فيه . ولولا ذلك لم يكن هناك داعية الى الاقلال من العسل والحرير والدر . وفى الامكان أن يكون الدّر فى كل مكان والعسل أنهارا والحرير كالقطن وفى ذكر أنهار العسل واللبن والخمر فى الجنة مايشير الى هذا الامكان . انه لم يمنع ذلك إلا ارادة توجيه الأنظار للبحث فان ماغلا ثمنه وصعب الحصول عليه تتجه اليه الجهلاء لتملكه والعلماء لتبحثه . هذا بعض السرّ فى نظام هذا الوجود . فقال وهل اللغة العربية تساعد على ذلك . فقلت وهل اللغة العربية غير ذلك . فقال وكيف ذلك . فقلت أسألك عن معنى ما قالته الخنساء فى أخيها صخر

طويل النجاد رفيع العما د كثير الرماد اذا ما شتا

مامعنى كثير الرماد . قال ان كثرة الرماد تستلزم كثرة احراق الحطب وكثرة احراق الحطب تستلزم كثرة

الطبخ

الطبخ وكثرة الطبخ تستلزم كثرة الآكلين وكثرة الآكلين تستلزم كثرة الأضياف وكثرة الأضياف تستلزم الكرم . فاذن كثرة الرماد تستلزم الكرم بهذه الوسائط وهذا يسمى كناية فهى لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلى . فقلت إذن يكون أخوها صخر كان عنده رماد كثير وعنده كرم وثانيهما لازم لأوّلهما . قال نعم وهذه هى الكناية المسماة رمزا والرمز إما أن يكون بكثرة الوسائط . واما بخفاء القرينة مع قلة الوسائط . فقلت له هكذا هنا هى كناية فالمعنى المفهوم من اللفظ للعموم والكناية المسماة رمزا للخصوص فالذين فهموا الرمز ودرسوا العلوم نفعوا أممهم فى الدنيا ورأوا ربهم فى الآخرة والذين اكتفوا بظواهر الحرير والعسل واللؤلؤ من بعض علماء الدين والعامّة والصلحاء فلاجنة لهم إلا مافرحوا به كما تقدّم فى كلام الامام الغزالى فى أوّل (سورة البقرة) . فقال وما القرينة هنا . قلت القرينة هنا قوله تعالى فى آية أخرى ـ فلاتعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين ـ وقوله ﷺ ﴿ فى الجنة مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ﴾ ولاجرم أن الحرير والعسل واللؤلؤ رأتها العيون وسمعتها الآذان وخطرت على القلوب فقال ولم خصّ لون الخضرة . قلت هذا مفتاح رابع للعلوم فالخضرة تعمّ النبات وهو منتظم موزون جميل وهذا التفسير مملوء به . فقال إن هذا البيان عجيب . فقلت الحمد لله الذى بنعمته تتمّ الصالحات . فقال هنا سؤال آخر وكيف تكون هذه رياضة . فقال هذه رياضة تكون مصاحبة للرياضة الجسمية . فقلت ماهو السؤال . فقال يقول الله تعالى ـ كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ـ وقال هنا ـ وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل ـ وانما قلت هذا لأن الشئ يخطر بالبال عند ذكر ضده . فقلت له ان القول السابق يفسر اللاحق . فقال وكيف ذلك . فقلت أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمّ أعيدوا فيها وكلما استغاثوا أغيثوا بماء كالمهل كما هى الحال الآن تماما . إن أهل الأرض الذين لايعرفون إلا الحواس الخمس كالبهائم اذا اقتصروا على تمتع الحواس من المال والولد والصيت واقبال الناس عليهم فان كل لذة يحدث بعدها ردّ فعل فيحتاجون للذة أعلى وهكذا فكلما خرجوا من غمّ عادوا فيه وكلما طلبوا مالا أوجاها ازدادوا لوعة وحسرة ولننظر فى أنفسنا . أليست هذه الحال عامّة فى أهل الأرض وأقرب مثل لذلك من يدمنون الخمر فكلما أراد أحدهم التوبة عاود الكرة فسكر فاذا صحا ندم وأراد الخروج من الغم فيعاد فيه فأمر الخمر فى هذه الحياة جعله الله مثلا للناس ليعلموا أن هذه حال الحياة الدنيا وكل ذلك للوقوف على المحسوسات والاكتفاء بظواهر الحياة فى الأعمال وظواهر الألفاظ فى الكتب السماوية ـ ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا ـ . فلما سمع ذلك صاحبى قال قد فهمت وشفيت صدرى والحمد لله ربّ العالمين . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى ـ واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين ـ الخ وفى قوله ـ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء ـ الخ وقوله ـ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ـ الخ مع قوله فى أوّل السورة ـ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها لنبلوهم ـ الخ ﴾

يعجب القارئ لهذه السورة فانه يجد أنه فى أوّلها ذكر أن ماعلى الأرض زينة لها وأن هذه الزينة تذهب فلاوجود لها ثم يجد هنا ضرب مثل الرجلين إذ اغترّ أحدهما بزينة الدنيا فهلك ثمره وضرب مثل الحياة الدنيا كلها فيجدها كالزرع يصير هشيما فتذروه الرياح . إذن هذان المثلان وماقبلهما وما بعدهما كله ايضاح لما ذكر من الزينة الفانية فى أوّلها . لهذا ابتدأ السورة بالحمد على انزال الكتاب لأنه هو الذى أبان هذه الحقائق . ولما كتبت هذا حضر صديق العالم واطلع عليه فقال . لقد جعلت فى هذه السورة صورا جميلة تمثل الزينة فى هذه الأرض من حشرات طاووسية الى حمير مزوّقة حبشية الى عيون ماء حارّة بيضاء بهية الى أنوار بهجة فى الأقطار الشمالية من قباب نورية بلورية وأشعة عمودية عليها ابرية ومايمثل الحيات الساعية

الموسوية من الأنوار القطبية . إن هذا جمال وأى جمال ثم يتبع هذا احتقار الحياة ونبذ هذه الزينة والتبرى منها . إن هذا يحير العقول . فبينما نرى جمالا على جمال اذا هذا كله فى وبال وذهاب وتباب فكيف نجمع فى عقولنا بين الوجود والعدم والحياة والموت والجمال والوبال وكيف يجتمع الفرح والحزن . هذا هوالذى يحير الألباب . فقلت لقد أشرت لهذا فيما تقدّم فى هذه السورة وغيرها ولكن الآن أقول . ان الله لما أنزل هذا الدين ساقه لقوم عقلاء بلغتهم ففهموا غير ما نفهم نحن الآن وعقلاء بلا فلسفة ولا تعليم ولا مدارس ولا دروس ولا أزيدك على ماجاء فى التاريخ من فتح المسلمين البلاد المصرية فهذا الذى أذكره يتضح هذا المقام . ذلك أن المسلمين فتحوا بلاد العرب والعراق وفارس والشام وفلسطين وغيرها فى مدة لا تتجاوز (١٨) سنة هنالك دهش (هرقل) الرومانى ملك القسطنطينية من هذا السيل الجارف وأوجس خيفة على مصر فأقام معاهدة بينه و بين عمر رضى الله عنه أن يدفع الرومان جزية سنوية للمسلمين فى مقابلة تركهم لفتوح مصر ولكن هذه الجزية ما كان الروم ليدفعوها فى حينها بل كانوا ينقصونها عما اتفقوا عليه وكان إذ ذاك عمرو ابن العاص لا يفتأ يذكر الخليفة بفتح مصر وكان يقول انها أكثر الأرض أموالا وأعجز عن القتال والحرب ولكن عمر بن الخطاب لم يقدم على ما قاله عمرو بن العاص إلا بعد أن نقضت المعاهدة بين الطرفين وتوجه عمرو بن العاص الى مصر بأربعة آلاف

(١) فأولا دخل (رفح) وهى الآن قرية تسمى (رفغ) تبعد عشر ساعات عن العريش

(٢) ثم العريش

(٣) ثم توغل فى مصر وانضم اليهم قوم من البدو فى طريقهم

(٤) فقاتلوا فى (الفرما) عسكر الروم نحو شهر ففتحوها

(٥) ثم قاتلوا فى بلبيس نحو شهر ففتحوها

(٦) ثم ساروا الى (حصن بابليون) و يسمى عند قدمائنا مؤرخى العرب (باب اليون)

و يقولون انه حصن بناه الفرس لما ملكوا مصر وسموه باسم عاصمة بابل لأنها كانت فى ملكهم إذ ذاك ومكانه الآن مكان (قصر الشمع) وهو يبعد عن ضفة النيل الآن لأن النيل قد تغير مجراه بعد ذلك وهذا الحصن كان عظيما على ضفة النيل الشرقية مقابل الاهرام وفى شرقيه جبل المقطم وهنالك أرض فضاء فيها بعض الكنائس وأمام الحصن النيل وفى وسط النيل جزيرة الروضة والماء محيط بها طول السنة وكانت تسمى بجزيرة مصر وكان الممرّ من هذا الحصن الى الجزيرة جسر من خشب وهكذا من هذه الجزيرة الى الجيزة فى البرّ الغربى للنيل فنصبوا الخيام فيما بين الحصن وجبل المقطم وقد شحن هذا الحصن بالمقاتلة والجيوش المصرية وكان فى الحصن المقوقس مع هؤلاء الجيوش وهو حاكم البلاد من قبل (هرقل) والمقوقس كان رجلا يونانيا ولكنه أصبح وطنيا مصريا فحاربهم عمر مدة وأمدّه الخليفة بأربعة آلاف أيضا فشدّدوا فى الحصار ولكن المقوقس ومن معه عبروا الجسر الى الجزيرة ومنها توجهوا الى (منف) وهى العاصمة فى جهات الجيزة

وأما عمرو ومن معه فقد دخلوا الحصن وتوجهوا الى الجزيرة وهنالك دارت مكاتبات بينهم و بين المقوقس فأرسل المقوقس لهم خطابا يطلب فيه أن يرسلوا رجالا من العرب ليكون الاتفاق على يديهم فأرسل عمرو خطابا مع عشرة نفر رئيسهم عبادة بن الصامت وكان هائل المنظر أسود اللون طوله عشرة أشبار وهو المتكلم عنهم فركبوا السفن حتى أتوا المقوقس فتقدّم عبادة فى صدر أصحابه فهابه المقوقس لسواده وعظم جثته وقال نحوا عنى هذا الاسود وقدّموا غيره يكلمنى فأجابوا أن هذا الاسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا وانما نرجع جميعنا الى قوله ورأيه وقد أمرنا الأمير أن لا نخالف له أمرا . فقال المقوقس وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود مقدما عليكم وهو أسود وانما ينبغى أن يكون دونكم . فقالوا . كلا . وان كان أسود فهو أفضلنا . فقال

المقوقس

المقوقس لعبادة بن الصامت تقدّم يا أسود وكلمني برفق فانى أهاب سوادك فتقدم عبادة اليه وقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشدّ سوادا منى وأفظع منظرا وجميعهم أشدّ هيبة منى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل وذلك انما لرغبتنا وهمتنا فى الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدوّنا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا ولا طلب الاستكثار منها إلا أن الله عزّ وجل قد أحلّ لنا ذلك وجعل ماغنمنا منه حلالا ومايبالى أحدنا ان كان له قنطار ذهب أو كان لايملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسدّ بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان أحدنا لايملك إلا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب أنفقه فى سبيل الله واقتصر على هذا الذى فى يده و يبلغه ما كان فى الدنيا لأن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا انما النعيم والرضا فى الآخرة و بذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا مايمسك به جوعه و يستر عورته وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوّه . فلما سمع المقوقس منه هذا الكلام قال لمن حوله بلغتهم هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط . لقد هبت منظره وان قوله لأهيب . إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض . ماأظنّ ملكهم إلا سيغلب من على الأرض كلها ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ﴿ أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وماذكرت عنك وعن أصحابك . ولعمرى مابلغتم مابلغتم إلا بما ذكرت وماظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدّة مايبالى أحدهم بمن لقى ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم فى ضيق وشدّة من معاشكم وحالكم ونحن نرقّ عليكم لضعفكم وقلة مابين أيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم مالا قوام لكم به ﴾

فقال عبادة ﴿ ياهذا لاتغرّن نفسك ولا أصحابك أما ماتخوّفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لانقوى عليهم فلعمرى ماهذا الذى تخوّفنا به بالذى يكسرنا عما نحن به وان كان ماقلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشدّ لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان ذلك أمكن لنا فى رضوانه وجنته وماشئ أقرّ لأعيننا ولا أحبّ لنا من ذلك واننا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا وانها أحبّ الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وأن الله عزّ وجل قال لنا فى كتابه ـ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ـ ومامنا رجل إلا ويدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لايردّه الى بلده ولا الى أرضه ولا الى أهله وولده وليس لأحد منا همّ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ماأمامنا . وأما قولك اننا فى ضيق وشدّة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريده فبينه فليس بيننا و بينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها إلا خصلة من ﴿ ثلاث خصال ﴾ فاختر أيتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك أمرنى الأمير و بها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله من قبل الينا . أما ان أجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذى لايقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته . أمرنا الله أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله فان قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرّض لكم وان أبيتم إلا الجزية فأدّوا الينا الجزية وأن نعاملكم على شئ نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا و بقيتم وأن نقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شئ من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم ان كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد

علينا وان أبيتم فليس بيننا و بينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت عن آخرنا أونصيب مانريد منكم . هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولايجوزلنا فيما بيننا و بينه غيره فانظروا لأنفسكم ﴾

فقال المقوقس . هذا مالا يكون أبداً . ماتريدون إلاأن تتخذونا عبيدا ماكانت الدنيا . فقال عبادة هوذاك فاختر لنفسك ماشئت . فقال المقوقس فلاتجيبونا الى غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شئ مالكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم فالتفت المقوقس إذ ذاك الى أصحابه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا أيرضى أحد بهذا الذل أما ماأرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون أبدا أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لانعرفه وأما ما أرادوا أن يسبونا و يجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك فلو رضوا أن نضاعف لهم ما أعطيناهم مرارا كان أهون علينا . فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع أصحابك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ماتمنيتم وتنصرفون . فقال عبادة وأصحابه لا . فقال المقوقس عند ذلك لأصحابه أطيعونى وأجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله مالكم بهم طاقة ولئن لم نجبهم اليها طائعين لنجيبنهم الى ماهو أعظم كارهين . فقالوا وأى خصلة نجيبهم اليها . قال أما دخولكم فى غير دينكم فلا يسلم أحدكم به وأما قتالهم فأنا أعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولابد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا أبدا . قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم فأطيعونى من قبل أن تندموا فأذعن القوم للجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه . فقال المقوقس لعبادة . أعلم أميرك انى لا أزال حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال التى أرسلت الى بها فاعطنى أن أجتمع به أنا فى نفر من أصحابى وهو فى نفر من أصحابه فان استقام الأمر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاجتمع عمرو بن العاص بالمقوقس وكتبوا شروط الصلح بأن يعطوا الأمان للمصريين وهم يدفعون الجزية . انتهى

فهذه المحاورات التى دارت بين عبادة بن الصامت والمقوقس تبين لنا ما كان يفهمه آباؤنا حين نزل القرآن فى قوله تعالى ــ إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها ــ وقوله ــ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ــ وقوله ــ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ــ . ألاترى الى قوله ﴿ ومايبالى أحدنا ان كان له قنطار ذهب أوكان لايملك إلا درهما ﴾ وقوله ﴿ ان كان له قنطار من الذهب أنفقه فى سبيل الله الخ ﴾ وقوله ﴿ إن نعيم الدنيا ليس نعيما ورضاها ليس رضا ﴾ وهكذا قوله ﴿ وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده ﴾ فهذا القول وأمثاله هو مقصود القرآن والذى فهمه هم الذين نزل بلسانهم وانما فتحوا مصر وغير مصر لأنهم كانوا يريدون الله والدار الآخرة ــ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ــ فضاعت هيبتهم وصار فتوح البلدان مقصودا به الدنيا فظهر مصداق قوله ﷺ ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها الخ ﴾ فبعد أن كان فتوح البلدان قربة من القربات صار مخوفا وفتنة يفتن بها المسلمون . هذا هو التطبيق من التاريخ على هذه الآيات فهذه زينة الحياة الدنيا وهذا ضرب مثلها وهذا نتيجة العمل بها والمخالفة لها .

فلما سمع صاحبى ذلك قال لقد اتضح هذا المقام وانشرح صدرى لهذا البيان ولكن ماذا تقول فى المسلمين اليوم . هاهم أولاء أبناء العرب وغير أبناء العرب من المسلمين . هل ترى لهم قوة على فتح البلدان كالسابقين فقلت أذكرك بأنى قلت فيما مضى فى هذا التفسير ماملخصه

﴿ إن آخر سورة الفتح فيه (تشبيهان) يمثلان الأمة الاسلامية فهم فى التوراة ــ أشداء على الكفار رحماء بينهم ــ وهم فى الانجيل ــ كزرع أخرج شطأه ــ الخ ﴾

فمثل التوراة هو الذى ظهر أولا من فتح البلدان ولذلك ترى الاسلام الآن فى الصين واليابان وأمريكا والهند وفى انكلترا وفرنسا وألمانيا و بلاد الروسيا و بولونيا و بلاد أخرى . إذن نحن جئنا فى زمان فيه وجدنا الاسلام

منتشرا

منتشرا فى العالم لجهادنا الآن يختلف عن جهاد آبائنا . هم فتحوا البلدان . فهانحن أولاء نفتح العقول الاسلامية وذلك بالتشويق للعلم . فاذا رأينا عبادة بن الصامت يقف أمام المقوقس و يقول له نحن اذا ملكنا أنفقنا فى سبيل الله واذا لم نملك لم نرد شيأ من الدنيا ولم نبال بها . فهكذا هنا فلنقل لنقرأ العلوم حبا لها وغراما بها وشوقا الى ربها وفرحا بلقائه أقبلت الدنيا أم أدبرت و بهذا نرضى ر بنا وهذا الفتح العلمى هو الذى يعطى الأمم الاسلامية اليوم قوّة المال والجاه والثروة و يحفظهم فى أى مكان كانوا على شرط أن يكون طلب العلم لذات العلم ولوجه الله تعالى ولحبه فاذا انتشرت هذه الفكرة فبشر المسلمين بالعز فليس الجهاد قاصرا على ضرب الأعداء فالجهاد يرجع الى كل عمل شريف فاضل فى كل ضرب من ضروب الحياة وأفضله كله العلم فالعلم أسّ العمل . وأنا أرجو أن يكون هذا التفسير حامل لواء الرقى الاسلامى والفتح العلمى ونبوغ طوائف من أمم الاسلام فيرجعون مجدهم و يسبقون غيرهم ويكونون نورا للعالمين وهذا هو المثل الثانى وهو مثلهم فى الانجيل وانهم ــ كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ــ فهذا الزمان هو الذى يوافق مثل المسلمين فى الانجيل لأن الانجيل يرجع الى الرقى الأخلاقى والاخلاص والحكمة و بالعلم يقنعون الأمم فى دخول دين الاسلام فهناك لم يكن للعلم سلطان . أما الآن فالعلم هو الذى به تفتح العقول ودين الاسلام الآن ينتشر بالتعقل والفهم . واذا كان الذين يحملون الاسلام جهلاء فقولهم غير مسموع . أما اذا اتصفوا بالعلم فان الناس لقولهم يسمعون ولدينهم يتبعون . ولقد قال عالم من علماء الألمان ﴿ نحن عرفنا دين الاسلام ولكن أين المسلمون الذين نقتدى بهم ﴾ فليكن هذا زمان الرقى العلمى والحمد لله ربّ العالمين

﴿ الجوهرة الثالثة فى قوله تعالى ــ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ــ الى قوله ــ وما كنت متخذ المضلين عضدا ــ ﴾

ان هذه القصة ذكرت فى مواضع فى القرآن فى البقرة وفى الأعراف وفى الحجر فانظر ما كتب عليها هناك تجد انها فتحت بابا للعلوم المهجورة فى بلاد الاسلام لاسيما اذا قرأت ما كتبناه عليها فى سورة الحجر وأن عصيان آدم وحوّاء بالأكل من الشجرة تفرّع عليه نقائص المدنية الحاضرة فى طعامنا وشرابنا ونجم من تلك النقائص أمراض وتدهور فى الأخلاق وذكرت فى غيرها على هذه القصة أن الطمع والجشع قد نجما من الشهوة البهيمية فى الانسان المعبر عنها بالأكل من الشجرة وأن العداوات والحروب والحقد والغيظ والحسد وأمثالها ترتبت على القوّة الغضبية فيه التى يشير اليها كبرياء ابليس وقوله ــ خلقتنى من نار وخلقته من طين ــ فهذه الكبرياء فتحت أبواب الشرور والعداوات على مصراعيها فاحتدم وطيس الحروب والعداوات بين الناس أمما وأفرادا . ثم ان الوساوس الشيطانية أكثرت من الخرافات فى الأرض فضلت الأمم فعبدوا الأصنام اتباعا للهوى . فانظر عبادة الأصنام فى أوّل سورة البقرة عند قوله تعالى ــ فلا تجعلوا لله أندادا ــ وفى سورة ابراهيم عند قوله تعالى ــ واجنبنى و بنىّ أن نعبد الأصنام ــ وماجاء تحت عنوان ﴿ جوهرة فى أديان القدماء ﴾ من الكلام على ديانة البراهمة والتثليث عندهم وأن برهم جوهر نقى وله ﴿ ثلاث صفات ﴾ وهى واحدة فهى ثلاثة من وجه واحدة من وجه وهكذا نظام هذه الدنيا مثلث وموحد وكذا نظام هذا الانسان مثلث وموحد وهكذا أخذوا يعبدون الأصنام بعد التثليث ثم اخترعوا أقاصيص وأساطير الخ ماهناك فراجعه

ولقد تقدّم فى سورة الاسراء عند مسألة الروح مانصه

وههنا سألنى بعض الأصدقاء هذا السؤال قائلا . أيها الحبيب أريد أن تذكر شيأ مما دخل من البدع فى الأمم الاسلامية حتى نتنوّر ونميز الغثّ من السمين فقلت أنا الآن ليس أمامى كتب مهمة فى هذا الموضوع ولكن سأذكر لك ﴿ ثلاث مسائل ﴾ من أفعال المضلين ﴿ المسألة الأولى ﴾ مذهب الباطنية الذى تغلغل فى بلاد الاسلام واتصل من العصور الأولى الى الآن ﴿ المسألة الثانية ﴾ الكلام على نظام الملك الوزير وعمر

الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطني توضيحا للمسألة الأولى ﴿ المسألة الثالثة ﴾ زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم فى فهم القرآن والاهتداء به مكتفين بشيوخهم وأن هذا مسبب عن المسألتين السابقتين

﴿ المسألة الأولى من هم الباطنية ﴾

اعلم أن دولة الفرس ودولة الروم هما اللتان كانتا سائدتين قبل ظهور الاسلام وكان لكل منهما الغلبة على العرب فيما يليها كما هو واضح فى سورة التوبة فاقرأه هناك منقولا من كلام العلامة (سديو) الفرنسى فلما ظهر الاسلام انتزع الملك من الفرس ودخلوا فى دين الاسلام . هنالك غلت مراجل الحقد فى قلوب بعض الأمة الفارسية فأخذوا يكيدون للاسلام كيدا ليكسروا شوكة العرب فأخذوا يجتمعون سرا و يبطنون غير ما يظهرون وكان ما كان من مسألة أبى مسلم الخراسانى الذى حارب تحت إمرة بنى العباس وانتزع الملك من بنى أمية . ولما استقر القرار لبنى العباس أراد أبو مسلم أن يقلب لهم ظهر المجن و يتخذ الرئاسة لنفسه ففطن أبو جعفر المنصور وقتله غيلة وهكذا هارون الرشيد حفيده ذلك الذى علم ما انطوت عليه أفئدة الفرس والبرامكة يشدون أزرهم لأن يحيى وجعفرا ابنه كانا من نسل سدنة معبد النار بفارس فكان هؤلاء يجدون سرا فى نزع الملك من بنى العباس وجعله فى بنى على كرم الله وجهه ليكون الأمر لهم و يديرونه كما يشاؤن ففتك الرشيد بجعفر والبرامكة فى ليلة واحدة فلما رأوا أن لا فائدة من ذلك عمدوا الى الخديعة والكتمان وأسسوا جمعية سرية سموها ﴿ الباطنية ﴾ . قال فى شرح المواقف . ان (الغبارية) وهم طائفة من المجوس راموا عند شوكة الاسلام تأويل الشرائع على وجوه تعود على قواعد أسلافهم وذلك انهم اجتمعوا وتذاكروا ما كان عليه أسلافهم من الملك وقالوا لا سبيل لنا الى دفع المسلمين بالسيف لغلبتهم واستيلائهم على الممالك لكنا نحتال بتأويل شرائعهم الى ما يعود الى قواعدنا ونستدرج به الضعفاء منهم فان ذلك يوجب اختلافهم واضطراب كلماتهم ورئيسهم فى ذلك (حمدان قرمط) وقيل (عبد الله بن ميمون القداح) أولهم فى الدعوة . ثم ذكر أن استدراج الطغام ﴿ سبع مراتب ﴾

(١) (الرزق) تفرس حال المدعو هل هو قابل للدعوة و يقولون بمنع إلقاء البذر فى السبخة أى دعوة من ليس قابلا

(٢) (التأنيس) وهى أن يستميلوا كل واحد الى ما يهواه فالفاسق بالخلاعة والعفيف بتحسين الصلاح والعفة

(٣) (التشكيك) فى أركان الشريعة كأن يقال (ا) ما معنى الحروف فى أوائل السور (ب) ولم تقضى الحائض اذا أفطرت أيام رمضان دون صلاتها (ج) ولم يكون الغسل من المنى دون البول (د) ولم كان عدد الركعات أربعا أو اثنين وهكذا ولا يجيبونهم على ذلك ليربطوا قلوبهم

(٤) (الربط) وهو ﴿ أمران * الأول ﴾ أخذ الميثاق منه أن لا يفشى سرهم ﴿ الثانى ﴾ أن يحيله على الامام فى حل ما أشكل عليه لأنه هو العليم به وحده

(٥) (التدليس والتأسيس) والأول دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا لهم حتى يزيد ميله الى ما دعاهم اليه . والثانى تمهيد مقدمات يقبلها و يسلمها المدعو تدعوه الى ما سيسمعه من الباطل

(٦) (الخلع) وهو الطمأنينة الى اسقاط الأعمال البدنية

(٧) (السلخ) وهو أن يسلخه من الاعتقادات الدينية وحينئذ يأخذون فى الاباحة واستعجال اللذات وتأويل الشرائع (ا) كأن يقال الوضوء معناه موالاة الامام (ب) والتيمم الأخذ من المأذون عند غيبة الامام (ج) الصلاة عبارة عن الناطق وهو الرسول (د) والاحتلام هو افشاء سر من أسرارهم الى من ليس هو بأهل بلا قصد منه (ه) الغسل تجديد العهد (و) الزكاة تزكية النفس بمعرفة ماهم عليه من الدين (ز) الكعبة النبى والباب على الخ

بهذا تفهم أيها الذكى ماتقدّم فى سورة ابراهيم من تلك الشكوى المرة التى شكاها أتباع (أغا ممنون) وقولهم انه يقول انه مسلم ولكن يقول القرآن ليس منزلا لكم وهذا المقام واضح هناك ولكن سرّه ظاهر هنا فهومسلم ولكن الشريعة كلها حوّلت الى عبادة الامام والاخلاص له . وبهذا تفهم قولهم له ماذا فعلت للاسلام ونشره وأنت مسلم وتنكر اتباعنا للقرآن . فافهم ذلك وافرح بنعمة العلم والعرفان

وهذه الطائفة تسمى بأسماء مختلفة (١) الاسماعيلية لاثباتهم الامامة لاسماعيل بن جعفر الصادق وهو أكبرأبنائه (٢) الباطنية لقولهم بباطن الكتاب دون ظاهره والمتمسك بظاهره معذّب بالتكاليف والمتمسك بباطنه تارك للعمل بالظاهرسعيد (٣) القرامطة لأن أوّلهم الذى دعا الى مذهبهم هو رجل يقال له (حمدان قرمط) وهى احدى قرى واسط . ومن هؤلاء القرامطة طائفة هجمت على مصر أيام المعزّ لدين الله الفاطمى فاسدى وزيره العطايا الى عرب مصر الذين اتحدوا مع القرامطة بأن أعطاهم دنانير فى أكياس وكان ظاهرها ذهبا خالصا والباقى تحتها ذهب مزيف فلما التقى الجمعان تقهقرت العرب المصريون ففنيت القرامطة إلا قليلا ثم ان الانجليز لما دخلوا مصرفى أيامنا هذه منذ (٤٥) سنة فعلوا مع عرب مصر بجهة (رأس الوادى) وهم زاحفون على مصرلمحاربة عرابى باشا وجيش المصريين مافعله وزير المعزّ لدين الله سواء بسواء فأعطوا هؤلاء العرب ذهبا فى أكياس ظاهرها ذهب خالص و باطنها مزيف مما دلّ على أن أوروبا متيقظة تمام التيقظ للتاريخ تنتفع به كما انتفعوا بمسألة جلد الثور فى قصة حسن بن الصباح الآتى بيانها (٤) الخرمية لقولهم بأباحة الحرمات والمحارم (٥) و بالسبعية لأنهم يقولون إن النطقاء سبعة سيأتى ذكرهم (٦) و بالمحمرة للبسهم الحمرة وغلب عليهم اسم (القرامطة) و (الباطنية) و (المزدكية) بالعراق و (التعليمية) و (الملحدة) بخراسان فى أيام (بابك) أولتسميتهم المخالفين لهم من المسلمين حيرا . أما النطقاء السبع المتقدّم ذكرهم فهم

(١) إمام يؤدّى عن الله

(٢) حجة تؤدّى عن الامام

(٣) وذومصة يمصّ العلم من الحجة

(٤) أكبر أى داع أكبر

(٥) داع مأذون يأخذ العهود على الطالبين من أهل الظاهر فيدخلهم فى ذمّة الامام

(٦) وكلب رفيع الدرجات فى الدين لم يؤذن له فى الدعوة بل فى الاحتجاج على الناس فهوككلب الصائد فهذا يكسر مذهب أهل الظاهر ومتى شك سامعه أداه الكلب الى الداعى ليفهمه المعانى التى جهلها و يأخذ عليه العهود

(٧) ومؤمن يتبع الداعى وهوالذى أخذ عليه العهود وآمن وأيقن بالعهود ودخل فى ذمّة الامام وحزبه ومنهم جماعة يلقبون (بالبابكية) إذ اتبع طائفة منهم (بابك الخرمى) فى الخروج بأذر بيجان

﴿ غرام الاسماعيلية بالأعداد ﴾

لعلك أيها الذكي آنست فى هذا المقام التسبيع فى ألقابهم وفى أسماء دعاتهم الناطقين بمذهبهم ذلك انهم يقولون ان ذلك مطابق للسموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع وأيام الاسبوع السبع والكواكب السيارة السبعة وهى ــ المدبرات أمرا ــ وقد برعوا فى هذه المسائل العددية التى يمكن أن تقابل بمثلها ودخلوا فى آيات القرآن وعددها بالجمل وهكذا الأسماء وذلك مسطور فى كتب مطوّلة كشمس المعارف الكبرى وغيره ولقد صرف الناس عن القرآن العلم بهذه الامورفتقهقرت الأمم الاسلامية بشيوع أمثال هذه الآراء لاسيما أن حسن بن الصباح لما ظهر جدّد الدعوة على أنه الحجة الذى يؤدّى عن الامام الذى لايجوز خلو الزمان عنه والناس جميعا محتاجون الى المعلم ومنع العوام عن الخوض فى العلوم والخواص من النظر فى الكتب المتقدّمة

لئلا يطلعوا على فضائحهم كما اطلع أتباع (أغا ممنون) فى زماننا ووجهوا شكواهم للعالم فى الجرائد كما تقدّم فى سورة ابراهيم عليه السلام

ومما يزيدنى ويزيدك أيها الذكى مسرّة مامنحنا الله من العلم وحبانا من الفضل . ذلك اننى أنا وأنت قد عرفنا سرّ ماتصنعه أوروبا فى بلاد الشرق . ذلك انهم أجمعوا أن يحصروا الأفكار ويمنعوا حقائق العلم ليبقى الناس تحت أمرهم . يفعل ذلك الانجليز والفرنسيون والأمّة الهولاندية والبلجيكية وغيرهم . أليس هذا بعينه هو مافعله حسن بن الصباح ومشائخ الصوفية أى أكثرهم فانهم موقنون أنهم لايتبعهم إلا الجهلاء . اللهم إنك أنت الرّب والشهيد على هذا الانسان خصوصا الأمم الاسلامية . ترعرع الدين وازدهى فى القرون الأولى فقامت فرق الباطنية فحرّمت العلم وقفى على آثارهم أكثر شيوخ الصوفية وافترق أهل الجزائر وتونس ومراكش ومصر والعراق وغيرهم . افترقوا لأنهم ورثوا التفرّق عن آبائهم وشيوخهم . أولئك الشيوخ الذين منعوا العلم . ولما أخذت أوروبا العلوم عن آبائنا أخذت تقلد الباطنية كحسن بن الصباح وشيوخ الصوفية وتعاونت معهم على اخماد أنفاس المسلمين . فهنا مصيبتان حلتا بالمسلمين . مصيبة قديمة وأخرى حديثة فالقديمة هم بعض شيوخ الصوفية الذين يحرّمون العلوم إلا مانطقوا به والحديثة هى الأمم الأوروبية الذين اتخذوا أولئك الشيوخ أدوات فعالة لاخضاع أهل الشرق فالشرق هوالذى علم أوروبا كيف تعمم الجهل وهو الذى أنبت الباطنية كحسن بن الصباح الذين منعوا العلم . فههنا اجتمع الأمران فى أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم ومتى اشتدّ الكرب هان وبعد هذا التفسير ان شاء الله وأمثاله سيخرج المسلمون من هذين المحبسين ويعم التعليم وتزول سلطة أولئك الشيوخ المضلين ويصبح الاسلام صافيا نقيا كما بدأ ويتخرج فيه رجال لاسلطة لأوروبا ولا للشيوخ الباطنية أوالصوفية عليهم وهم كاملون

﴿ المسألة الثانية فى الكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام الفيلسوف وحسن بن الصباح الباطنى ﴾

اعلم أن هؤلاء الثلاثة كانوا يحضرون دروس امام الحرمين فى القرن الخامس الهجرى . وقد قالوا وهم تلامذته إن أستاذنا ذوفضل عظيم وما تلقى عنه أحد إلا ارتقى ذروة المجد فهلموا نتعاهد أن يكون الفائز بالعزّ والسلطان والدولة آخذا بيد أخويه فى المستقبل فكان أوّل من نال العزّ والقوّة نظام الدولة إذ صار وزير الدولة فقدّم اليه عمر الخيام وحسن بن الصباح وذكراه بالعهد فقال لهما اطلبا ماتريدان فطلب عمر الخيام أن يتوفر على الفلسفة وزهد فى الوظائف فأجرى عليه رزقا معلوما كل شهر فقضى حياته فى حوز الحكمة وله نظم رائق باللغة الفارسية يسمى ﴿ رباعيات الخيام ﴾ ظهر منذ نحو (٨٠) سنة فى بلاد الانجليز وترجم الى اللغة الانجليزية ومنها الى العربية وعندى نسخة منه وقد اطلعت على الانجليزية وفيها تاريخ حياته وهذه الرباعيات ترجمها الى العربية وديع أفندى البستانى وهى فى وصف أحوال هذا الوجود واحتقار الدنيا مع الوصف العجيب فهى أشبه بما فى شعر أبى العلاء المعرّى وبما ذكره سيدنا سليمان عليه السلام فى التوراة إذ يذم الحياة الدنيا ويقول كل ذلك باطل وقبض الريح . ورباعيات الخيام قد اشتهرت فى أمريكا فى هذا العصر ولها هناك مسارح للتمثيل عددها (١٢) . هذا هوالخيام

أما حسن بن الصباح فانه اختار أن يكون صاحب عمل فى الحكومة فجعله فى الديوان ولكنه لم يحفظ الجميل فأراد العلو على من أحسن اليه . وذلك انه قال للملك نريد أن نجعل للبلاد ميزانية تسير عليها الحكومة فطلب الملك من نظام الملك ذلك فقال لاسبيل الى ذلك فعهد بذلك الى حسن بن الصباح فشرط أن يجعل الديوان تحت امرته أربعين يوما وفى أثناء ذلك احتال كاتب نظام الملك فتقرّب الى كاتب السرّ لابن الصباح وغمره بالهدايا والعطف والمودّة حتى اذا كان يوم تسليم أوراق الميزانية قابله قبل الوقت المعين بزمن وجيز فقال له أرنى هذا الورق فأخذ ينظر اليه وتعمد وقوعه على الأرض فاختلّ نظام وضع الصحائف فقد جعل ابن الصباح

لكل مدينة صحيفة مخصوصة بنمرة خاصة فلما أن اختلف الوضع عند جمع الصحائف الواقعة حضر ابن الصباح وتسلمه من كاتب سره ودخل فرأى الملك والوزير معا فطلب منه الملك ميزانية احدى البلاد فلم يجدها فى محلها فأخذ يبحث عنها فقال نظام الملك أين هى وكيف تدعى أنك تعرف ذلك وأين دعواك (منتهزا الفرصة قبل عثوره على تلك الصحيفة) فخرج مغضبا وتوجه الى مصر التى فيها الدولة الفاطمية . ولأذكر نبذة من ذلك التاريخ لايضاح المقام فأقول إن الفاطميين بمصر قد كان أوّل عهدهم ببلاد المغرب لأن المهدوية لاتنبت إلا فى قوم غير متعلمين وكان ابتداء ذلك فى نهاية القرن الثالث الهجرى ولما انتهى الأمر الى المعزّ لدين الله الفاطمى فى القرن الرابع دخل البلاد المصرية بعد ذهاب دولة الأخشيديين ومن قبلها دولة الطولونيين فدخلها بلا حرب وبنى القاهرة والجامع الأزهر فى منتصف القرن الرابع الهجرى بهمة وزيره جعفر بن فلاح والقاهرة تسمى (المعزية) نسبة للمعزّ لدين الله المذكور . وكان مقرّهم المسمى (بالباطنية) الذى يسمى بهذا الاسم الآن جنوبى الجامع الأزهر وبقيت دولتهم الى أواخر القرن السادس الهجرى ثم حصل بمصر مجاعة لقلة ماء النيل فأكل الناس القطط والكلاب والضيوف والأطباء وأكل الأبوان ابنهما وهكذا حتى بغلة الملك أكلوها والملك نفسه لم يجد له كل يوم إلا رغيفا وطبقا مملوأ لبنا . وفى ذلك الزمن كان نور الدين الشهيد بالشام وله دولة وقد أرسل الى مصر (شيركوه) ومعه (صلاح الدين الأيوبى) وكان هذا الأخير ليست له شوكة فاستوزره الخليفة الفاطمى فضبط البلاد وحافظ عليها حتى مات الخليفة فأوّلا جعل الخطبة لنور الدين الشهيد بدل الخليفة الفاطمى ثم جعلها لنفسه ثم أفنى أسرة الخليفة بأن جعلهم جميعا فى بيوت خاصة وجعل النساء لايختلطن بالرجال حتى لايتوالدوا وكان ما كان من الحروب الصليبية فى الشام وانتصاره عليهم . وقد كان الملوك الفاطميون لهم مقابر فى غرب المشهد الحسينى فيما بينه وبين بيت القاضى فى موضع خان الخليلى فهدمت وبنى الناس عليها وحفظ المشهد الحسينى اعظاما له ولآل البيت الكرام وكانت له دعوة منتشرة فى الأقطار . ولما زالت دولتهم من مصر انتقلت الى بلاد أخرى منها ماتقدم فى سورة ابراهيم من شكوى الاسماعيلية عن ﴿أغا ممنون﴾ الذى يدعى الالوهية ويأخذ منهم أموالهم . فاقرأ ماهناك

اذا عرفت هذه المقدمة فانظر أمر حسن بن الصباح فانه لما غلب على أمره فى جهات الفرس سار الى مصر وبقى فيها نحو (١٨) سنة على ما أذكر ثم رجع الى بلاد الفرس وقد كان من دعاة الفاطمية إذ تعلم أسرارهم وأتقنها . هنالك استظهر بالرجال والسلاح وتحصن بالقلاع وكان بدء صعوده على قلعة الموت فى شهر شعبان سنة ٤٨٣ هـ وكانت لهم حيل منها شرب الحشيش الذى يجعل المرء أشبه بالمنوّم (بالفتح) الذى يفعل كل مايلقى اليه ومنها انهم كانوا يختارون أقوى الرجال وأجهلهم ويخدّرونهم بمواد ثم يضعونهم فى بستان عظيم فيه الجوارى الحسان الجميلات وهناك يوقظونهم فيدهش الرجل منهم إذ يراه فى جنات الخلد ويرى هناك مالايحلم به ثم يخدّر ثانيا ويوضع فى مكان الضيافة فيستيقظ ويوقن بأنه كان فى جنات النعيم عيانا فيعتقد أن الامام هو صاحب التصريف فيصبح من (الفدائيين) اذا قال له اقتل نفسك يمتثل حالا لأنه سيدخل الجنة والحور فى انتظاره الآن . وقد كان استيلاؤه على قلعة الموت بحيلة وهى انه فعل ما اقتبسه الانجليز بعد ذلك فى الهند إذ اشترى من صاحب القلعة مقدار جلد الثور أوكان ذلك فى مقابلة مداواته له من مرض لا أتذكر أيهما كان فلما أراد أن يستولى على ما اتفقا عليه جعل ابن الصباح جلد الثور سيورا مدها فأخذت أرضا واسعة جدّا فأبى صاحب القلعة الا محاربته فانتصر عليه . هنالك كانت تلاميذه الذين يعاهدهم سرا قد تدخلوا فى بيت الملك والوزير فذبحوا الملك ونظام الملك فى ليلة واحدة بدهائه ومكره الخفى وماهم إلا خدم من تلاميذه السريين وابن الأثير يقول ماتا فى زمانين متقاربين والله أعلم

فها أنت ذا أيها الذكي وقفت على خبر ابن الصباح الذى تقدم اسمه فى سورة ابراهيم إذ يقول أتباع

(أغا ممنون) بالهند له انكم من فرقة حسن بن الصباح فهـذا هو قد ذكرته لك هنا لتفرح بنعمة الله والعلم ويشرح صدرك وتنفع أمم الاسلام بحكمتك فان هذا التفسير من النعم التي أنعم الله بها على المسلمين وسينطلقون سراعا الى الحكمة و يردون مواردها و يصلون الى نهايات الحكمة والعلوم . انتهى الكلام على المسألة الثانية

﴿ المسألة الثالثة زهد أكثر الأمم الاسلامية اليوم فى فهم القرآن ﴾

اعلم أن هذه الأمم الاسلامية بأمثال هذه الطوائف و ببعض علماء الفقه و بالملوك الظالمين قد تركوا العلوم بتاتا ونسوا مواهبهم التى خلقها الله لهم وأصبحنا نرى أبناء العرب وغير العرب فى ذهول مستمر بسبب الجهالة الشائعة فى بلاد الاسلام . وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أن السلطان عبد العزيز سلطان مراكش وهو من آل البيت لعبت به الأمة الفرنسية لعبا مهلكا فأزالوا ملك هـذه الأسرة من تلك البلاد . وأبين السبب لك فأقول

اعلم أن أمم أوروبا قد استكملت عددها وقوّاتها والمسلمون نائمون وقد بلغنى ممن أثق به أن السلطان عبد العزيز كان رجلا صالحا . ولكن ماذا حصل . كنت أنا فى عنفوان شبابى بمدرسة (دار العلوم) وكنت أقرأ الجرائد السياسية وأتتبع مسألة مراكش وهى بلاد اسلامية مستقلة و بلادنا كانت محتلة بالانجليز فرأيت الكلام كثر على بلاد مراكش ورأيت اقتراحا فى الجرائد هذا ملخصه

﴿ إن الأمم الاسلامية يخضعون لشيوخهم والشيوخ على ﴿ قسمين ﴾ شيوخ من آل البيت كالسلطان عبد العزيز وشيوخ هم شيوخ الطرق مثل ماء العينين ومثل الكتانى ومثل التيجانى . وهؤلاء اذا غمرناهم بالعطايا وألنا لهم مراقدهم وأنعمنا عليهم وأسعدناهم فانهم لايبالون بالشعب لأنهم يريدون المحافظة على مراكزهم وهم يعلمون حقّ العلم أن فى الثورة ضياعا لمراكزهم . فعلى قادة الأمّة الفرنسية أن يفعلوا ذلك ﴾

فمضت بعد ذلك سنون فرأينا فى الجرائد أنهم أخذوا نساء راقصات من مصر الى السلطان عبـد العزيز فنفر الناس من ذلك وشاع الخبر فى أقطار المعمورة . ثم خلعوا عبد العزيز . ثم تولى عبد الحفيظ . ثم خلعوه واستولوا على البلاد . وحقيقة الأمر أن المسلمين لما تركوا العلوم وجهلوا التاريخ وعلم السياسة ولم يجاروا الأمم لعبت بهم الدول فأخذوا يشيعون هذه الاشاعات فى مصر وغيرها و يأخذون هؤلاء النساء بأجرة وهو لاعلم له بها لأنه لاجرائد فى بلاده ولاسفراء ذوى حزم يخبرونه بما يقال عنه بل هـم ساهون لاهون يتوارثون هـذا الجهل كابرا عن كابر . هذا ما كان من أمر ملوك آل البيت فى مراكش . وأما الكتانى فقد بلغنى أنه أوذى كثيرا فى أمر بلاده وابتلوه بنقص الأموال والأنفس والثمرات . ويقال ان ماء العينين قد أوذى أيضا هذه أحوال أمم الاسلام اليوم . ويظهر أن المسلمين الآن أخذوا يقلعون عن هذه الجهالة العمياء واستيقظوا وترى من آثار الجهل طوائف من الصوفية يحرّمون على تلاميذهم قراءة العلوم ليبقى فى قبضتهم وتحت ارادتهم وحكمهم يأمرونه فيأتمر . كل ذلك من الضلال الفاشى والجهل المخيم فى بلاد الاسلام والله يقول ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ وهذا أوان زوال هذا الضلال من بلاد الاسلام . واعلم أن أكثر الصوفية الآن فى بلاد الاسلام يدقون الطبول ويحملون البيارق و يأخذون العهود والمواثيق على تلاميذهم وهم لايعلمون أن هذا الميراث الذى توارثوه انما هو غالبا لاحراز الملك وقيام الدولة كما حصل أيام أبى مسلم الخراسانى وقلب الدولة الأموية وكذلك الملك فى الدولة الفاطمية والقرامطة . كل ذلك بالعهود والبنود ولكن شيوخ الصوفية اليوم اكتفوا بانغماس تلاميذهم فى الجهالة حتى لايعرفوا سواهم وحقروا لهم علماء الدين وكل علم وحكمة إلا ما خرج من أفواههم حتى صار الأتباع يحقر بعضهم بعضا لأن كل شيخ أفهم تابعيه أنه وحده على الحق حتى ترى أبناء العرب متفرّقة قلوبهـم . فلا المراكشى يتعارف مع المصرى ولا كلاهما مع العراقى وهؤلاء لايتزاورون مع الحضرمى ولا اليمنى لأنهم متقاطعون لجهالتهـم بالتاريخ السياسى والعلمى والدينى . كل ذلك سرّ قوله تعالى

وما

ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ فاقرأ دواء هذا الداء فى سورة (آل عمران) عند قوله تعالى ـ ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ـ الخ انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى ايضاح الكلام على حسن بن الصباح واجمال تاريخ الامامية والزيدية والكيسانية ﴾

اعلم أن الشيعة أتباع سيدنا على كرم الله وجهه و بنيه رضى الله عنهم أجمعين ومذهبهم أن الامامة ليست من المصالح العامة بل هى تكون بالتعيين وهى من أركان الاسلام والامام المعين يكون معصوما من الكبائر والصغائر ومن هؤلاء امامية وزيدية . فالأولون يتبرّؤن من الشيخين أبى بكر وعمر والآخرون يجيزون امامة المفضول مع وجود الفاضل فلا يتبرّؤن منهما . فأما الامامية فانهم يقولون إن الامامة تنتقل فى ولد فاطمة رضى الله تعالى عنها بالنص واحدا بعد واحد . وأما الزيدية فانهم يقولون يكون الامام فى ولد فاطمة رضى الله عنها ولكن ذلك باختيار الشيوخ والانتخاب لا بالتعيين وصاحب المذهب زيد بن على بن الحسين رضى الله عنهم أجمعين . ولابدّ من أن يخرج الامام فهذا شرط من شروط مذهبه . ولما ناظر الامامية زيدا ورأوه يقول بامامة الشيخين رفضوه فسموا (رافضة) ولم يجعلوه من الأئمة . وطائفة ساقوا الخلافة فى محمد ابن الحنفية ثم الى ولده وهم الكيسانية نسبة الى كيسان مولاه . ومن هذه الاصول الثلاثة تفرّعت فروع يطول شرحها ولامحل لذكرها . ومن هؤلاء طوائف يسمون (الغلاة) قالوا بألوهية هؤلاء الأئمة فهم إما بشر اتصفوا بصفات الالوهية واما أن الاله نفسه قد حلّ فى ذواتهم البشرية كما يقوله النصارى فى عيسى عليه السلام وهذا هو القول بالحلول . ولقد حرق هذه الطائفة سيدنا على بالنار وسخط محمد بن الحنفية على المختار بن أبى عبيد لما بلغه مثل ذلك عنه ولعنه وهكذا جعفر الصادق رضى الله عنه لما بلغه مثل ذلك بالنسبة له . ومنهم من يقول ان الامام اذا مات انتقلت روحه الى امام آخر ليكون كماله فيه على طريقة التناسخ كمذاهب أهل الهند . ومن هؤلاء الغلاة من يقول بامام واحد ويحكمون بأن هذا الامام لم يمت بل هو حى ولكنه غائب عن الناس كمسألة الخضر عليه السلام وهم الواقفية . فترى منهم طائفة يقولون ان الامام علىّ وحده رضى الله عنه وانه فى السحاب والرعد صوته والبرق سوطه والامامية قالوا مثل هذا فى بنيه لاسيما الاثنى عشرية منهم أى الذين يزعمون أن الثانى عشر من أئمتهم وهو محمد بن الحسن العسكرى الملقب المهدى عندهم دخل سردابا بدارهم بالحلة وتغيب حين اعتقل مع أمه وغاب هنالك وهو يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلا وهم الى الآن ينتظرونه و يسمونه (المنتظر) لذلك و يقفون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب هذا السرداب وقد قدموا مركبا فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون و يرجعون الى الليلة الآتية . إذن الاثنا عشرية يقولون فى محمد بن الحسن العسكرى مايقوله الذين وقفوا على علىّ كرم الله وجهه من حيث البقاء فى الحياة والتغيب عن الناس . ومن الواقفية من يقول ان الامام الذى مات يرجع الى حياته كقصة أهل الكهف . وهؤلاء الغلاة ردّ عليهم الفطاحل من علماء الشيعة أنفسهم وأبطلوا حججهم

﴿ الكلام على الكيسانية ﴾

ان الكيسانية ساقوا الامامة من محمد بن الحنفية الى ابنه أبى هاشم و يسمون (الهاشمية) وتزعم طائفة أن أبا هاشم لما مات بأرض السراة منصرفا من الشام أوصى الى محمد بن على بن عبد الله بن عباس وأوصى محمد الى ابنه ابراهيم المعروف بالامام وأوصى ابراهيم الى أخيه عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح وأوصى هو الى أخيه عبد الله أبى جعفر المنصور وانتقلت فى ولده بالنص والعهد واحدا بعد واحد وهذا مذهب الهاشمية القائمين بدولة بنى العباس وكان منهم أبو مسلم الخراسانى و يستدلون بأن العباس عم النبى ﷺ وهو أولى بالوراثة

﴿ الزيدية ﴾

وأما الزيدية فقالوا بامامة علىّ رضىّ الله عنه فالحسن فالحسين فابنه على زين العابدين فابنه زيد بن على

وهوصاحب هـذا المذهب وقد خرج بالـكوفة داعيا الى الامامة وقتل وصلب (بالـكناسة) و بعده يحيي فظهر بخراسان وقتل بالجوزجان و بعده محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسين السبط و يقال له النفس الزكية وذلك بوصية يحيي المذكور فخرج بالحجاز وقتلته عساكر المنصور . وهناك طوائف كثيرة من الزيدية ونخص بالذكر منهم من نقلوا الامامة من محمد بن عبد الله المذكور الى أخيه ادريس الذى فرّ الى المغرب وقام بعده بالأمر ابنه ادريس واختط مدينة (فاس) وأعقب ملوكا بالمغرب ثم انقرضوا . ومن الزيدية من كانت لهم دولة (بطبرستان) وتوسل (الديلم) من نسبهم الى الملك والاستبداد على الخلفاء ببغداد

﴿ الامامية ﴾

إن الامامية ساقوا الامامة من علىّ كرم الله وجهه الى ابنه حتى أوصلوها الى جعفر الصادق وهناك افترقوا ﴿ فرقتين ﴾ فرقة ساقوها فى ولده اسماعيل و يعرفونه بينهم بالامام وهـم الاسماعيلية وفرقة ساقوها الى ابنه موسى الـكاظم وهم الاثنا عشرية لوقوفهم عند الثانى عشر من الأئمة وقولهم بغيبته الى آخر الزمان كما علمت فأما الاسماعيلية فيقولون بامامة الامام بالنص من أبيه جعفر الصادق ومن اسماعيل انتقلت الى ابنه محمد المـكتوم وهو أوّل الأئمة المستورين والمستور عنـدهم من لاشوكة له فيستتر وتـكون دعاته ظاهرين اقامة للحجة على الخلق واذا كانت له شوكة ظهر وأظهر دعوته و بعد محمد المـكتوم ابنه جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب و بعده ابنه عبد الله المهدى الذى أظهر دعوته أبو عبدالله التيمى فى كتامة بالمغرب وتتابع الناس على دعوته ثم أخرجه من معتقله (بسجلماسه) وملك القيروان والمغرب وملك بنوه من بعده مصر وهذا معروف مشهور فى التاريخ و يسمى هؤلاء (الاسماعيلية) نسبة الى القول بامامة اسماعيل و يسمون أيضا (بالباطنية) نسبة الى قولهم بالامام الباطنى أى المستور و يسمون (الملحدة) لما فى مقالاتهم من الالحاد وهؤلاء لهم مقالات قديمة ومقالات حديثة وهى التى دعا اليها الحسن بن محمد الصباح الذى تقدّم كلامنا فيه وقد ملك حصونا بالشام والعراق ولم تزل دعوته فيها الى أن توزعها الهلاك بين ملوك الترك بمصر وملوك التتر بالعراق فانقرضت . واعلم أن الباطنية القديمة خلطوا كلامهم بكلام الفلاسـفة وتـكلموا على النفس والعقل وما أشـبه ذلك وتـكلموا على أسرار الحروف والأعداد و يقولون مثلا التسمية مركبة من سبع واثنى عشر والتهليل مركب من أربع كلمات فى إحدى الشهادتين وثلاث كلمات فى الشهادة الثانية وسبع قطع فى الأولى وست فى الثانية واثنا عشر حرفا فى الأولى واثنا عشر حرفا فى الثانية وهكذا فى كل آية استخرجوا أعدادا فأضاعوا زمانهم فيما لافائدة فيه . وأذكر من ذلك أنى قرأت فى بعض كتبهم فى قوله تعالى ـ رفيع الدرجات ذو العرش ـ أن جل ـ رفيع ـ ٣٦٠ وهى عدد درجات الدوائر الفلـكية وغيرها لأن الدائرة ٣٦٠ درجة فـكأنه يقول الدرجات ٣٦٠ و يعتبرون أمثال هـذا أسرارا للقرآن ولن يعرفها أحد إلا الامام . وهكذا يقولون ان جل اسم (محمد) عليه الصلاة والسلام بحسب ماينطق به (١٣٢) وحروف الفاتحة بحسب النطق أيضا (١٣٢) وهذه يجعلونها أسرارا عالية وتورث قلوب الذين يعرفونها تصديقا بالدين و بالسر المحمدى و بالامام القائم بمذهبهم . ومعلوم أن كل عدد من هذه الأعداد يقابل بضـده و يعكس الأمر على قائله و يدخل فى هذا علم الأوفاق الذى فيه يظهر توافق الأعداد كما هو مشهور وهذا قد اتخذوه عن قدماء المصريين والهنود فهؤلاء عندهم هذه الأوفاق كما أوضحناه فى غير هذا المـكان ايضاحا تاما فهذا ضياع وقت يصدّ الناس عن النظام الجميل فى السموات والأرض فهناك التطابق العجيب والنظام البديع الذى ظهر لك فى أمثال هذا التفسير وهو الذى قامت به المدنيـة العصرية فى العالم كله . فأما أصحاب الدعوة الجديدة فقد تركوا هذا وأظهر حسن بن الصباح دعوته كما تقدّم وتحصن فى قلعة الموت و بقى الأمر متوارثا الى زماننا هذا وقد عرفت فيما تقدّم فى هذا التفسير فى المجلد السابع أن ﴿ أغا ممنون ﴾ بالهنـد فى زماننا قد شـكا منه أتباعه لأنه على رأى حسن بن الصباح منذ ثمانمائة سنة

حسن

﴿ حسن بن الصباح ﴾

قال أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم المولود بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ وكان وزير المنصور أبى عامر محمد ابن أبى عامر المتوفى سنة ٥٤٨ هـ فى كتابه ﴿ الملل والنحل ﴾ ماملخصه

ان ابن الصباح هاجر الى امامه وتلقى منه كيفية الدعوة لأبناء زمانه فجعل كيفية الدعوة فصولا أربعة ﴿ الفصـل الأوّل ﴾ ان الانسان اذا اعتقد عقيدة فهذه اما أن تكون بالعقل واما أن تكون بالتعليم والقائل بالنظر بالعقل اذا أنكر على المتعلم عن غيره فمعناه أن هذا المنكر عليه جاهل محتاج الى تعليم غيره فهو إذن مقرّ بأن التعليم واجب واذن صار الأمران ضرورين معا العقل والمعلم الذى يعلمنا كيف نعقل ونفهم ﴿ الفصل الثانى ﴾ انه ليس كل معلم يصلح لتعليمنا لأنه اذا ثبت فى الفصل الأوّل أن المعلم لابدّ منه فهنا نقول ليس كل معلم يصلح لذلك والا كانت الفوضى . فلابد إذن من معلم صادق . فهنا أمران (أوّلا) لابد من معلم (ثانيا) لابد من معلم صادق ﴿ الفصل الثالث ﴾ ان هـذا المعلم الصادق لابد من معرفته والظفر به ثم التعلم منه إذ لايجوز التعلم من أىّ معلم كان ﴿ الفصـل الرابع ﴾ ان فى العالم حقا و باطلا وعلامة الحق هى الوحدة وعلامة الباطل هى الكثرة وان الناس متى تعلموا من الامام المعصوم الذى يعرفه هو صاروا الى الوحدة والجماعة واذا تعلموا من أىّ معلم كان صاروا الى الفرقة والآراء المختلفة . إذن جميع المذاهب والفرق والآراء فى الأمم الاسـلامية عنده منبوذة لأنها متفرّقة وهم وحدهم على الحق لاتحادهم ثم إن كلمة الشهادة وترتيبها فيها نفى واثبات فالنفى للباطل وهى الفرق المختلفة والاثبات للحق وهى الفرقة التى هو قائم برآستها و يقول (إلهنا إله محمد) ﷺ وقد تقدّم أنه منع أصحابه من العلم وسدّ عليهم أبوابه وانما أطلت فى هذا المقام لأشبع تلك العقول المتعطشة للعلم من الأمم الاسلامية التى فى زماننا و بعدنا ليعلموا لماذا تخاذل المسلمون وكسرت شوكتهم وضاع مجدهم ـ والحقّ أحقّ أن يتبع ـ

إن هذه الأمّة ليس لها إلا طريق واحد هو الذى ندعو اليه فى هذا التفسير وهو ارتقاء جميع العلوم فى بلاد الاسـلام قاطبة والحمد لله ان هذا التفسير قد أوضحه ايضاحا تاما . فأنا أحمـد الله وأشكره أن وفق له وسيريح قلوبا وقلوبا وسيشرح الله به صدورا وصدورا . فليعمم التعليم فى بلاد الاسلام وليكن لكل ذكر ولكل أنثى وليكن ابتدائيا وثانويا وعاليا . وهـذه هى الطريقة المثـلى التى بها نتجاوز تلك السبل الضالة الجاهلة التى مزقت أمم الاسلام وليكن الكرام من آل البيت قدوة فى العلم ورفعة الأمّة وشرفها . هذا هو الحق الصراح والله يقول الحقّ وهو يهدى السبيل والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الخميس (١٥) مارس سنة ١٩٢٨

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا * فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا * قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا * قال ستجدنى إن شاء الله
صابرا ولا أعصى لك أمرا * قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شىء حتى أحدث لك منه
ذكرا * فانطلقا حتى إذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت
شيئا إمرا * قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا * قال لا تؤاخذنى بما نسيت ولا
ترهقنى من أمرى عسرا * فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية
بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا * قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا *
قال إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى قد بلغت من لدنى عذرا * فانطلقا حتى
إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض
فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا * قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن
أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين
فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا * فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب
رحما * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما
صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن
أمرى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا * ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا
عليكم منه ذكرا * إنا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا * فأتبع سببا
* حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا
القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا * قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم
يرد إلى ربه فيعذبه عذابا نكرا * وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول
له من أمرنا يسرا * ثم أتبع سببا * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا * كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا * ثم أتبع سببا *
حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالوا يا ذا
القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل

بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا * وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا * وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا * الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا * أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا * قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا * قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا *

جاء فى البخارى ومسلم ماملخصه أن موسى عليه السلام قام خطيبا فى بنى اسرائيل فسئل أى الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم اليه تعالى فأوحى الله سبحانه اليه ﴿ إن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك وأمره أن يأخذ حوتا فى مكتل فحيثما فقد الحوت فهو ثمة ففعل ذلك وسافر مع فتاه يوشع بن نون حتى اذا أتيا الصخرة فناما فاضطرب الحوت وسقط فى البحر ـ فاتخذ سبيله فى البحر سربا ـ وصار الماء كالطاق عليه وهو يجرى فلما استيقظ موسى نسى صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما فلما كان الغد طلب موسى الغداء ووجد النصب ولم يكن ذلك النصب إلا بعد أن جاوزا المكان الذى أمر الله به فقال فتاه ـ إنى نسيت الحوت ـ وذكر ما كان من أمره عند الصخرة ـ فارتدا على آثارهما قصصا ـ حتى انتهيا الى الصخرة فوجدا رجلا مسجى بثوب أبيض ﴾ وكان من أمرهما ماسترى من مسألة السفينة والغلام والجدار

﴿ التفسير اللفظى ﴾

قال تعالى (وإذ قال موسى) أى اذكر إذ قال الخ (لفتاه) يوشع بن نون من ذرية يوسف عليه السلام وكان يخدمه (لا أبرح) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتقى بحر فارس والروم من جهة المشرق أو بحرى العلم موسى فى علم الشريعة والخضر فى علم الحقائق (أوأمضى حقبا) أو أسير زمانا طويلا (فلما بلغا مجمع بينهما) وهو المكان الذى وعده الله بلقائه عنده أى مجمع وصلهما (نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى

البحر سربا) أى فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا وصار الماء كالطاق عليه فكان ذلك للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا (فلما جاوزا قال لفتاه) أى قال موسى (آتنا غداءنا) مانتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هـذا نصبا) ولم ينصب حتى جاوز الموعد (قال أرأيت إذ أوينا) أرأيت ما دهانى إذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى (فانى نسيت الحوت) نسيت أن أخبرك بما رأيت منه (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى ذكره إلا الشيطان فأن أذكره بدل من الهاء (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهوكونه كالسرب (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لأنه المطلوب (فارتدّا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه يقصان (قصصا) يتبعان آثارهما اتباعا حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) وهوالخضر مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال الخضر وانى بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بنى اسرائيل قال نعم ووصف العبد بقوله (آتيناه رحمة من عندنا) هو الوحى والنبوّة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختصّ بنا ولا يعلم إلا بتوفيقنا وهوعلم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) أى على شرط أن تعلمنى وهو حال من الكاف (مما علمت رشدا) أى علما ذا رشد وهو اصابة الخير والرشد والرشد كقفل وسبب قراءتان (قال إنك لن تستطيع معى صبرا) عن الانكار (وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا) وكيف تصبر وأنت نبىّ على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير و بواطنها مجهولة (قال ستجدنى إن شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا أعصى لك أمرا) عطف على ـ ستجدنى ـ (قال فان اتبعتنى فلاتسألنى عن شئ) فلاتفاتحنى فى شئ أنكرته علىّ (حتى أحدث لك منه ذكرا) أى حتى أبتدئ بذكره فأبين لك شأنه قال تعالى (فانطلقا) يمشيان على الساحل يطلبان سفينة فوجداها فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أى عوض (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) وذلك حين توسطوا فى لجة البحر إذ أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة (قال) موسى (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ إمرا) عظيما منكرا فأخذ موسى ثوبه فحشا به الخرق (قال) الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا * قال) موسى (لاتؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته (ولا ترهقنى من أمرى عسرا) ولاتغشنى عسرا من أمرى بالمضايقة والمؤاخذة * قال النبى ﷺ فى الصحيح «كانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة فقال له الخضر مانقص علمى وعلمك من علم الله إلا مثل مانقص هـذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة» (فانطلقا) يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله وهذاقوله تعالى (حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) أى نفسا طاهرة من الذنوب بغير نفس أى لم تقتل نفسا لم يجب عليها القتل (لقد جئت شيأ نكرا) أى منكرا عظيما (قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا) وأتى هنا بلفظ ـ لك ـ ليواجهه بصريح العتاب (قال إن سألتك عن شئ بعدها) بعد هذه المرّة (فلاتصاحبنى) أى فارقنى (قد بلغت من لدنى عذرا) اتضح لك العذر فى مفارقتى والمعنى أنه مدحه لاحتماله مرّتين * قال ﷺ «رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة (١) فقال ـ ان سألتك عن شئ ـ الخ فلو صبر لرأى العجب» قال تعالى (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية (استطعما أهلها) استضافاهم (فأبوا أن يضيفوهما) يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقضّ) يدانى أن يسقط (فأقامه) بعمارته أو بعمود عمده به * وقيل نقضه و بناه (قال لوشئت لاتخذت عليه أجرا) أى جعلا لنتعشى به (قال هذا فراق بينى و بينك) أى هذا وقت فراق بينى و بينك (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) * قيل ان موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرنى بمعنى ماعملت قبل أن تفارقنى فقال

(١) الذمامة الحياء والاشفاق من الذم

الخضر

الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) وهم لعجزهم عن دفع الملك أولزمانتهم أولحاجتهم مساكين * وقيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة ولذلك عبتها فاذا جاوزوا أصلحوها وانتفعوا بها (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى خفنا (أن يرهقهما) أن يغشيهما أو يكلفهما (طغيانا وكفرا) أى فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتبعاه على دينه (فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة) صلاحا وتقوى ردّا على قوله ـ أقتلت نفسا زكية ـ فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة (وأقرب رحما) أى رحمة وعطفا على والديه * قيل ولدت أمه جارية فتزوّجها نبيّ فولدت نبيا هدى الله به أمّة من الأمم (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما) وكان هذا الكنز جامعا للمال والعلم إذ كان لوحا من ذهب مكتوبا عليه ﴿ عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح . عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب . عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب . عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل . عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها ﴾ وقيل هو كنز من ذهب وفضة ولاتنافى بينهما ثم قال تعالى (وكان أبوهما صالحا) قيل هو جدّهما السابع (فأراد ربك أن يبلغا أشدّهما) أى الحلم (ويستخرجا كنزهما رحمة) أى لأجل الرحمة (من ربك ومافعلته) أى ومافعلت مارأيت (عن أمرى) أى عن اجتهادى انما فعلته بأمر الله (ذلك) أى الأجوبة الثلاثة (تأويل مالم تسطع عليه صبرا)

اعلم أن هذه القصة كلها ترجع الى طلب العلم وعدم الوقوف عند حدّ لأن المكتفى بما عنده مغترّ ـ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ـ فرحوا بما عندهم من العلم ـ * ويروى فى سبب هذه القصة أيضا أن موسى سأل ربه أىّ عبادك أحبّ اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فأىّ عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال فأىّ عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أوتردّه عن ردى فقال ان كان فى عبادك أعلم منى فدلنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة الى آخر ماتقدّم ثم جاء فيها ان علمى وعلمك الخ

﴿ مغزى هذه القصة ﴾

اعلم أن هذه القصة جاءت هنا لاتمام ماقبلها . ذلك أن الله فى أوّل السورة أرانا أن آياته كلها عجب وقال لنا ان قصة أهل الكهف وقصة يوسف بالنسبة لآيات الله شئ قليل فآيات الله لاتتناهى فلاتقتصروا على أنباء القرون الخالية والأمم الماضية وسير الصالحين فان الصالحين والأمم ماهم إلا بعض ملكى والبعض المذكور قليل بالنسبة لهذه الأرض والسماء المحيطة بها . فاياكم أن تضيعوا حياتكم فى ذلك بل اقرؤها للايمان ثم ادرسوا هذا الكون المحيط بكم دراسة علمية ولاتقفوا عند الشهوات فان زينة الحياة الدنيا فانية الى آخر ماتقدّم

ولقد ظهر هذا المعنى فى حديث الشيخين المتقدّم إذ جاء فيه أن علم موسى وعلم الخضر فى جانب علم الله كما أخذ الطائر من البحر . هذا تصريح من جانب الحضرة النبوية بما ذكرناه سابقا فان الخضر وموسى لم يخرجا عن كونهما مخلوقين نبيين ولهما قصص وحكايات وأعاجيب فقال الخضر لموسى على الناس أن لايقفوا عند حد ماسمعوا لأنا لانسمعهم إلا على قدر الهداية العامّة فنحن أشبه بالهادى الخرّيت الذى يهدى الناس الى السبيل وعلى الناس أن يسيروا فليس الذى يهدى الطريق هو المقصود بل الأرض والسماء أوسع منه والمسافر يسافر لأغراض غير الدليل وانما عليه أن يتبع الدليل فعلمى وعلمك قليل وعلم الله كثير اشارة الى ماذكره الله أوّل السورة ـ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ـ فجعل آيات الله فى السموات والأرض عجائبها أبدع من قصص أهل الكهف كذلك علم موسى وعلم الخضر أقلّ من علم السموات والأرض وهو المستمدّ من علم الله . فعلم موسى وعلم الخضر يدلان على علم الله ونحن ندرس مخلوقات الله لنتوصل

الى الحقائق . ان علم الأنبياء الذى يلقونه الينا اجمالى وقراءة هذا الكون تفصيل وليس على الأنبياء أن يعلمونا غير ماهو أصل الدين وعلينا نحن التفصيل بعقولنا والنظر فى خلق ربنا . والأنبياء بما أرشدوا اليها صاروا هم المعلمين لها وان لم يكن مباشرة . فاذا قال الله ـ خلق السموات والأرض بالحق ـ فعلينا أن نبحث لنصل الى الحقائق ولسنا نصل الى ما أنيرت به بصائر الأنبياء ولكن نصل الى ماتحتمله عقولنا ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ

﴿ ايضاح هذا المقام أى أسرار هذه القصة ﴾

حدثنى الحارث بن همام قال أخذتنى سنة من النوم فرأيت فيمايرى النائمون رجلين أحدهما فلاح بحقله والثانى شيخ عالم بالقرآن وتفسيره والبلاغة وآدابها فأخذا يتحاوران وأنا مصغ لهما . قال الفلاح للشيخ الأديب . أيها الشيخ . إن الله قد أنعم عليك بنعمة القرآن والعلم وآتاك حكمة ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ . إنى حرت فى أمر هذه الدنيا . قال الشيخ وكيف ذلك . قال أنا واقف فى الحقل أرى طيورا فوقى تطير وحيوانات و بهائم على الأرض تسير وألفيت الطيور قد اكتست جلابيب الهناء وسرابيل السعادة . لم تكبل فى الأرض بالحافر ولا بالخف ولا بالظلف بل أرجلها خفيفة وريشها حريرى وأمرها عجيب . تبيض البيض وتحضن أولادها وتربيهن مترفة ناعمة سعيدة فرحة مغردة مغنية لاأسنان تعيقها عن الطيران بثقلها ولا آذان لكل منها فان ذات البيض خلقت بلا آذان ظاهرة وذات الحمل والولادة آذانها ظاهرة . الأنعام حولى فأخفافها وأظلافها وغلظ أجسامها وحرمانها من الأجنحة كل ذلك أقعدها عن الطيران وأكسبها السير فى الغيطان تخضعت لنا وذللناها فمنها ركوبنا وانا لها لآكلون ثم أرى طيور السماء وحيوانات الأرض والماء جميعا لها شؤن وشؤن ونظام مسنون . كل له نظام يخصه لاعوج فيه . قد أعطى كل مايؤهله لحياته فالطير راض عن جوه وعن هواه وحيوان الأرض راض عن مثواه وكأن هذا وذاك مشمولات بالعطاء منعمات بكل يابسة وخضراء . اما الذى أذهلنى وآذانى وهيج بلبالى ما أراه من التناقض والاختلاف . فبينما ترى صانع العالم رحيما لطيفا اذا بك تراه قد انقض على المرحوم فآذاه ومنع عنه الرحمة وأرداه . فلما سمع ذلك الشيخ امتعض وقال له لاتقل ذلك . فقال الفلاح أجبنى عن سؤالى وأزل شبهتى . أما قولك لاتقل ذلك فانها صناعة العاجزين . قال الشيخ قل وأوضح ما اشتبه عليك . فقال أيها الشيخ

(١) ألم تعلم أن الله مميت الناس وهم فى متقلبهم يترددون . قال الشيخ بلى

(٢) قال الفلاح . ألم ترأن الباز ينقض على الخطاف والخطاف على العصفور فيبتلعه . قال الشيخ بلى

(٣) قال الفلاح . ألم تر الى الطاعون كيف ينقض على جماعة من الناس وجماعة من الحيوان أخرى فيزيلها من الوجود . قال الشيخ بلى

(٤) قال الفلاح . ألاترى أن رجلا فقيرا عنده بقرة حلوب وعنده عشرة أطفال فمنها لبنهم وعليها حرثهم وسقيهم فتموت ويصير الرجل وأبناؤه فقراء . قال الشيخ بلى

(٥) قال الفلاح ويكون جاره غنيا لاصلاح عنده ولا كرم وله ٩٩ بقرة أوأكثر ومع ذلك لايصيبها الموت . قال الشيخ بلى . قال الفلاح هذه هى شبهتى وهذه هى الحيرة فقل لى بالله أين العطف واللطف والرحمة التى رأيناها للأجنة فى بطون الأمهات وفى الغدو والرواح وأين هذا الجمال الساطع فى هذا الوجود من هذا الفتك والقتل والايلام ولأكتف لك أيها الاستاذ بهذا والا فالأمر فى مثل هذا لاحصر له فما أوسع الوجود فقال الشيخ ـ لايسأل عما يفعل وهم يسألون ـ . فقال الفلاح أنا أسمع هذه الآية ولكن هل هذا هو العلم وهل هذه هى الحكمة . أين الجواب . يقول الله ـ وفوق كل ذى علم عليم ـ فأنا ذوالعلم وأنت العليم فأفدنى . قال الحارث بن همام فلما رأيت الشيخ قد ارتج عليه تمنيت لو يفتح عليه بالجواب فأطرق

الشيخ

الشيخ رأسه قليلا و بينا هوكذلك إذ انقض طائر أبيض من فوق الشجرة وأقبل اليهما وجلس بينهما ثم انقلب فجأة رجلا سويا فقلت فى نفسى ياسبحان الله . أفى يقظة أنا أم فى منام . اذا هوذو هيئة جميلة وشكل بهيج يسر الناظرين و يشرح الصدور فقال قد سمعت قولكما وفهمت مادار بينكما ثم التفت الى الشيخ وقال هل قرأت قصة الخضر وموسى عليهما السلام فى سورة الكهف . قال نعم . قال هل تدرى مافيها من الحكم . قال نعم

يقول الله تعالى ـ حتى اذا ركبا فى السفينة ـ الى أن قال ـ فأردت أن أعيبها ـ فنسب الخضر العيب الى نفسه . قال حسن . قال الشيخ وقال ـ فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة ـ ونسب هذا الخير الى الله وأيضا قال ـ فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما ـ ففى هذا نسبة الخير الى الله والشر للعبد وهذا من الأدب الجميل فى العبارة . فتبسم ذلك الطائف وقال هل هذا هومحاسن القرآن . هذه يتعلمها الصغار فى المدارس ليحسنوا النطق والتعبير وليس القرآن منزلا لمثل هذه النكات السهلة التى تلقى الى المبتدئين ولكن أريد منك أن تجعل جواب صاحبك من هذه القصة . حينئذ فكر الشيخ طويلا وقال أنا لم أر مناسبة بين سؤال صاحبى و بين قصة الخضر . إن ملخص مافيها كما ذكره المفسرون أن العلم ﴿ علمان ﴾ علم مكاشفة وحقيقة وعلم شريعة فمن أدرك الآخرة أنكر الأولى ومن أطلعه الله على الحقيقة كالخضر يكون فرحا بمعرفتها ولا يكون لديه أى اعتراض على مايخالفها . قال ذلك الطائف ولكن لم تجب صاحبك الى الآن قال هذا ماعلمت فهل عندك علم . قال فاستمع ياصاح . خذ لك عظة مما سيأتى

(١) قال الله لموسى إن الخضر أعلم منك بعد أن عتب عليه

(٢) ولما سأله عن مقره قال مجمع البحرين . فلم عبر بالبحرين . فكأن المقام مقام تبحر فى العلوم ولذلك أشار لها الخضر عند نقر الطائر فى البحر

(٣) ذكر فى الخبر أن عند الصخرة ماء عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة روح الماء و برده عاشت ووقعت فى الماء وعين الحياة رمز للعلم والعالم هوالحى الحقيقى بعد الموت وفى الدنيا والناس جميعا أموات

(٤) جاء فى الخبر أن الخضر قال ياموسى أنا على علم علمنيه الله لاتعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا ثم اتبعه موسى ليعلمه . كل ذلك ليقال لكم اذا كانت هذه أحوال أنبيائكم فبالأحرى أنتم لابد أن تزدادوا من العلم ولاتقفوا عند حد

(٥) اذا علمت هذه المقدمات فاعلم أن هذه القصة تشير الى أموركثيرة منها ماذكره صاحبك الفلاح . ألاترى أن قتل الغلام وهوصغير لاذنب له ترونه كل وقت فى أرضكم هذه كما قال صاحبك الفلاح فان الطاعون وانقضاض الكواسر على الطير والوحوش والآساد على البهائم . كل ذلك من قبيل قتل الغلام فما ذنب البهائم يصطادها السباع والانسان وماذنب الأمم يصطادها الطاعون فيهلكها . إن الأمر لعجيب . هذا بعض المقصود من ذكر الغلام . وأما ذكر خرق السفينة التى هى لمساكين فاشارة الى ما ذكر صاحبك الفلاح من موت بقرة فلاح بجانبه رجل غنى لم يصب . وأما ذكر الجدار واقامته فتشير الى كل من نرى أنه ليس أهلا للنعمة ظاهرا وقد أغدقت عليه وأهل (انطاكية) ليسوا أهلا للاكرام فهكذا الغنى ذوا المال الكثير البخيل كيف تغدق عليه النعم وتبعد عن هذا الفقير

فلما سمع ذلك الفلاح والشيخ قاما وقبلا رجليه وقالا لقد آتاك الله علما فحدثنا رعاك الله كيف يكون الجواب . فقال ليس كل مايعلم يقال وأخاف أنكما اذا استيقظتما تخبران الجهلاء بالآراء فلايفقهون . قالا . كلا . فنحن للأسرار حافظون

(١) قال أما موت الناس بعد حياتهم فمن حكمه انهم لو بقوا على الأرض مائة عام جميعا ولم يمت أحد

لضاقت الأرض بما رحبت ولماتوا جوعا ولأكل الابن أباه وأمه ولأصبحت الأرض منتنة قذرة وهلك الناس أجمعون

(٢) إن كواسر الطير تأكل صغارها ليخلو الجوّ والأرض من الحيوانات المزدحمة ولولا ذلك لتعفنت هذه المخلوقات وأضرّت بالحيوانات والناس أجمعين فاقتناصها رحمة فهى لاتتعفن هناك بل تصبح دما ولحما ونعمة على العالمين

(٣) وهكذا اقتناص الوحوش والسباع للغزلان والأرانب لنفس الحكمة وهكذا الحيات تقتنص الحشرات والا لضاقت الأرض بما رحبت ومات الناس أجمعين

(٤) وأما ابقاء مال الغنى عنده وزيادة الفقير فقرا فذلك لامور تخص أولئك الأشخاص لا يعلمها إلا الله منها أن الفقراء عند الموت يكونون خفافا ويفرحون فرحا لانهاية له . وأما الأغنياء اذا لم يهذّبوا فان عقولهم وأرواحهم تكون مجذوبة الى هذا العالم فأصبح النعيم جحيما والجحيم نعيما بعد الموت مباشرة وهناك مالا يعلمه أحد إلا ربّ العالمين ويشير لذلك كله ولغيره عيب السفينة فى البحر وقتل الغلام فى البرّ واقامة الجدار فيه كأنه يقول هاأنتم أولاء تشاهدون هذه الأحوال فى البحر لأن السمك الكبير يأكل الصغير فى البحر . وأما أمر البرّ فهو معلوم مما تقدّم . فقال الشيخ له سألتك بالله من أين جاءك هذا العلم . إنه لقول جميل . قال له بالنظر الصحيح وقراءة كتب الحكمة . قال له نعم أنا أفهم ذلك ولكن كيف خطر ببالك هذه المعانى فى هذه القصة . قال له من سابق الكلام ولاحقه فان سابق الكلام فى عجائب الدنيا وانها أكثر جدّا من عجائب القصص . وأما لاحقه فانه قال تعالى ــ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا ــ فهذا القول دلنا على أن هذه القصة مسوقة للتبحر فى هذه الكائنات والنظر فيها وأن العلم لاحدّ له فأخذنا نبحث فى نفس الكائنات كما أشار لذلك الأنبياء . قال الشيخ إن نفس هذه الاجابة أيضا أسأل عنها كيف عبرت بها وانى قرأت التفاسير فلم أجد هذه الطريقة فما أعلم فقال له يقول الله ــ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ــ ويقول على لسان ابراهيم ــ ولكن ليطمئن قلبى ــ فبهذا يكون الاطمئنان وبمثل ما ذكرته لكما يكون الشفاء لما فى الصدور . ألاترى أن الخضر لما فعل مافعل رجع فأبان الحكم والغايات التى أريد الفعل لها ثم قال ــ ومافعلته عن أمرى ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا ــ . يقول الخضر هذه الأعمال ليست من جنس أعمال الناس بل هى من أعمال الله تعالى وانما أنا كنت واسطة وهكذا الملائكة الأرضيون كلهم يفعلون نفس هذا العمل بما ألهمهم الله فهم يحافظون ويساعدون النسور فى الجوّ والآساد فى البر والحيتان الكبار فى البحر وافتراسها والحيات فى التراب وهذه المحافظة ليست مضرة على الناس خيفة تعفن الجوّ والبر والماء إذ تلك هى الآكلات لهذه الحيوانات لئلا تكثر فتموت فيكون الهلاك لكم . فأما هذه الامور الثلاثة فانما هى نموذج لفعل ربكم . هذا مقصود الآيات . فقال الشيخ ولكن خبرنى حفظك الله كيف غابت هذه الآراء عمن تعرفهم من العلماء وعنى . قال اعلم أنك أنت وصاحبك الفلاح رجلان تقاربتما فى طريقة الحياة . قالا له معا فما معنى هذا . قال معناه أن الأمة فى تربيتها متلائمة وجوّها العلمى يكون متناسبا . قالا مافهمنا . قال أوضح لكما ذلك . أنت أيها الشيخ حفظت القرآن من صغرك بلاتدبر على طريقة المسلمين فى الأرض وأنت أيها الفلاح خرجت فوجدت نفسك فى وسط هذه الحقول وقد تركتما بلا مرشدين فأما الشيخ فقرأ العلوم العربية ونهايتها البلاغة وهى نحو ١٢ علما وأفهمه شيوخه انك بهذه العلوم تعرف سرّ القرآن والدليل على ذلك انى حين سألتك أيها الشيخ أجبتنى باسناد الضمائر وذلك خاص بعلم المعانى . قال له نعم . قال هذا هو الذى أوقف عقول أمة الاسلام عاشت فى القرون الأخيرة فى جوّ من الألفاظ فحجبت عنها الأسرار وقال قوم ممن جاهدوا أنفسهم انهم وصلوا الى معانى بتصفية الباطن ولكنهم ما أبرزوها للناس لأن الناس لايصدّقونها

فرجع

فرجع الأمر أن الأمة وقفت فى مربضها وتقدم غيرها من الأمم فدرسوا هذه الكائنات والمسلمون فى سبات قال الشيخ صدقت . قال وأنت أيها الشيخ ما أنت إلا واحد من آلاف حفظوا القرآن كما حفظت ولكنهم تعثروا فى أذيال الخيبة والنكال فانهم اكتفوا منه بالتلاوة أو العبادة أو التبرك أو السماع أو التغنى به وكل ذلك نزر يسير ولم ينزل القرآن ليقتصر على هذا . إنه نزل لاطلاق العقول . قال الشيخ صدقت . ثم قال أما أنت ياأيها الفلاح فانك درجت فى قريتك ولم تسمع إلا أن الحمام يؤكل والطيور تذبح والبقر والجاموس للحراث وما أشبه ذلك فأنت وحافظ القرآن وأمثالكما كثيرون تعيشون ماتعيشون ثم تموتون مزودين بزاد قليل من الدنيا . فلا أنت فهمت الموجودات التى تعيش فيها ولا الشيوخ درسوا القرآن الذى حفظوه وكلما خلت أمة أتبعتها أخرى والعقول واقفة والنفوس نائمة والفرنجة حولكم فوحون مستبشرون

﴿ حديث عجيب ﴾

ألا أحدثكما حديثا سياسيا اقتصاديا . فقالا نحب ذلك . قال ان الملك (غليوم) ملك ألمانيا كان أرسل منذ عشرات السنين شابا قد أكمل الدراسة فى بلادهم وتخرج من مدارسهم وأخذ الشهادات العالية فى الفلسفة والعلوم وهوذكي الفؤاد . أرسل هذا الشاب الى بلاد العراق فتعلم العلوم الاسلامية لابقصد الاسلام بل بقصد أن يعرف الى أى حد وصلت أمة الاسلام فتعلم كل شئ عند المسلمين وألف كتابا نشره بالألمانية فكان ملخصه مايأتى ﴿ هذه الأمم تتعلم لتموت فعلى ألمانيا أن تجد فى طلب الحصول على مراكز اقتصادية وسياسية فى البلاد قبل احتلال غيرها لها ﴾ ومضت سنون ثم جاءت الحرب الكبرى . فقال الشيخ والفلاح وا أسفاه . أهكذا وصلنا . قال نعم ولكن بأمثال هذه الآراء ستحيون و يغير نظام التعليم فى الاسلام وترقى أمم الشرق وقد آن أوانه وظل ابانه . ان الشرق مهد العرفان ومقر الأنبياء . انكما أيها الاخوان قد تركتما عادة الخمول وبحثتما وفهمتما شيأ من الوجود . فأما أنت أيها الفلاح فانك فكرت فى أمور لايفكر فيها الفلاحون وأنت أيها الشيخ عرفت علم اللغة وكفاك فضلا إنك فهمت ماأقول . وأما غيرك فقد أقفل عقله بأقفال من الجهالات فقالا له زدنا . فقال كفى فألحا عليه . فقال سأقول كلمة واذا عاودتمانى لم تريانى . فقالا قل على هذه الشريطة فقال ألم تنظرا سورة الكهف قد تناسب طرفاها . ابتدأها بأن العجائب لاتتناهى وأن قصة أهل الكهف نزر يسير وختم السورة كما ابتدأها قائلا أن البحر ومثل البحر لو كان مدادا لم تنفد عجائب الله . أقول هذا وأستغفر الله ثم انتفض انتفاض العصفور وانقلب طائرا وغاب عن الأبصار . قال الحارث بن همام فاستيقظت إذ ذاك ووددت لو أراه كرة أخرى . انتهى الكلام على قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام الذى هو ميت لاحى قال تعالى ــ وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد ــ

﴿ بهجة العلم ونور الحكمة قد أشرقا صباح يوم الخميس الثالث من شهر مايو سنة ١٩٢٨ فى تفسير قوله تعالى ــ فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما ــ الى قوله ــ قال هذا فراق بينى و بينك سأنبئك بتأويل مالم تسطع عليه صبرا ــ ﴾

أصبحت هذا اليوم ونفسى متشبعة ببعض مافى هذه الآيات من المعانى ولقد كانت ترد على قلبى وقتا فوقتا منذ أربعة أشهر حتى اذا كان هذا اليوم ألمت هذه الآراء بنفسى ولم تفارقها وقامت البراهين على مايخطر بالنفس فأيقنت أن هذه الخواطر واجب كتابتها على فانى لاأجد محيصا من اثباتها ولا طريقا لمقاومتها فأذعنت للأمر الالهى وكتبت ماستسمعه والله هو الولى الحميد

اعلم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل هذا القرآن وقبل أن يخلق هذا العالم أن الأمم الاسلامية ستنام قرونا وقرونا وستأخذ أقوال الأئمة تقليدا فى الفقه وتترك عقولها وراءها إلا قليلا . علم الله ذلك فأنزل هذه الآيات ليذكرنا باصول هذا الدين . هذا الدين الاسلامى نزل الى الأرض وقد كانت مرتبكة قد أضناها النصب

والتعب وحلّ بعقول أهلها الخبل . أفلاترى الى الأمم الاوروبية وقد خيم على عقولها الدين المسيحى فأحاط بعقولهم القسيسون وأضرّوا بهم ضررا شديدا فلم يفككهم من عقالهم إلا الاسلام (راجع ما كتبناه عن علمائهم فى سورة ابراهيم وسورة التوبة وغيرهما) وبهذه الوسيلة انتشرت الحرية العقلية فى العالم الانسانى فى أمريكا واليابان والصين حديثا وكذلك الهند . كل ذلك بانتشار الآراء الاسلامية . إن النهضة الحالية وانتشار الديموقراطية كل هذا سببه الاسلام ولكن المسلمون الذين كانوا سبب ذلك الارتقاء كبلوا فى قيود من حديد وغشى على عقول كثير منهم . ولقد أصبح كثير منهم أشبه بقدماء المصريين إذ جاء لهم ملك الفرس المسمى (قمبيز) محاربا وقد أدرك انهم يعبدون الهرّة فأوقف الهرر بين الصفين فلم يتجاسر العساكر المصريون على ضرب الآلهة فتمكن الفرس من هزم المصريين وذلك فى الأسرة (٢٦) ومن ذلك الوقت ضاع استقلال مصر وذهب مجدها وطاح عزّها فأرباب الدين اذا حبست عقولهم كان ذلك الحبس من أقوى أسباب انحطاطهم وذلهم وشقائهم أجمعين

﴿ الاسلام مبناه العقل فتأمّل وتعجب ﴾

ألست ترى أن الأنبياء انما يصدّقون بالمعجزات ولامعنى للمعجزة إلا أنها أمر خارق للعادة يجريه الله على أيدى أناس ادّعوا النبوّة . فهذا الأمر الخارق للعادة دليل على أن الله هو الذى اختارهم لذلك فالايمان بالأنبياء متوقف إذن على أن نعقل أن للعالم إلها موجودا عالما مريدا قادرا فلولا علمه وارادته وقدرته ما ظهرت تلك المعجزات على أيدى الأنبياء فهو علمهم وأراد تأييدهم وقدر على ذلك . إذن النبوّة لاتعرف إلا بالعقل . وهذه النبوّة اذا جاءت بامور تخالف العقل فنحن بين أمرين إما نقول العقل لاقيمة له ونسلم للدين مايقول بلابحث وهذا معناه أن العقل قد يكذب واذا كذب العقل فهذا يرجع على الدين بالنقض لأن التصديق به بناء على العقل والعقل قد سقط فاذن سقط الدين بسقوط أساسه . فاذن نلتجئ الى الأمر الثانى وهو أن نقول اننا نؤول الشرع ليطابق العقل وحينئذ نكون وفقنا بين العقل والشرع . هذا كلام حكماء الاسلام فى مثل هذا المقام أى مقام العقل والدين فلننظر فى علوم الفقه الاسلامى أى شئ هى . إن علوم الفقه الاسلامى كلها ظنية لأن الفقه ماهو إلا الأحكام الشرعية الظنية المكتسبة من أدلتها التفصيلية قالوا والمسائل التى ليست ظنية فهى ليست من الفقه . وهنا نقول اذا حدث فى الأمم الاسلامية حوادث أظهرت أن بعض الأحكام الشرعية التى يقول بها مذهب من مذاهب أهل السنة أوالشيعة أوالزيدية قد أضرّ بالشعب الاسلامى ضررا محققا وتحقق ذلك الضرر عند مجلس الشيوخ فى الأمّة ومجلس النوّاب . فماذا يكون الحكم اذا رأينا أقوالا اجتهادية أوأحاديث صحيحة وكانت نتيجة العمل بها ضررا محققا أى ان المضار فيها كثيرة جدّا تفوق المنافع أضعافا مضاعفة . فماذا نفعل . نقول اذا حصل هنا يقين بأن حكما من الأحكام ضرره بين فانه لامحالة لا يكون هذا شرعيا . و بيانه أن الضرر المحقق عند نواب الأمّة يعارض الحكم المظنون فالحكم مظنون شرعا ولكن الضرر محقق عقلا وقد حكمنا أوّلا أن العقل لايلغى حكمه اذا كان محققا . إذن يراجع هذا الحكم ويجب أن يعتقد أنه ليس مشروعا لأنه ظنّ واليقين مقدّم على الظنّ قال الله تعالى ــ إنّ الظنّ لايغنى من الحقّ شيأ ــ فهذا ظنّ وهذا حقّ والحق يغلب الظنّ و يلغيه لذلك أنزل الله هذه الآيات لتذكرنا بالحقائق الدينية وترجع المسلمين الى التعقل والتفكر . انظر الى السفينة وقد خرقها وخرق السفينة حرام ولكن لما تحقق الخطر وجب عمل المصلحة وقتل النفس حرام ولكن قد تحقق أنه لامصلحة فى بقاء هذا الغلام بل فيه مفسدة هنالك أقدم على القتل . وليس معنى هذا أن نأخذ هذا القول بلفظه بل نقول متى ثبت لرجال الأمّة وعقلائها ضرر أمر وجب تلافيه بحسب المصلحة فالشرع لم يكن لاحراج المتدينين

انظر

﴿ انظر الى مسألة الربا ﴾

الربا حرام وانما حرم لسر ظهر فى هذا الزمان وذلك السر عرفه علماء الاسلام قديما ولكن لم ينفذ فعلا إلا على يد (البولشفيك) فاقرأ ذلك فى آية الربا فى سورة البقرة فقد اتفقت أدلتهم مع أدلة علماء الاسلام . على أن المرابى لم ينفع الانسانية بعمل ما . هذا سره . لكن انظر الى المسلمين فى مصر بلادى مثلا . نحن الآن نعيش مع الاوروبيين الذين يبيحون الربا ولكن المسلمون يحرمونه . فماذا جرى . حبس الأغنياء نحو (٨٠) ألف ألف جنيه فى مصارف الفرنجة والربا الذى يستخرج من هذه فى السنة يبلغ فوق ثلاثة آلاف ألف جنيه وهذا المبلغ يأخذه الفرنجى فيجعله ذخيرة وسلاحا ومدافع ويحارب المسلمين به

وهنا ننظر ونقول الربا حرام ولكن هذا الحرام جعل سببا فى تخريب بلاد الاسلام ولو أن هذا الربا أخذ لدولتنا وسدت به ديون دولتنا لا للافرنجة الذين يحيطون بنا لكان ذلك واجبا لاجائزا فقط ولو أن الربا أخذ منهم وأعطى للفقراء والمساكين والذين لايجدون صناعة يعيشون بها فيشترى به آلات للزراعة مثلا لكان ذلك من باب الاضطرار فى المسألتين . فهذا اضطرار يبيح هذا المحظور موقتا . أنا لست أبيح الربا . الربا خطر على الانسانية وسيف قاطع ولم يفهم ضرره حق فهمه إلا البلشفية فى الروسيا . هؤلاء هم الذين حققوا معجزة كبرى للنبى ﷺ ولست أقول إنا نأخذ الربا لفقرائنا ولكن أقول اذا اجتمع ﴿ علتان ﴾ علة أخذ الفرنجة لربا أموالنا وضربنا بالمدافع المشتراة به . وعلة أخذ فقرائنا له . أقول اذا لم يكن فى الأمة من يمون هذا المال بزراعة أوتجارة أوصناعة ووضع فى مصارف الفرنجة الذين يعتدون على بلاد الاسلام بالسلاح . فمن الجهل الأكبر ومن مصائب الأمم الاسلامية أن يؤخذ الربح لهم بل يجب أن يكون لفقرائنا وكان على العلماء أن يفتوا بذلك من باب الاضطرار والحكم الاضطرارى ليس أمرا دائما

﴿ نظرة عامة فى أمم الاسلام ونظام القضاء فيها وأحكامها الشرعية ﴾

اعلم أن الأمم الاسلامية قد نامت قرونا كثيرة منذ قهرها (جنكيزخان) وخلفاؤه وتولى الحكم فيها أمم تركية وغيرتركية فجمدت القرائح وعظمت الخطوب وقد كنت أيام مجاورتى بالجامع الأزهرأسمع شكوى الناس من القضاء الاسلامى ومن ذلك أن المرأة اذا غاب زوجها ولم يعرف خبره يقضى عليها أن تبقى بلازواج حتى سن الستين وهذا عجب . وقد بحثت بعد ذلك فوجدت أن القضاء فى مصر لايصح إلا اذا أقره الخليفة فى بلاد الترك من آل عثمان والحكم فى مصرعلى مذهب الامام أبى حنيفة النعمان الذى هومذهب الخليفة فقابلت المرحوم الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر منذ أمد فقال لى إن مذهب المالكية سهل جدا فى هذه المسألة ولكن الحكومة الانجليزية التى احتلت البلاد لما رأت أنه لابد من الاستئذان من الخليفة فى العمل بمذهب غير الحنفى للتسهيل أبت خيفة أن ترجع العلائق بيننا وبينهم . فقلت له إنه من المؤلم أن يكون دين الاسلام الذى هوأسهل الأديان بسببه تكون المرأة عرضة للفاحشة بل الفاحشة محققة فى كثير من هؤلاء المسكينات . فقال وما العمل . وبعد ذلك تغيرت الأحوال وانتهى ملك بنى عثمان فقام القضاة بمصر فى هذه الأيام وعلى رأسهم صديقنا الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى قاضى القضاة بمصر ورئيس المحكمة الشرعية العليا فشمر عن ساعد الجد وبحث فى المذاهب كلها واستخرج منها زبدة صالحة للعمل بقدر الامكان وقدم للحكومة (مذكرات مشروع قانون الزواج) وسهل الأمر جدا فى أحكام النفقة والزوج الغائب بحيث انتفى الحرج وسأنقل منها مايناسب موضوعنا . إن علماء الدين الاسلامى فى القرون المتأخرة مع الملوك استبدوا بالأمة الاسلامية استبدادا أدى الى ضعفها . ومن ذلك ما كان فى القرن التاسع عشرالمسيحى أى القرن الماضى فان أحد الباشوات بمصر قال للشيخ المهدى العباسى المصرى (وهو المفتى بمذهب أبى حنيفة مع القاضى التركى

من قبل السلطان التركى) استخرجا من المذاهب الأربعة وغيرها قانونا به تحكم البلاد فان علماء الدين يناقض بعضهم بعضا بل بعضهم يفتى تبع الدرهم قلة وكثرة وهذا يوجب ارتباك الأحوال فرضى قاضى الترك . أما المهدى العباسى فقد قال للقاضى أنت مولى من قبل الخليفة على مذهب أبى حنيفة فمالك وللمذاهب الأخرى فلما يئس حاكم مصرمن علماء الدين استجلب القانون الفرنسى وحكمت به البلاد الى الآن . وهكذا فى هذه الآونة لما قامت الحرب الكبرى وانتصر مصطفى كمال باشا على أوروبا جعل الدولة بلادين محتجا بأن علماء الدين جعلوا الشريعة تحت أقدام الخلفاء فهم الذين أفتوا بمحاربة الجيش التركى الذى كان يقاوم أوروبا وهى زاحفة على البلاد . كل ذلك لارضاء الخليفة لتبقى له سلطته الظاهرية وان احتلّ البلاد أجنبى عنها فعلماء الدين وملوك الاسلام يرضون بأقل عيشة ومذلة تحت حكم الأجنبى ولايبالون بالأمّة . هذه حال المسلمين فى وقتنا الحاضر ولكن الله يقول لنا . كلا . ثم كلا أنتم غافلون أيها المسلمون اذا كنتم نائمين فاستيقظوا فقد نبهتكم الحوادث . ألم تروا الى قصة أهل الكهف ناموا ثم أيقظتهم . هكذا أنتم يوقظكم ﴿ أمران ﴾ حوادث الدهر ومصائب الأيام ﴿ أوّلا ﴾ قصة الغلام والسفينة والجدار ﴿ ثانيا ﴾ ان حوادث الدهر قد أحاطت بالمسلمين اليوم فالعلم ينفعهم وعلى ذلك أنزلت محاورات موسى والخضر التى نحن بصدد الكلام عليها ومنها يعلم الناس كما تقدّم انه اذا ثبت لأولى الأمر فى الأمة وهم نوابها أن الأمّة أصابها ضرر من أى حكم من الأحكام الشرعية فان هذا ينافى الاسلام لأن الدين شرع لمنفعة الناس لا لمضرّتهم فاذا تحقق الضرر فليزل هذا الحكم حتما لأن الحكم الشرعى مظنون والضرر محقق والمحقق مقدّم على المظنون وهذا القول لايمارى فيه اثنان فى الاسلام . إن علم الفقه هو الأحكام الشرعية الظنية فاذا تحقق الضرر فكيف نعمل بالمظنون . هذه هى القاعدة التى تؤخذ من الآيات التى نحن بصددها والتى أراد الله اظهار سرّها فى العصر الحاضر بعد أن ذلّ كثير من المسلمين فى ديارهم . هذه هى القاعدة التى ستكون نبراسا ونورا مبينا للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها وسيكون هناك رجال لاتلهيهم مظاهرهم ولاحطام الدنيا عن النظرة العامّة لأمم الاسلام أولئك هم المفلحون . ولعلك تقول ماذا قال علماء الاسلام فى أمثال هذا أقول لك سألخص لك فصلا من فصول ﴿ مذكرات مشروع قانون الزواج والطلاق ﴾ الذى أرسله الىّ صديقى الفاضل الشيخ محمد مصطفى المراغى رئيس القضاة بمصر كما وعدتك تحت عنوان

﴿ تغير الأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والعرف ﴾

(١) قال ابن القيم هذا فصل عظيم النفع جدّا وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب الحرج والمشقة أوتكليف مالاسبيل اليه ومايعلم أن الشريعة الباهرة لاتأتى به فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم والمصالح وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها وكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتأويل وقد نضرب لذلك أمثلة

(٢) منها أنه شرع لهذه الأمّة وجوب إنكار المنكر وتغييره ولكن اذا كان انكار المنكر يستدعى منكرا أشدّ منه فانه لايسوغ الانكار فى هذه الحالة

(٣) ومنها أن النبى ﷺ نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو وهذا حد نهى عنه خشية أن يترتب عليه ماهو أبغض من تعطيله أوتأخيره

(٤) ومنها أن عمر بن الخطاب أسقط الحدّ بالقطع عن السارق عام المجاعة . قال السعدى حدّثنا هرون ابن اسماعيل الخزار حدّثنا على بن المبارك حدثنا يحى بن أبى كثير عن حسان بن زاهر أن ابن حدب حدثه عن عمر قال لاتقطع اليد فى عذق ولاعام سنة قال السعدى سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال العذق

النخلة وعام سنة المجاعة فقلت لأحد تقول به قال أى لعمرى قلت ان سرق فى عام المجاعة لاتقطعه فقال لا اذا حملته الحاجة الى ذلك والناس فى مجاعة وشدّة وهذا على نحو قضية عمر فى غلمان حاطب

(٥) ذلك انهم سرقوا ناقة لرجل من مزينة وأتى بهم الى عمر فاقرّوا على أنفسهم فأمر أن تقطع أيديهم ثم ردّهم وقال لعبد الرحمن بن حاطب سيد الغلمان أما والله لولا أنى أعلم انكم تستعملونهم وتجيعونهم حتى ان أحدهم لوأكل ماحرم الله عليه حلّ له لقطعت أيديهم وأيم الله اذا لم أفعل لأغرّمنك غرامة توجعك ثم قال يامزنى بكم أريدت منك ناقتك قال بأربعمائة قال عمر اذهب فأعطه ثمانمائة

(٦) العرف اذا خالف الدليل الشرعى فى محرم كأن يتعارف الناس شرب الخمر وعمّ ذلك فلايعتبر ذلك العرف وان خالف العرف العام النص الشرعى من بعض الوجوه فقط فان العرف يصير مخصصا لذلك النص

(٧) اذا خالف العرف العام بين الناس حكما قياسيا فان العرف يترك به القياس . إذن العرف مخصص للنص تارك للقياس

(٨) العرف الخاص يقول بعض العلماء انه يثبت به الحكم العام والأكثرون على خلافه مثال ذلك أن مشايخ (بلخ) كانوا يجيزون لأهل بلدهم أن يدفع أحدهم الى حائك غزلا على أن ينسجه بالثلث وانما أجازوها لتعامل أهل بلدهم به والتعامل كما تقدّم حجة يترك به القياس ويخصّ به الأثر وقد ورد النص على خلاف ذلك فى قفيز الطحان . فاذن يكون الحائك مثله . فاذن هذا تخصيص للنص لاترك له أصلا

(٩) ان علماء الحنفية أجازوا بيع الوفاء مع انه بيع فاسد فرارا من الربا قالوا وما ضاق على الناس أمر إلا اتسع حكمه فهو جائز للضرورة

(١٠) ورد عن رسول الله ﷺ أن البرّ والشعير والتمر والملح مكيلة وأن الذهب والفضة موزونات . إذن اذا وزن الناس البرّ لم يجز واذا عدّوا الدراهم عدّا ولم يراعوا وزنها لم يجز ذلك لمخالفته للنص ولكن أبو يوسف اعتبر العرف فى هذه الأشياء حتى جوّز الشارى بالكيل فى الذهب وبالوزن فى الحنطة اذا تعارف الناس ذلك فهذا اتبع فيه العرف وترك النص . والحجة فى ذلك أن النبى ﷺ انما نص على وزن هذا وكيل هذا لأن العرف فى زمانه كان كذلك ولوكان العرف خلاف ذلك لنصّ عليه فلوتعارف الناس بيع الدراهم بالدراهم واستقراضها بالعدد كان جائزا إما بناء على العرف كما تقدم واما للضرورة

(١١) إن المتأخرين الذين خالفوا النصوص فى كتب المذهب فى بعض الأحكام لم يخالفوه إلا لتغير الزمن وعلمهم أن صاحب المذهب لوكان فى زمنهم لقال بما قالوه مما يستخرج به الحق من ظالم أو بدفع دعوى متعنت ونحوه بعدم سماع دعواه أو بحبسه أونحو ذلك ولكن لابد لكل من الحاكم والمفتى من نظر سديد فالمفتى الآن أن يفتى على عرف أهل زمانه وان خالف زمان المتقدمين وكذا للحاكم العمل بالقرائن فى أمثال ماذكر قال وفى رسم المفتى والتحقيق أن المفتى لابد له من ضرب اجتهاد ومعرفة بأحوال الناس ومن جهل زمانه فهو جاهل ثم قال فهذا وأمثاله دلائل واضحة على أن المفتى ليس له الجمود على المنقول فى كتب ظاهر الرواية من غير مراعاة الزمان وأهله والاضيع حقوقا كثيرة ويكون ضرره أعظم من نفعه . ثم قال بعد كلام مانصه و ينبغى أن يطال النظر الى هذه النصوص فهى تنطق بالروح العالى الذى كان يملأ صدور الفقهاء وتدل على مقدار احترامهم لعرف الناس وعاداتهم وعلى مقدار فهمهم للقواعد الفقهية وانها ماوضعت إلا لمصلحة العباد وضبط التعامل بينهم وانه يجب أن تخضع لعرفهم وأن تخضع للضرورات والحرج فلايجوز أن تجمد الفقهيات الاجتهادية أمام حوادث الزمن وأمام مايجد فيه من عادات ومصطلحات وهى قابلة للتجدد وقابلة للتغيير أمام العرف العام وأمام العرف الخاص

عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسقط الحد عام المجاعة ولم يقطع أيدى غلمان حاطب لأن الضرورة قامت عذرا عنده درأ به الحد . وأحمد رضى الله عنه وافق عمر فى الفصلين والحنفية تركوا القياس وهو أحد الأدلة الشرعية

بالعرف العام وخصصوا النص بالعرف العام واذا رجعت الى قواعدهم التى توجب فى المخصص أن يكون متصلا قلت انهم نسخوا عموم النص بالعرف العام إذ العرف قد لا يطرأ إلا بعد قرون من ورود النص فيظل النص معمولا به قرونا طويلة ثم يجد العرف فينقبض النص و يقتصر على ماوراء المتعارف و يأخذ المتعارف حكما آخر خلاف حكم النص فيصير الشئ مباحا بالعرف بعد أن كان حراما بالنص وقد أهدر الحنفية دلالة النص وهى إحدى الدلالات اللفظية حيث جوّزوا الاجارة على نسج الغزل بالثلث مع أن دلالة النص المستفادة من قفيز الطحان تحرّم هذه الاجارة . وقد علل أبو يوسف النص فى الربويات بالعرف و بنى على هذا أنه اذا تغير الكيل فى البر والشعير وتغير الوزن فى الذهب والفضة اعتبر العرف الطارئ لا عرف النص غير أن الفقهاء لم يقفوا عند هذا وأجازوا التعامل فى الدراهم بالعدد بدلا واستقراضا وان تفاوت وزنها مراعاة للعرف ومراعاة للضرورة وفى هذا خروج على النص جملة لأنه الغاء للمعيارية بالكيل أو الوزن . وجعل الحنفية العرف الخاص قاضيا على النصوص المذهبية فى مسألة ثمن المبيع المتقدمة اذا كان من عادة السوق دفع شئ من الثمن كل جمعة لا دفعه جملة واحدة والمذهب ليس كذلك . وأجازوا بيع الثمار واعتبار تركها مشروطا وقد كان بيع الثمار باطلا وكان شرط الترك فاسدا . ورأى بعضهم أن يعمل العرف الخاص مايعمله العرف العام أى انه يلغى قياسا ويخصص نصا ويهدر دلالة نص . وهاهم أولئك فتحوا الباب للمفتين ليفتوا تبعا لتغير العرف العام والخاص وتبعا للضرورة والحرج . وأجازوا للحاكم العمل بالقرائن . وأجازوا له النهى عن سماع دعوى المتعنت وماأشبه ذلك . ولا يغيب عن الأذهان أن الأحكام المستفادة من النصوص قليلة جدّا بالنسبة للأحكام الاجتهادية فالأحكام الاجتهادية قابلة للتغير بالعرف العام والخاص والأحكام المستفادة من النصوص قابلة للتخصيص بالعرف العام باتفاق و بالعرف الخاص على رأى بعض الحنفية . فهل توجد مرونة فى القوانين تسع الناس أكثر مما فى هذه الأحكام وهل يصح مع هذا أن يقول أحد أن قواعد الفقه جامدة لا تسع الناس فى كل عصر ومكان والحق أن هذا ظلم لهذه القواعد ولكنه ظلم جرّه تزمت الفقهاء والمحدّثين الذين لم يفهموا روح الدين ولا روح الفقهاء المتقدمين . انتهى ملخصا

هذه هى خلاصة الفصل الذى نحتاج اليه من هذه الرسالة ومنه يتبين أن علماء الدين فى مذهب واحد من المذاهب الاسلامية خطوا خطوات واسعة فى الاجتهاد للأمة و بناء على هذه الخطوات سهلت الامور فى مصر فى زماننا فوازن رعاك الله بين المفتى فى القرن الماضى و بين قاضى القضاة فى العصر الحاضر تعرف مقدار ارتقاء عقول المسلمين إذ لا يلقى للناس إلا ما استعدّوا له . ومما عرفته من نفس قاضى القضاة المذكور ماقاله لى وأنا معه بحاوان أن هذا القانون لم نستخرجه من المذاهب الأربعة فحسب . كلا . بل نظرنا فى مذاهب أخرى كالزيدية ومذهب داود الظاهرى الذى له كتاب فى المكتبة الخديوية اطلعت عليه وعليه ختم أحمد الملوك المسلمين . فلما سمعت ذلك داخلنى السرور والفرح إذ رأيت هؤلاء أفضل من كثير من المتأخرين الذين يرون بأعينهم ضرر الناس ولا يفكرون فى آيات القرآن

﴿ فصل فى مناسبة ماتقدم لقصة الخضر وموسى عليهما السلام ﴾

وأنا أقول اذا كان عقول علماء الاسلام فى العصر الحاضر قد تخطت الحدود التى رسمها المتأخرون وصاروا يأخذون من المذاهب مايوافق العصر الحاضر (١) فكيف تكون حالهم اذا علم المسلمون فى أقطار الاسلام أن الأحكام الشرعية مع كثرتها وكثرة مذاهبها ليس منها بالنص إلا قليل جدا كما تقدم فى رسالة الزواج وهذا لا يعرفه إلا قليل من أهل العلم . ألا ترى أن الانسان اذا اتبع مذهبا من المذاهب وقف حياته كلها عليه ورأى عشرات الكتب فى فروعه ولا يرى آية ولا حديثا إلا قليلا . ومن الأحاديث ما يكون ضعيفا ولكن المقلد لا يتهم علماء مذهبه مع اجماع علماء الاسلام كما فى مقدمة (فتح البارى على البخارى) أن الأحاديث الصحيحة المسلم

بها

بها عند المسلمين وهى التى فى البخارى ومسلم وهى التى تلى القرآن فى صحة نقلها كلها ظنية إلا قليلا جدا . فاذا كانت هذه ظنية فما بالك بغيرها ومابالك بالأحكام المستنتجة منها فهى ظنّ مستخرج من ظن . ومعلوم أن علم الفقه مبناه الظنّ فليس قولى هذا من باب الشك بل هو من باب شرح الحال (٢) ثم كيف تكون حال المسلمين بعدنا اذا رفعوا أبصارهم قليلا الى أمثال مانقول وفهموا قصة الخضر وموسى كما قدّمناه ونظروا بعقولهم فى الأحكام التى فى الكتب فاذا رأوا حكما قد أضرّ بالناس ضررا محققا فليزيلوه لا لأنه ضرورة بل لأنه يقين نسخ الظنّ . واذا رأوا حكما نصت عليه آية ورأوا بعض فروعه ضارّة فى حال أوزمان خصصوه كما تقدم اقتداء بالنبى ﷺ فى منعه قطع يد السارق فى حال خاصة كما تقدم وكما تقدم عن عمر رضى الله عنه وأنا أكرر القول أن علماء الاسلام لايتسنى لهم معرفة أمثال مانقول سواء أكان فى الأحكام الشرعية أم العلوم العقلية والمشاهد الطبيعية إلا بأن يقرؤا من كل فنّ طرفا صالحا حتى تستنير بصائرهم و يعرفوا هذه الحقائق فى المقامين

ولقد ذكر العلامة الشاطبى هذا المقام ووافق على مايسمى المصالح المرسلة وذكر منها ما يأتى

(١) الضرب فى التهم

(٢) وماذهب اليه مالك من السجن فى التهم

(٣) وماقرّره ونقل مثله عن الغزالى وابن العربى من جواز وضع الامام العادل ضرائب للمدافعة عن البلاد واكثار الجند عند الضرورة

(٤) أجاز بعض العلماء فى بعض الجنايات أخذ المال

(٥) الزيادة على سدّ الرمق اذا توالت ضرورة الأكل من المحرّم كالميتة فى المجاعات أوعمّ الحرام بلدا فيؤخذ بالوجه الشرعى ولاينظر لأصل المال وعزاه الى ابن العربى والغزالى

(٦) وقتل الجماعة بالواحد ومستنده المصلحة المرسلة لأنه لم يرد لها نص وقد نقل عن عمر وهو مذهب مالك والشافعى . وبالجملة أن حديث «لاضرر ولاضرار» اليه ترجع جميع مسائل المعاملات التى يرجع فيها الى الحكام فى القضاء والسياسة والحرب

﴿ تنبيه ﴾

تقدّم هنا ذكر مسألة ثمن المبيع اذا كان من عادة السوق دفع شئ من الثمن كل جمعة لادفعه جملة واحدة وايضاحها « انه لو باع التاجر فى السوق شيأ بثمن ولم يصرحا بحاول ولاتأجيل وكان المتعارف فيما بينهم أن البائع يأخذ كل جمعة قدرا معلوما انصرف اليه بلابيان واعتبر فيه عرف ذلك السوق الخاص وان لم يتعارف فى أكثر البلاد مع ان المنصوص عليه فى كتب المذهب حاول الثمن مالم يشترط تأجيله وعلى هذا فالحكم الخاص يثبت بالعرف الخاص» انتهى من الرسالة المذكورة

﴿ فائدة ﴾

مما أجازه علماء الاسلام وعملوا به انهم يقولون إن الامام اذا أمر بمندوب وجب واذا رفع له قول ضعيف قوّاه . كل ذلك ليفتحوا للأمة باب درء المفاسد وجلب المصالح وأنا أقول الحقّ والحق أحقّ أن يتبع قد تقدّم فى سورة النساء أن أولى الأمر وهم أهل الحل والعقد فى البلاد هم الذين لهم هذه المسائل ترفع اليهم ومايقرّرونه يكون معمولا به . هذا هوالحقّ الصراح والمسلمون اليوم لهم مجالس عامّة . أما الأمراء وغيرهم فلا والحمد لله ربّ العالمين . انتهى

﴿ فاكهة ﴾

جاء فى محادثة الشيخ الشعرانى مع شيخه الخوّاص مانصه بالحرف من كلام الخوّاص « يمكن الانسان

الاحاطة بعلم جميع ما كافه الله به من الأحكام فى نحو شهر فان غالب اشتغال الفقهاء طول عمرهم انما هو فى فهم كلام بعضهم بعضا وهذا لم يكلف الله به أحدا بعامه ولا العمل به لعدم عصمة قائله إلاان أجمع عليه ﴾ انتهى المقصود منه . وأقول . هذا القول لا يصح اطلاقه على علاته لأن الأمّة لابد لها من قضاة وحكام وعليهم البحث والجد والاجتهاد . فهذا القول منه نظرفيه الى حال الصوفية ولكن الدين الاسلامى وسع نظام الشخص ونظام الأمّة فلابد من الاجتهاد حصل عليه اجماع أم لم يحصل . وأماقوله انه يكفى فى معرفة الأحكام نحو شهر فهذا يقرب مما أتذكره من كلام الامام الشافعى رحمه الله فى الرسالة إذ يقول ﴿ إن الواجب تعلمه وجوبا عينيا هوماتلقاه العامة جيلا بعد جيل ﴾ انتهى بمعناه

أما ان علم الفقه واجب وجوبا عينيا فانما ذلك خاص بطائفة تخصصها الأمّة بالقيام بنظام الدولة وحفظ أموالها وأعراضها . إن الأمم الاسلامية اليوم مستعدة للرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ثم الرجوع الى العقل فيما تيقنوا ضرره كما ان الخضر لم يبال بحرمة قتل النفس . ولا بحفظ سفينة اليتامى . ولا بأن أهل القرية بخلاء فهومع الحق أينما كان . أحسن ليتامى البخلاء وعلم علما يقينا فى مسألتين ضررا فقلب المحرّم بالنص حلالا باليقين . وأىّ إثم أكبر من التعدى على النفس والمال فى الغلام والسفينة . ذكر الله هذين فى القصة ليقول للمسلمين ارفعوا عيونكم . انظروا ببصائركم . أليس موسى نبيا فكيف حلل الحرام أمامه . وهل أنا قصصت ذلك عليكم أيها المسلمون لمحبة القصص ليفرح بسماعه العامّة يوم الجمعة فى مساجدكم . كلا . إنى أنزلت هذا لتنظروا فعل نبيكم ﷺ فاذا نقل اليكم أنه منع قطع اليد فى حال خاصة لحكمة خاصة واذا فعل عمر مثله كذلك فهذا يذكركم بمعنى هذه الآية . الآية صريحة فى القتل وهى من القرآن والقرآن ليس ظنيا كالحديث بل هومتواتر والمتواتر يقين . فهذه الآية التى جمعت كل هذه الشروط قد خصصت كما خصص الخضر قتل النفس واتلاف المال بحال خاصة بيقين عنده . وليس معنى قولى هذا اننا نقضى بالكشف والاطلاع على الغيب . كلا ثم كلا . وانما هذا خاص بقليل من عباد الله وانما المقام فى فهم اليقين والظن . ومن عجب أن يصطلح الناس فى مصر على سماع القرآن يوم الجمعة بالمسجد ولا يقرأ القارئ إلا الكهف فكأن الله يقول للمسلمين هذه السورة تقرأ فى اجتماعكم يوم الجمعة أفليس منكم رجل رشيد شجاع يفكر فى قصة الخضر وموسى ويخرج المسلمين من حصر الفكر الى الاجتهاد المطلق المقيد بأصل الدين . هذا مافتح الله به يوم الثلاثاء (٢٢) مايو سنة ١٩٢٨ م

(قصة ذى القرنين)

اعلم أن كثيرا من العلماء يقول انه اسكندر الرومى بن فيلبش وقصته الآن معروفة تدرس فى مدارسنا المصرية ومدارس العالم أجمع وهوتلميذ (أورسطاطاليس) الفيلسوف ويسمى المعلم الأوّل وهو الذى انتشرت فلسفته فى الأمّة الاسلامية وقدكان هذا الملك قبل الميلاد بنحو ٣٣٠ سنة وقد تولى الملك بعد أبيه وهومن أهل (مقدونيا) وحارب الفرس وتولى على ملك (دارا) وتزوّج ابنته وقتل الرجل الفارسى الذى قتل دارا وجاء ليأخذ الجائزة منه وأظهر كرما وشجاعة والناس اليوم يدرسون رسائل بينه وبين أستاذه فى السياسة . ذلك انه لما دخل بلاد فارس رأى هناك رجالا ذوى وجاهة وبهجة وجمال وأبهة من أبناء الملوك والأمراء فأراد قتلهم فاستشار أستاذه فأرسل اليه ألا فضل فى قتلهم وان قتل الرؤساء تتأجج ناره فى قلوب الأمّة ولا تخمد وأمره أن ينعم عليهم ويعطى كلا منهم ملك أبيه ويوقد بينهم العداوة والبغضاء دائما ويكون هوالحكم بينهم فيكون محبوبا فمشى على تلك السياسة . ولما مات قامت بعده ملوك الطوائف التى أسسها ثم انه سافر الى الهند وحارب هناك فى (البنفال) وغيرها ثم انه بنى الاسكندرية لما حكم مصر لأن مصر كانت تحت حكم

الفرس

الفرس فلما غلب الفرس حكم مصر و بنى الاسكندرية المسماة باسمه للآن وعاش ثلاثا وثلاثين سنة ومات عند رجوعه من الهند قبل أن يصل لبلاده . هذا رأى وهناك رأى آخر قاله أبو الريحان السرورى المنجم فى كتابه المسمى ﴿ بالآثار الباقية عن القرون الخالية ﴾ انه من حمير واسمه أبو كرب بن افريقش (وافريقش هذا قد رحل بجيوشه الى ساحل البحر الأبيض فنها الى تونس وغيرها فسميت القارّة كلها باسمه (افريقيا الحميرى) وهو الذى افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول

قد كان ذوالقرنين جدى مسلما * ملكا علا فى الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغى * أسباب ملك من كريم مرشد

فرأى مآب الشمس عندغروبها * فى عين ذى خلب وثأطة حرمد

مآب الشمس ذهابها فى عين ذى خلب أى حمأة والثأطة أيضا الحمأة والحرمد الطين الأسود . هذا ملخص ما قاله العلماء مع ذكر الحقائق الأصلية فى التاريخ بلا تخليط . وانما سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس . ولعلك تقول أىّ القولين أصح . أقول لك لايهم القرآن أيهما فليست هذه من العقائد وانما هى نصائح تتلى للموعظة الحسنة فليكن اسكندر المقدونى أو فليكن رجلا حميريا فى أزمان مضت وكان صالحا كما قاله بعض العلماء فليس القرآن جاءنا ليعلمنا تاريخ اليونان أو تاريخ الحميريين . القرآن أكبر من التاريخ العام ومن جميع العلوم بل يكل التاريخ الى علوم الأدب وعلم الطبيعة والفلك للعقول البشرية ولكن لما سألوه ﷺ عن ذى القرنين أجابهم بالقول الذى يجمع بين اجابة المطلب و بين الفائدة الدينية ففيه الوعظ وفيه ذكر جملة مجملة من التاريخ . فلعمرك ليس للقصص من فائدة إلا المواعظ . وقد تقدّم أن الفوائد فى عجائب هذا الملك وعجائب أصحاب الكهف وأمثالهم وكقصة الخضر مثلا وكقصة ذى القرنين أقل بما لايتناهى من عجائب هذه الكائنات فلتتوفر الدواعى عليه وليؤخذ من هذا القصص وعظه ولا نمارى فى حقائق هذه القصة إلا مراء ظاهرا ولا نستفتى فيها أحدا من المؤرخين فالقرآن لم يكن للتاريخ بل للعظة والاعتبار

واذا كانت الأمم تعلم بحكايات لأشخاص خياليين كما أوجب ذلك فى كتاب ﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾ فكيف اذا علم القرآن بما يطابق الواقع مراعى فيه الوعظ مسندا لأشخاص حقيقيين . ولعلك أيها الذكى تقول أنا أفضل أن يكون حميريا فى القرون الأولى لأنه من العرب وأنت إما عربى مسلم واما مسلم من غير العرب فتفضل أن يكون منهم وأيضا سيرة اسكندر المقدونى لاتنطبق على ماقصه الله فى القرآن . أقول لك الحقّ فى ذلك أن كون آبائنا كانوا عظماء لاينفعنا فهذه الأمم الاوروبية كان أجدادهم منذ ألف وأربعمائة سنة يحاربون دولة الرومان وكانوا يسمون برابرة ومع ذلك غلبونا ونحن أبناء الأكاسرة والفراعنة والأنبياء والفلاسفة وهؤلاء جهلاء مجهولون فهذا الوجه ظاهر وأما انطباق التاريخ بالحرف فقد قدمت انه لايعنينا ولو أردنا انه المقدونى لقلنا ان فحوى أعماله تقتضى ذلك من الوجهة العامّة ولكن فيه تكلف عظيم فكونه اسكندر الحميرى أولى وسأجعل له مقالا خاصا قريبا مع يأجوج ومأجوج . ولنشرع فى المقصود وهو التفسير قال تعالى (و يسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا) أى من ذى القرنين خبرا (إنا مكنا له فى الأرض) أى مكنا له أمره من التصرف فيها كيف يشاء (وآتيناه من كل شئ) أراده وتوجه اليه (سببا) أى بلاغا ووصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فأراد بلوغ المغرب (فأتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة) ذات حمأة يقال حمئت البئر صارت ذات حمأة * وفى قراءة أخرى ـ تغرب فى عين حامية ـ أى حارّة وذلك لأنه لما بلغ مغرب الشمس أى البلاد التى لا بلاد بعدها تغرب عليها الشمس حيث لم يكن عمران إلا ماعرفوه وذلك عند بحر الظلمات المسمى بالمحيط الاطلانطيقى إذ وصل ذو القرنين الحميرى الى بلاد تونس ثم سار حتى وصل الى بلاد مراكش ووصل الى ذلك

البحر فوجد الشمس تغرب فى البحر رأى العين وكل بحر فيـه ماء وطين أوماؤه حار لاحاح الشمس عليـه (ووجد عندها قوما) أى عند تلك العين (قلنا ياذا القرنين إما أن تعذّب) بالقتل والأسر (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد وتعليم الشرائع وتعفو وتصفح (قال أما من ظلم) أى كفر (فسوف نعـذّبه) نقتله (ثم يردّ الى ربه) فى الآخرة (فيعذّبه عذابا نكرا) منكرا يعنى النارفهى أنكرمن القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له فى القول ونعامله باليسر (ثم) لما أراد بلادالمشرق (أتبع سببا) سلك طريقا يوصله اليه (حتى اذا بلغ مطلع الشمس) أى الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من المعمورة (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) فلالباس ولابناء فهـم عراة فى العراء أو فى سراديب فى الأرض (كذلك) أى أمر ذى القرنين كما وصفناه من رفعة الشأن و بسطة الملك (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود وآلات الحرب (خبرا) علما تعلق بظاهره وخفياته (ثم) لما أراد أن يتوسط بين المشرق والمغرب (أتبع سببا) سلك طريقا ثالثا بينهما (حتى اذا بلغ بين السدّين) الجبلين المبنى بينهما سدّ وهما جبلا ﴿أرمينية وأذر بيجان﴾ أوجبلان آخران عاليان فى آخر الشمال فى منقطع أرض الترك وسترى تحقيق هذا المقام بأجمل تحقيق قريبا فانتظره (وجد من دونهما قوما لايكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهـم وقلة فطنتهم (قالوا ياذا القرنين) أى قال مترجوهـم (إن يأجوج ومأجوج) الآتى ذكرهما مع التحقيق (مفسدون فى الأرض) فى أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من أموالنا (على أن تجعـل بيننا و بينهم سدّا) يحجز دون خروجهم علينا (قال ما مكنى فيه ربى خير) أى ماجعلنى مكينا فيه من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج فان الدول القوية يجب عليها أن تحافظ على الضعيفة وليس يجوز لها أن تأخذ أموالها مادامت قادرة على اغاثتها واذا احتاجت الى شئ فليكن على قدر الحاجة بخلاف ماعليه أوروبا الآن وأمم الاسلام فى القرون الأخيرة فانهم ماحكموا الأمم إلا لأخذ أموالهم والتنعم بما جمعوا من الثروة وهذا هوالذى سيكون دأب الأمة الاسلامية حين تقوم قائمتها ألا يأخذوا من مال الأمم اذا حكموها شيأ واذا أخذوا فليكن ذلك على قدر الحاجة و يوكل ذلك الى رأى المجالس الشورية فى الممالك الاسلامية التى ستكون أرقى و يعلمون أن الله لايولى على عباده إلا أنفعهم ولا أنفع لهم من هذا (فأعينونى بقوّة) أى ما أتقوّى به من الآلات (أجعل بينكم و بينهم ردما) حاجزا حصينا وهوأكبر من السدّ يقال ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع (آتونى زبرالحديد) الزبرة القطعة الكبيرة أى قطع الحديد فأتوه بها و بالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب (حتى اذا ساوى بين الصدفين) جانبى الجبلين وانما سميا صدفين لأنهما يتصادفان أى يتقابلان (قال انفخوا) أى قال للعملة انفخوا فى الأكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيـه (نارا) كالنار بالاحماء (قال آتونى أفرغ عليه قطرا) أى أصب عليه نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد النحاس (فما اسطاعوا أن يظهروه) أى لعلوه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله لشدته وصلابته (قال) ذوالقرنين (هذا) السدّ (رحمة من ربى) أى نعمة من نعمه (فاذا جاء وعد ربى) أى وقت خروجهم (جعله دكاء) أرضا ملساء (وكان وعد ربى حقا) كائنا لامحالة (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السدّو بعض الناس يموج فى بعض ويختلط العالم كله بحيث يدخل يأجوج ومأجوج فى الأمم كلها و يختلطون أجيالا وأجيالا كما ستراه . كل ذلك قبل النفخ فى الصور بزمن مجهول لايعلم (ونفخ فى الصور) بعد ذلك لقيام الساعة (فجمعناهم جمعا) الضمير للمائجين وهم جميع الناس ومنهم يأجوج ومأجوج (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزناها وأظهرناها ليشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم فى غطاء) غشاء وستر (عن ذكرى) أى عن الايمان والقرآن والهدى

والتبصر

والتبصر فى الدلائل (وكانوا لايستطيعون سمعا) أى سمع قبول للايمان (أفحسب الذين كفروا) أغفل الذين كفروا فحسبوا أى فظنوا والاستفهام للانكار (أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) أربابا كعيسى والملائكة (إنا أعتدنا) أعددنا (جهنم للكافرين نزلا) مايقام للنزيل وهذا تهكم والا فأين الضيافة فى النار (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) منصوب على التمييز هم (الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا) كالرهبان فانهم لاذرّية خلفوا ولادينا حفظوا لأن دينهم لم يأمرهم بذلك وانما هم المبتدعون (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) لما عندهم من العجب واعتقادهم انهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) المنصوبة فى الآفاق وبآياته المنزلة على النبى ﷺ (ولقائه) بالبعث (فحبطت أعمالهم) بكفرهم فلايثابون عليها (فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا) ميزانا وكيف توزن أعمالهم وقد حبطت فلا قيمة لها الأمر (ذلك) ثم بينه فقال (جزاؤهم جهنم بـ) سبب (ما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا * إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) حال كونهم (خالدين فيها) والحال هنا مقدّرة (لايبغون عنها حولا) تحوّلا والفردوس الجنة الملتفة بالأشجار التى تنبت ضروبا من النبات . يطلق النزل على مايهيأ للنازل أى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وأزمان الجنة مهما طالت يعقبها خلوص الأرواح العالية الى مراتب سامية ـ عند مليك مقتدر ـ وهوالذى يسمى رضوان الله ويسمى أيضا زيادة كما فى قوله تعالى ـ الحسنى وزيادة ـ كما تقدّم فى هذا التفسير . ولما كانت الجنة فى الحقيقة ترجع الى العلوم والمعارف لأنها هى السعادة القصوى فى الآخرة ومن لم يتصوّر ذلك ولم ير جنة إلا ماهو محسوس فانه يعلم أن العلوم تكون سببا لها أعقب ذكر الجنة بأن علم الله لانهاية له . ولاجرم أن هذه السورة مسوقة الى العلم وانه لانهاية له كما فى قصة الخضر وكما فى قصة أهل الكهف التى قيل انها بالنسبة لعجائب الله قليلة وهذا قوله تعالى (قل لوكان البحر مدادا) المداد ما يكتب به وهو اسم لما يمدّ به الشئ كالحبر للدواة (لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) جنس البحر فكل جسم فانه متناه (قبل أن تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية (ولوجئنا بمثله) بمثل البحر (مددا) زيادة ومعونة * يروى أن اليهود قالوا يامحمد تزعم اننا قدأوتينا الحكمة وفى كتابك ـ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا ـ ثم تقول ـ وما أوتيتم من العلم إلاقليلا ـ فنزلت هذه الآية * وقيل انه لما نزل ـ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شئ فأنزل الله تعالى ـ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى ـ أى مايستمدّه الكاتب ويكتب به * قال مجاهد ﴿ لوكان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب والخلائق يكتبون لنفد البحر الخ ﴾ ثم قال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) لا أدّعى الاحاطة بعلم الله تعالى (يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد) فهذا هوالذى ميزنى عنكم (فمن كان يرجو لقاء ربه) يأمل رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا) أى لايرائى فى عمله فلا بد من ﴿ أمرين * أحدهما ﴾ أن يكون لله وحده ﴿ والثانى ﴾ أن يكون مبرأ من الشرك * روى البخارى ومسلم أنه ﷺ قال ﴿ من سمع سمع الله به ومن يرائى يرائى الله به ﴾ أى من عمل عملا مرآة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة * وروى مسلم عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ إنّ الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته وشركه ﴾

﴿ لطيفتان فى ذى القرنين والسد وفى الكلام على يأجوج ومأجوج ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى سدّ ذى القرنين ﴾

اعلم أنه قد ورد فى بعض الكتب التى تنشر حديثا فى مصر و بلاد الاسلام ما يأتى ملخصا

إن كتابة علماء العرب المسلمين عن شرقى البحر الاسود دقيقة التحرى وقالوا ان سكانها من الصقالبة (السلاف) وأن هناك مدينة باب الابواب وسدّا منيعا وقدعلم الروس أن مدينة (دربت) بجبل قوقاف هى

تفسها مدينة (باب الأبواب) وكشفوا فى القرن الماضى سورا منيعا ممتدا على مقربة منها كأنه خط انفصال قال وقد خلط كثير من الكتبة سدّ مدينة (باب الأبواب) بالسدّ الشهير حتى ان أبا الفداء نفسه لم ينج من هذه العثرة لكن الادريسى أبان موقع كل منهما بجلاء واتضح من مقابلة المصنفات العربية وجوب وجود السدّ الشهير وراء (جيجون) فى عمالة (بلخ) واسمه (سدّ باب الحديد) بمقربة من مدينة (ترمذ) وقد اجتازه (تيمورلنك) بجيشه ودعا مؤرخه شرف الدين اسم المحل (خاوجه) ومرّ به أيضا (شاه روح) وكان فى خدمته ومن بطانته الألمانى (سيلدبرجر) وذكر السد فى كتابه وذلك فى أوائل القرن الخامس عشر وكذلك ذكره الاسبانى (كلافيجو) فى رحلته سنة ١٤٠٣ م وكان رسولا من ملك كستيل (قشتاله) بالأندلس الى (تيمورلنك) قال ان سدّ مدينة (باب الحديد) على الطريق الموصل بين سمرقند والهند .

هذا ملخص من ﴿ المقتطف ﴾ سنة ١٨٨٨ م وبه تعلم أن السد موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا أمر عجيب . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى الكلام على يأجوج ومأجوج وذى القرنين ﴾

لقد كتب كاتب هندى سنة ١٨٩٨ م فى مجلة ﴿ الهلال ﴾ يسأل علماء مصر والشام . أين يأجوج ومأجوج وهل هم موجودون واذا كانوا موجودين فأين هم والناس قد اطلعوا على أحوال أكثر الشعوب فى الأرض وهل قول الله تعالى يتغير واذا كان قول الله حقا وصدقا فأين هؤلاء وقد كرر هذا الموضوع فى مجلة ﴿ الهلال ﴾ ثلاث مرات فلم يجب أحد . وقد كنت إذ ذاك فى أوّل خدمتى فى المدارس المصرية بصفة مدرّس وكان لى إلمام بهذا الموضوع ولم أكن اطلعت على ما كتبته فى اللطيفة الأولى كما ذكرته لك فكتبت ما يأتى وأرسلته الى ﴿ مجلة الهلال ﴾ وهذا أوّل موضوع كتبته ونشر فى الجرائد فأحمد الله انى وفقت أن أسير فى تفسير القرآن اليوم سنة ١٩٢٤ وانى أضم هذا الموضوع اليه بعد نشره فى الجرائد بأمد طويل فها كه

﴿ المقالة الثامنة التى كتبتها فى كتابى نظام العالم والأمم ﴾

(يأجوج ومأجوج)

يأجوج ومأجوج أمّتان ذكرتا فى القرآن الشريف فى سورة (الكهف) وسورة (الأنبياء) قال تعالى ـ قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ـ وقال فى سورة الأنبياء ـ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون * واقترب الوعد الحق ـ الآية . فلنجعل هاتين الآيتين موضوع بحثنا ضاربين صفحا عن وجوه التفسير التى ليس لها مساس به ولنحصره فى ﴿ خمسة مباحث ﴾

﴿ المبحث الأوّل ﴾ فى معنى لفظ يأجوج ومأجوج وأصلهم وجغرافية بلادهم

﴿ المبحث الثانى ﴾ فى افسادهم فى الأرض ويستلزم ذكر تاريخهم

﴿ المبحث الثالث ﴾ فى معنى ـ فتحت يأجوج ومأجوج ـ وذكر خروجهم وتعيين زمنه ومايشهد له من الأحاديث وأقوال العلماء ومكاتبات الملوك

﴿ المبحث الرابع ﴾ فى ذكر معنى الحدب لغة ومقارنته بكلام المؤرخين

﴿ المبحث الخامس ﴾ اقتراب الوعد الحق

﴿ المبحث الأوّل ﴾

أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح مأخوذان من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها تشبيها لكثرتهم وشدتهم . وذكر بعض المدققين فى البحث عن تأصيلهم أن أصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له (ترك) وهو نفس الذى سماه أبو الفداء باسم مأجوج فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالى من آسيا تمتد بلادهم من (التبت والصين) الى المحيط

المنجمد الشمالى وتنتهى غربا بما يلى بلاد (التركستان) كما فى (فاكهة الخلفاء) وابن مسكويه فى (تهذيب الأخلاق) وفى (رسائل اخوان الصفا) فقد ذكروا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج

﴿ المبحث الثانى الكلام على افسادهم فى الأرض ﴾

وقد ذكر المؤرخون ومنهم الافرنج أن هذه الأمم كانت تغير قديما فى أزمنة مختلفة على الأمم المجاورة لها فكم أفسدوا وقلبوا الأمم قلبا قبل زمن النبوّة ودمروا العالم تدميرا وجعلوا عاليه أسفله فهم مفسدون فى الأرض بنص القرآن وشهادة التاريخ فقد ذكروا أن منهم الأمم المتوحشة والسيول الجارفة التى انحدرت من الهضبات المرتفعة من آسيا الوسطى وذهبت الى أوروبا فى قديم العهد فنهم أمة السبت والسمر ياق والمسجيت والهون وكم أغاروا على بلاد الصين وعلى أمم آسيا الغربية التى كانت مقرّ الأنبياء وكانوا يحذرون قومهم من هؤلاء الأمم قديما قبل نزول القرآن وكذلك ورد ذكرهم فى القرآن كما تقدم وفى بعض الأحاديث أيضا ثم انهم لم يزالوا فى حدود بلادهم لايتجاوزونها بعد زمن النبوّة الى أن ظهرت الداهية الدهياء والغارة الشعواء من تلك الأمم المتوحشة الرحالة إذ ظهر منهم رجل يسمى (تموجين) لقب نفسه (جنكيزخان) وقال مؤرخو الافرنج ان معناه بلغة المغول (ملك العالم) ولقد ملك من بعده مشارق الأرض ومغاربها إذ أعدّ نفسه فاتحا لكل العالم وكان خروجه هو وقومه من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التى فى (آسيا الوسطى) فى أوائل القرن السابع من الهجرة فانه بعد أن جمع أمّة التتار تحت حكمه أخضع الصين الشمالية أوّلا ثم ذهب الى بلاد الاسلام فأخضع السلطان قطب الدين محمد بن تكش علاء الدين بن أرسلان بن محمد من الملوك السلجوقية ملك خوارزم لأسباب سنذكرها . وكان يمتد ملكه على بلاد التركستان والفرس وقد دافع ابنه جلال الدين مدافعة الأبطال لردّ هجماتهم فلم يرد شيأ وسقطت الدولة بعد حرب مكثت عشر سنين . ولقد فعلوا بهذه الدولة من المنكرات والفظائع مالم يسمع مثله فى تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولاصبى ولاصبية فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش أنواعا . ولقد حسبوا القتلى فى مدينة خوارزم وحدها فلحق كل واحد من جموع (جنكيزخان) التى لاتحصى عدّا أربعة وعشرون قتيلا وأحرقوا المدينة وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهارا فضلا عما فعلوه بسمرقند وبخارى وغيرهما وفتكوا بأهل نيسابور وأفنوهم عن آخرهم حتى الأطفال والحيوانات كالقطط والكلاب وأحرقوا البلد وقد عدّت القتلى فى واقعة (مرو) فكانوا مليونا وثلاثمائة وثلاثين ألفا . هذا ما أمكن ضبطه وهذه نبذة يسيرة بل قطرة من بحر فظائعهم (راجع دائرة المعارف وابن خلدون وفاكهة الخلفاء) وقس على ماذكرناه جميع البلاد التى سنذكرها فلقد أخضعوا بلاد الهند ومات (جنكيزخان) بعد قفوله من غزوها . ولما ملك بعده ابنه (اقطاى) أغار ابن أخيه المدعو (باتو) على الروس سنة ٧٢٢ ودمروا (بولونيا) و (بلاد المجر) وأحرقوا وخربوا ومات (اقطاى) فقام مقامه (جالوك) فحارب ملك الروم وألجأه الى دفع الجزية ثم مات (جالوك) وقام مقامه ابن أخيه منجو فكلف أخويه (كيلاى) و (هولاكو) أن يستمرا فى طريق الفتح فيتجه الأوّل الى بلاد الصين والثانى الى الممالك الاسلامية وقد فعل كل منهما ماأمر به فأخضع (كيلاى) بلادالصين وزحف (هولاكو) على الممالك الاسلامية ومقرّ الخلافة العباسية وكان الخليفة إذ ذاك (المستعصم بالله) فأراد أن يدخل الى هؤلاء الباغين من طريق المداولات فلم يفلح وأخذت بغداد عنوة فى أواسط القرن السابع من الهجرة وأسامت للسلب والنهب سبعة أيام سالت فيها الدماء أنهرا وهو أمر معلوم مشهور وطرحوا كتب العلم فى دجلة وجعلوها جسرا يمرّون عليه بخيولهم وهذا الخليفة بعد ما أحضر لتسليم مالديه من الكنوز التى لاتحصى وقد ورثها عن أجداده ذبح وعلقت جثته فى ذنب حصان وساروا بها بين أسوار مدينة بغداد وبه انتهت الخلافة العباسية ببغداد . ولما استولت ذرّية (جنكيزخان) على آسيا كلها وأوروبا الشرقية اقتسموا بينهم الفتوحات وأنشأوا منها أربع ممالك

منفصلة فاختصت أسرة (كيلاى) بالصين والمغول وملك جاغاتاى أخواقطاى تركستان وملكت ذرية باطرخان البلاد التى على شواطئ نهر (فلجا) وصارت الروسيا تدفع الجزية اليها زمنا طويلا وانضمت بلاد الفرس الى (هولاكو) الذى دمر بغداد وقد استمرت فتوحات المغول الى بلاد الشام

﴿ المبحث الثالث ﴾

قال تعالى – حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج – أى فتحت جهتهم على أحد تفسيرين ولقد فتحت تلك الجهة فى أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا فى التاريخ وخرج (جنكيزخان) وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحنا . وقد ورد فى بعض الأحاديث مايشير الى ذلك كقوله ﷺ ﴿ اتركوا الترك ماتركوكم فان أوّل من يسلب أمّتى ملكهم بنوقنطورا ﴾ أى الترك مع ملاحظة ما ذكرناه فى التاريخ انه لم يسلب الأمّة الاسلامية ملكها إلاهؤلاء . وقد ورد أيضافى حديث يأجوج ومأجوج أن مقدمتهم تكون فى الشام وساقتهم بخراسان فهذه اشارة الى سيرهم واتجاههم وطريق منتهى ملكهم إذ لم يتجاوزوا الشام الى مصرولا أفريقيا . وقد ورد أيضا أن يأجوج ومأجوج لايدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس . ومن العجيب أن (جنكيزخان) وقومه وذرّيته طافوا الأرض شرقا وغربا ولم نعثر فيما اطلعنا عليه انهم دخلوا أحد الأماكن الثلاثة فما أجلها من معجزة ظاهرة . ثم ان (جنكيزخان) هوالمراد بحديث ﴿ يخرج فى آخرالزمان رجل يسمى أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم فزع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ﴾ وقد حمله بعض العلماء قديما على (جنكيزخان) المذكور وسبب خروجه وحصده الأرواح ان سلطان خوارزم المتقدّم ذكره فى التاريخ قتل رسل (جنكيزخان) والتجار المرسلين من بلاده وسلب أموالهم وأغار على أطراف بلاده فاغتاظ (جنكيزخان) وكتب اليه كتابا يهول فيه و يشنع على السلطان قال فيه مانصه ﴿ كيف تجرأتم على أصحابى ورجالى وأخذتم تجارتى ومالى وهل ورد فى دينكم أوجاز فى اعتقادكم و يقينكم أن تريقوا دم الأبرياء أوتستحلوا أموال الأتقياء أوتعادوا من لا عاداكم وتكدروا صفوعيش من صادقكم وصافاكم . أتحركون الفتنة النائمة وتنبهون الشرور الكامنة أوماجاءكم عن نبيكم سريكم وعليكم أن تمنعوا عن السفاهة غويكم وعن ظلم الضعيف قويكم أوماخبركم مخبروكم و بلغكم عنه مرشدوكم ونبأكم محدثوكم اتركوا الترك ماتركوكم . وكيف تؤذون الجار وتسيؤن الجوار ونبيكم قد أوصى به مع انكم ماذقتم طعم شهده أوصابه ولاباوتم شدائد أوصافه وأوصابه ألا ان الفتنة نائمة فلاتوقظوها وهذه وصايا اليكم فعوها واحفظوها وتلافوا هذا التلف قبل أن ينهض داعى الانتقام وتقوم سوق الفتن و يظهر من الشر مابطن و يروج بحرالبلاء و يموج و ينفتح عليكم سد يأجوج ومأجوج وسينصرالله المظلوم والانتقام من الظالم أمر معلوم ولابد أن الخالق القديم والحاكم الحكيم يظهرسر ربوبيته وآثارعدله فى بريته فان به الحول والقوّة ومنه النصرة مرجوّة فلترون من جزاء أفعالكم العجب ولينسلن عليكم يأجوح ومأجوج من كل حدب ﴾ انتهى المقصود من عبارات كتاب (جنكيزخان)

وانظر كيف كان صريحا بجميع مايراد من هذه المقالة بأوفى بيان وهذا مصداق ماروآه البخارى بسنده عن أم حبيبة بنت أبى سفيان عن زينب ابنة جحش أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوما فزعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق بأصبعه الابهام والتى تليها قالت زينب ابنة جحش فقلت يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون فقال نعم اذا كثر الخبث . ولقد اتسع ذلك الفتح من ذلك التاريخ الى القرن السابع من الهجرة حتى فتح عن آخره وخرج هؤلاء القوم كما أوضحنا ولقد عثر على آثاره كما قدمنا . ولاريب أن هؤلاء الأقوام كانوا غوغاء ولارؤساء لهم ولما صار لهم زعيم خرجوا بعد فتح السد فى المدة المذكورة المجهولة فيها البلاد التى لم تعلم إلا بافتتاح المسلمين ماجاورها من

بلاد

بلاد خوارزم وهذه من أجل المعجزات . ثم انه كان بين بلاد (جنكيزخان) ومملكة خوارزم مملكة تسمى (انذار) كأنها حدّ فاصل بين الدولتين أوسدّ بين الأمّتين فغزاهم الملك السلجوقى واستعبد أجنادهم فارتفع الحاجز بين الأمّتين فسرت السراير وابتهجت القلوب بهذا الفتح وكان إذ ذاك فى (نيسابور) عالمان فاضلان فأقاما العزاء على الاسلام وبكيا حتى أرويا الأرض بدموعهما فسئلا عن موجب هذا البكاء والناس فرحون بنصر الله فقالا وأنتم تعدّون هذا الثلم فتحا وتتصوّرون هذا الفساد صلحا وانما هو مبدأ الخروج وتسليط العلوج وفتح سدّ يأجوج ومأجوج ونحن نقيم العزاء على الاسلام والمسلمين ومايحدث من هذا الفتح من الحيف على قواعد الدين — ولتعلمنّ نبأه بعد حين — فهذا تصريح من هذين العالمين بما أردناه ونص فى فحواه ولاضرورة لخروج كلامهما عن ظاهره وانظر كيف ظهر صدق كلامهما فى حينه كما قدمناه وظهر التتر وأفنوا المسلمين وماج الناس بعضهم فى بعض فلقد اضطرب أهل آسيا وأخذوا يرتحلون من منازلهم فرارا وكذلك أهل أوروبا

﴿ المبحث الرابع ﴾

قال تعالى — من كل حدب ينسلون — الحدب ما ارتفع من الأرض و ينسلون أى يسرعون فى النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحالة منطبقة تماما على قوم (جنكيزخان) المتقدمين فانهم باجماع مؤرخى العرب والافرنج كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدبها كما ذكرنا

﴿ المبحث الخامس ﴾

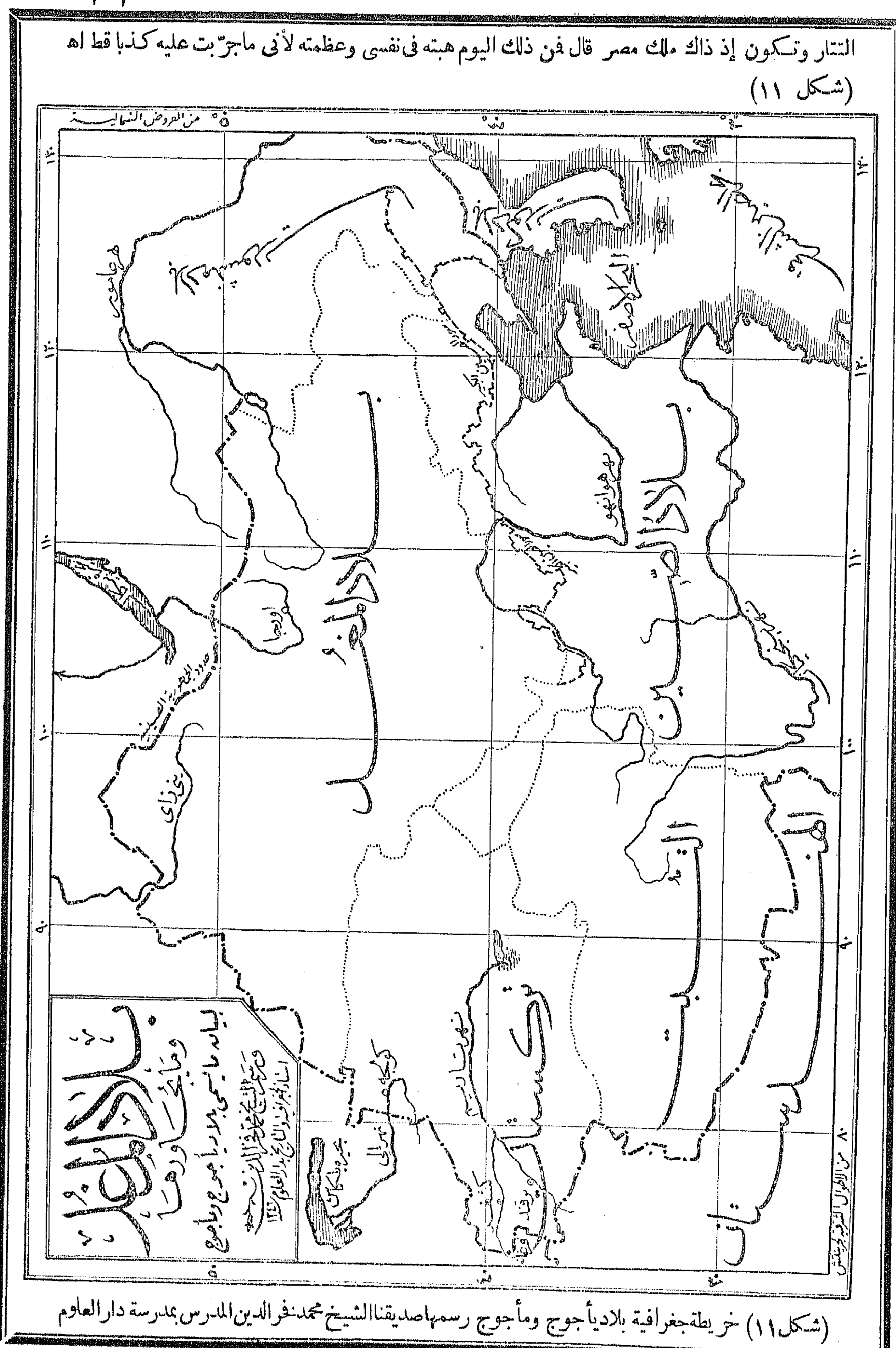
قال تعالى — واقترب الوعد الحق — أى القيامة و يؤخذ منه ومن سورة الكهف قوله تعالى — ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا — فى مساق قصة يأجوج ومأجوج أن خروجهم قرب الساعة ولكن هذا لايدلنا على أنه لافاصل بينه و بين الساعة . ألاترى الى قوله تعالى — اقتربت الساعة وانشق القمر — وقوله ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين ﴾ وأشار بالسبابة والوسطى ومع ذلك فقد مضى نيف وثلثمائة وألف سنة فهكذا قال فى آية يأجوج ومأجوج — واقترب الوعد الحق — فكلاهما اقتراب . ورب قائل يقول أين الاقتراب فى الموضعين قلنا معلوم أن مامضى من الزمان لايتناوله الاحصاء ومابقى من عمر الأرض الطبيعى قدره يسير جدا بالنسبة لذلك ونحن لقصر حياتنا نعدّ ذلك بعدا و يعدّه الله الباقى الدائم قربا قال تعالى — إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا — فآلاف السنين لاتنافى القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها الى الزمن كله إذ من البديهى أن الآلاف لاتذكر فى جانب الملايين ولذلك ورد فى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال ﴿ ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج ﴾ وهذا دليل على أن الناس يستبدلون من بعد خوفهم أمنا و يعبدون الله عزّوجل . وأما صفاتهم المشهورة فى القصص و بعض الآثار فجميعها لا أصل لها

هذا ماعنّ لى وهذا ماكنت أجبت به عن سؤال الأديب الهندى فى حينه من أمد غير بعيد فى ﴿ مجلة الهلال ﴾ فى آخر القرن التاسع عشر . ثم وازنت بين حديث البخارى المارّ وهو قوله عليه الصلاة والسلام ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب قد فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج الخ ﴾ فيما ذكرناه مع اضطرابه وخوفه الشديد و بين كلام علماء الجغرافيا فى نحو القرن الثالث والرابع فزاد يقينى بما كتبت ورأيت هذه البلاد كانت معروفة عندهم باسم يأجوج ومأجوج وزاد استغرابى جدا لمعجزة ظاهرة واضحة قد خفى رسمها عنا وكيف تحقق هذا القول فى الخارج وجاء مصداقا للقرآن والحديث . فالحقّ والحق أقول أن هذا النبىّ والكتاب المنزل عليه لما يدهش العقول . وكيف رأينا تلك الجهة تسمى باسم يأجوج ومأجوج فى كتاب ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ لابن مسكويه ولكنه اجمال لايشفى غليلا ولايؤخذ حجة لاجماله . ولقد فصل فى رسائل قديمة ألفت فى نحو القرن الثالث والرابع وذكر فيها أن أمّة يأجوج ومأجوج هم سكان تلك الجهة المتقدمة

شمال الصين وحددت بلادهم بأنها من نحو سبع وعشرين درجة من العرض الشمالى الى نحو خمسين درجة منه وهذه البلاد الآن جزء عظيم من الصين وفيها (بكين) عاصمتها الآن ولقد كانوا أغاروا على الأمم جميعا وكانوا كفاتحين للعالم كله فكانوا أشبه بأهل أوروبا الآن فكأنهم أخلفوهم فى عملهم وفتوحاتهم وسيطرتهم على العالم ومن المقرر أن بينهم نسبا ورحما . فانظر كيف أصبحت دولتهم الآن فى قبضة الصين بل هم الجزء العظيم وهاهى (منشوريا) تتجاذبها الروسيا والصين وبلادهم تبلغ فى العرض نحو ثلاث وعشرين درجة كما رأيت وتلك البلاد تسكن الاقليم الرابع والخامس والسادس والسابع من الأقاليم التى اعتبرها الأقدمون هى الحدود المعروفة لأقسام الأرض وهى مبنية على مقادير العرض الذى لايتغير بتغير الأيام والأمم وتداول السنين مما اختطه الملوك الأقدمون والحكماء الغابرون والأنبياء السابقون الذين طافوا الربع المسكون من الأرض وغابت عنهم أمريكا والاوقيانوسية لبعد المواصلة وشقة السفر وحيلولة الجبال والبحار وذلك مثل الاسكندر الرومى اليونانى وتبع الحيرى وافريدون النبطى وأزدشير بن بابكان الفارسى وسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الاسرائيلى وغيرهم . ولما عثرت على هذا علمت علما يقينا أننا معاشر المسلمين الآن والدولة الاسلامية إما فى حال الهرم وهى وقت نسيان كل معقول ومنقول واما أطفال ولدهم شيخ كبير فهم يبحثون على آثاره . فياعجبا كيف كانت هذه البلاد معروفة باسمها وصفتها ودرجاتها عرضا وطولا ونحن لانعلم منها شيأ وكيف يخبر نبينا الصادق بهذا الأمر ويحصل فى الوجود ونجهله نحن . ولعمرى انها لمعجزة ظاهرة واضحة . ولقد كان الأقدمون يجعلون علم الجغرافيا مما يجب النظر اليه فى الكون مثل قوله تعالى — وفى الأرض آيات للموقنين — قل انظروا ماذا فى السموات والأرض — أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شئ — بل لولم يكن للنبى معجزة سوى هذه التى ظهرت بالتاريخ والجغرافيا لوفت بالمراد . وانى لأعجب من أن النبى ﷺ يقول ﴿ ويل للعرب من شر قد اقترب الخ ﴾ ثم ان هؤلاء أزالوا دولة العرب وانتهت الدولة العباسية بقتل (المستعصم) آخر ملوكها وبقى خليفة رسمى فى مصر وعند قرب الألف من السنين زال حكمهم مرة واحدة وتفرق الاسلام شذر مذر وماحفظه إلا الدولة العثمانية بعد العرب . وأما أولئك التتار فهم كونوا أغلب المسلمين فى الهند والصين وأغلب آسيا فكما ورثوا أرضهم ورثوا دينهم . وهذه المسألة وان كانت بسيطة فعلاقتها بعلم العمران أمر عظيم جدا . والحق أن علم الحديث أوضح كيف تخرب الدول وعبر عنها بأشراط الساعة وسماها العلماء الاشراط الصغرى إذ الكبرى بخراب الأرض كلها والصغرى بابادة أمة أوأمم فاذا جاءت الطامة الكبرى زالت الأمم من الوجود . ولقد أوضح الرسول الصادق أمورا كثيرة لايسع المقام ذكرها الآن ولنقصر عنان القلم ففى ماذكرناه عبرة وتذكرة

وجاء فى كتاب ﴿ فاكهة الخلفاء ﴾ المتقدم أن المصريين هم الذين صدوا اغارة هؤلاء التتار عن بيت المقدس وفلسطين ومصر . ذلك أن الملك المظفر المسمى (قطز) من دولة المماليك بمصر صدهم بمائتى ألف من المصريين عند حلب . وكان من ضباط الجيش (الأمير بيبرس) المشهور ولما شتتوا شمل التتار قتل (بيبرس) الملك (المظفر) غيلة وذلك أن الملك أنعم عليه بجارية تتارية من السبى فتقدم ليقبل يده فخانه وقتله وتولى الملك بدله وقد حزن المصريون حزنا شديدا على الملك (المظفر) لأنه هزم التتار . ولكن (بيبرس) أكثر الاحسان وقرب العلماء اليه ليزيل ذلك الأثر السيئ . ومن لطائف التاريخ أن الملك (المظفر) المذكور كان له صديق من المماليك فى صغره وهما يتعلمان مع الأطفال فى كتاتيب مصر وقد تعاهدا أن كل من وجد فى ثوب أخيه مايستقذر فليضربه بيده فاتفق أن صاحب الملك (المظفر) يوما ضربه مرارا فقال له لماذا أكثرت الضرب اليوم فقال لكثرة القذر فى ثوبك ولأنى أحب الامارة فضحك وقال له أتحب أن تتولى على مائة فقال نعم فقال أنا أوليك ذلك فقال له وكيف ذلك فقال رأيت فى المنام النبى ﷺ فقال لى إنك ستقهر

التتار وتكون إذ ذاك ملك مصر قال فمن ذلك اليوم هبته فى نفسى وعظمته لأنى ماجرّبت عليه كذبا قط اه (شكل ١١)



(شكل ١١) خريطة جغرافية بلاد يأجوج ومأجوج رسمها صديقنا الشيخ محمد فخر الدين المدرس بمدرسة دار العلوم

(ايضاح الخريطة)

اعلم أن السدّ المرسوم هنا الفاصل بين بلادالصين قديماً و بين بلاد يأجوج ومأجوج ذكرصاحب اخوان الصفاء أنه عند ٢٧ درجة شمالا والمرسوم فى الخريطة أبعد منه بنحو ١٠ درجات وهـذا السدّ الجنوبى غير السدّ الآخر المذكور فى القرآن المتقدّم فى هذا المقام . فاذن يأجوج ومأجوج كانوا محصورين بين سدّين خيفة بطشهم بجيرانهم والآن أصبح هم وأهل الصين أمّة واحدة فافهم

واعلم أن بلاد (التركستان) أو (بلاد الترك) تنقسم الآن الى ﴿ قسمين ﴾ قسم تابع للروسيا وقسم تابع للصين فالمرسومة هنا هى التابعة للصين . وأما الروسية فهى الى الغرب من هذه وفيها بلاد فرغانه وجنوه وبخارى وطاشقند ونهرا سيحون وجيحون اللذان يصبان فى بحيرة خوارزم . ففرغانه التى فى الخريطة هنا اكتفى بها عن رسم بقية تركستان الروسية التى هذه منها وتنتهى غربا الى بحر (الخزر) أو بحر (قزوين) الذى هو غربى بحيرة (خوارزم) المتقدمة

﴿ فائدة ﴾

ومن العجيب أن الأخبار التى ترد الآن من الشرق الأقصى تبين أن بلاد الصين منقسمة ﴿ قسمين ﴾ قسم الجنوب وقسم الشمال . فقسم الجنوب اشتهروا بأنهم يحافظون على البلاد وقسم الشمال متهمون فى وطنيتهم وصدقها . وجاء فى الأخبار الآن أن عسكر التتار يحاربون مع أحدالفريقين المتحاربين وأن فرقة من فرق جيوشهم تسمى (الجنكيزخانية) فلما قرأت هذا الاسم فى أخبار البرق العامة عجبت كل العجب وأيقنت أن التتار الذين مزّقوا العالم تمزيقا لايزالون يحافظون على تاريخهم ومجدهم وذكرأسلافهم وعظمائهم بدليل انهم سموا فرقة باسم (جنكيزخان) الذى شتت شمل المسلمين قديما وشمل أكثرالأمم هو وذرّيته . وقد جاء فى الآخبار اليوم أى (٧) يونيه سنة ١٩٢٨ أن الوطنيين فى الصين دخلوا (بكين) العاصمة . أفلاترى أن العالم الذى نعيش فيه سينقلب انقلابا تاما . الصين ثلث العالم وهى أمّة واحدة وقد ارتقت أفلايقال انهم يعيدون الكرة مرة أخرى ويقلبون وجه الأرض . أفلا يكون هناك خروج لهم مرة أخرى ويحصل فى الأرض اضطراب آخر وهلاك لاندريه مصداقا للآية . أليس ذلك هوالذى أخبربه (غليوم) ملك الألمان سابقا إذ قال ﴿ ويل لأوروبا من الصين وسماه الخطر الأصفر ﴾ . أفلا يكون مبدأ الخطر قد ابتدأ هذا اليوم إذ أصبحت الصين مملكة واحدة راقية . الله أعلم بالمستقبل . فاذا صح هذا كان هناك خروج آخر من موضع السد المتقدم ذكره . اذا صحّ هذا كان الخروج الأوّل خروجا جزئيا لتأديب المسلمين على كسلهم ونومهم العميق وجهلهم لأن قطب أرسلان كان يجهل هو والعلماء قوّة القوم وعظمتهم ولذلك قتل رسلهم التى أرسلوها فلوكان يعلم قوّتهم لأكرم رسلهم ويكون قوله ﷺ ﴿ ويل للعرب من شرّ قداقترب الخ ﴾ راجع للخروج الأوّل . أما خروجهم الثانى فهوالذى يقلب الأرض قلبا كيف لا والحرب اليوم بالغازات الخانقة والمعمية والمهلكة . فاذا خرجوا أهلكوا الحرث والنسل كما خرجوا قديما قبل التاريخ وكوّنوا أمما فى أوروبا ثم خرجوا ثانيا لابادة ملك العرب والآن يخرجون لقلب وجه الأرض ويكون قوله ﷺ ﴿ إنّ الناس يحجون ويعتمرون بعد خروجهم ﴾ راجع للخروج السابق . أما الثالث فلاندرى ما الله فاعل بالناس والله يعلم وأنتم لاتعلمون

جدير بالأمم الاسلامية اليوم أن يفكروا فى مستقبلهم فانهم اليوم بين أوروبا الظالمة والشرق الأقصى وقد بينت هذا المقام فى كتاب ﴿ نهضة الأمم وحياتها ﴾

﴿ قدوم عالم من علماء أمة يأجوج ومأجوج الى مصر وزيارته لمنزلى بشارع طولون منذ نحو عشرين سنة ﴾

أعلم أيها الذكى انى أوّل ما ألفت كتابا من كتبى كان انتشاره وترجمته أسرع فى بلاد (الروسيا) بناحية (قازان) وما والاها من غيرها فقد نشرت تلك الكتب هناك وترجم بعضها ووصلت الى الترجمة باللغة القازانية أما مقالة يأجوج ومأجوج فانى بعد أن نشرتها فى أواخر القرن التاسع عشر بمجلة الهلال تحقق لى صدقها بالاطلاع على كتب القدماء فكتبتها فى (جريدة المؤيد) المنتشرة إذ ذاك فى أقطار الاسلام وذلك فى نحو العشر سنين الأولى من القرن العشرين وهذا مقدمة لما ستسمعه

بينما أنا بالمدرسة الخديوية أدرس للتلاميذ اللغة العربية إذ قابلنى تلميذ فقال قد قابلنى الاستاذ عبد الله بوبى من مدينة (أوفا) ببلاد الروسيا ويريد موعدا للمقابلة بالمنزل فعينت له موعدا ليلا فلما حضر خاطبنى باللغة العربية الفصحى وأوّل مابادرنى به أن قال عرفتك من مؤلفاتك وقرأت فى (المؤيد) انك تقول اننا من يأجوج ومأجوج وهذه المقالة ترجمتها بلغتنا ولم أطلع عليه الشيوخ الكبار لظنهم أن هذا كفر وقد جهلوا أصلنا واننا نحن المغول (يأجوج ومأجوج) والتتر فريق من تلك الأمم • فانا والشبان جميعا فهمنا مقالك والمسلمون لاسعادة لهم إلا بقراءة التاريخ والجغرافيا وجميع العلوم وأخذ يتكلم فى السياسة العامّة وفى قيصر الروس • ومعلوم أن ذلك قبل ذبح البلشفية لذلك القيصر فوصفه بأنه جاهل واستدل على ذلك بانه لم يستعمل تخدير أعصاب الشبان المسلمين كما خدرت الانجليز أعصاب الشبان بمصر واستدلّ على ذلك بحوادث جرت فى مصر وانه رأى المتعلمين فى المدارس يحبون الانجليز ولغتهم ويكرهون اللغة العربية وماشا كلها • ومعلوم أن ذلك كان قبل النهضة الحالية التى غيرت أفكار المصريين جميعا • ثم قال انى لم أجد فتى متحمسا عندكم مثل (مصطفى كامل) وكل الشبان عندنا مثل مصطفى كامل عندكم فنحن نريد أن نأخذ بلاد (الروسيا) كلها ونحكمها كما كنا حكامها قديما كما تشير اليه مقالتكم فى يأجوج ومأجوج • أقول وشبان مصر عند كتابة هذا الموضوع متحمسون كمصطفى كامل ونحوه فان الحال تغيرت كما قدمت ذلك قريبا • ثم أخذ يحدّثنى عن أخلاقهم فقال ان أمى وزوجتى تخرجان من منزلنا كل صباح لتعليم بنات الفقراء والأغنياء الكتابة والقراءة والأعمال المنزلية فهل عندكم مثل هذا • فقلت كلا • فقال حركة العلم عندنا عظيمة وقوية ووطنية وعرفت من قوله أن عنده ثروة عظيمة وهو يستخدمها فى الكيد واستعمال الحيل فى اخراج مركز ذلك القيصر

﴿ حادثتان • الأولى ﴾

إنه كان لايترك مجتمعا إلا جلس فيه فجاءنى يوما وقال فى هذه الليلة رأيت عالما مغربيا مع العلماء وهو يعلمهم حديث المصافحة وبقى يذكر أسماء الرواة من عصر النبوّة الى الآن • قال وعجبت أن يضيع المسلمون حياتهم فى العنعنة المذكورة • ورأيى أن يغير التعليم فى الأزهر وأن يدخل فيه الاصلاح

﴿ الحادثة الثانية ﴾

جلست معه فى المتسع الذى أمام (دار التمثيل) فى مشرب القهوة الافرنجية فجاء لنا صاحب القهوة بالشاى فلما رآه قال هذا فيه مكسب للفرنجة عظيم وأنتم فى مصر تغرمون وهم يكسبون وهذا باب الاستعباد أما نحن فان الشبان المسلمين هم الذين يتولون أمثال هذه الأعمال وهم الذين يقومون بأمر الطعام والشراب فى كل مكان وفى القطرات بالطرق الحديدية وهم يأخذون أموال الروس بطريق التجارة • فقلت له إذن أنتم نصاراهم وهم نصارانا فضحك أى ان النصارى فى بلادنا لهم الفوز فى التجارة فهم فى بلادهم أخذوا هذه الوظيفة منهم • وحدّثنى مرة يقول إنه ألف كتابا يحث فيه المسلمين على الجدّ والعمل وان هذا الكتاب لما انتشر فى المسلمين هناك هبوا للعمل وارتقوا • ولأختم هذا الموضوع بحادثة • ذلك اننى فى صباح يوم ورد لى خبر أن والدى سقط تحت القطار بجهة (بردين) فأسرعت للسفر ولكن أحببت أن أقابل صديقى اليأجوجى

المأجوجى قبل السفر فخرجت من المدرسة بدرب الجماميز متوجها الى المحطة مريدا أن أمرّ عليه فى مأواه الذى هو أقرب اليها ففى تلك اللحظة كان هو قد جاء الىّ يريد مقابلتى بالمدرسة وهناك حصل لى أمر عجيب ذلك انى قبل أن أخرج من سراى درب الجماميز اضطررت أن أدخل لأحد أصحابى لمصلحة فجلست دقيقة واحدة معه فلما خرجت وجدت الصاحب اليأجوجى بالباب قبل خروجى من السراى فدهشت وعلمت اننى لولم تشغلنى هذه المصلحة تلك الدقيقة لخرجت ولم أقابله فأخبرته الخبر وعجبت من حسن المصادفة . فقال لى لا تعجب إنّ الله عزّوجل مع كل مصلح ونحن لا نعمل إلا ماهو مصلحة للمسلمين فكيف لا يكون الله معنا . ثم أخبرته خبر والدى وتوجهت اليه فوجدته قد أصيب بما يوجب الموت من جرح وكسر وهو لايحسن النطق ولكن الله قبل (٢٤) ساعة حسن حاله وقال الطبيب ان هناك لطفا من الله به ولو كان هذا الحادث لشاب من الشبان لمات وذلك لقوّة والدك ثم قال انه يحتاج لعلاج أربعين يوما . فلما اطمأننت على والدى رجعت الى المدرسة وأخبرت صاحبى تفصيلا بتلك الألطاف فى والدى . فقال لى ألم أقل لك إن الله مع المخلصين للمسلمين ثم بعد ذلك شفى والدى تماما وسافر صاحبى الى بلاده وعين فى مجلس (الدوما) بالروسيا وقد علمت أخيرا أن القيصر كان نفاه لما علم بمناوأته لحكومته . ويقال انه توجه لبلاد الصين يعلم المسلمين هناك ولم أعلم بعد ذلك بما تمّ فى أمره . أما المسلمون فى تلك البلاد أيام البلشفية فقد بلغنى انهم مرتقون فى هذه العلوم والله أعلم وبهذا تعلم أن السدّ موجود فعلا وأن هذا معجزة للقرآن حقا وهذا أمر عجيب

﴿ اللطيفة الثانية تحقيق المقام فى ذى القرنين و يأجوج ومأجوج ﴾

اعلم أن الله عزّوجل ما أنزل القرآن ولا الكتب السماوية قبله إلا لهداية الناس وارشادهم والارشاد انما يكون على مقتضى الحال ويوجه القول للأمم توجيها يرشدها ويعلمها . فمن الارشاد أن يجمع بين اللين والشدّة بالجنة والنار والنعيم والجحيم والقرب والبعد . ولاجرم أن طبع أهل هذه الأرض مبنى على هذا النظام . انظر . ماذا فعل الله فى هذا الوجود . خلقنا وأراد ترقيتنا بهذا الخلق وليس هناك من سبيل لأخذ العلم أخذا حقيقيا عن الله فاحتجنا الى وسائط ومن تلك الوسائط انه أجاعنا وأعرانا وخلق العداوة والحسد وما أشبه ذلك مع اختلاف الأخلاق والأحوال والعادات ثم انه مهد الأرض للزرع والبحر للسفر وغيره وقال لنا هاهوذا ملكى وهاهوذا نقصكم وضعفكم فاماأن تعملوا مدّة الحياة بنصب وتعب والافلا أغذية لكم عندى ولاراحة * وفى المثل ﴿أسرحتوا فى ارتقاء﴾ فظاهر الأمر اننا نعيش بالعمل وباطنه ارادة رقينا علما وأخلاقا . أنا خلقتكم فى نصب وتعب ـ لقد خلقنا الانسان فى كبد ـ فاستخرجوا من الأرض أغذيتكم وملابسكم الخ وهذا هومبدأ العلوم . فجميع العلوم فى هذه الأرض ترجع الى استخراج مانحتاج اليه من أغذية وأدوية وأعمال أخرى ونتيجة هذا هو رقى عقولنا وأحوالنا وأخلاقنا . لهذا خلقت الدنيا ولهذا خلق الله الناس فما أصابنا من خير أوشرّ فهو راجع لهذه القاعدة والا فالله قادر أن يخلق الانسان فى راحة تامة بأن يجعله كالدود يأكل مما حوله بلاتعب وكالنبات فى البرّ والبحر لايحتاج الى شئ وكالمرجان يتغذى مما يحيط به من المواد الجيرية فى ماء البحر الملح ولكن الله يريد بهذا الخلق ارتقاء المخلوقات الانسانية . اذا فهمت هذا فلتعلم أن القرآن نزل على هذا النمط فهو يدعو للعمل والفكر والبحث ولو أن آيات القرآن كانت واضحة كل الوضوح بحيث لايعوزنا عمل فى فهمها لكان نفس القرآن من أهم أسباب سقوط الأمم التى تعتنقه إذ لاحاجة لهم الى بحث ولاتنقيب . فانظر الى قصة ذى القرنين والى قصة يأجوج ومأجوج . ذوالقرنين وصفه الله بأوصاف تنطبق على رجل عظيم مصلح

(١) فقد خيره الله لما بلغ مغرب الشمس بين اللين والشدّة فاختار وضع كل منهما فى مقامه

(٢) وعرض عليه القوم مالا لأجل أن يجعل لهم سدّا فأبى وقال مامعناه . كلا . الله أعطانى نعمة وسأصرفها

فى

فى منفعة عباده ولكن أعينونى بقوّة

(٣) ثم قال إن هذا رحمة من ربى وذكر أن كل أعمال الخلق لابدّ لها يوما من الزوال

فهذه الأقوال والأعمال لايتصف بها إلا المصلحون بل هى نموذج للمصلحين من الأمم الاسلامية وليس يهم فى الدين ولا القرآن شئ فوق هذا فان كل قصة فى القرآن انما يؤتى بها لنتائجها اصالة . فالنتائج فى فتية الكهف انهم فرّوا من الظلم كما فرّ الصحابة حين كانوا بمكة فهاجر بعضهم الى الحبشة وهاجر بعضهم الى المدينة ثم نصرهم الله فى آخر الأمر . ففتية الكهف فرّوا من ظالم وهم مؤمنون بربهم . هكذا الصحابة فرّوا بدينهم وحافظوا عليه تأسيا بقصص القرآن . وهكذا قصة موسى والخضر عليهما السلام وخرق السفينة وقتل الغلام لايقصد من هذا كله إلا تعريف الناس أن هناك قضايا عجيبة فى الوجود وأن الانسانية أشبه بجسم وهذا الجسم اذا أمكن بقاؤه بقطع سلعة منه أوأصبع معتلة اذا بقيت أضرّت بالجسم كله فان الحكمة تقتضى بقاءه وازالة مابه فساده وهذه هى حال الناس أيام النبوّة . فاذا قيل لماذا استعمل السيف أيام النبوّة وحصل الحرب حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا . قلنا اقرأ قصة موسى والخضر فان الشرّ القليل يحتمل للخير الكثير وقد تمّ هذا فعلا فقتل صناديد قريش وغيرهم أثمر ظهور أمّة عظيمة ملأت الكرة الأرضية فما ذلك إلا كأمر الطب سواء بسواء . هذا من أحسن مايؤخذ من هذه القصة . وهكذا اذا سمع الانسان قوله ﷺ ﴿ الحرب خدعة ﴾ فهو من هذا الباب . فهذا هو المقصود العملى الدينى من هذه القصص فى القرآن وأنا أحمد الله عزّوجل إذ وفق وعلم وشرح الصدر لكتابة هذا . هذا ماينبغى أن يفهم فى هذا الزمان وفى كل زمان

﴿ فوائد هذه الأخبار فى هذا الزمان ﴾

أما فوائد هذه الأخبار فى هذا الزمان فانها تزيد على ذلك بالعلوم والحكمة ومعرفة تواريخ الأمم وتخطيط بلدانها . ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد أن يخاطبنى فى المسائل العويصة . فقال لقد أتيت بمقدّمة تقول فيها ان نظام هذا العالم يرجع الى الحث على طلب العلم فكما يقول فى القرآن ــ وقل ربّ زدنى علما ــ يخلق فى الجسم ألم الجوع والعرى ومرارة العداوة فيكون ذلك كله من أسباب ارتقاء الناس هذا مفهوم ولكن مسألة ذى القرنين ومسألة يأجوج ومأجوج توقع فى القلوب شبها وتقتضى عند بعضها كفرا فان الناس اذا قرؤا التاريخ وعلم الجغرافية يرون أن ظهور رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها و بنى سدّا كما فى القرآن لم يقم عليه دليل . فمن أين ذوالقرنين هذا . ومن أىّ الممالك هو . أهو اسكندر المقدونى . أم هو رجل آخر من اليمن . إن التاريخ الذى نقرؤه لايهدينا الى معرفة هذا الرجل ولذلك نجد كثيرا من المتعلمين فى الديانات يكونون ملحدين وذلك لأجل شكهم فى الديانات فيقولون إن هذه القصص جاءت على مقتضى ذوق أهل عصورهم لاعلى مقتضى التاريخ وأنا أسألك الآن أكان الله يعلم أن الناس سيصبحون فى شك وكفر بسبب هذه القصص . أم هو لايعلم ذلك . فان كان لايعلم فقد انهدم كل دين فى الأرض وطاحت أصول الفلسفة . وان كان يعلم تلك النتيجة . فاذن هو أنزل القرآن لأجل الاضلال لا للهداية . فاذن المسألة دائرة بين جهل الصانع سبحانه و بين ارادته الضلال وكلاهما نتيجة سيئة . فقلت أنا أختار انه عالم أن مثل هذه المسائل يكون بها الضلال وهو الذى أراد ذلك . قال ياعجبا كيف هذا . فقلت قال الله تعالى ــ يضلّ به كثيرا ويهدى به كثيرا ومايضلّ به إلا الفاسقين ــ ومانتيجة هذه الأخبار فى بعض النفوس إلا كنتيجة شرب العسل لمن به حمى فهو نافع للناس ضارّ لبعضهم . هكذا هذه القصة أعطت نموذجا للمصلحين فى الأمم ومن فعل به هم الأقلون والضرر القليل مغتفر فى جانب النفع الكثير . قال ولكن الأمم الاسلامية الآن قد أقبلت على زمان يكثر فيه علم التاريخ وعلم الجغرافيا وهذه القصص خارجة عن هذه العلوم . فاذا تعلم المسلمون جميعا رجالا ونساء كما تعلم أهل أوروبا وأمريكا واليابان فانهم يفعلون بالقرآن مافعله النصارى بقصص التوراة أى يجعلون

هـذه قصصا تقرأ بلا تفكر و يضربون الذكر عنها صفحا و يقولون العلم شئ والدين شئ وتبقى الطبقة المتنوّرة غير مكترثة بالكتب السماوية . فما تقول فى هذا . فقلت ان نزول هذه الأخبار فى القرآن كما تقدم سيكون فى هذا الزمان سببا لارتقاء الطبقة المتعلمة فى علومها . قال وكيف ذلك . أتقول هذا لأجل انك فى تفسير القرآن . قلت . كلا . انما أنا أقول هذا عن علم . ألم تر أن قصة ذى القرنين قد جاء كلام المفسرين فيها غير متفق فهذه ستدعونا أن نبحث فى هذا المقام أىّ الأسماء أقرب الى ذى القرنين أأسماء ملوك اليونان أم أسماء ملوك اليمن . إذن وجب علينا أن نعرض أسماء ملوك الأمّتين بوجه واضح ونبين ما جاء فى التاريخ الحديث من أسمائهم ثم نبين الى أيهما هو أقرب . ولماذا أبهم هذا الاسم . ومافائدة هذا الابهام لأمم الاسلام المقبلة والحالية كما ذكرنا سابقا الحقيقة الناصعة وهى أن أمّة يأجوج ومأجوج أمّة موجودة قديما وحديثا و بينا تخطيط بلدانها وجغرافيتهم ونقلنا من الكتب المؤلفة منذ ألف سنة أيام الدولة العباسية أن اسم تلك البلاد كان معروفا فى الخرائط الجغرافية باسم (يأجوج ومأجوج) وحدّدنا تلك البلاد وأهلها وكيف خرجوا وكيف أهلكوا أمم الاسلام وشتتوا الدولة العربية وأذاقوها سوء النكال . وكيف كانت هذه القصة نزلت فى القرآن وقد علم الله أن هؤلاء هم الذين سيكونون شرا على أمّة العرب التى نفعت الأمم والآن نبين أن فائدتها فى هذه القرون أن يرجع أبناء الاسلام لدراسة التاريخ والجغرافيا و يدرسوا ماحاق بآبائهم من ضعف وماأصابهم من ضرّ و يعرفوا مواطن الأمم وأن دراسة ذلك كله من أسباب بقاء أممنا الحاضرة وجهله يضيعها فتكون فى خبر كان لأن الأمم لا حياة لها إلا بدراسة تاريخها ونحوه والا طاحت وهوت فى أسفل سافلين . فهذا هو الذى سنذكره الآن (١) ملوك اليونان (٢) ملوك اليمن (٣) بلاد يأجوج ومأجوج (٤) صلتهم بالأمّة العربية فى قوله ﷺ ﴿ ويل للعرب من شرّ قد اقترب لقد فتح الليلة من سدّ يأجوج ومأجوج الخ ﴾ وكيف كان ذلك سرا للنبوّة ظهر أثره بعد ستمائة سنة . فهذه المسائل التى نبحثها هنا أما كون هـذه العلوم من أسباب رقى الأمّة وأن تركها مضيع للأمم فاقرأه فيما تقدّم فى سورة النحل عند قوله تعالى ـ فاسألوا أهل الذكر ـ فقد نقلت لك هناك أن قراءة أصول العلوم لابد منها لبقاء الأمّة والاطاحت وتشتت ناقلا ذلك عن الاستاذ (سنتلانه الطليانى) فلنبدأ أوّلا بذكر ملوك اليونان

﴿ المقام الأوّل فى ذكر أسماء من اشتهروا فى أمّة اليونان ﴾

فهل نجد فيهم من جاء فى اسمه لفظة (ذو) التى هى من الأسماء الخمسة فى اللغة العربية ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجرّ بالياء أومايفيد معناها فلننظر نجد أن تاريخ (أثينه) القديم يبتدئ بالمدّة الملوكية من نحو ١٣٠٠ سنة الى ١٠٥٠ (ق . م) وآخر ملك من ملوكهم يسمى (١) (كودروس) وكل مايروى عن اليونان فى القرن الحادى عشر (ق . م) غير موثوق به (٢) وفى سنة ٨٥٠ (ق . م) نبذ القوم حكم الملوك المستبدّين وساعدهم (ليكورغس) فسنّ لهم قانونا ليكون شرعا لهم وكان من أعضاء الأسرة الحاكمة وهذه القوانين سنها (لاسبرطه) ببلاد اليونان تعلم الشجاعة والصبر والقوّة الجندية ويكون للأمة ملكان ومجلس أعيان مؤلف من ٣٠ عضوا كل واحد سنه ٦٠ سنة والملكان منهم بالانتخاب والمجلس يسمى مجلس الشيوخ والأعيان والانتخاب لمدّة الحياة وهناك مجلس الأمّة يقدّم لهم الأعمال ليبحثوها والمولود ضعيفا أومشوّه الخلقة يقتل على جبل (طايغتوس) ويربى الولد بعد سبع سنين بتمرينات رياضية و بالصيد وتحمل الأخطار و بالضرب مع ثباته وعدم ضجره ولومات وهكذا يتحمل الجوع والعطش والحرّ والبرد ليتعلم الصبر و يتعلم الموسيقى بأشعار كلها تحثّ على الشجاعة ثم يعلمون قلة الكلام لتقوى بصائرهم (٣) وممن اشتهروا فيهم (هوميروس) الشاعر وأصح التواريخ عنه انه كان نحو سنة ٨٥٠ (ق . م) وشعره وحد أمّة اليونان فهم كانوا يقرؤنه فى خلواتهم ومجتمعاتهم الخاصة والعامّة وعسى أن يوحد القرآن الأمم الاسلامية بعد ظهور حقائق القرآن فى زماننا الحاضر

(٤) ومن ملوكهم (فيدون) سنة ٨٧٠ (ق.م) والحكومة هناك جمهورية و بعد موته استمرّت (اسبرطه) على على تعاليم (ليكورغس) (٥) الملك (رافيطوس) سنة ٧٧٦ ق م على الأصح هو الذى أحيا الألعاب الاولومبية وصارت بعد ذلك تقام كل أربع سنين مرة والمسافة بين كل دورين تسمى (المبياد) و بقيت الى سنة ٣٩٤ ق م إذ حول مجراها الأمبراطور (طيودوسيوس) (٦) ومن ملوكهم (اريسطوقراطيس) ملك (ارخومينوس) وهذا الملك خان بلاده فى موقعة حربية فرجموه لافشائه السرّ للأعداء (٧) ومن عظمائهم (اريسطومينس) سنة ٦٥٨ ق م الذى أسره أعداء بلاده ووضعوه فى جب ونجا بعد ذلك (٨) ومن عظمائهم (سولون) الذى لما رأى الطغيان عمّ البلاد فى نحو سنة ٦٠٠ ق م سنّ قوانين لهم وهو معدود من الحكماء السبعة وهو من أهل (أثينه) وجعل الأمّة فى القانون أربع طبقات وجعل الانتخاب عاما وغاب عن بلاده عشر سنين من سنة ٥٧٠ الى سنة ٥٦٠ ق م (٩) ومنهم (بيزيسطراطوس) ابن عم (سولون) مات سنة ٥٢٧ ق م (١٠) ابنه (هبياس) وابنه الآخر (هيبارخوس) (١١) (كليومنس) من ملوك (اسبرطه) (١٢) (ملتياد) نصر اليونان على الفرس بسياسته وبالجيوش (١٣) (أريسطيدس) (١٤) (تمتقل) من (أثينه) بسياسته وجيشه هزم الفرس (١٥) ومنهم (سيمون) بأثينه قائد حزب الأشراف (١٦) وأخيرا كان (فيليب الثانى) ابن (أمنطاس الثانى) وأخو (بردكياس) وتولى الحكم وعمره ١٣ سنة وجعل تساليا تحت حكمه سنة ٣٥٢ ق م (١٧) و بعده ابنه (اسكندر الثالث) الملقب بالأكبر ولد سنة ٣٥٦ ق م وكان عمره إذ تولى الملك بعد أبيه ٢٠ سنة وقد تعوّد فى صغره على العوائد الاسبرطية من تحمل الآلام والاقدام والتجلد ثم علمه (أرسطوطاليس) علم الحكمة . فهذه الأسماء هى من أهم الأسماء المشهورة فى أمّة اليونان . وقد بحثنا فيها فلم نجد للفظ (ذى القرنين) وجودا . فياليت شعرى كيف ساغ لبعض المفسرين بل الكثير منهم أن يجعلوا هذا الاسم عاما على (الاسكندر) وغاية مالقبوه انهم قالوا (اسكندر الأكبر) أما (ذوالقرنين) فلم يرد لها ذكر فى أسماء ملوكهم ولا شعرائهم ولاقوّادهم . فبطل إذن أن يكون (ذوالقرنين) من اليونان . إذن فلنبحث عن هذا الاسم فى أمم العرب الذين كان لهم ملك وسلطان وعظمة وهم عرب اليمن

﴿ الكلام على بلاد اليمن وملوكها ﴾

اعلم أن أعظم المدن القديمة التى كانت فى اليمن قبل الاسلام خربت الآن وسفت عليها السوافى وغطتها الرمال . وقد ذكر اليعقوبى أن تلك البلاد تنقسم أوّلا الى (مخاليف) جمع مخلاف وجعلها (٨٤) مخلافا والمخلاف تحته مدن ومحافل وقرى ومن الأشهر فيها مخلاف (مأرب وذمار والهان وحراز وهوزن وحضور الخ) ووصفه لها كان فى القرن الثالث الهجرى . وقد حدّد هذه المخاليف الهمدانى فى كتابه المسمى ﴿ صفة جزيرة العرب ﴾ بأوائل القرن الرابع الهجرى واعتمد العلماء على كتابه ووثقوا به

﴿ كيفية نظام بلاد اليمن فى الأزمان القديمة ﴾

لاجرم أن النوع الانسانى فى الأعصر البائدة كان يعيش مع الحيوانات فى الفلوات و يأكل الثمار و يعيش فى الكهوف والمغارات ثم ارتقى شيأ فشيأ وكان العصر الحجرى والعصر البرنزى ثم العصر الحديدى فالمدنية الحاضرة . وما الانسانية العامّة ولابعضها إلا كما يولد الطفل صغيرا ثم يقوى شيأ فشيأ . هكذا مانحن بصدده وهى بلاد اليمن فبنوا البيت ثم ارتقى البيت على طول الزمان فصار قصرا والقصر عندهم جعلوه حصنا أوقلعة وهذه القلعة حولها سور . ومعنى هذا أن الأسرة الواحدة تجتمع فى مكان واحد وتتخذ لها رئيسا منها وتجلسه فى قصره وتبنى بيوتا حوله وتجعل ذلك القصر منيعا خيفة مفاجأة الأعداء وكل عدّة قصور تخضع الى رئيس واحد يحكم شيوخ هذه القصور وهذا المجموع يسمى (المخلاف) والجمع مخاليف فالمخاليف كالمديريات فى القطر المصرى والقصور أشبه بالمراكز فى المديرية . ومعنى هذا أن القطر المصرى (١٤) قسما كل قسم مقسم الى

مراكز والمركز يشتمل على جملة بلاد . هكذا بلاد اليمن عبارة عن (٨٤) مخلافا كل مخلاف يشتمل على محافد وهى القصور المتقدّمة والمخلاف يتولاه أمير يقال له (قيل) والجمع أقيال أوملك صغير والمخلاف يقابل (الكورة) أو (الرستاق) فى اللغة العربية كالمديرية فى الاصطلاح المصرى حديثا و يقال لذلك (القضاء) أيضا و ينسب المخلاف كله الى أكبر محافده أوالى المحفل الذى يقيم فيه (القيل) وهذه المحافد قد تنمو فتصير مدينة وتسمى باسم جديد كما اتفق أن قصر أومحفل (ر بدان) تحوّل الى مدينة ظفار وقصر سلحين تحوّل الى مأرب . وهناك قاعدة وهى أن صاحب المحفد (القصر) يلقب بلفظ (ذو) أى صاحب يضاف الى اسم المحفد فيقال ذوغمدان أى صاحب غمدان وذومعين وتعرف هذه الطبقة باسم (الأذواء) أو (الذوين) وهذه الألقاب أشبه بالألقاب فى بلادنا المصرية الآن مثل قولهم فلان بك وفلان باشا وهذه بعض الأسماء (ذوغمدان . ذوتلقم . ذوناعط ذوصرواح . ذوسلحين . ذوظفار . ذوشبام . ذو بينون . ذوريام . ذو براقش . ذو روثان . ذوأرياب ذوعمران) فالاقيال ملوك صغار والأذواء أمراء والأذواء يقابلون فى بلادنا المصرية (الذوات) وهذه كلمة معناها الأغنياء الممتازون فى بلادنا وهذا عجب أن يكون ذواتنا يقابلون أذواءهم وكلاهما راجع الى (ذو وذات) والمعنى واحد . ونظير هذا عند الانجليز قولهم مثلا (اللورد أفبرى) ومعنى اللورد (الرب) أو (السيد) ومعنى (أف) صاحب و بعد هذا اسم البلد التى جعل هذا صاحبها إذ هذا كأمير اليمن سواء بسواء والمعنى واحد . أفليس من العجب أن يكون (ذو) الوارد فى القرآن كان موجودا فى اليمن وله نظير فى أوروبا ولكن هذا لانظير له فى اليونان إذن لم يكن (ذوالقرنين) فى اليونان و يغلب أن يكون فى اليمن فان الأذواء فى تلك البلاد هم الذين يحكمونها ومن بين هؤلاء الحكام يكون الاقيال والتبابعة كما تقدّم وقد عجز المؤرخون جميعا عن معرفة تاريخ الامارات الصغرى وعن تاريخ الممالك الكبرى هناك ولكن المهم فى هذا المقام وهم الأذواء قد حفظت أسماؤهم ليكونوا دليلا لهذه القصة فى القرآن والذى عرف الآن ﴿ طبقتان ﴾ طبقة تسمى الملوك المثامنة وهم ثمانية أذواء وهم الذين ناهضوا حميرأيام دولتهم . والطبقة الثانية أذواء مستقلون وهؤلاء هم المثامنة * قال الشاعر

أين المثامنة الملوك وملكهم * ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو * شجر وذوجدن وذو صرواح
أو ذو مغار بعد أو ذو جوفز * ولقد محا ذا عشكلان ماحى

وسائر الأذواء أكبرهم مرثد وهو جدّ الناظم قال فيه

أو ذومراثد جدّنا القيل ابن ذى * شجر أبو الأذواء رحب الساح
و بنوهم ذوفين ذوسفر وذو * عمران أهل مكارم وسماح
والقيل ذو ذبيان من أبنائه * راح الحمام اليه بالرداح
أم أين ذو الرمحين أو ذو يرحم * سقيا بكأس للمنون ذباح
أم أين ذو بهر وذو يزن وذو * نوش وذو نوح وذو الأنواح
أم أين ذو نيقان أو ذو أصبح * لم ينج بالامساء والاصباح
أم أين ذوالشعبين أصبح صدعه * لم يلتئم لمثقف الأقداح
أو ذو حوال حيل دون مرامه * أو ذو مناح لم يبح بمراح
أم أين ذوغمدان أو ذوفائش * أو ذو رعين لم يفز بفلاح

والقصيدة ١٩ بيتا بعد المثامنة اكتفينا بما ذكرناه الآن والأذواء فى هذه القصيدة ٥٥ والذى علم قليل . إذن ثبت أن (ذا القرنين) يمنى وان كان فى زمن متوغل فى الجهالة والابهام ليكون نموذجا للكمال

والشرف فى الأمم الاسلامية فى مستقبل الزمان . انتهى

اذا عرفت هذا فانظر الى دول اليمن فنها دولة (معين) وعاصمتهم (قرنا) ودولة (سبأ) وعاصمتهم مأرب والقتابيون وعاصمتهم (شبوة) والذى كشف (معين) هو (هاليفى) إذ رآها فى شرقى (صنعاء) ببلاد الجوف وقرأ اسمها عليها وبجانبها مدينة (براقش) فوجد هناك (٣٠٣) نقشا ٧٩ منها فى (معين) و ١٥٤ نقشا فى (براقش) و ٧٠ فى السوداء وقد عثروا على بعض ملوك هذه الدولة وهم ٢٦ ملكا مثل أب يدع ومثل أب يدع يثيع أى المنقذ وهكذا . وقد عرف الناس أمّة بهذا الاسم بالكشف الحديث سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد مكتوبا على نصب عليه نقوش مسمارية ذكرت فى أقدم آثار بابل وأن ملك بابل حمل على (معان) فى جزيرة (سينا) وقهر ملكها وانه اقتلع حجرا منها ونصبه تذكارا فى بلاد (بابل) و يقدّر العلماء أن آثار دولة معين تبتدئ من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الى القرن السابع أو الثامن قبله و يقولون ان أصلهم من بابل

﴿ دولة سبأ ﴾

هم من القحطانيين كانوا أوّلا أذواء فأقيالا فكانت لهم المحافد فالمخاليف والذى نبغ منهم (سبأ) صاحب (قصر صرواح) شرقى (صنعاء) فاستولى على الجميع ومبدأ ملكهم من سنة ٨٥٠ ق م الى سنة ١١٥ ق م والمعروف من ملوكهم ٢٧ ملكا ١٥ يسمى مكربا و١٢ منهم يسمى ملكا مثال الأوّل (يثعمر) و (ذمرعلى) فكل منهما اسمه (مكرب) ومثال الثانى (ذرح) و (يريم ايمن) فهذان ملكان

﴿ الدولة الحميرية من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٥٢٥ ب م ﴾

وحمير بن سبأ وهم ﴿ طبقتان * الطبقة الأولى ﴾ ملوك سبأ وريدان من سنة ١١٥ ق م الى سنة ٢٧٥ ب م ومن ملوكهم (علهان نهفان) و (وتار) وهكذا ﴿ والطبقة الثانية ﴾ ملوك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها من سنة ٢٧٥ ب م الى سنة ٥٢٥ ب م أوّلهم (شمر يرعش) ثانيهم (ذوالقرنين) أو (افريقس الصعب) ثالثهم (عمرو) زوج بلقيس وهكذا الى ١٤ ملكا آخرهم ذوجدن وقبله ذنواس وهذه الطبقة هم التبابعة ومن قبلهم ملوك فقط . والتبع (بتشديد التاء والباء) هو من ملك حضرموت والشحر مع مملكتهم . فأكثر ملوك الطبقة الثانية الحميرية تبابعة أضافوا الى ملك اليمن ملك حضرموت والشحر وهذا ماقصدت ذكره فى هذا المقام فى أمر ملوك اليمن

﴿ تحقيق هذا المقام ﴾

لقد اطلعت أيها الذكي على أسماء ملوك اليونان وأسماء ملوك اليمن فظهر أن ذا القرنين لاصلة بينه و بين اليونان وأن الاتصاف (بذو) لم نجده إلا فى اليمن وأن الملوك والتبابعة انما ينبغون من هؤلاء الأذواء . إذن لاشك أن هذا اللقب لامناسبة بينه و بين اليونان وانما صلته التامّة ببلاد اليمن بل تقدّم فى أسماء الملوك قريبا اسم ذى القرنين فظهر الأمر واتضح ولكن هل هذا هو ذوالقرنين المذكور فى القرآن . نحن نقول كلا . لأن هذا مذكور فى ملوك قريبى العهد منا جدّا ولم ينقل ذلك عنهم اللهم إلا فى روايات ذكرها القصاصون فى التاريخ مثل ان (شمر يرعش) وصل فى حربه الى بلاد العراق وفارس وخراسان والصغد . وقال العجم (شمركند) أى شمر خرب و بنى مدينة فسميت (سمرقند) أى شمر خرب وملك بلاد الروم ويقولون ان أسعد أبو كرب غزا (أذربيجان) و بعث حسانا ابنه الى (الصغد) وابنه يعفر الى الروم وابن أخيه الى الفرس وأن من الحميريين من بقوا فى الصين لهذا العهد بعد غزو ذلك الملك لها . وكذب ابن خلدون وغيره هذه الأخبار ووسموها بأنها مبالغ فيها ونقضوها بأدلة جغرافية وأخرى تاريخية لامحل لذكرها هنا . إذن يكون ذوالقرنين من أمة العرب ولكنه فى تاريخ قديم قبل التاريخ المعروف . ألاترى أن من الأمّة العربية من غزوا مصر قبل الميلاد و بقوا فيها ٥٠٠ سنة ثم طردوا من مصر فى الأسرة الثامنة عشرة . ولقد أخبرنا المرحوم

أحمد بك كمال أن المصريين كثروا جدّا فخرجت منهم ﴿ أمّتان * احداهما ﴾ الى بلاد العرب والأخرى الى شمال أفريقيا وقال رحمه الله لنا إن الذين خرجوا الى بلاد العرب هم عاد وثمود

﴿ حكمة نزول هذه الأخبار فى القرآن ﴾

علم الله قبل أن ينزل القرآن أن أمة العرب خصوصا وأمّة الاسلام عموما سينسون التاريخ وتخطيط البلدان ويجهلون ماحلّ بالأمة العربية من أمّة يأجوج ومأجوج ولا يعرفون أن فتح البلدان بالجهاد الاسلامى كان هو السبب الذى جعل أمّة الاسلام مجاورة لأمّة يأجوج ومأجوج وهذه المجاورة كانت سببا فى انقضاض القوم على أمم الاسلام ففرّقت شملهم . علم الله انهم يجهلون ذلك فى الأزمان المتأخرة وأن الحروب الصليبية وحروب يأجوج ومأجوج ستقضى عليهم ويخرج أبناؤهم أى أهل مصر وشمال أفريقيا والعراق والحجاز وسوريا والفرس وغيرها وهم يجهلون ماحلّ بآبائهم الأوّلين ولا يعلمون أن أمة يأجوج ومأجوج احتلت البلاد لما آنست من العرب ضعفا وتخاذلا ومن المسلمين تفرّقا وانحلالا فكانوا منقسمين الى الشيعة والسنية وكل منهم يكيد للآخر وكان الوزير العلقمى رجلا شيعيا والملك المستعصم رجلا سنيا وكان هذا الوزير هو السبب فى دخول التتار واحتلالها وذبح ألف ألف منها الى آخر ماتقدّم

علم الله ذلك فأنزل فى القرآن قصة ذى القرنين ويأجوج ومأجوج وهما قصتان متلازمتان . فقصة (ذى القرنين) تفيد أن رجلا عربيا أقامه الله مصلحا عظيما . فماذا فعل . فعل مافعله الخضر عليه السلام أقام الخضر جدارا يريد أن ينقض وأقام ذو القرنين سدّا بين أمّة وأمّة والخضر لم يطلب أجرا من أهل البلد وذو القرنين لم يطلب أجرا من تلك الأمّة . الله أكبر . هذا هو الشرف أن يصرف الانسان نعمة الله فيما خلقت لأجله سواء أكان ذلك لمنفعة فردية أم منفعة عامّة . فاقامة الجدار لمنفعة اليتامى واقامة السدّ لمنفعة الأمّة

الله أكبر . نزل القرآن لارتقاء الأمم . نزل القرآن للاقتداء . ألم تر أن أوّل السورة يفيد أن قوما هربوا من الظلم فاختفوا وقد قدّمت أن هذا تمّ فى زمن النبوّة بالهجرة وأن آخر السورة يفيد أن الانسان يعمل للمصلحة العامة إما لأفراد واما لأمم . هذه السورة أشبه بتاريخ الاسلام فأوّله ضعف والمسلمون فى مكة و بعد الضعف القوّة وبالقوّة ننفع الأفراد وننفع الأمم . هذا هو دين الاسلام والأمم الاسلامية التى ضلت هذه الطريقة يخذلها الله كأمم الاسلام أيام الدولة العباسية أى فى آخرها إذ جعل الناس الملك مغنما والزكاة مغرما وأصبح الملك قليل العمل كثير الأمل والشهوات واللذات والخلاعة

عاشت أمة الاسلام وهى تتقلب على نار الغضا ويكيد العلماء بعضهم لبعض فالخوارج والشيعة وأهل السنة بعضهم لبعض عدوّ حتى ان الشافعية والحنفية من أهل السنة لما دخل التتار أى يأجوج ومأجوج وجدوهم أشبه بأهل دينين كل يكاد يكفر الآخر . علم الله اننا نحن فى عصرنا الحاضر سنجهل كل ذلك . الله أكبر . إن الأمة الاسلامية لما فتحت البلاد لحفظها حفظهم الله ولكن لما فتحت البلاد للذاتها انحطت مداركهم فاستخلص الله منهم بلاده كما تقدّم وجهل القوم علوم الجغرافيا فجهلوا جيرانهم من الأمم فانقضوا عليهم .

أقول ومتى عرف المسلمون بعدنا السبب فى تشتيت الأمم الاسلامية يرجعون مجدهم بجمع شملهم وذلك يستحيل إلا اذا قرؤا جميع العلوم وعلموا ماجهله آباؤهم فى تلك القرون ومن أهمها علم الجغرافيا والتاريخ ثم بقية العلوم وحينئذ يعرف أبناء العرب والفرس والترك وغيرهم من أمم الاسلام أن الذى أضاع مجدهم هو الجهل وأن المسلمين ظنوا أن القصد من الملك التمتع مع ان ملك البلاد والتسلط عليها لا يقصد منه إلا رقيها وخدمتها واسعادها

أقول . علم الله ذلك واننا فى هذا الزمان سنقرأ هذا ويقرؤه أبناؤنا بعدنا و يعرفون خطأ الآباء و يقولون فى (ذى القرنين) انه وان لم يكن معروفا بشخصه فهو المعروف قدره وأن الله أبهمه علينا كما أبهم ليلة القدر

ويوم القيامة ولوأن الله عرّفنا به فعلا لكانت الفائدة ضئيلة . أما الفائدة العظيمة فهى كثرة البحث والتنقيب فى الكتب فها نحن أولاء بحثنا عن ذى القرنين فى أمّة اليونان . ولما بحثنا عنه وجدنا هناك فى القرن الثامن قبل الميلاد قوانين مشترع عظيم تقدمت الاشارة اليها عرّفتنا مجلس الشيوخ ومجلس الأمّة التى نسج على منوالها أهل أوروبا الآن وهكذا حوالى القرن السادس (ق م) ظهر (سولون) الحكيم ولهؤلاء قوانين تذكرنا بما يحاوله أهل الشرق الآن من الانتخاب وتشكيل المجالس النيابية . ولاجرم أن هذه الطريقة بالحال التى هى عليها لم تكن معروفة عند أسلافنا فلم يكن لهم سبيل إلا الحرب والقتل . واذا كانت أوروبا هى التى تعلمنا تلك القوانين كما علمت اليابان وأمريكا فعلينا نحن أن نقرأ كل ماحصل من شرائع الأمم الانتخابية فى اليونان والرومان وفرنسا وما الذى فعله (روسو) الكاتب الشهير الذى أحدث ذلك فى فرنسا وماالذى فعلته انكلترا قبل فرنسا بنحو مائة سنة وماذا فعلوه مع ملوكهم . كل ذلك تذكرناه فى أثناء البحث عن اسم ذى القرنين فاذا لم يكن فى ذكر ذى القرنين نعمة سوى هذه لكفت وهذه المباحث واجبة وجوبا كفائيا لأنها أوّلا لفهم القرآن وثانيا لأنها علوم والعلوم لابد فيها من قوم مختصين بها . وكم من فوائد غير ذلك فى هذه المباحث . إن الأمم الاسلامية التى بعدنا ستقرأ هذا وأمثاله وسيعلمون أن العلوم التى نقلوها عن أوروبا والأعمال السياسية لن يتم لهم الانتفاع بها إلا اذا درسوا أصولها فهؤلاء أهل مصر وأهل العراق والشام وغيرهم قد أخذوا يقلدون الغرب فى المجالس النيابية ولكن لايتم مقصدهم إلا بدراسة تاريخ تلك المجالس أيام سولون وأيام ليكورغس ليقفوا على تنوّع تلك المجالس وينظموا بلادهم على أحسن طراز وسيعلمون حق العلم أن قوله ﷺ «إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زخرف الدنيا وزينتها» قد تمّ ذلك لأن فتوح البلدان قد انتهى بتشتيت شمل الأمّة العربية لأنهم لم يحفظوا النعمة فى آخر أمرهم ولم يقوموا على أنهم خلفاء الله فحسب وأن قوله «لقد فتح الليلة من سدّ يأجوج ومأجوج الخ» فيه تلميح الى فتح البلدان كما تقدم وسيعلمون انهم لانجاة لهم إلا بنظام أممهم وبلادهم بأحسن الطرق وهكذا أن يدرسوا كل علم ويحققوه . وسيعلم أبناء اليمن خاصة وأبناء العرب عامة أن الله ماذكر ذا القرنين فى القرآن إلا ليبعث فيهم النشاط والهمة والقوّة فهو يقول ياأبناء العرب ماذا أفعل لكم خلقت رجلا مصلحا فى زمان مجهول لكم بلغ مغرب الشمس ومطلعها ولم أشأ أن أبين لكم البلاد التى دخلها لأن كل مكان فى الأرض يصلح لطلوع الشمس وغروبها وانما بينت السد لأجل أن تبحثوا عن التاريخ الذى حصل لآبائكم فبينما أنتم تبحثون عن السد اذا بكم اهتديتم الى سبب انقراض دول آبائكم فترجعون الى أنفسكم وتقولون كيف يكون منا من بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأصلح الأمم ونكون نحن بعد نزول القرآن أضعف من آبائنا قبل نزوله وسيخجل أبناء اليوم حينما يدرون أن آباءهم كانوا أرقى منهم علما وصناعة وسيقولون كيف يكون ذوالقرنين منا وكيف ينزل الله فى آبائنا سورة (سبأ) ويذكر سيل العرم ونصبح نحن أضعف من آبائنا . إننا لمقصرون . فلنقرأ كل علم ولندرس كل فن وانا إن شاء الله لموفقون انتهى

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ــ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر ــ الخ ﴾

ان المطلع على ماتقدم من التفسير يجد نعم الله لاحد لها فى كل عالم من العوالم الأرضية والسماوية ولكن الآن أذكر لايضاح هذه الآية آخر الآراء التى وصل اليها العلماء فى عصرنا الحاضر ولم أجد أجمل ولا أجمع ولا أحدث من الخطبة التى خطبها الاستاذ (جينس) الانجليزى العالم الفلكى الذى كان مدرسا لعلم الرياضيات التطبيقية فى جامعة (بنسلفانيا) التى هى أشهر جامعات أمريكا وقد عاد أخيرا الى انكلترا وصار سكرتيرا لجمعية العلوم والفنون الملكية والخطبة المشار اليها هى التى ألقاها يوم ٧ مارس سنة ١٩٢٨ أى قبل كتابة هذه الأسطر بشهر واحد وهى كما قلنا أحدث الآراء فى منشأ الكائنات والكلام على النهاية وعلى عدم النهاية فى الزمان

والمكان وهل يمكن حصر الأجرام العلوية ومقادير أعمارها . وهذه الخطبة ألقاها فى تلك الجمعية فى التاريخ المتقدّم وملخصها ما يأتى

(١) الاهتمام بعلم الكائنات ونشوئها قريب العهد جدّا وهذا العلم لايزال طفلا

(٢) يقول علماء (الجيولوجيا) ان الانسان لم يعش على الأرض إلا منذ ثلثمائة ألف سنة فقط . إذن الأرض عاش عليها عشرة آلاف جيل كلهم يرون الأرض مركز العالم والعالم خلق لأجلها إلاجيلا واحدا عرف أن الأرض ليست شيأ مذكورا فى العوالم

(٣) عمر الأرض نحو ألفى مليون سنة

(٤) الشمس ستظل بعد ألف ألف مليون سنة كما هى الآن تقريبا وتدور الأرض حولها كالوقت الحاضر

(٥) الانسان فى المستقبل يكون أحكم من الانسان الحاضر ثلاثة ملايين مرة على الأقل فينظم المعيشة على مقتضى حال الكرة الأرضية فى المستقبل

(٦) يؤخذ مما تقدم أن الانسان حديث العهد بالولادة على الأرض فهو طفل وهكذا هو طفل فى علومه ومعارفه وكل هم هذا الطفل كان موجها الى غذائه ومسكنه وهو يجهل العوالم ولكنه الآن عرف أن هناك عوالم لاحد لها وعرف انه يجهلها وكأنه فى حلم ومعرفته تافهة جدا بالعوالم حوله و يعيش بعد الآن ألفى مليون سنة على الأرض أى انها مدة تعادل عمر الأرض الماضى

(٧) الأجرام التى حولنا لها نهاية . أما الفضاء الذى بعدها فلانهاية له أى ان الشمس والكواكب والمجرات ليست بلانهاية ولكن وراءها فضاء لانهاية له

(٨) الأجرام العلوية التى نراها والتى لا نراها شكلها كروى أى انها كلها كرة واحدة كقطرة الماء وككرة الأرض والشمس الخ والكرة تعرف كلها متى عرفنا نصف قطرها ونصف القطر يعرف متى عرفنا درجة تقوّس محيط الشكل الكروى بين أية نقطتين مفروضتين على محيط الشكل

(٩) الاستاذ (هوبل) يقول على سبيل التقريب أن الفضاء المشغول بالأجرام الفلكية لايمتد على الأرجح الى أكثر من ألف ضعف المسافة التى تفصل بيننا و بين أبعد السدم التى يمكن رؤيتها بأكبر (التلسكوبات) اننا ان وصلنا تلك السدم فرضا وجاوزناها فاننا نعود الى النقطة التى بدأنا منها لأن ذلك الفضاء كما قلنا كروى الشكل

(١٠) الاشارات اللاسلكية التى تنبثق من جهاز لاسلكى شديد الاحساس تدور حول الكرة الأرضية فى أقل من سبع ثانية وتعود الى النقطة التى بدأت منها فهكذا نحن لو اخترقنا هذه العوالم رجعنا الى مبدأ سفرنا

(١١) لو اننا صنعنا (تلسكوبا) قويا جدا ورأينا جميع الكرات السماوية لرأينا النجوم بهيئتها الأصلية حينما أرسلت النور الينا قبل الملايين من السنين وأن النجوم ليست أعدادها بغير نهاية ولو كانت فى فضاء لا نهاية له لزم أن تكون هناك نجوم لايصل لنا نورها الى أبد الدهر ويقول إن هذا بعيد ويرجع فيقول ان الانسان اليوم طفل لايدرى فى العلوم شيأ فربما جاءه المستقبل بما لايتخيله الآن

(١٢) النور يسير فى الثانية الواحدة (١٨٦) ألف ميل ومثله فى ذلك الكهربائية اللاسلكية لأنهما فى جوهرهما شئ واحد ويرجح أن النور يسير حول الفضاء الكروى مائة ألف مليون سنة أى ان النور يدور فى هذا العالم المملوء بالأجرام العلوية الذى مجموعه كرة واحدة مدة مائة ألف مليون سنة مع العلم بأنه يدور حول الأرض فى سبع ثانية واحدة فأين النسبة بين سبع ثانية و بين مائة ألف مليون سنة . ويقول ان الأرقام لا تقدر أن تحصى المسافة المحصورة بين نقطتين أى أيا كانتا على محيط الفضاء الكروى

(١٣) الشمس أكبر من الأرض حجما مليون وثلثمائة ألف مرة وماهى إلا حبة رمل على شاطئ هذا

الفضاء الكروى وهى فرد من أسرة من أسر الكائنات وفى الفضاء الكروى المذكور ألوف الملايين من تلك الأسر والجماعات . وقد قدّر العلامة (سيرز) عددها (ثلاثين ألف مليون مجموعة) وتكون شمسنا وتوابعها حبة رمل فى مجموعة واحدة من هذه الثلاثين ألف مليون مجموعة

(١٤) هناك سدم (اولبيه) خارج المجرّة وهى مجموعة من النجوم تمّ نشوءها أولاتزال فى دور التكوين وفى بعض تلك السدم من المادّة ما يكفى لخلق ألف مليون شمس كشمسنا مع العلم بأن مادّتها فى غاية اللطف حتى ان جزأ من اثنى عشر مليون جزء من الرطل يعادل فى حجمه جبل (ماترهورون) الذى هو من أكبر جبال أوروبا فاذا كان السديم الواحد الذى هذه حال خفته فى حجمه يشتمل على ما يكون ألف مليون شمس فكيف يكون حجمه «وبعبارة أخرى» اذا وضعت ألف مليون شمس فى كفة ميزان (مع العلم بأن الشمس أكبر من مليون حجم الأرض وثلثمائة ألف مرة) وفى الكفة الأخرى جزء من مليون جزء من الأوقية كانت النسبة بينهما كنسبة أحد تلك السدم الى جبل (ماترهورن) المشار اليه وذلك كله حجم سديم واحد فما بالك بمئات الملايين منها وهى سابحة فى الفضاء الكروى

(١٥) يقول (هويل) المتقدّم ذكره ان مرقب (تلسكوب) مونت ويلسون بأمريكا يريك نحو مليونين من تلك السدم واذا تمكن الانسان من صنع مرقب أكبر فانه يرى بلاشك ملايين كثيرة أخرى منها فى كل منها من المادّة ما يكفى لخلق الملايين من الشموس والأجرام الفلكية . ويقول ان العلماء يقولون ان الفضاء الذى تشغله المادّة يجب أن يكون ألف مليون ضعف الفضاء الذى يستطيع أن يرصده (تلسكوب) مونت ويلسون المشار اليه الذى هو أعظم تلسكوب فى العالم كله . ويقول اذا أردت أن تعرف عدد النجوم التى تسبح فى الفضاء تقريبا فانها عدد (٢) وعلى يمينه (٢٤) صفرا وهو عدد النجوم السابحة فى الفضاء وعددها من الرمل يغطى سطح الجزائر البريطانية الى عمق مئات من الأمتار . ومعلوم أن عالمنا الأرضى ليس إلاحبة من حبات ذلك الرمل

(١٦) أضعف النجوم المعروفة نجمة (وولف) نورها جزء من عشرين من نور الشمس ونور النجم (دورادوس) يوازى ثلثمائة ألف ضعف النور المنبثق من الشمس وأصغر النجوم هو نجم (فان مانن) وحجمه كحجم الأرض وأكبر النجوم هى الجوزاء وهى أكبر من الشمس خمسا وعشرين مليون مرة ونسبة نورها الى نور الشمس كنسبة نور المصابيح الكهربائية الى نور حشرة الحباحب

(١٧) ان الشمس تخرج شعاعا يعادل قوّة خمسين حصانا من كل بوصة مربعة و بعض النجوم التى هى أعظم من الشمس تشع نورا من البوصة المربعة يعادل قوّة ثلاثين ألف حصان لكل بوصة مربعة

(١٨) الشمس تفقد كل يوم من المادّة بسبب خروج الأشعة منها ٢٥٠ مليون طن فى الدقيقة ففى كل يوم تفقد ٣٦٠ ألف مليون طن

(١٩) ان أعمار الأجرام الفلكية تختلف من خمسة آلاف ألف مليون سنة الى عشرة آلاف ألف مليون سنة

٢٠ يظن أن عمر الشمس الآن عشرة آلاف ألف مليون سنة و يمكن أن تعيش ملايين الملايين من السنين فلاتنطفئ . انتهى

هذه هى الآراء التى يستنتجها العلماء اليوم بحسابهم تارة و بتخيلهم تارة أخرى . ذلك كله يفهمنا قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا - الخ فهذه هى الكلمات الالهية التى حيرت العقول وشغلت الأفكار وأضاعت الأعمار ولم يصل الناس لأقل جزء من العلم والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتبت هذه المقالة يوم الجمعة ٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحدا ـ ﴾

اعلم أن هذا الوحى الذى أنزله الله على أنبيائه بأنه واحد قد أظهره فى كلماته المذكورة قبل هذا فى قوله ـ قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ـ فالآية الثانية كالمتممة للأولى وإيضاح هذا المقام أن الآية الأولى أفادت كثرة المخلوقات ولكن الكثرة كيف تكون عن الوحدة فالكثرة ظهرت فى الأولى والوحدة فى الثانية . هناك حارت الأمم قديما وحديثا . رأوا كثرة لاتتناهى وهذه الكثرة العظيمة لاتتم إلا بالوحدة والا فكيف يضبط هذا الكثير . فانظر ماذا حصل . جاء قدماء الفلاسفة ونظروا فى هذا الوجود فرأوه جواهر وأعراضا أى المادّة والصفات القائمة بها فدرسوا أوّلا العلوم الجزئية من الرياضيات والطبيعيات و بعد ذلك درسوا علما عاما يعلمهم الوحدة فقالوا ان كل موجود يمكن أن يطلق عليه اسم الواحد سواء أكان كثيرا أم قليلا فاننا نقول زيد واحد وعمرو واحد والانسان جميعه واحد فالأوّلان بشخصهما والثالث بنوعه ونقول الانسان والحيوان والنبات والجماد واحد أى من حيث اشتراكها فى الجسمية إذن الكثرة تلازمها الوحدة فليست الوحدة خاصة بالشخص . كلا . بل هذا العالم كله نسميه واحدا . هذا ما كان يقوله القدماء فاقرأه فى كتاب ﴿ الشفا ﴾ لابن سينا . وتارة يقولون ان الواحد أصل العدد فليس هو بعدد والعدد يشعر بالتعدّد والواحد بتكراره مرة فأكثر أحدث الأعداد كلها ألوفا وألوف ألوف والواحد اذا حذف من الوجود لم يكن عدد والعدد اذا ذهب من الوجود لم يذهب الواحد . إذن العالم كله واحد . وهذا كلام علماء (الارتماطيقى) أى علم خواص الأعداد . فعلماء الفلسفة القدماء يرون نفس العالم واحدا وعلماء الرياضة يوحدون العدد فانظر الى علماء العصر الحاضر . ماذا فعلوا . نظروا بطريق العلوم الطبيعية فماذا قالوا . قالوا ان العالم كله واحد من حيث ان الكواكب كلها مركبات من عناصر كعناصر الأرض وقد تقدّم شرح هذا فى هذا التفسير فلا تفاوت فى هذه المادّة . العناصر التى تبلغ نحو ثمانين الآن ركبت الأرض منها ومن غيرها والشمس مثلها وكذلك سائر الكواكب والذى عرفنا ذلك هو الضوء فباختلاف الخطوط السود المقاطعة للألوان السبعة تختلف العناصر فى الجميع وأيضا يقولون كما تقدّم أيضا ان السيارات تدور حول الشمس والعالم كله سيارات تدور حول شموس وهذه المسألة عينها هى الحاصلة فى الحجر والشجر والمدر والجبل . فهذه كلها مركبات من عناصر والعناصر من جواهر فردة والجواهر الفردة تحلل الى كهارب وتلك الكهارب ماهى إلا نقط ضوئية يدور بعضها على بعض فنقطة من نوع الكهرباء السالبة وأخرى من نوع الموجبة والدوران سريع جدا بحيث يكون ملايين فى الثانية الواحدة والمسافات بين الذرات التى يتركب منها الجسم كالمسافات بين الشموس والسيارات و باطن المادّة خلاء يتخلله ذرات كهذا العالم الذى نراه وهذا المقام قد مرّ قريبا فى هذا المجلد وفى غيره . و يقولون أيضا ان قطرة الماء تحوى ذرات عددها (٥) يتبعها عشرون صفرا كما نقلناه سابقا عن علماء أمريكا فى عصرنا وانظر الى عدد نجوم السماء فيما تقدّم آنفا وانها عدد ٢ على يمينه ٢٤ صفرا انتهى

﴿ خلاصة ماتقدم ﴾

(١) وحدة فى آراء قدماء الفلاسفة من حيث ان العالم كله تلحقه الوحدة كثيرا أوقليلا كليا أوجزئيا

(٢) وحدة عند علماء خواص الأعداد إذ يقولون ان الأعداد كلها ترجع للواحد بل هى واحد مكرر

(٣) وحدة عند علماء العصر الحاضر مثل ان النجوم والشموس مركبات من عناصر كما نرى فى أرضنا فهنا اتحاد فى التركيب وفى العناصر اجمالا

(٤) اتحاد الكواكب المحيطة بنا فى الحركات مع الجواهر الفردة . فالسيارات تدور حول الشموس

والجواهر الكهربائية تدور بعضها على بعض فى الجوهر الفرد فالاتحاد هنا فى الحركات

(٥) الكواكب كلها مشرقات وجميع الذرات مكوّنات من كهرباء أى نقطة ضوئية . إذن العوالم اتحدت فى الأنوار سواء أكانت مظلمة أم مضيئة أى ان نحو الحديد والنحاس والأحجار عند البحث فى ذراتها نجدها مركبات من أنوار لاغير كأنوار الكواكب وهذا تقدم شرحه كثيرا فى هذا التفسير

(٦) الأضواء التى فى هذه الجواهر الفردة التى يجرى بعضها على بعض يتخللها خطوط سود سواء أكان ذلك فى أضواء النجوم أو أضواء العناصر الأرضية

(٧) بين كل ذرّة وأخرى خلاء فى سعته بالنسبة للذرّتين كالسعة بين شمسنا مثلا وأرضنا بالنسبة لحجمهما

(٨) القدر الصغير من المادّة التى أمامنا كالقطرة المائية أعداد ذراته تفوق أعداد نجوم السماء بحسب مايظنّ فى الكشف الحديث . وهناك وحدة لم تذكر هنا وهى

(٩) الوحدة فى الأخلاق . ذلك أن هذا العالم كله فيه الحرّ والبرد والموت والحياة والعزّ والذل ونجد الشرع السماوى يقول لنا جاهدوا وتقدّموا للقتال وسلموا أنفسكم للموت ولكل مايعتوركم فى الحياة وأنتم راضون إذن الشريعة تقول بوحدة الأخلاق مع حوادث هذا العالم فنكون مع هذا الوجود متحدين فى أعمالنا نقدم أنفسنا للموت فى الفضيلة ونرضى بكل حوادثه بل ان ذلك قد جرى عليه الحكماء قبل دين الاسلام فهناك دين (اودين) كان فى أوروبا قديما جدا وهذا الدين يأمر أتباعه بأن لايموتوا إلا مقتولين ويحرم على المرء أن يموت على فراشه . وقد ذكر هذا الدين (كارليل) الانجليزى فى كتابه ﴿البطولة والابطال﴾ وأيضا نذكر ماذكرته آنفا مذهب الفيلسوف (ليكورغس) فى نحو القرن الثامن قبل الميلاد فانه علم اليونان باسبرطه وغيرها أن رقى الناس لايتم إلا بأن يعتادوا مرارة العالم ويذوقوا كل ألم من حرّ و برد وضرب موجع ولا يتذمروا من ذلك كله ولايتم رقيهم إلا بذلك ودرجوا على هذا النظام حينا من الدهر وهذا عجب أن تكون الوحدة سارية فى العالم وفى أفعال الناس

(١٠) ووحدة فى العدل فانظرها فى سورة النحل عند قوله تعالى ــ إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان ــ فهناك تجد نظام الجسم الانسانى ونظام أخلاق الانسان ونظام الأمّة كلها جاريات على قانون واحد يشمل العالم كله . اللهم انا نحمدك أن علمتنا أن قولك لنبينا ﷺ ــ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما إلهكم إله واحد ــ الخ هو القانون المتفق عليه فى طبقة هذا الوجود . اللهم إنك أنت الذى علمتنا مالم نعلم ونشكرك على الحكمة ونسألك المزيد وأن ترفع هذه الأمم الاسلامية الى مقام الحكمة والعلم إنك على ماتشاء قدير

أنا لست أقول لك ان ذرات قطرة الماء ونجوم السماء هذا المذكور هو عددها وانما أقول لك هذا هو اتجاه عقول هذا النوع الانسانى ففى الزمان الأوّل جعلوا هذا العالم واحدا من حيث أن كل موجود يطلق عليه اسم الواحد كثيرا كان أوقليلا حتى ان المقولات العشر التى ترجع الى الجوهر والعرض قد شملت أقسام الوجود الحادث كله فى كتابى ﴿الفلسفة العربية﴾ فهى هناك واضحة كل الوضوح

وفى هذا الزمان وجدوا أن عدد ذرات قطرة الماء أشبه بعدد نجوم السماء من حيث الكثرة وأن العوالم ترجع الى كهرباء فالوحدة هى التى خطرت بعقول الفلاسفة قديما وحديثا فهذا العالم يدل على وحدة الصانع التى أنزلها الله فى القرآن وأوحى بها الى نبينا محمد ﷺ فقال ــ قل إنما أنا بشر مثلكم ــ ولست أدعوكم الى الفلسفة القديمة ولا الحديثة الدالتين على وحدة هذا الوجود على حسب عقولكم الدالة على وحدة صانعه بل أنا يوحى الىّ بوحدة الخالق التى بها كانت وحدة العالم وأنتم ابحثوا عنها بعقولكم بالطرق التى توافق عقولكم فان الوحدة مخبوءة فى هذا العالم ومخبوءة فى عقولكم ــ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون ــ وأهل الذكر فى هذا المقام هم الفلاسفة والحكماء فى العالم قديما وحديثا . انتهى والحمد لله رب العالمين

﴿ الوحدة فى نظام الأمم ﴾

و بيانه أن الوحدة كلما كانت أعظم وأتم كان المتحدون بها أقوى وأكمل وهكذا . والدليل على ذلك أن الجبال تقوى على احتمال مالاتقوى عليه البلاد من حوادث الجوّ والرياح والصواعق والزلازل . وهكذا نرى الفيلة والآساد والانسان لقوّة تركيبها واندماج عناصر كثيرة فى أجسامها تقوى على مالا يقوى عليه الجراد وأنواع الحشرات . فهكذا الأمم فاننا نجدها كلما كانت أشدّ ارتباطا وأكثر عددا كانت أقوى من غيرها . ألاترى أن الأمم الكبيرة القوية المتعلمة اليوم تهجم على الجاهلة . أتدرى لماذا ذلك . لأن الأمم العظيمة قد سرت فيها أسرار الوحدة والوحدة سرّ الوجود . فالأمم التى غلبت غيرها سر الوحدة فيها أتمّ إما لارتقاء صفاتها واما لكثرة عددها واما لهما معا . أما الأمم التى تمزّقت وحدتها لجهلها وقلة المفكرين فيها فان الله يعاقبها على ذلك الجهل بأن يسلط عليها الأمم التى سرت فيها الوحدة ليذلوهم . لماذا هذا . لأنهم نسوا الله فنسيهم ومن صفات الله الوحدة وهؤلاء جهلوها عملا فذلوا لمن اتصفوا بها . واعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى كانت كل همم رؤسائهم منصرفة الى أن يتولوا أحكام المسلمين فتفرّقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وتركوا أكثر الشورى والشورى فى الأمم هى سرّ الوحدة ومتى انتخب الناس رؤساء منهم وهؤلاء تشاوروا فى أمورهم كانت هناك الوحدة التى ظهرت آثارها فى العالم الانسانى فى أمريكا واليابان وأوروبا

تلك الشورى التى أمر بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حضرته الوفاة فبالشورى تكون الوحدة وبالغلبة يكون التفرّق . فالحكم يكون لأهل الحل والعقد ويكون الملك أو رئيس الجمهور عليه التنفيذ ولا يتولى هو إلا بمشورتهم و يقيد الملوك وميراث العرش بأوامر ذلك المجلس . هذا هوالذى جهله المتأخرون فى الاسلام فأضاع مجدهم . ألا فليغير هذا النظام الآن . ومن عجبى أن يكون اليابان والطليان والألمان والفرنسيون وهكذا أمم أخرى جميع هؤلاء اتحدت طوائفهم التى هى من جنس واحد . أما أبناء العرب الذين هم اخواننا فى النسب فقد تفرّقوا قديما وحديثا وميلهم للعلم غالبا منصب على الشعر والأدب . فهل يكون اتحادهم بعد نشر أمثال هذا التفسير . وهل يعرف أبناء مصر وشمال أفريقيا وأهل الشام والعراق والحجاز ونجد واليمن انهم من حيث التجانس لافرق بين تجانسهم وتجانس الألمان والطليان الخ وأن دينهم واحد ثم هم متجاورون فى البلاد متحدون فى اللغة . أفليس من المخزى المحزن انهم يتفرّقون وحدهم دون سائر الأمم . يظهر لى أن هذا التفرّق للجهل المطبق . تعلمت تلك الأمم فاتحدت . وجهل أبناء العرب فتفرّقوا . نعم نشروا الدين وانتشروا فى الأرض وليس يجمعهم بعد هذا التشتت إلا دراسة جميع العلوم ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ السير على ناموس هذا التفسير والعمل بما فيه فبذلك يظهر فيهم النابغون و ينشر التاريخ ملخصا والوقائع والأحوال الماضية فتزول الجهالة و ينشر النور و يعم . ومن الوحدة فى نظام الأمّة استخراج ما كمن فى الأفراد من القوى والملكات ومافى الأرض من الخيرات معادن وزراعة وغيرها . ومن ذلك حفظ أرباب الصناعات فى البلاد بالمحافظة على مايصنعون بحيث يروج فى بلادهم . وهذه قاعدة مطردة فى الأمم جميعها ولكن البلاد لم تستقل استقلالا تاما كمصر وشمال أفريقيا وأمثالها . فكل هذه أبوابها مفتحات بلاحجاب فبضاعة الأجانب هى التى تروج عندهم فيضعف صناعهم وتجارهم فتقلّ الوحدة و يضعف الشعب وتذهب ريحهم . ولقد أخذ قوّاد الشعوب المهضومة يدعون الى ذلك كما تقدّم فى آخر (آل عمران) من النداء الذى نشره (غاندى) بالهند لقومه فلبوه وقللوا من شراء بضاعة الاجانب . كل ذلك تكميل للوحدة

ومن هذا القبيل ماكتبته فى هذه الايام فى مجلة ﴿ النهضة النسائية ﴾ بمصر وذلك لتقوية الوحدة فى الأمّة وهذا نصه فى عدد مايو سنة ١٩٢٨

(خطاب مفتوح)

(الى جماعة نهضة السيدات)

أيتها السيدات الفضليات . اطلعت اليوم على المجلة التى تصدر باسمكنّ بتحرير مديرتها فأعجبت بها وأيم الله أيما اعجاب وراقنى أسلوبها وأدهشنى المصطفيات من حكمها وغوالى دررها وجواهرها فى حلاها وحللها وتعجبت كل العجب من رقى علمى ومبحث فنى ومطلب جدى وحكمة بالغة وآية ساحرة فحركت تلك المناظر ما كمن فى النفس من حبّ الأوطان وماخامرها من غرام برقيها وغرام ثابت فى الوجدان

وحرّك وجدى بعد ماكان نائما * برأد الضحى مشفوفة بالترنم
فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدّم

أيتها السيدات الفضليات . إن الله خلق الانسان «صنفين» ذكراوأنثى وليس يقوم شأن أحدهما إلا بمساعدة الآخر له كما وضح أن الله خلق للانسان يدين تساعد احداهما الأخرى وهكذا العينان والأذنان هكذا أبرز هذين الصنفين فى نوع الانسان ليشتركا فى نظام الأسرات وحفظ الأبناء والبنات فلم لايشتركان فى رقى البلاد وانهاضها

أيتها السيدات الفضليات . لقد علمتن نبأ الحوادث العرابية فالنهضة المصطفوية الوطنية فالسعدية الوفدية فما بالكنّ لم تقاسمن الرجال فى حفظ البلاد . نحن لانطلب منكنّ واحدة تمثل (جان دارك) فى فرنسا فتتقدّم صفوف الرجال للقتال وجهاد الأعداء فنحن لسنا فى حرب الميدان ولا نطلب منكنّ أن تفعلن مافعلته السيدات الهنديات اللاتى قفون أثر الزعيم الهندى الكبير الاستاذ (غاندى) من مقاطعة المنسوجات الاجنبية إذ قال كما جاء فى مجلة «الجامعة الهندية» ما يأتى

«إن مقاطعة المنسوجات الأجنبية من الانتقام ولكنه لامفرّ منه لأنه لازم للوطنية لزوم النفس للحياة إذ بدونه لا يكون استقلال وان جاء لايؤمن عليه . إن أنواع المنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الاجنبية والفقر المدقع وماهو أقبح من هذا وهو العار على كثير من الأسرات ولاشئ يستطيع صدّ الوطنى عن القيام بوظيفته ولو كان قوّة الحكومة»

هذا بعض كلامه الذى اتبعه الرجال والنساء فى الهند . وانما لم أطلب ذلك منكنّ لأن مصر فيها جاليات كثيرة لهنّ بها صلاة حسنة بخلاف الهند ففيها واحدة . انما أطلب منكنّ ما فعله فضليات النساء فى تركيا فقد جاء فى الاهرام بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٢٨ م مانصه

الاستانة فى ٢٠ مارس سنة ١٩٢٨ «تألفت جمعية من السيدات المسلمات من الأسر الوجيهة لمقاومة التبرج (التواليت) بين النساء المسلمات لأن ذلك لامبرر له وهو من بواعث الفقر فى الأمة»

هذه هى الجمعية التى ألفت من الأسر الوجيهة . أيتها السيدات المصريات أنتنّ أحقّ بذلك من السيدات التركيات . إن تركيا مستقلة استقلالا تاماولكن الرجال هناك لما علموا أن انكباب النساء على المنسوجات الأجنبية يورث الفقر والفقر يتبعه ضياع البلاد . استعانوا بالنساء لحفظ المال والأخلاق وخص النساء بالطبقة الراقية لأن غيرهنّ يسخر الشعب منهنّ اذا وعظن بالاقتصاد وعدم الاسراف فينسب ذلك لفقرهنّ وقلة ذات يدهنّ . فيا لكنّ الله أيتها السيدات الفضليات المصريات . فاذا كانت تركيا التام استقلالها قد أعوزها مساعدة السيدات فمابالكنّ بمصر الأسيفة الباكية التى لانصير لها ولامعين . فياليت شعرى من من عريقات المجد ونبيلات الشرف منكنّ تلبى هذا النداء . أقسم الجوهرى قسما حقا لاحانثا فيه ولا آثما أن التى تتقدم

سيدات مصر فى هذا لا يوازيها كثير من الرجال ولا يكون اشراق شمسها ومجد عملها وحسن صنيعها قاصرا على مصر بل يتعدّاها الى كثير من بلدان الشرق و يقترن اسمها بأعظم الأسماء بعد الأنبياء و ينالها من الثواب فى الآخرة ماجاء فى حديث رسول الله ﷺ ﴿ من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ﴾

ناشدتكنّ الله أيتها السيدات إلا ماحركتن وجدان النفوس وأثرتن ثائرة الشعور وقصدتن سيدة ترفع رأس المصريين فإلام أيتها السيدات النكوص وحتام الجلوس . أفترضين أن تكون مصر معطلة أحد الشقين أوفاقدة إحدى العينين فيقلّ العدد وتضيع البلد ويذهب المال والولد . فياليت شعرى من هذه السيدة التى ستطلع بدرا فى سماء مصر فتحفظ أموالنا وتصون أعراضنا وتحلّ مشاكل الزواج عندنا ويكثر باتباعها نسلنا ويكون اسمها عطر المجالس وهى قدوة الأوانس ومن أشياعها تصطفى العرائس ومن خالفها منهن حقرها الأهل والجيران ونبذها الشبان وأصبحت فى خبر كان . إن هذه السيدة عين الله ترعاها وهى شمس مصر والبلاد ضحاها — وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردّون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون — انتهى

هذا ما كتبته ونشر فى التاريخ المذكور . وما هذا وأمثاله إلا للسعى فى وحدة الأمّة ونشرها فى هذا التفسير أتم ليعلم المسلمون فى أقطار الأرض أن وحدة الشعب فى تجارته وجميع أعماله مما يرقيه ويجعله أهلا للاستقلال والا فلماذا يقول الله عزّوجل فى آية أخرى — وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكّر أولوا الألباب — نحن كلنا نعلم أن الله إله واحد . إذن ماهو التذكر الذى يتذكره أولوا الألباب . ومعلوم أن أولى الألباب هم أرباب العقول الصافية الراقية لأنهم أشبه باللبّ وغيرهم كالقشر . فما هى الذكرى . الذكرى أشبه بما قلناه هنا . ان أبناء العرب نشروا الاسلام ولكن هم الآن لم يتذكروا به علم الوحدة فى النظام الذى ذكرهم الله به وذلك لقلة المفكرين فى أبناء العرب وقلة المفكرين لعدم انتشار التعليم . ومتى انتشر التعليم أدركوا أن كل أمّة من الأمم كالصين واليابان والفرنسيين قد اتخذوا لهم وحدة جمعتهم . أما أمة العرب وأمة الترك فلم يجتمعوا اجتماعا تاما . فالترك فى الأناضول لم يتحدوا مع الترك فى الصين ولا مع الترك فى الروسيا فهذا معنى قوله — وليذكر أولوا الألباب — المذكورة فى سورة ابراهيم فانه قال تعالى — ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب — فهذا من ذكرى أولى الألباب . ألا فليذكر المسلمون ولينشروا التعليم فى الرجال والنساء والحمد لله رب العالمين . انتهى

﴿ تذكرة ﴾

إن الانسان يتنفس فى اليوم والليلة أنفاسا لاتقلّ عن ٢٤ ألف نفس وأن لله مع كل نفس من أنفاس العبد شأنا فيه ومن أهم الشؤن الالهية فى العبد الخواطر الواردة عليه . ولقد كنت ألفت هذا التفسير فى مدة لاتزيد على سنتين و بعد ذلك كانت ترد على قلبى خواطر فى بعض الآيات كآية الاسراء وكآية — تسبح له السموات السبع والأرض — الخ وهذه الخواطر كنت أكتبها بهيئة مقالات وألحقها بتفسير الآية وربما كان بين المقالة والأخرى سنتان فلما أردت طبع الكتاب وجدت المقالات المختلفات فى الموضوع الواحد تتفق فى بعض المعنى وتختلف فى البعض الآخر فلم أقدر أن أستغنى عن واحدة منها لفوائدها وعسى أن أوفق لحذف المعانى المكررة فى الطبعة الثانية ان شاء الله تعالى

﴿ تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء التاسع من كتاب (الجواهر فى تفسير القرآن الكريم)
ويليه الجزء العاشر وأوّله تفسير سورة مريم ﴾

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	٥	الثالثة	الثانية	٦٦	١٣	اليهائم	البهائم
٧	٢٣	وهى أعماله		٦٨	٥	الصوفية	الصوفية حق
١٥	٣٥	وعلوم	وعلوما	٦٩	٣٥	فان	فانهم
١٦	٨	فتبلغ	فتثلغ	٨٠	٥	من أن	من أن يتحكم
١٩	٣١	فالأوّل وللأوّل	فالأوّل للأوّل	٨١	٧	اذا	لو
		الآخر	والآخر	٨١	١٠	وأدرستموها	وأدرتموها
٢٠	٣١	لم تحس	تحسس	٨٢	٣٢	وكرر	كرر
٢٣	١٠	وانشاء	وافشاء	٨٦	١٩	كوكب	كواكب
٢٦	٨	نوالها	نواتها	٨٧	٣	الخير	الحيز
٢٦	١١	جوستان	جوستاف	٨٧	١٠	الجومد	الجوامد
٣٢	٢٤	أما التفاوت	أما كون التفاوت	٨٨	٢٨	وحفظها	وضغطها
٣٦	٢٣	التبلطية	التلبثية	١٠٣	١٦	الشاعر	للشاعر
٣٦	٢٤	متى	نراها	١١٣	١٣	حجزة	
٣٨	٢٢	درجات ثلاث	ثلاث درجات	١١٤	١٨	فعلوا	جعلوا
٣٨	٣٣	والثناء	والسناء	١١٦	٢٢	قطعة	قطرة
٥٠	١٢	والشخاص	واشخاص	١١٦	٣٣	احضارها	معاشهم
٥١	١٧	ان الأمة	ان الأمة الضالة	١١٧	٣	لا المخبرين	المخبرين
٥٣	٣٢	ربهم	ربهم . انتهى من	١١٧	٦	العاصى	العامى
			رحلة الأندلس	١١٧	١٥	والوزير	الوزير
٥٥	١٢	وانماق عدّة	وانماط عدّة	١١٧	٣٢	وثناؤهم	وثنائهم
٥٥	٢٦	والتسبيح	والشيح	١٢٣	٣٠	شمليخا	تمليخا
٥٦	٩	عرقنا	عرّفنا به	١٢٤	١٤	فسألاه	فسأله
٥٦	١٩	عن ما	عما	١٢٤	٣٥	مفارقة	معاداة
٥٩	٢٠	كالتحميد	كالشهيق	١٣٤	٢٩	جهره	صهره
٥٩	٢٣	وللتسبيح المشتمل	وللتسبيح والتحميد	١٤٣	٣٢	مليون مليون	مليون مليون
			المشتملين عليهما			مليون مليون	مليون
٦٢	١٧	أولاد	أولا			مليون مليون	
٦٤	٣١	مغروسين	مغروسات	١٤٤	٤	هنا	هناك
٦٥	٢٢	لنشر	نشر	١٥٠	٣١	وهم	هم

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥٤	١٨	تهادى	تهاوى
١٦٤	٢٠	هو	هى
١٦٥	٣٥	والملامسة	والملاسة
١٦٦	١٠	لاحق	لاصق
١٦٦	١٥	هوالالماس	فذاك الماس
١٧٨	٢٢	واثنا عشر حرفا فى الأولى واثنا عشر	واثنى عشر حرفا فى الأولى واثنى عشر
١٧٩	٢	قال أبو محمد الى قوله أبى عامر	قال أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم الشهرستانى

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٨٦	٢	صغارها	غيرها
١٨٦	٢٨	تعرفهم	نعرفهم
١٩٤	٢	به أحدا	أحدا
١٩٤	١٤	لا	
١٩٥	٤	الجيرى	
١٩٥	١٧	وكقصة ذى القرنين	
١٩٨	١٢	سنة ١٨٩٨	حوالى سنة ١٨٩٩
١٩٩	٧	السبت	السيت
٢٠٢	٦	تسكن	فى
٢٠٤	٢٩	راجع	راجعا

﴿ تمت ﴾

فهرست الجزء التاسع من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

صحيفة

الجسم

صحيفة

الجسم الانسانى يحتاج لطعام وشراب ونفس داخل وخارج لاصلاح الدم وله وظيفة أخرى هى الكلام وكلام الناس معبر عن صور الوجود التى فى الذهن فصور الوجود المصوّرة فى العقول لاتكاد تحصر عددا تبع المتصوّرين المتكلمين وكل ذلك تعبير عن صورة واحدة وهى هذا الوجود

٥٩ للتسبيح آثار فى النفوس تحصل بسبب الصوت الذى يصحب التنفس . إن الشهيق لجلب النافع والزفير لاخراج الضارّ والأوّل كالتحميد والثانى كالتسبيح واليه الاشارة بالحديث ﴿ يلهمون التسبيح الخ ﴾ فاذا كان لون الحية لصونها وحياتها فهو تسبيح وتحميد معا كالتنفس زفيرا وشهيقا وآثار التسبيح للجهلاء كآثار الضوء لهم به يهتدون ولكن لا يعرف سرّ التسبيح وسير الضوء إلا العلماء ومثل التسبيح قصص القرآن فالعامّة يفرحون بظواهرها والخواص بعلومها

٦٠ يقول الله للشئ كن فيكون فى الخارج فعلا وننطق نحن باسم الشئ فيكون ذهنا لا خارجا جوهرة فى قوله تعالى ـ تسبح له السموات السبع والأرض ـ الخ وضرب مثل للديانات بكتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ ظاهره للعامة و باطنه للخاصة وكلام الله كفعله فهو كشجر له ظلّ لقوم وثمر لآخرين . هكذا لا يتمّ التسبيح والتحميد إلا بقراءة جميع العلوم فيعرف الناس لم اختلفت الألوان فيما سيأتى فى سورة ـ قد أفلح المؤمنون ـ ويدرسون ما تقدم فى سورة الرعد من أمر نغمات الأحجار . التسبيح والتحميد فى القرآن لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن المجوس تخلصوا باعتقاد إلهين وعلماء اليونان رأوا أن الشرّ لارتقاء النفس الانسانية كما فى لغز قابس المعاصر لسقراط

٦٣ المسبحون الحامدون فى الاسلام وهم جهال أشبه بحال ذلك الذباب الذى دخل فى الزهرة ليستدفئ فألقحها فهو مسخر كتسخير ذلك الجاهل المسبح ليسمعه قوم أعلم من هؤلاء فيقولون ان الله يخاطبنا بلغة العواطف من جوع وعطش واحساس بحر و برد أوجبت الأغذية والملابس . فهذه اللغة للرحمة وان كانت فى ظواهرها ألما فهذا الألم تنزّه الله فيه عن قصد الايذاء فهو مسبح وهو محمود اذا فهمنا هذه العواطف . إذن الانسان كله اليوم جهول لأنهم جميعا جهلوا لغة العواطف فتحاربوا وهم جاهلون فاذن يجب على الناس دراسة هذه الآلام والعواطف عامّة وخاصة حتى يرتقى الانسان وهذا كله معنى التسبيح والتحميد فلأجل التسبيح ندرس العواطف ولأجل التحميد ندرس هذا الوجود والناس على الأرض جميعا أشقياء اجمالا لجهلهم بهذا المقام وهذا هو سرّ حديث ﴿ من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ﴾ هذا هو الفقه المقصود فى الحديث

٦٥ بهجة العلوم فى قوله تعالى ـ تسبح له السموات السبع ـ من كلام الصوفية و بيان أن الأمم الاسلامية اليوم أكثرهم أتباع شيوخ الصوفية وأكثرهم ينهون عن العلم فأنزل العلم لهم على لسان الشيخ الخوّاص وهو يقول للشيخ الشعرانى ان الجماد حى كالحيوان ولم يزد الحيوان على الجماد إلا الشهوة . أما العقل فهو للعموم وقال كلاما لا تقبله عقولنا مثل ان البهائم عارفة بربها أشدّ المعرفة وكلاما تقبله عقولنا وظهر فى الكشف الحديث وهو تعاشق الأشجار للالقاح ومثله فى ذلك الشيخ الدباغ الذى يقول ان الجماد عاقل وانه سمع الأحجار تسبح . وهنا نذكر ماجاء فى العلم الحديث أن كل جماد ثبت أنه متحرّك وأن بعض العلماء من أوروبا يقولون هذه الحركة تدل على الحياة . فكأن العلم كشف ثانى كلام هؤلاء الشيوخ وايضاح هذا المقام أيضا بنظرية العالم (هنشو) الذى جعل نقطة الماء ونحوها ترجع لذرات من الضوء متحركات وهنا مقام التعجب أن يظهر بعض العلم الحديث على ألسنة شيوخ غير دارسين

٦٨ فائدة ظهور أمثال هذا على ألسنة الصالحين فى زمن جهل المسلمين تثبيت العقائد أوّلا واقامة الحجة ثانيا

بلادنا

صحيفة

بلادنا وانى واثق برقى المسلمين بعد انتشار الأفكار النافعة قريبا . معنى - إنّ قرآن الفجر كان مشهودا - وآية - قل لوكان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين - وآية - إقرأ كتابك - الخ
﴿ فصل ﴾ فى طرق استحضار الأرواح ﴿ الطريقة الأولى ﴾ طريقة المائدة ذات الأرجل الثلاثة ويكون الخطاب بالاصطلاح على عدد الضربات الخ ﴿ الطريقة الثانية ﴾ طريقة الفنجال توضع الأيدى عليه ويحرّك الى الحروف على محيط الدائرة ﴿ الطريقة الثالثة ﴾ قطعة من الخشب مثلثة الزوايا لها ثلاث قوائم صغيرة يربط بها قلم رصاص وهى تكتب رسائل مطوّلة فى العلوم ﴿ الطريقة الرابعة ﴾ الكتابة باليد بعد تخديرها بحيث لا يعرف الكاتب ماتخط يده ﴿ الطريقة الخامسة ﴾ أن يوضع القلم فى علبة مختومة ﴿ الطريقة السادسة ﴾ أن تظهر الروح للحاضرين
حادثة (ديكنس) الذى مات سنة ١٨٧٠ وقام باتمام روايته الغلام الجاهل (جيمس) وهو لاعلم له والانشاء والخط لم يتغير . حادثة أخرى للدكتور (سرياكس) الألمانى فقد كتبت يده بعد ١٩ جلسة . والحادثة الثالثة (ويليام كروكسى) يقول ان الوسيطة (فوكس) تكتب بيدها مقالة روحية و بيدها الأخرى مقالة أخرى وهى تكلم الحضور بلسانها

٩٤ الأرواح تكتب بلا أقلام . وضع البارون (جيلد نستويه) ورقا أبيض وقلم رصاص فى علبة أقفلها فبعد مدّة رأى حروفا سرية بل بعد ذلك رأى الحروف تكتب أمامه بلا كاتب . وأيضا كان غلام صيرفى يجادل الفلاسفة فى كل علم وهو فى حاله المعتادة لايعرف شيأ ﴿ المثال السادس ﴾ ابنة الحاكم (لاورا) تتكلم بلغات أجنبية لاتعرف هى منها شيأ وهكذا

٩٥ روح تسمى (كاتى) تجلت بحلة بيضاء وتكلمت عن رحيلها القريب وقصت قطعا شتى من ردائها وخمارها ثم بوضع يدها على الخروق التأمت بقوّة روحية . المؤلف يقول إنه رأى الذين يزعمون انهم يخرجون العفاريت فى مصر كذابين . إن النقائص الأدبية هى أقوى جاذب للأرواح الشريرة فليسع الانسان للصلاح . مطابقات للشريعة الاسلامية

٩٧ فصل فى آداب من يحضرون الأرواح مثل الصبر والهدوء وألا يزيد العمل عن ١٥ دقيقة وهكذا

٩٨ درجات الأرواح ﴿ ثلاث ﴾ سفلية . علوية . نقية . فالسفلية نجسة أوطائشة أومتكبرة أوعقيمة . والعلوية تحبّ الخير وتبعد عن الرذائل وهى صالحة أوحكيمة أورفيعة جمعت بين الحكمة والفضيلة والنقية هى فوق الجميع وفوائد عامّة فى ذلك

٩٩ تذكرة فى مقارنة مافى هذا بالقرآن وكلام الامام الغزالى و (اخوان الصفاء)

١٠٠ لم يكره الحيوان الموت . وذكر أن النفوس الكاملة اذا ماتت تشتغل بتعليم النفوس الناقصة

١٠١ ماكان المؤلف ليظنّ أن الحقائق تظهر جلية فى هذا العصر . و بيان اشارة النبوّة الى ماظهر فى هذا العصر من أمر التليفون . جوهرة فى النفس وقواها . هل النفس والمادّة ابنتان لأم واحدة أم إحداهما أصل والثانية فرع . لم كان لنا ألم وسرور مرتبطان بالمادّة واعتراض على المؤلف أن نموّ العقل تبع نموّ البدن والعكس بالعكس يجعل المادّة أصلا والعقل فرعا وجواب المؤلف أن هذا العالم لغز ويحله جميع العلوم . وهنا يذكر الحواس الحس الظاهرة والحس الباطنة وتفريق الحواس الظاهرة على خواص المادّة ٣٦ من علم المقولات فى الفلسفة وهذه الصور كلها تحفظ فى النفس وتبقى ولكنها فى المادّة تتغير . إذن النفس أصل والمادّة نطاقها ضيق . وليس حبس الانسان فى المادّة إلا كحبس المسجون فى السجن فليس بقاء المسجون فى سجنه دليلا على توقف حياته عليه

صحيفة

١٠٤ هنا ﴿ ثلاثة براهين ﴾ على أن الفكر أصل وهما (١) رجوع الغذاء فينا الى فكر (٢) ولاعمل لنا إلا بعد الفكر (٣) الانسان يسقط عن الحائط بالوهم . اللطائف تحكم الكثائف كالكهرباء والبخار فالروح ألطف وأقوى . فى جسم العنكبوت مصنع وكل نفس تعطى من العلم على مقدار حاجتها . فاذن كل حى فيه غريزة صادقة تطلب مايحتاجه فهناك غريزة عامة لحب البقاء فهى إذن تدل على البقاء طبعا بهذا البرهان . ذكر عالم سويسرى سقط من أعلى جبل فأخذ يدرس ماحصل للناس مثلها وألقاها محاضرة . يقول انه لما سقط ظهرت له أعماله الماضية كلها أسرع من البرق (جون لامونت) غرق فى البحر فظهرت له جميع الحوادث الماضية

١٠٦ طبيبة جرحت فرأت جميع حوادثها ثم استيقظت . ياقوتة فى الحياة بعد الموت وفيها ستة وجوه وهى (١) الفطرة الانسانية شاهدة بالبقاء كما تقدم (٢) حب الناس الأخذ بيد الضعيف دال على أن العدل لابد أن يأخذ مجراه (٣) لايقنع الانسان بكمال فى الدنيا . إذن الكمال فى عالم آخر (٤) أين غاية اللذات وغاية الآلام (٥) أظهر الكشف الحديث أن جميع سكان الأرض يؤمنون باليوم الآخر (٦) النوم ثم اليقظة يشبهان الموت والحياة . الرواقيون يحرصون على الأخلاق اتباعا (لسقراط) ويسمون الروح (الجزء الالهى) وعلماء الهند يحكمون النفس فتقوى أرواحهم

١١١ هنا ﴿ ثلاث حوادث * الحادثة الأولى ﴾ حادثة الفقير الألمانى (ديبلر) لما قطع وريده بيده ليموت ثم أحب الحياة فصمم بهمته على ايقاف الدم ثم غاب عن الحس ثم رأى انه على حافة قبر صنع له ورأى أن فيه قوة خارقة للعادة وسمع أن الفتاة (تريزنيومان) البافارية تعتريها أوقات تظهر على جسمها آثار الدم الذى تتوهم انه ظهر على جسم المسيح بالتأثير الدينى فأعلن انه يفعل ذلك بارادته فنجح وبهذا ظهر أن الأمر كله يرجع لقوة النفس سواء أكان بآثار الدين أم بهمة النفس وقوتها . وبهذا تمت الحادثتان

١١٢ ﴿ الحادثة الثالثة ﴾ حوادث روحية بمصر على يد (طهرا بك) إذ ظهر على المسرح ووضعوه فى صندوق مدة ثم أخرجوه حيا ووضعوا مسامير قوية تحته وقد كسروا حجرا عظيما فوق جسمه وهو لم يتأثر وكل ذلك بحضور العلماء والأطباء . ويقول ان هذه قوة الروح وكل امرئ يقدر أن يفعل ذلك

١١٥ الكلام على عجب الذنب و بقاؤه فى الاسلام وقول علماء الهند انه محل العلم والتعجب من اتفاق الاسلام وعلوم الهند فى هذه النقطة . وبيان أن هذا المقام حل لمشكلة أثارها فى نفسى شاب مراكشى رأى جماعة لاصلاح عندهم يصنعون العجائب فبهذا ظهر السر وان هذا لايدل على الكمال . فهذه القوى كامنة فى النفس والأنبياء وجهوها للكمال والكهان أخذوا يبعثرونها هنا وهناك . وذكر رأى ابن سينا فى ذلك وكذلك ذكر البعاجين فى ابن خلدون ويلحق بذلك التنويم المغناطيسى وأن المنوّم (بالفتح) يؤمر بالقتل فيقتل

١١٧ الحجاب ﴿ خمسة أنواع ﴾ حجاب جسمى وحجاب خلقى وحجاب عقلى وحجاب علمى وحجاب دينى

١١٩ سورة الكهف وهى ﴿ قسمان * الأوّل ﴾ فى قصة أهل الكهف ﴿ الثانى ﴾ فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام ﴿ القسم الأوّل ﴾ من أوّل السورة الى قوله ــ وجعلنا لمهلكهم موعدا ــ مشكلا تفسير بعض الألفاظ وذكر قصة أهل الكهف ملخصة وأن الملك (دقيانوس) كان يفتك بالنصارى ففرّ الفتية الى الكهف وناموا الخ وكتب رجلان قصة الفتية سرّا فى لوحين وجعلاهما فى تابوت من نحاس ولما استيقظوا ذهب تمليخا ليشترى الطعام فعرف الناس الأمر وصدّقوا أمر البعث الخ

صحيفة

صحيفة

فاللون أسود فأسمر فأحمر فبرتقالى فأصفر وهكذا الى الأبيض فالأسود أكثر حرارة وتقل بالتدريج الى الأبيض وظهر السنجاب أبيض وصدره و بطنه أحمران على القاعدة المذكورة من شدة التعرض للشمس وعدمه . ومما يدل على أن هذا العلم لايزال فى المهد طفلا أن (نمر البنغال) بالهند متناسب الأجزاء من الجانبين تناسبا هندسيا ومثله حمار الحبشة

١٤٥ (شكل ٣) فهذا الجمال لا يعرف سببه من حيث شدة التعرض للشمس وقلته إذ الألوان المختلفة معا فى مكان واحد

٩٤ من الخيل السمر تكون ذيولها سوداء

١٤٦ النماذج الهندسية الجميلة فى حشرة أبى دقيق الطاووسية (شكل ٤) ثم ذكر أن ظهر الطيور و بطنها كالذى تقدم فى ذوات الأربع و يظهر فى الطيور المائية أتم . فكل هذا على قاعدة واحدة تبع الشمس قربا و بعدا . فأما الزينة المذكورة فهى على غير هذا القانون مجهولة وهذا معنى التأكيد فى قوله ـ إنا جعلنا ـ بأن و بالجملة الاسمية ومن بديع الجمال الذى يدهش اللب فى تفسير الآية وتأكيد الجملة

١٤٧ (شكل ٥) وفيه الفراشة السفلى فى نقوشها هواء يعكس النور والفراشة العليا فيها مادة ملونة فالتأكيد هنا فى الجملة نظير ما فى قول الشاعر * إن بنى عمك فيهم رماح *

١٤٨ ﴿الفصل الثانى﴾ فى قوله تعالى ـ وجعلناها رجوما للشياطين ـ إن الجمال لذوى العقول ليتذكروا به . فأما غيرهم فهو لهم فتنة يصدهم عن العلوم فالجمال عند الجهال داع للشهوات وعند العلماء داع للرقى العلمى والجهال كلما أرادوا الصعود أقعدهم الجمال الذى رفع الحكماء . ﴿ان الدنيا خضرة حلوة﴾ الحديث . بيان ـ قل من حرم زينة الله ـ وان من تلك الزينة ما عثر عليه فى مقابر قدماء المصريين مثل (توت عنخ أمون) ومثل ما عثر عليه فى آثار الاشوريين والكلدانيين والعيلانيين قبل (توت عنخ أمون) بنحو ١٧ قرنا من القلائد الذهبية قبل خمسة آلاف سنة مسننة على هيئة أوراق الذهب ومن تماثيل كانت مباحة لهم كتمثال قرد ذهبى نحو ثلث قيراط دقيق الصنع جدا

١٥٠ بيان أن هذه الحلى مباحات للابسين واجب صنعها على الصانعين متى كانت مباحة لنفهم معنى قوله ـ لنبلوهم أيهم أحسن عملا ـ وقول الله ـ وزيناها للناظرين ـ يدل على أن هذه الزينة فى العالم لم تخلق إلا لهم لا للابسين الذين لا يعقلون إلا زينة أنفسهم الخاصة

١٥١ ﴿الفصل السادس﴾ ـ أم حسبت أن أصحاب الكهف ـ الخ يدل على أن هذه الزينة ليست مقصودة لذاتها فهى أشبه بما يكتبه الكاتبون فى الألواح ليقرأ ثم يزال . شمس عقد الزينة فى بهجة الجمال ليس الجمال مايفهمه ذكران الحيوان من الاناث وبالعكس . كلا . أبصار الجهلاء كأبصار الخفافيش ترى فى الظلام و بصائر الحكماء كأبصار سائر الحيوان نهارا . عقول الناس بالنسبة للجمال كالأرض والعلم كالماء فالعلم يحيى العقول فتعرف الجمال

١٥٢ حصر أهم الطرق التى بها تثار العقول لادراك الجمال وفهم الزينة (١) خوارق العادات (٢) ظهور الغرائب على ألسنة الصالحين (٣) الخيال (٤) الجد والنصب بالدراسة و بالسير فى الأرض

كتاب (الابريز) ونصائح الشيخ الدباغ . وكتاب (درر الغواص ونصائح الشيخ الخواص) فيه . ففى الأول أن حلف الناس بالصالحين والتوسل بهم بسبب الانقطاع عن الله بمخالفات كالتقرب للظالمين والخوف منهم وعدم النصيحة الخ . كل هذا أوجب بعد القلوب عن ربها . وفى الثانى أن عباد الأوثان أحسن حالا ممن يقرؤن الأوراد لأجل النصر والجاه والرزق وهكذا وأن الشيخ يلقن ألف تلميذ ذكرا

صحيفة

فلا ينتج له مريد واحد وهذه الكتب ظهرت ولم تؤثر فى الأمم الاسلامية

﴿ الطريق الثالث ﴾ غرائب العلم من الخيال مثل الاستعارات التمثيلية وجميع الكنايات وما أنتجه علم البيان وفوق ذلك أمثال كتاب ﴿ كليلة ودمنة ﴾ و ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ والخرافات التى فيهما . فمن الثانى قصة مدينة النحاس وهى خرافة تزهد فى الدنيا وذلك أن موسى بن نصير ومعه الشيخ عبدالصمد قد ظهر لهما جنى أخبرهما انه محبوس من أيام نبى الله سليمان الى أيام عبد الملك بن مروان وانهما دخلا مدينة النحاس ورأيا حليا وعجائب وتماثيل وفتاة كأنها حية وعليها حلل لانظير لها فقرب منها رجل منهم فقتله سيافان مصنوعان بالحكمة يقتلان من يقترب منها وقد رأيا قصة على لوح (أن ترمز من ذرية العمالقة قد حبس المطر عن مملكته سبع سنين فمات القوم جميعا . كل ذلك خرافة يراد بها الزهد فى الدنيا

١٥٥ ﴿ القصة الثانية ﴾ قصة أبى قير وأبى صير وهما صباغ وحلاق والأول مخادع والثانى صادق وقد أحسن الثانى الى الأول ولكن الأول ضربه وآذاه ثم وشى به عند الملك وظهر الحق بعد ذلك فقتل الصباغ وأحسن للحلاق . وملخص هذه الخرافة أن الأمين مقبول والخائن عاقبته الخسران

١٥٦ ﴿ الطريق الخامس ﴾ السير فى الأرض وبذلك السير يرى الانسان الضوء الشمالى

١٥٧ (شكل ٦) وهو فى حقيقته ملون بالحمرة والخضرة والصفرة الخ

١٥٨ وهناك عجائب ترى عند عرض ٨٢ درجة شمالا وهناك ترى قباب لماعة مشرقة محلاة بلون الحمرة والصفرة المشرقين وهناك شفق جنوبى أيضا . وترى فى الشمال مناظر سحرية فى جبال الثلج العائمة على الماء فى الظلام وهى مهلكة وساحرة كأنها قصور مزخرفة محلاة بأنواع الحلى

(شكل ٧) و (شكل ٨) وهما صورة الشفق الذى شوهد عند (أورلين) سنة ١٨٧٤

١٥٩ صورتان (٩) و (١٠) للشفق الشمالى الذى شوهد عند (ألاسكا) وعند (بريفليونت)

١٦٠ الكلام على الفصل الأول فى قصة أصحاب الكهف وأن هذه جاءت فى القرآن لغرابتها وان كان النوم معروفا . ولقد كان قدماء المصريين عند ظهور عجل لهم جديد يتخذونه إلها يضربون ألف آلة موسيقية . ذلك لأن الغرابة عند الانسان مناط انقياده وقصة أهل الكهف نظيرها الحشرات والحيات تنام شتاء وتستيقظ فى الربيع ولكن الغرابة هنا لها الأثر الكافى الاقناعى

١٦١ أصحاب الكهف ومقترحات أهل مكة

الكلام فى خوارق العادات وفى الكرامات والأولياء . وقد يظهر من الذاكرين أتباع الشيوخ علوم صادقة عالية كما يظهر فى التنويم المغناطيسى

١٦٢ آثار ذلك فى الاسلام ومايجب أن يكون فاذا ظهرت كرامة على يد رجل مستغرق فى الله فانه يجب عليه أن يزيد تواضعا لأن هذا ليس مقصود الاسلام بل مقصوده ارتقاء العقول ولافرق بين هذا الذى ظن نفسه وليا وهو مغتر و بين صاحب الجنتين المذكورتين فى سورة الكهف

الصوفية ودول أوروبا الذين اتخذوهم آلة يحاربون بها المسلمين

١٦٣ واجب المسلمين فى المستقبل أن يدرسوا العجائب الخيالية للصغار والعلوم الحقة للكبار

حساب السنين الكبيسة والبسيطة وأن كل مائة سنة شمسية تكون ٣٠٩ قمرية وأن ذلك من أعجب أسرار الآية بل هو معجزة وفرق بين قصة أهل الكهف التى هى خوارق و بين الحساب المنظم الذى قال الله فيه ــ عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا ــ فالأول لتعليم الناشئين والثانى لتعليم

صحيفة

الـكبار وهذا عجب عجاب أن تـكون الخوارق مبدأ والحساب والعلوم الأخرى نهاية وهذا هو النظام فى جميع العالم الآن

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى قوله تعالى ـ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ـ

﴿ الفصل الرابع ﴾ فى مسألة الجنتين وأن أحد الأخوين اغترّ بهما . وأن الناس ماضرّهم إلا دليلان يرجعان للسفسطة (١) انى أعطيت هذا المال أو العلم للاستحقاق (٢) وانى اذا أنعم الله علىّ فى الدنيا فهكذا ينعم علىّ فى الدار الأخرى

١٦٥ ﴿ الفصل الخامس ﴾ ـ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا ـ

الـكلام على قوله تعالى ـ ويلبسون ثيابا خضرا ـ الخ و بيان أن ألذ المطعوم وهو العسل من حشرة وأنعم الملبوس من دودة وأغلى الحلى ما كان جوهرا من الصدف وأن ذلك كله ورد أنه فى الجنة و بيان أن ظاهره للعامّة . فأما الخاصة فانهم يقولون فى الجنة ﴿ مالا عين رأت الخ ﴾ وهذه رآها الناس إذن يلجؤن للكناية والرمز و يستشهدون بالحديث و بالآيات الأخرى و يقولون ان الخواص يتنعمون حسا ومعنى بالعلوم وادراك الحقائق و بهذا وحده سيرون ربهم وأيضا أهل جهنم كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها الخ نظير مانراه فى الدنيا فان الناس كلما حصلوا لذّة ازداد طلبهم لغيرها وهذا كقوله تعالى فى سورة الـكهف ـ وان يستغيثوا يغاثوا بماء ـ الخ

١٦٧ جوهرة فى قوله تعالى ـ واضرب لهم مثلا رجلين ـ الخ وذكر مثل يوضح ذلك من التاريخ إذ فتح المسلمون فارس والروم وأتوا الى مصر بقيادة عمرو بن العاص واستولوا على (بلبيس) ثم على حصن (بابليون) وهناك حصلت مكاتبات بينهم و بين (المقوقس) بعنف . وههنا يجدر الاتعاظ بكلام عبادة ابن الصامت أمام المقوقس وقوله نحن يكفينا أقلّ الطعام والشراب ومازاد نصرفه فى سبيل الله والموت خير لنا لأنا نكون فى الجنة وهذا هو مقصود الآية اذا ملكنا لا نتعلق بالملك ونكون عبادا لله مخلصين و يقول اننا استودع كل منا ربه أهله وولده وأن المسلمين المتأخرين جعلوا الفتح مقصودا لذاته فهلكوا مصداقا لحديث ﴿ ان أخوف ما أخاف عليكم ﴾ وفى آخر الفتح ﴿ تشبيهان ﴾ تشبيه المسلمين فى التوراة وتشبيههم فى الانجيل . فليكن الفتح الآن فتحا علميا

١٧١ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى ـ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ـ الى قوله ـ وما كنت متخذ المضلين عضدا ـ وذكر مذهب الباطنية ونظام الملك الوزير وعمر الخيام

١٧٢ من هم الباطنية والكلام عليهم نقلا عن المواقف . وأن (الغبارية) وهم طائفة من الفرس أرادوا كسر شوكة العرب فلم يجدوا إلا إدخال الشك فى الدين ورئيسهم فى ذلك حمدان قرمط وقيل عبد الله بن ميمون القدّاح . ولهم فى الاستدراج ﴿ سبع مراتب ﴾ الرزق والتأنيس والتشكيك والربط والتدليس والتأسيس والخلع والسلخ و يسمون الاسماعيلية والباطنية والقرامطة والحرمية والمحمرة والمزدكية والتعليمية والملحدة . والنطقاء عندهم سبع وهم امام وحجة وذومصة وأكبر وداع مأذون وكاب رفيع الدرجات ومؤمن يتبع الداعى . غرام الاسماعيلية بالأعداد

١٧٤ بيان أن أوروبا الآن تفعل مع المسلمين مافعله ابن الصباح قديما كلاهما يحرّم العلم على المسلمين فأكثر الصوفية شاركوا أوروبا فى تقليل العلم ومنعه عن المسلمين الذين هم السبب فى رقى الانسانية

﴿ المسألة الثانية ﴾ فى الـكلام على نظام الملك الوزير وعمر الخيام وحسن بن الصباح وانهم تعاهدوا أن من ارتقى ينفع أخويه فارتقى نظام الملك للوزارة ونفع الخيام فأعطاه مالا يستعين به على العلم وأكرم ابن الصباح

صلى

تعيش ملايين الملايين أيضا . هذا معنى ــ قل لو كان البحر مدادا ــ الخ

٢١٦ جوهرة فى قوله تعالى ــ قل إنما أنا بشر مثلكم ــ الخ وهى لبيان أن الكثرة المتقدمة تشملها وحدة وبيان الوحدة عند قدماء الفلاسفة وانها ملازمة للوجود فكل موجود كثر أوقل يطلق عليه اسم الواحد . ويقول علماء (الارتماطيقى) العالم كله واحد مكرر وعلماء العصر الحاضر وجدوا الوحدة فى التركيب . فكل شمس وكل كوكب وكل قمر مركبات من عناصر تماثل العناصر المعروفة وهى كلها ذرات فكل ذرة لها دورات كدورات الكواكب حول الشمس . وقد وجدوا فى قطرة الماء من الذرات أعدادا عظيمة تقرب فى كثرتها من عدد نجوم السماء

خلاصة ماتقدم مثل الوحدة فى آراء الفلاسفة ووحدة الأعداد ووحدة علماء العصر الحاضر واتحاد الكواكب ووحدة فى الاشراق لأن العوالم كلها سواء أكانت مظلمة أم مضيئة كالشمس والحديد والنحاس ترجع الى ذرات ضوئية ركبت منها تلك العناصر . ووحدة فى جرى أجزاء الذرات بعضها على بعض . ووحدة فى أن بين الذرات متسعات كالتى بين الأرض والشمس . ووحدة فى أن الصغير مما نراه يحوى عددا من الذرات يقرب من احتواء العالم على كواكب . ووحدة فى الأحوال من حر وبرد وموت وحياة . وفى الأخلاق كالجهاد الذى أمرت به جميع الديانات . ووحدة فى العدل كما فى قوله تعالى ــ إن الله يأمر بالعدل ــ المشروح فى سورة النحل . ووحدة فى نظام الأمم . فكلما كانت الأمة اقوى ترتيبا كانت أقدر على أن تغلب غيرها وتعد التى ليست فيها وحدة انها مخالفة لنظام ربها فلذلك تعاقب بالخزى فى الدنيا كبعض الأمم الشرقية فى القرون المتأخرة . وبالشورى التى أمر بها سيدنا عمر رضى الله عنه تكون الوحدة . والعجب أن يتحد الطليان والألمان والممالك المتحدة وكثير من المسلمين لم يتحدوا قبيل زمننا الحاضر . ومن الوحدة فى الأمة الاحتفاظ بالصناعة وتقوية القائمين بها ومساعدة الأيدى العاملة فيها . والأمة اذا فرطت فى الصناعات تمزقت وحدتها وأصبحت ذليلة مستعبدة لغيرها . كل هذا سر قوله تعالى فى سورة ابراهيم ــ وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب ــ فهذا من نوع التذكر الذى يبتغيه أولوا الألباب

٢١٩ خطاب مفتوح كتب فى مجلة «النهضة النسائية» يقصد به الوحدة فى الصناعة وأن المصريات لم يفعلن مافعلته (چان دارك) من احراق جسمها لأجل بلادها ولم يقاطعن المنسوجات الأجنبية كأهل الهند . فهلا قامت منهن طائفة تمنع التبرج كما فعلت النساء التركيات . وملخص هذه المقالة أن ارتقاء الأمة فى الصناعة والاقتصاد يجب أن يشارك النساء فيه الرجال

(تمت)

(بشرى)

صحيح الامام البخاري في تسعة أجزاء

بخط جلى واضح لم يسبق طبعه بهذا الشكل

مضبوط الكلمات . حائزا أعلى الصفات

الى الاصوليين والفقهاء والمحدثين أزف كتابا أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى ألا وهو كتاب ﴿صحيح الامام البخارى﴾ بعد التعطش لرياه . وقلة مرآه . حتى أصبح لايرى لنسخه أثر . ولا يوقف لها على خبر . والنفوس له مشتاقه . ولاجتلاء محياه توّاقه . ومع الاستعانة بالله سبحانه شرعنا فى طبعه وعما قريب يظهر للوجود . بعد ان كان غير موجود . وانتقيناله من الورق أعلاه وأغلاه . ومن الحروف أوضحها وأضبطها . ومن الاصول أصحها وأتقنها . وحسبك صحة واتقانا النسخة التى انتقاها من بين أصوله الصحاح أمير المؤمنين المغفورله (السلطان عبدالحميد) التى أجمع على صحتها أكابر علماء الأزهر الشريف . رحم الله جميعهم . وبرّد فى الدارين صنيعهم آمين .